مجموع
تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم
وتعليقاته على بعض كتب التفسير

مراجعة وتقديم

معالي الشيخ

محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

فضيلة الشيخ

أ.د. علي بن عبد العزيز الشبل

المدرس بالمسجد الحرام

جمعه واعتنى به وخرج أحاديثه

صلاح الدين بن عثمان أحمد

أمين مكتبة سماحته

طبع على نفقة الفقير إلى الله
سعد بن عبد الله بن غنيم الحقباني وجعله وقفًا لوالديه
بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

المجلد الحادي عشر

من سورة يونس إلى سورة لقمان

مجموع تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

مجموع

تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم
وتعليقاته على بعض كتب التفسير

طبع على نفقة الفقير إلى الله
سَعْد بن عبد الله بن غنيم الحقباني وجعله وقفًا لوالديه

ح مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية، ١٤٤٦هـ
عبد العزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن باز،
مجموع تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز لسور وآيات من القرآن الكريم وتعليقاته على بعض كتب التفسير. / عبد العزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن باز؛ صلاح الدين عثمان أحمد - ط١.
الرياض، ١٤٤٦هـ
١٤ مج.

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٧٩٧٥
ردمك: ٠-٤٨ - ٨٣٩٧-٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٦-٥٩-٨٣٩٧-٦٠٣ - ٩٧٨ (ج١١)

الطبعة الأولى
١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥م

مجموع
تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم
وتعليقاته على بعض كتب التفسير

مراجعة وتقديم
معالي الشيخ
محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

فضيلة الشيخ
أ.د. علي بن عبد العزيز الشبل
المدرس بالمسجد الحرام

جمعه واعتنى به وخرج أحاديثه
صلاح الدين بن عثمان أحمد
أمين مكتبة سماحته

بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

المجلد الحادي عشر

من سورة يونس إلى سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير آيات من سورة يونس
وهي مكية(١)

وقال ابن عبّاس: ﴿فَٱخْتَلَطَ﴾ [٢٤]: فنبت بالماء من كلّ لونٍ، وَ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلْغَنِيُّۖ﴾ [٦٨]، وقال زيد بن أسلم: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ [٢]: محمّدٌ ﷺ، وقال مجاهدٌ: خيرٌ، يقال: ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [١]: يعني: هذه أعلام القرآن، ومثله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [٢٢]: المعنى بكم، ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ [١٠]: دعاؤهم، ﴿أُحِيطَ بِهِمْۙ﴾ [٢٢]: دنوا من الهلكة، (أحاطت به خطيئته) [البقرة: ٨١]: فاتّبعهم، وأتبعهم واحدٌ، ﴿وَعَدْوًاۚ﴾ [٩٠]: من العدوان، وقال مجاهدٌ: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾(٢): قول الإنسان لولده وماله إذا غضب: اللّهمّ لا تبارك فيه والعنه، ﴿لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْۖ﴾ [١١]: لأهلك من دعي عليه، ولأماته، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: مثلها حسنى، ﴿وَزِيَادَةٌۖ﴾ [٢٦]: مغفرةٌ، ورضوان، وقال غيره: النظر إلى وجهه، ﴿ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ [٧٨]: الملك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: (لأهلك من دعي عليه ولأماته): هذا من رحمته سبحانه، أنّه لا يعجل العقوبة: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْۖ﴾ لجاءهم الهلاك من كلّ مكانٍ.

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) قال سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الواجب على المؤمن أن يحفظ لسانه، فقد يقول كلمة يوافق فيها ساعة الإجابة، والله ﷻ رؤوف حليم، لو يعجل للناس الشر لهلكوا.

فالواجب الحذر، والواجب على المؤمن أن يتقي شرّ لسانه، وأن يحذر زلّاته، وأن يتثبّت في كلامه: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»(١).

قد يقول كلمةً تصادف ساعة إجابةٍ يكون فيها هلاكه، ولكن عليه أن يتثبّت، وأن ينظر قبل أن يتكلّم، وأن يحاسب نفسه حتّى لا يتكلّم إلّا فيما ينفعه وينفع غيره.

والله ﷻ جوادٌ كريمٌ، رؤوفٌ رحيمٌ حليمٌ، قد لا يعجّل العقوبة: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٦١]، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥]، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

فالعاقل يحاسب نفسه ولا يعجل، وينظر في أقواله وأعماله، فما كان طيبًا ثبت عليه وسأل الله الثبات والتوفيق، واستزاد من الخير، وما كان من أعماله وأقواله مخالفًا للشرع بادر بالتّوبة منه، والحذر منه، وأن يعوّد نفسه كلّ فعلٍ طيبٍ وكلّ قولٍ طيبٍ؛ لينجو، ويحذر من مغبّة التّساهل والعجلة وعدم المحاسبة.

قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾: المعروف في التفسير أنّ ﴿ٱلْحُسْنَىٰ ۖ﴾ الجنة، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وهي الجنّة، والزيادة: وهي النظر إلى وجه الله، هكذا فسرها النّبيّ ﷺ في حديث صهيب رضي الله عنه، ولا ينافي ما قاله المؤلّف، من أحسن له الحسنى وزيادةٌ، من أحسن له الحسنى الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعفٍ، كما في الآيات الأخرى، لكن هنا المراد بالحسنى: الجنّة، والزيادة: النظر إلى وجه الله، مثل ما قال

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر... إلخ برقم (٦٠١٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار... إلخ برقم (٤٨).

تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، الجنّة ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: النظر إِلَى وجه اللهِ ﷻ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نبّه الشّارح على حديث صهيبٍ رضي الله عنه؟ كأنّ المؤلف ما ثبت عنده؟ ساق المؤلف الشّارح حديث صهيب رضي الله عنه في ﴿الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٣٤٧)]: «قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ مثلها حسنى وزيادة مغفرةٍ ورضوانٍ: هو قول مجاهدٍ، وصله الفريابيّ وعبد وغيرهما من طريق ابن أبي نجيحٍ عنه.

قوله: (وقال غيره: النّظر إلى وجهه): ثبت هذا لأبي ذرٍّ وأبي الوقت خاصّةً، والمراد بالغير هنا فيما أظنّ: قتادة؛ فقد أخرج الطّبريّ من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه قال: الحسنى هي الجنّة، والزّيادة النّظر إلى وجه الرّحمن. وعند عبد الرّزّاق عن معمرٍ عن قتادة: الحسنى: الجنّة، والزّيادة فيما بلغنا: النّظر إلى وجه الله، ولسعيد بن منصورٍ من طريق عبد الرّحمن بن سابطٍ مثله موقوفًا أيضًا، ولعبد بن حميدٍ عن الحسن مثله، وله عن عكرمة قال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ قالوا: لا إله إلّا الله، الحسنى: الجنّة، وزيادةٌ: النّظر إلى وجه الله الكريم.

وقد ورد ذلك في حديثٍ مرفوعٍ أخرجه مسلمٌ والتّرمذيّ وغيرهما من طريق حمّاد بن سلمة، عن ثابتٍ، عن عبد الرّحمن بن أبي ليلى عن صهيبٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نُودُوا: إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ وَعْدًا، فَيَقُولُونَ: أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُزَحْزِحْنَا عَنِ النَّارِ وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ؛ فَوَاللهِ مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْهُ**»(١)، ثمّ قرأ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾. قال

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى برقم (٢٥٥٢)، والإمام أحمد (٦/ ١٥).

التّرمذيّ: إنّما أسنده حمّاد بن سلمة، ورواه سليمان بن المغيرة عن ثابتٍ، عن عبد الرّحمن بن أبي ليلى. قلت: وكذا قال معمرٌ، أخرجه عبد الرّزّاق عنه، وحمّاد بن زيدٍ عن ثابتٍ أخرجه الطّبريّ.

وأخرجه أيضًا من طريق أبي موسى الأشعريّ نحوه موقوفًا عليه، ومن طريق كعب بن عُجرة مرفوعًا قال: الزّيادة: النّظر إلى وجه الرّبّ. ولكن في إسناده ضعف، ومن حديث حذيفة موقوفًا مثله، ومن طريق أبي إسحاق عن عامر بن سعدٍ عن أبي بكرٍ الصّدّيق مثله؛ وصله قيس بن الرّبيع وإسرائيل عنه، ووقفه سفيان وشعبة وشريكٌ على عامر بن سعدٍ. وجاء في تفسير الزّيادة أقوالٌ أخر». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: المقصود: أن الصّواب في تفسير الآية: أن الحسنى الجنّة، والنظر إلى وجه الله هو الزيادة، ولا ينفي ما لهم من الخير العظيم مع المضاعفات في حسناتهم، والزيادة من الأجور، هذا معروفٌ من أدلّةٍ أخرى، الله ﷻ يضاعف لهم الحسنات، ويزيدهم من فضله، هذا معروفٌ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرة.

فقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾؛ يعني: وحَّدوا الله، واستقاموا على دينه وأحسنوا في أعمالهم، هذا إحسانٌ مطلقٌ كما قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧]، ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ وَأَنفِقُوا۟﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وفي الحديث الصّحيح: «**الإِحْسان أَنْ تَعبُدَ اللهِ كَأَنَّك تَرَاهُ؛ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١).

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ برقم (٤٧٧٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان برقم (٩).

فالمحسن هو الّذي يعبد الله كأنّه يراه، فإن لم يكن يراه فإنّ الله يراه؛ يعني: هو المستكمل لأعمال الخير، المجتهد في أعمال الخير.

• س: دعاء الإنسان على ولده هل يقال ما كان يقصد وما كان بغير قصد قد يدرج على اللّسان إذا غضب على أولاده؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لولا لطف الله لكان الأمر أعظم، قد يغضب ويتكلّم بما لا ينبغي.

• س: الحكم عام في الدّعاء ما قصده وما لم يقصده؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحكم عامٌّ في التحذير، وأمّا اللطف فاللطف عامٌّ أيضًا، سبحانه وبحمده.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾ [يونس: ١، ٢][(١)].

أما الحروف المقطعة في أوائل السور، فقد تقدم الكلام عليها مستوفًى في أوائل سورة البقرة.

وقال أبو الضحى، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿الٓر﴾، أي: أنا الله أرى. وكذا قال الضحاك وغيره.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾؛ أي: هذه آيات القرآن المحكم المبين.
وقال مجاهد: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [قال: التوراة والإنجيل].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

[وقال الحسن: التوراة والزبور].

وقال قتادة: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: الكتب التي كانت قبل القرآن.

وهذا القول لا أعرف وجهه ولا معناه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا القول ليس بشيء، والصواب: أن المراد به القرآن الكريم، ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾، يعني: هذه آيات الكتاب الحكيم، يعني: القرآن العظيم المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ الآية، يقول تعالى منكرًا على من تعجَّب من الكفار من إرسال المرسلين من البشر، كما أخبر تعالى عن القرون الماضية من قولهم: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [التغابن: ٦]، وقال هود وصالح لقومهما: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٣: ٦٩]، وقال تعالى مخبرًا عن كفار قريش أنهم قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

وقال الضحاك، عن ابن عباس: لما بعث الله تعالى محمدًا ﷺ رسولًا أنكرت العرب ذلك، أو من أنكر منهم، فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا مثل محمد. قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾.

وقوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ﴾ اختلفوا فيه، فقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ﴾ يقول: سبقت لهم السعادة في الذكر الأول.

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ﴾

يقول: أجرًا حسنًا، بما قدَّموا. وكذا قال الضحاك، والربيع بن أنس، وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم. وهذا كقوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢، ٣].

وقال مجاهد: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ قال: الأعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم.

وقال عمرو بن الحارث عن قتادة أو الحسن ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ قال: محمد ﷺ شفيع لهم. وكذا قال زيد بن أسلم، ومقاتل بن حيان.

وقال قتادة: سَلفُ صدق عند ربهم.

واختار ابن جرير قول مجاهد ـ أنها الأعمال الصالحة التي قدَّموها ـ قال: كما يقال: «له قدم في الإسلام» ومنه قول حسان رضي الله عنه.

لنا القَدَمُ العُليا إليك وخَلْفُنا لأوَّلِنا في طاعَةِ اللهِ تابعُ

وقول ذي الرُّمة:

لكُم قَدَمٌ لا يُنْكرُ الناسُ أنها مَعَ الحسَبِ العَادِيّ طَمَّت على البَحْرِ

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: مع أنا بعثنا إليهم رسولًا منهم، رجلًا من جنسهم، بشيرًا ونذيرًا، ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: ظاهر، وهم الكاذبون في ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لأن هذا ليس بخاص بهذه الأمة، قد سبقته الرسل للدعوة إلى الله والتبشير بالجنة والنجاة من النار لمن استقام على ما جاءت به الرسل، فليس بمنكر، وليس ببدع أن يبعث الله محمدًا من البشر، قد بعث الله قبله الأمم، نوح وهود وصالح وشعيب وموسى وهارون وإسماعيل، وغيرهم، كلهم من البشر، الله أرسل الرسل من البشر؛ حتى يتمكنوا من

سؤالهم وخطابهم والاستفادة من كلامهم، وهذا من رحمة الله لهم، أن أرسل الله لهم بشرًا مثلهم، الله أكبر.

مداخلة: أحسن الله إليكم، قدم الصدق هو ما رجحه ابن جرير.

الشيخ: هو أصح ما قيل إنه ما قدموه من الأعمال الصالحة.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس: ٣](١).

يخبر تعالى أنه رب العالم جميعه، وأنه خَلَق السموات والأرض في ستة أيام ـ قيل: كهذه الأيام، وقيل: كل يوم كألف سنة مما تعدُّون. كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ثم استوى على العرش، والعرش أعظم المخلوقات وسقفها.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا حجاج بن حمزة، حدثنا أبو أسامة، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد قال: سمعت سعد الطائي يقول: العرش ياقوتة حمراء.

وقال وهب بن منبه: خلقه الله من نوره. وهذا غريب.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾؛ أي: يدبر أمر الخلائق، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٣]، ولا يشغله شأن عن شأن، ولا تغلّطه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين ولا يلهيه تدبير الكبير عن الصغير، في الجبال والبحار والعمران والقفار، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦]. ﴿وَمَا

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، قال النبي ﷺ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ـ قَالَ ـ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»(١).

فهو سبحانه وتعالى العالي فوق خلقه، وعرشه سمَّاه الله العرش العظيم، وهو سقف المخلوقات، وخلقه قديم قبل خلق السماء والأرض بخمسين ألف سنة، وقبلها أيضًا، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والناس مختلفون في القلم الذي كتب القضاء به من الديان هل كان قبل العرش أو هو بعده قولان عند أبي العلى الهمداني والحق أن العرش قبل لأنه حين الكتابة كان ذا أركان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الدراوردي، عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة أنه قال حين نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ لقيهم ركب عظيم لا يرون إلا أنهم من العرب، فقالوا لهم: من أنتم؟ قالوا: من الجن، خرجنا من المدينة، أخرجتنا هذه الآية. رواه ابن أبي حاتم.

وقوله ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ كقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وكقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾

(١) سبق تخريجه في (١٠/٤١٨).

[النجم: ٢٦]، وقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣].

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾؛ أي: أفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾؛ أي: أيها المشركون في أمركم، تعبدون مع الله غيره، وأنتم تعلمون أنه المتفرد بالخلق، كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقوله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٦، ٨٧]، وكذا الآية التي قبلها والتي بعدها.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾ [يونس: ٥، ٦][(١)].

يخبر تعالى عما خلق من الآيات الدالة على كمال قدرته، وعظيم سلطانه، وأنه جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضياء وشعاع القمر نورًا، هذا فن وهذا فن آخر، ففاوت بينهما لئلا يشتبها، وجعل سلطان الشمس بالنهار، وسلطان القمر بالليل، وقدر القمر منازل، فأول ما يبدو صغيرًا، ثم يتزايد نُوره وجِرمه، حتى يستوسق ويكمل إبداره، ثم يشرع في النقص حتى يرجع إلى حاله الأول في تمام شهر، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٩، ٤٠]، وقال: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾؛ أي: القمر ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾، فبالشمس تعرف الأيام، وبسير القمر تعرف الشهور والأعوام.

﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: لم يخلقه عبثًا بل له حكمة عظيمة في ذلك، وحجة بالغة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

وقوله: ﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾؛ أي: نبيِّن الحجج والأدلة ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾؛ أي: تعاقبهما إذا جاء هذا ذهب هذا، وإذا ذهب هذا جاء هذا، لا يتأخر عنه شيئًا، كما قال تعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ [يس: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: من الآيات الدالة على عظمته تعالى، كما قال: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]، وقال: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]. وقال: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٩]. وقال: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ

﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]؛ أي: العقول، وقال هاهنا: ﴿لَأَيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ﴾؛ أي: عقاب الله، وسخطه، وعذابه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإنما يتذكر من يخاف عقاب الله وسخطه، هم الذين يتفكرون، ويتدبرون ويتعقلون، ويعملون بالحجج، بخلاف الغافلين المعرضين؛ فإنهم لا ينظرون ولا يعلمون ما يراد بهم، ولكن من فكر ونظر وتأمل وتدبر وتعقل هو اللي يستفيد من آيات الله وحججه، وبيناته ومن كلام رسوله ﷺ، إنما يستفيد وينتفع أهل البصيرة، أهل العقل.. أهل التفكير.. أهل النظر.. أهل الاعتبار، ولهذا قال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ۝٦﴾ يتقونه ويحاسبون أنفسهم، ويجاهدونها في الله ﷻ.

مداخلة: أحسن الله إليك يا شيخ! قول: سعد الطائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: العرش ياقوتة حمراء؟

الشيخ: الله أعلم، هذا من علم الغيب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٧].

بركة، اللَّهم صلِّ عليه.

مداخلة: كيف تكون العبادات في البلدان التي تغيب الشمس ستة أشهر، والليل ستة أشهر؟

الشيخ: هذه لها عملها، وهذه لها عملها، كل له ما يجب عليه في بلده، حسب ليله ونهاره.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس: ٧، ٨][١].

يقول الله تعالى مخبرًا عن حال الأشقياء الذين كفروا بلقاء الله يوم القيامة ولا يرجون في لقاء الله شيئًا، ورضوا بهذه الحياة الدنيا واطمأنت إليها أنفسهم.

قال الحسن: والله ما زينوها ولا رفعوها، حتى رضوا بها وهم غافلون عن آيات الله الكونية فلا يتفكرون فيها، والشرعية فلا يأتمرون بها، بأن مأواهم يوم معادهم النار، جزاء على ما كانوا يكسبون في دنياهم من الآثام والخطايا والإجرام، مع ما هم فيه من الكفر بالله ورسوله واليوم الآخر.

□ **بيان تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ۝٧﴾ [يونس: ٧][٢].

هذه على ظاهرها؛ يعني: آثرها على الآخرة، اطمأنوا بالحياة ورضوا بها، وغفلوا عن الآخرة، ولم يؤدّوا ما أوجب الله ولم يجتهدوا في أداء حقّ الله، بل آثروا الدنيا على الآخرة، وصار همّهم قضاء أوطارهم من الدنيا، ونسوا الآخرة ولم يوحّدوا الله ولم يعبدوه ولم يؤدّوا فرائضه ولم يتركوا محارمه، فلهم النار يوم القيامة، نسأل الله العافية لأنهم صاروا من أهل الدنيا، آثروها على الآخرة.

* *

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) من برنامج نور على الدرب وفتاوى نور على الدرب (٢٧/ ١٩٣) السؤال الحادي والخمسون من الشريط رقم (٢٧٠).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ٩، ١٠](١).

وهذا إخبار عن حال السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، وامتثلوا ما أمروا به فعملوا الصالحات، بأنه سيهديهم بإيمانهم.

يحتمل أن تكون «الباء» هاهنا سببية، فتقديره: بسبب إيمانهم في الدنيا يهديهم الله يوم القيامة على الصراط، حتى يجوزوه ويخلصُوا إلى الجنة. ويحتمل أن تكون للاستعانة، كما قال مجاهد في قوله: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ قال: [يكون لهم نورًا يمشون به].

وقال ابن جُرَيْج في قوله: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ قال: يمثُل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة إذا قام من قبره، يعارض صاحبه ويبشره بكل خير، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك. فيجعل له نورًا. من بين يديه حتى يدخله الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ والكافر يَمْثُلُ له عمله في صورة سيئة وريح منتنة فيلازم صاحبه ويلازُّه حتى يقذفه في النار.

وروي نحوه عن قتادة مرسلًا، فالله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي هذه الآيات الحث على رجاء لقاء الله، والعناية بالإعداد لذلك، والحذر من الخضوع للدنيا والرضا بها والطمأنينة إليها ونسيان الآخرة، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

﴿هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٧] أعرضوا عن الآخرة، وصارت الدنيا أكبر همهم، ورضوا بها واطمأنوا إليها، وغفلوا عن الآخرة، ولم يعدوا لها عدتها، ولم يرجوها؛ بسبب إعراضهم عنها وإقبالهم على الدنيا، بخلاف الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ لما آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات هداهم الله بسبب إيمانهم إلى الجنة والسعادة، هؤلاء نسوا الله فنسيهم، وهؤلاء أطاعوا الله وعظموه وسلكوا الطريق القويم فهداهم وأيدهم وبصَّرهم، الجزاء من جنس العمل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾؛ أي: هذا حال أهل الجنة.

قال ابن جريج: أخبرتُ أن قوله: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾، قال: إذا مر بهم الطير يشتهونه، قالوا: سبحانك اللَّهم، وذلك دعواهم فيأتيهم الملك بما يشتهونه، فيسلم عليهم، فيردون عليه. فذلك قوله: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ قال: فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم، فذلك قوله: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقال مقاتل بن حيان: إذا أراد أهل الجنة أن يدعوا بالطعام قال أحدهم: ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ قال: فيقوم على أحدهم عشرة آلاف خادم، مع كل خادم صحفة من ذهب، فيها طعام ليس في الأخرى، قال: فيأكل منهن كلهن.

وقال سفيان الثوري: إذا أراد أحدهم أن يدعو بشيء قال: ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾.

وهذه الآية فيها شبه من قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤]، وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦]. وقوله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾

[يس: ٥٨]. وقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

وقوله: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هذا فيه دلالة على أن الله تعالى هو المحمود أبدًا، المعبود على طول المدى؛ ولهذا حمد نفسه عند ابتداء خلقه واستمراره، وفي ابتداء كتابه، وعند ابتداء تنزيله، حيث يقول تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١] إلى غير ذلك من الأحوال التي يطول بسطها، وأنه المحمود في الأول وفي الآخر، في الحياة الدنيا وفي الآخرة، في جميع الأحوال؛ ولهذا جاء في الحديث: «**إن أهل الجنة يُلْهَمُونَ التسبيح والتحميد كما يُلْهَمُونَ النَّفَس**»، وإنما يكون ذلك كذلك لما يرون من تضاعف نِعم الله عليهم، فتكرّر وتعاد وتزاد، فليس لها انقضاء ولا أمد، فلا إلٰه إلا هو ولا ربَّ سواه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

سبحان ربي العظيم!

مداخلة: هل يقال لأحد من الخلق: هو مستحق للحمد أو يحمد على شيء، أو الحمد خاص بالله تعالى؟

الشيخ: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)، الإنسان إذا فعل ما يقتضي أن يحمد ويثنى عليه حُمِد وأثني عليه، هذا من الجزاء العاجل، إذا فعل ما يستحق، ومعنى الحمد بمعنى الثناء يعني.

مداخلة: طيب، إذا قيل عن فلان: يستاهل الحمد؟

الشيخ: إذا كان له الخصال الحميدة والأعمال الطيبة التي يستحق الحمد عليها يعني الثناء عليها.

مداخلة: التعريف عفا الله عنك؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: يقال: الحمد في حق الآدمي؟

الشيخ: محل نظر، لكن فيما يظهر لي أنه لا مانع من استعمال ذلك بالنظر إلى ما يتخلق به من الأخلاق العظيمة والصفات الحميدة، ويراد به الثناء الذي يليق به يعني، يستحق الثناء يستحق الحمد على عمله وما أشبه ذلك، عمله الطيب يستحق الشكر يستحق المكافأة، يعني..

مداخلة: لكن ما يقال: يحمد على كذا مثلًا؟

الشيخ: الأمر.. فيما يظهر لي الأمر فيها واسع على حسب النية.

مداخلة: قوله: حمد نفسه عند ابتداء خلقه، قول الحافظ: حمد نفسه عند ابتداء خلقه؟

الشيخ: نعم، أولًا وآخرًا، محمود على بدء خلقه ونهايته سبحانه، فللّه الحمد في السماوات والأرض، وله الحمد في الأولى والآخرة، له الحمد في أول خلقه وفي آخره سبحانه وتعالى.

مداخلة: عفا الله عنك يا شيخ! كون الرجل يقول للرجل: أحمدك على فعلك.... يا شيخ؟

الشيخ: والله ما أعلم فيه، قال: أحمدك وأثني عليك وأشكرك، لكن استعمال الشكر أولى، استعمال الشكر هو الذي جاء في الأحاديث نشكرك على.... (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) يشكر على عمله الطيب، هذا خير في الأدب وأحسن في الأدب.

مداخلة: عفا الله عنكم يا شيخ! قوله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾؟

الشيخ: يعني: بسبب إيمانهم وتقواهم، بسبب إيمانهم الصادق، يهديهم الله بإيمانهم..

مداخلة: .... يا شيخ؟!

الشيخ: يعني: يعينهم الله على الخير بسبب إيمانهم على القول

الثاني، يكون إيمانهم عونًا لهم على طاعة الله، مع ما عندهم من التصديق وقوة الإيمان بالله وباليوم الآخر، يكون عونًا لهم على أعمالهم الطيبة.

مداخلة: أحسن الله إليك يا شيخ! التسمية بأحمد ومحمد ما تدل أنه جائز قول التحميد للشخص ومستحب؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: التسمية بأحمد ومحمد ما تدل على جواز قول؟

الشيخ: لا، هذه معاني.. هذه معاني جامدة يسمى بها الطيب والخبيث.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يونس: ١٢][(١)].

يخبر تعالى عن الإنسان وضجره وقلقه إذا مسه الضر، كقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١]؛ أي: كثير، وهما في معنى واحد؛ وذلك لأنه إذا أصابته شدة قلق لها وجزع منها، وأكثر الدعاء عند ذلك، فدعا الله في كشفها وزوالها عنه في حال اضطجاعه وقعوده وقيامه، وفي جميع أحواله، فإذا فرج الله شدته وكشف كربته، أعرض ونأى بجانبه، وذهب كأنه ما كان به من ذاك شيء، ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾.

ثم ذم تعالى مَنْ هذه صفته وطريقته فقال: ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾، فأما من رزقه الله الهداية والسداد والتوفيق والرشاد، فإنه مستثنى من ذلك، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [هود: ١١]، وكقول رسول الله ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرًا له: إن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا هو الواجب على كل مؤمن: أن يتق الله، وأن يكون صبورًا عند البلاء شكورًا عند الرخاء، وليحذر الجزع عند الشدة، أو البطر عند الرخاء، بل يكون عند الرخاء شكورًا مستقيمًا على طاعة ربه، وعند الضراء والمصائب والأمراض صبورًا لا يجزع، بل يحتسب، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

* * *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس: ١٣، ١٤][(١)].

أخبر تعالى عما أحلّ بالقرون الماضية، في تكذيبهم الرسل فيما جاءوهم به من البينات والحجج الواضحات، ثم استخلف الله هؤلاء القومَ من بعدهم، وأرسل إليهم رسولًا لينظر طاعتهم له، واتباعهم رسوله، وفي صحيح مسلم من حديث أبي نَضْرَة، عن أبي سعيد قال:

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال رسول الله ﷺ: **«إن الدنيا حلوة خَضِرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»**(١).

وقال ابن جرير: حدثني المثنى، حدثنا زيد بن عوف أبو ربيعة فهد حدثنا حماد، عن ثابت البُناني، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى؛ أن عوف بن مالك قال لأبي بكر: رأيت فيما يرى النائم كأن سَبَبًا دُلِّي من السماء، فانتُشط رسولُ الله ﷺ، ثم أعيد، فانتُشط أبو بكر، ثم ذُرِعَ الناس حول المنبر، ففضل عمر بثلاث أذرع إلى المنبر. فقال عمر: دعنا من رؤياك، لا أَرَبَ لنا فيها! فلما استخلف عمر قال: يا عوف، رؤياك! فقال: وهل لك في رؤياي من حاجة؟ أولم تنتهرني؟ فقال: ويحك! إني: كرهت أن تنعَى لخليفة رسول الله ﷺ نفسه! فقصّ عليه الرؤيا، حتى إذا بلغ: .**«ذُرع الناس إلى المنبر بهذه الثلاث الأذرع»**، قال: أما إحداهن فإنه كائن خليفة. وأما الثانية فإنه لا يخاف في الله لومة لائم. وأما الثالثة فإنه شهيد. قال: فقال: يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ فقد استُخلفت يا ابن أم عمر، فانظر كيف تعمل؟ وأما قوله: **«فإني لا أخاف في الله لومة لائم»**، فما شاء الله! وأما قوله: إني شهيد فَأَنَّى لعمر الشهادة والمسلمون مطيفون به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لعلها فما شاء الله، يعني: كان، فما شاء الله كان، من عزاه له الحديث؟

وحصلت الشهادة رضي الله عنه الله أكبر، نعم، فلا يدفع شيء إلا الله ولي الذين آمنوا. الله أكبر.

* *

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في كتاب الذكر والدعاء، باب برقم (٢٧٤٢).

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يونس: ١٨، ١٩][١].

ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتُها عند الله، فأخبر تعالى أنها لا تنفع ولا تضر ولا تملك شيئًا، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها، ولا يكون هذا أبدًا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾.

وقال ابن جرير: معناه أتخبرون الله بما لا يكون في السماوات ولا في الأرض؟ ثم نزه نفسه عن شركهم وكفرهم، فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. ثم أخبر تعالى أن هذا الشرك حادث في الناس، كائن بعد أن لم يكن، وأن الناس كلهم كانوا على دين واحد، وهو الإسلام.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يبين أن المشركين إنما قصدوا الشفاعة، يعلمون أن الله هو الخالق الرازق المعطي المانع، وإنما أرادوا الشفاعة: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ فهم عبدوهم لطلب الشفاعة، استغاثوا بهم ونذروا لهم وذبحوا لهم لطلب الشفاعة، فهذا هو شرك المشركين الذين الآن يعبدون الأموات ويستغيثون بالأموات هو شركهم، وزاد هؤلاء بعضهم على الشرك في الربوبية أيضًا،

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

فليس شرك الأولين شركًا في الربوبية، بل يعرفون أن الله هو الرازق هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر، ولكنهم أشركوا بالله في طلب الشفاعة والتوسل بهم في حاجاتهم نسأل الله العافية... يعافينا الله.

مداخلة: أحسن الله إليكم ويوجد بعض الناس يطوف حول القبر ويدعو الله تعالى عند هذا الموضع؟

الشيخ: الطواف طوافان، إن طاف يتقرب إلى صاحب القبر صار شركًا أكبر، وإن طاف لله ويحسب أنه جائز عند القبور صار بدعة منكر وسيلة للشرك.

مداخلة: الدعاء نفسه عند القبر يكون بدعة أخرى؟

الشيخ: كذلك بدعة ثانية، نعم.

مداخلة: أحسن الله إليك.

مداخلة: ومتى يكون شرك إذا طاف واعتقد في الولي..؟

الشيخ: إذا طاف يتقرب إلى الولي بذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام، ثم وقع الاختلاف بين الناس، وعُبدت الأصنام والأنداد والأوثان، فبعث الله الرسل بآياته وبيناته وحُجَجه البالغة وبراهينه الدامغة، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

وقوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾؛ أي: لولا ما تقدم من الله تعالى أنه لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه؛ وأنه قد أجَّل الخلق إلى أجل معدود لقضى بينهم فيما فيه اختلفوا، فأسعد المؤمنين، وأعنَتَ الكافرين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بركة، بركة، نسأل الله العافية، نسأل الله العافية.

مداخلة: .. وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان بين آدم ونوح عشرة قرون؟

الشيخ: نعم.

مداخلة: كلهم على الإسلام؟

الشيخ: يعني: على الإسلام؛ على دين آدم، على دين نبيِّ الله آدم.

مداخلة: صحيح هذا عفا الله عنك؟

الشيخ: نعم.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ۝٢٠﴾ [يونس: ٢٠][(١)].

أي: ويقول هؤلاء الكفرة المكذبون المعاندون: لولا أنزل على محمد آية من ربه، يعنون: كما أعطى الله ثمود الناقة، أو أن يحوِّل لهم الصفا ذهبًا، أو يزيح عنهم جبال مكة ويجعل مكانها بساتين وأنهارًا.. ونحو ذلك مما الله عليه قادر ولكنه حكيم في أفعاله وأقواله، كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ۝١٠ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: ١٠، ١١]. وكقوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩] الآية. يقول تعالى: «**إن سنَّتي في خلقي**

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

أني إذا آتيتهم ما سألوا فإن آمنوا وإلا عاجلتهم بالعقوبة»؛ ولهذا لما خُيِّر رسول الله ﷺ بين إعطائهم ما سألوا فإن آمنوا وإلا عذِّبوا، وبين إنظارهم اختار إنظارهم، كما حلم عليهم غير مرة رسول الله ﷺ، ولهذا قال تعالى إرشادًا لنبيه ﷺ إلى الجواب عما سألوا: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾؛ أي: الأمر كله لله وهو يعلم العواقب في الأمور. ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾؛ أي: إن كنتم لا تؤمنون حتى تشاهدوا ما سألتم فانتظروا حكم الله فيَّ وفيكم، هذا مع أنهم قد شاهدوا من آياته ﷺ أعظم مما سألوا حين أشار بحضرتهم إلى القمر ليلة إبداره فانشق اثنين: فرقة من وراء الجبل وفرقة من دونه، وهذا أعظم من سائر الآيات الأرضية مما سألوا وما لم يسألوا، ولو علم الله منهم أنهم سألوا ذلك استرشادًا وتثبتًا لأجابهم، ولكن علم أنهم إنما يسألون عنادًا وتعنتًا فتركهم فيما رابهم، وعلم أنهم لا يؤمن منهم أحد، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧] الآية. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ. . .﴾ [الأنعام: ١١١] الآية. ولما فيهم من المكابرة، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ . . .﴾ [الحجر: ١٤] الآية. وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا. . .﴾ [الطور: ٤٤] الآية. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧] فمثل هؤلاء أقل من أن يجابوا إلى ما سألوا؛ لأنه لا فائدة في جوابهم؛ لأنه دائر على تعنتهم وعنادهم؛ لكثرة فجورهم وفسادهم، ولهذا قال: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من لطف الله ﷻ وعدم تعجيل العقوبة، لو عجِّلت لهم العقوبة لهلكوا عن آخرهم، ولهذا قال رسول الله ﷺ: **«لا بل أستأني**

بهم»[١] لما خيِّر أن يطبق عليهم جبل مكة أو يستأني بهم: «**بل أستأني بهم، لعل الله يُخرج من أصلابهم من يعبدك ولا يشرك بك شيئًا**»، قد رأوا من الآيات يوم بدر ويوم الأحزاب ما رأوا، ثم فتح الله عليهم مكة، ويسر الله لهم الدخول في الإسلام، وكانت هذه نعمة عظيمة وخيرًا كثيرًا، لو عُجِّلوا بالعقاب لهلكوا، ولكن الله أنظرهم وأمهلهم حتى يسَّر ﷻ نصر نبيه عليهم وفتح مكة عليهم حتى دخلوا في دين الله أفواجًا..

* *

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٤، ٢٥][٢].

ضرب تبارك وتعالى مثلًا لزهرة الحياة الدنيا وزينتها وسرعة انقضائها وزوالها، بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض بما أنزل من السماء من الماء، مما يأكل الناس من زرع وثمار، على اختلاف أنواعها وأصنافها، وما تأكل الأنعام من أب وقَضْب وغير ذلك، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾؛ أي: زينتها الفانية، ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾؛ أي: حَسُنت بما خرج من رُباها من زهور نَضِرة مختلفة الأشكال والألوان، ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ﴾ الذين زرعوها وغرسوها ﴿أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾؛ أي: على جَذاذها وحصادها، فبينا هم كذلك إذ جاءتها صاعقة، أو ريح باردة، فأيبست أوراقها، وأتلفت ثمارها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢٥٨).

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

﴿فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا﴾؛ أي: يبسًا بعد [تلك الخضرة والنضارة، ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾؛ أي: كأنها ما كانت حسناء قبل ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا مثل عظيم يبين حقارة الدنيا وزوالها، وأنها مهما متع أهلها ومهما حصلوا عليه من المال فكله متاع قليل زائل، ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ [الرعد: ٢٦]، متاع مثلما يتمتع الإنسان بغداه أو عشاءه أو قميصه أو عباءته.. أو ما أشبه ذلك ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: ٢٤]، هكذا الدنيا مهما بلغت سوف تزول وتأتي الآخرة ويجازى كل عامل بعمله، فالعاقل لا يؤثر هذه الزائلة ولا يركن إليها، ولكن يأخذ منها ما يعينه على طاعة الله، فيستعملها فيما يرضي الله، ويجعلها مطية للآخرة وأسبابًا للآخرة من العمل الصالح والصدقات وفعل الخير والكف عن الشر واكتسابها من الحلال والحذر من طرق الحرام، هكذا العاقل هكذا الموفق.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال قتادة: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾ كأن لم تنعم.

وهكذا الأمور بعد زوالها كأنها لم تكن؛ ولهذا جاء في الحديث يؤتى بأنعم أهل الدنيا، فيُغْمَس في النار غَمْسَة ثم يقال له: هل رأيت خيرًا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا. ويؤتى بأشد الناس عذابًا في الدنيا «فيغمس في النعيم غمسة، ثم يقال له: هل رأيت بؤسًا قط؟ فيقول: لا»

وقال تعالى إخبارًا عن المهلكين: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾ [هود: ٩٤، ٩٥].

ثم قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾؛ أي: نبين الحُجج والأدلة، ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ فيعتبرون بهذا المثل في زوال الدنيا من أهلها سريعًا مع اغترارهم بها، وتمكنهم بمواعيدها وتَفَلّتها منهم، فإن من طبعها الهرب ممن طلبها، والطلب لمن هرب منها، وقد ضرب الله مثل الحياة الدنيا بنبات الأرض، في غير ما آية من كتابه العزيز، فقال في سورة الكهف: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]، وكذا في سورة الزمر والحديد يضرب بذلك مثل الحياة الدنيا كماء.

وقال ابن جرير: حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز، حدثنا ابن عُيَيْنَةَ، عن عمرو بن دينار، عن عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام قال: سمعت مروان ـ يعني: ابن الحكم ـ يقرأ على المنبر: «وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها»، قال: قد قرأتها وليست في المصحف، فقال عباس بن عبد الله بن عباس: هكذا يقرؤها ابن عباس. فأرسلوا إلى ابن عباس فقال: هكذا أقرأني أبيّ بن كعب.

وهذه قراءة غريبة، وكأنها زيادة للتفسير.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ الآية: لما ذكر تعالى الدنيا وسرعة عطبها وزوالها، رغَّب في الجنة ودعا إليها، وسمَّاها دار السلام؛ أي: من الآفات، والنقائص والنكبات، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هي دار السلام: لا موت فيها ولا مرض ولا فقر ولا شيء من الأذى، فهي سالمة من جميع الوجوه من كل ما يتأذى به الإنسان، فأهلها في نعيم دائم وغبطة دائمة وسرور دائم وعيش رغيد وزوجة حسناء

جميلة، فلا هناك ما يكدر لا مرض ولا موت ولا شيء من المصائب التي تكدر الناس، فهي دار السلام دار النعيم دار السرور دار الحبرة، ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ هكذا يدعو إلى هذه الدار ﷻ بكلامه المنزل على رسله وبما صح عن رسله، ويعلم هذا كل ذي بصيرة من أهل الدنيا أن هذه الدار دار فناء ودار المكدرات ودار الموت ودار الأمراض ودار المصائب، فبينما الإنسان في نعمة إذ هجم عليه ما يكدره من موت قريب أو مصيبة في ماله أو غير هذا من أنواع المكدرات. فجدير بالعاقل جدير بذي القلب السليم أن يعمل لدار السلام، وألا يغتر بدار الغرور ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]. والمكدرات لا تحصى في الدنيا ونعيمها لا يدوم فلا يؤثرها عاقل على دار النعيم وهو دائم وحياتها دائمة وخيرها دائم وظلها دائم وأهلها في نعيم دائم. نعم الله المستعان. نعم .اللهم اجعلنا منهم، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهلها .الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال أيوب عن أبي قِلابة عن النبي ﷺ قال: «**قيل لي: لتنَمْ عينُك، وليعقلْ قلبك، ولتسمع أذنك فنامت عيني، وعقل قلبي، وسمعت أذني. ثم قيل: سيّدٌ بَنَى دارًا، ثم صنع مأدبة، وأرسل داعيًا، فمن أجاب الداعي دخل الدار، وأكل من المأدبة، ورضي عنه السيد، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار، ولم يأكل من المأدبة، ولم يرض عنه السيد. فالله السيد، والدار الإسلام، والمأدبة الجنة، والداعي محمد ﷺ**».

وهذا حديث مرسل، وقد جاء متصلًا من حديث الليث، عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال:

خرج علينا رسولُ الله ﷺ يومًا فقال: «**إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي، وميكائيل عند رجلي، يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلًا. فقال: اسمع سَمعت أذنك، واعقل عَقَل قلبك، إنما مَثَلُك ومثل أمَّتك كمثلِ ملك اتخذ دارًا، ثم بنى فيها بيتًا، ثم جعل فيها مأدبة، ثم بعث رسولًا يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول، ومنهم من تركه، فالله الملك، والدار الإسلام، والبيت الجنة، وأنت يا محمد الرسُول، فمن أجابك دخل الإسلام، ومن دخل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل منها**» رواه ابن جرير.

وقال قتادة: حدثني خُلَيْد العَصَري، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من يوم طلعت فيه شمسه إلا وبجنبَتَيْها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله كلهم إلا الثقلين: يا أيها الناس، هلموا إلى ربكم، إنَّ ما قلَّ وكَفَى، خير مما كثر وألهى**». قال: وأنزل ذلك في القرآن، في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ٢٥﴾ رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤][(١)].

هذه الآية الكريمة فيما يتعلق بالزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، وإيثار ما عند الله من النعيم المقيم، وعدم الرغبة عن الركون إلى هذه الدار، والاشتغال بها عما يرضي الله ويقرب لديه، وأن الأخيار من العُبَّاد

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (٢/ ٢٠٨).

والصلحاء من الرسل وغيرهم قدَّموا أمر الآخرة وآثروها على الدنيا، واجتهدوا في طاعة الله ولم تشغلهم هذه العاجلة عن الإعداد للقاء ربهم، فهكذا ينبغي للمؤمن أن يزهد فيها زهدًا يمنعه من الاشتغال بها عن طاعة الله والغرور بها عن حق الله، أما الاشتغال بها للكسب الحلال والاستغناء عما في أيدي الناس وسد الحاجة والنفع للمسلمين والصدقة عليهم، هذا أمر مطلوب وهو خير، ولكن الذي يخشى منه هو الاشتغال بها عن الآخرة، والرغبة فيها على وجه يصد عن الآخرة والعمل لها والإعداد، كما قال ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧]. ولهذا ذكر ﷻ أن هذه الدار دار لهو وغفلة، دار لعب، دار زينة، وضرب لها مثالًا وأنها شيء زائل كالزرع الذي يهتز أخضر، ثم تهب عليه الرياح ثم ييبس فيكون هشيمًا تذروه الرياح، هكذا هذه الدار هكذا تحسن في عيون أهلها وفي قلوب أهلها ثم يذهبون أو تذهب.

فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بها، ولكن ينبغي له أن يستعين بها على طاعة الله، وأن يصل فيها رحمه، ويقيم بها المشاريع الخيرية، وينفع بها عباد الله، ولا يشغل بها عن الآخرة؛ ولهذا يقول ﷻ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس ٢٤] هذه حالها، شجرها وعنبها ونخيلها وجميع النبات فيها كلها كذلك، بينما هم في غاية من السرور لأهلها وغاية من الزهو والحسن والبهاء والخضرة والري، يأتي عليه عاصف من الريح فييبس ويذهب، أو ينقطع الماء عنه فييبس ويذهب، أو يتحطم ويذهب، هكذا كما تذهب سائر الأشجار والنباتات عند ذهاب المياه وهبوب الرياح، كل ذلك يتحطم ويذهب ويكون هباءً منثورًا بعدما كان خضرًا نيرًا مؤنسًا لأهله، فهذه الدنيا هكذا، بينما الإنسان في نعمة وحبرة وسرور إذا نزلت

به آفة أو جائحة، فأزال ذلك المال أو ذلك الشيء الذي يسره، أو هجم عليه الموت وانتقل عن ذلك، أو أصابته مصائب شغلته عن ذلك، فهذه الدار دار المصائب والأكدار والأحزان، ليست مما يدوم سرورها ونعيمها، فالعاقل لا يؤثرها على الآخرة، بل يعد العدة لآخرته فيستعين بنعم الله على طاعته؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ [آل عمران: ١٤].

وهكذا في هذا الزمان الطائرات والسيارات وغير ذلك كلها، هكذا كل ذلك متاع الحياة الدنيا، هذه الزينة وهذا المتاع كله لهذه الدنيا، والآخرة عند ربك خير وأبقى للمؤمنين؛ ولهذا قال: ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤] يعني: هذا الشيء من متاع الحياة الدنيا ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤]. وقال تعالى في آية أُخرى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧]، وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]، قال ﷻ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، قال ﷻ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١، ٢]، أكثر الخلق ألهاهم التكاثر في الأموال والأولاد والملذات وأنواع الزينة وأنواع الحاجات التي يتلذذ بها ويؤثرها، فيهجم عليهم الأجل ويندم غاية الندامة؛ ولهذا قال: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾، وهنا قال: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي: حتى هجم الموت، حتى جاءكم الموت ونُقلتم إلى القبور، سمَّاها زيارة؛ لأن القبور ليست محل إقامة بل محل زيارة، ثم يُبعث من قبره إما إلى جنة وإما إلى النار، القبر ليس محلًّا

أخيرًا ولا مقرًّا أخيرًا؛ ولكنه مرحلة من الدنيا إلى الآخرة، ثم يبعث هذا الميت ثم يجزى بالجزاء، إما إلى الجنة وإما إلى النار، فلا يليق بالمؤمن أن يغفل عن هذا الأمر العظيم الذي هو مصيره الذي يجب أن يُعدَّ له العدة ويحرص على أسباب النجاة قبل هجوم الأجل، وإذا رزقه الله النعم من هذه الدنيا فليستَعِنْ بها على طاعة الله ولا يؤثرها على حق الله ﷻ.

وفي **حديث عمرو بن عوف الأنصاري** رضي الله عنه أن أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قدِم من البحرين، وكان النبي ﷺ قد ضرب الجزية على المجوس في البحرين، فقدم أبو عبيدة بمال من ذلك، فسمع به الأنصار فصلوا مع النبي صلاة الفجر رضي الله عنهم فلما انصرف قابلوه فتبسم عليه الصلاة والسلام، وقال: «**أظُنُّكُمْ سَمعتُمْ أنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ البَحْرَيْنِ؟**» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «**أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ**» هكذا حُسن خلقه عليه الصلاة والسلام وطيب كلامه، طيب الخلق طيب الكلام عليه الصلاة والسلام، «**أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوالله مَا الفَقْرَ أخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلكِنِّي أخْشَى أنْ تُبْسَط الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أهْلَكَتْهُمْ**» فخاف عليهم الدنيا، الفقر أقل خطر، الإنسان مع الفقر قد يصبر قد يكتفي بالقليل، لكن متى بُسط عليه الدنيا قد لا يصبر؛ بل يستعين بها على معاصي الله ومخالفة أمره، قد يقع بسببها فيما حرم الله: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧]. قال بعض السلف رضي الله عنهم: ابتلينا بالضراء فصبرنا؛ يعني: الفقر وابتلينا بالسراء فلم نصبر، الإنسان مع النعمة ومع القدرة قد يقع في الذنوب والمعاصي ولا يصبر، في الزنى والخمور وسائر الفواحش، والربا وغير ذلك، لكن مع الفقر قد يعان على الصبر؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**فَوالله مَا الفَقْرَ أخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلكِنِّي أخْشَى أنْ تُبْسَط الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا**

تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ». فالإنسان يُخشى عليه من المال أكثر مما يخشى عليه من الفقر، قد يصبر مع الفقر، ولكن ما يصبر مع الغنى عن ركوب محارم الله وعن تعدِّي حدوده بسبب ما أعطاه الله من المال، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فينبغي للمؤمن أن يحرص على أسباب النجاة وألّا تغره الدنيا وزينتها ومتاعها العاجل، وأن يستعين بها على طاعة الله إذا رُزق منها شيئًا، وأن يكون حذرًا من أسباب الهلاك حريصًا على أسباب النجاة حتى يلقى ربه.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يونس: ٢٦][(١)].

يخبر تعالى أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح أبدله الحسنى في الدار الآخرة، كما قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ [الرحمٰن: ٦٠].

وقوله: ﴿وَزِيَادَةٌ ۖ﴾ هي تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وزيادة على ذلك [أيضًا] ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القُصُور والحُور والرضا عنهم، وما أخفاه لهم من قرة أعين، وأفضل من ذلك وأعلاه النظرُ إلى وجهه الكريم، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه، لا يستحقونها بعملهم، بل بفضله ورحمته. وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم، عن أبي بكر الصدِّيق، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس [قال البغوي: وأبو موسى وعبادة بن الصامت] وسعيد بن المسيب، وعبد الرحمٰن بن أبي

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ليلى، وعبد الرحمٰن بن سابط، ومجاهد، وعكرمة، وعامر بن سعد، وعطاء، والضحاك، والحسن، وقتادة، والسدي، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم من السلف والخلف.

وقد وردت في ذلك أحاديثُ كثيرة، عن رسول الله ﷺ، فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد:

حدثنا عفان، أخبرنا حماد بن سلمة، عن ثابت البُناني، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن صهيب؛ أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وقال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا يريد أن يُنْجِزَكُمُوه. فيقولون: وما هو؟ ألم يُثقِّل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويزحزحنا من النار؟**». قال: «**فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحب إليهم من النظر إليه، ولا أقر لأعينهم**».

وهكذا رواه مسلم وجماعة من الأئمة، من حديث حماد بن سلمة، به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من فضله وجوده ﷻ وكرمه أنه يعطي من استقام في الدنيا وأحسن في الدنيا الحسنى في الآخرة، والحسنى: هي الجنة في الآخرة، والزيادة: النظر إلى وجهه الكريم مع ما أعد لهم من أنواع النعيم الذي لم يعرفوا بل أقر به أعينهم سبحانه وتعالى، ولهذا يقول ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، يعني: أحسَنوا في الدنيا أعمالهم؛ فاتقوه وأطاعوه وعظَّموا أمره ونهيه لهم الحسنى في الآخرة، لهم الجنة.. وهي النظر إلى وجه الله، ولهذا يقول لهم يوم القيامة ﷻ: «إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه، قالوا: وما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ألم يثقل موازيننا ألم يدخلنا الجنة وينجينا من النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب

عن وجهه الكريم فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى وجهه سبحانه وتعالى، قال تعالى عن الكفرة: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. فالكفار محجوبون في الموقف وفي كل مكان وليس لهم إلا النار، أما أهل الجنة فلهم النعيم؛ يرونه في الموقف ويرونه في الجنة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن جرير: أخبرنا يونس، أخبرنا ابن وهب: أخبرنا شبيب، عن أبان عن أبي تَمِيمَة الهُجَيْمي؛ أنه سمع أبا موسى الأشعري يحدث عن رسول الله ﷺ: «**إن الله يبعث يوم القيامة مناديًا ينادي: يا أهل الجنة - بصَوْت يُسْمعُ أوَّلهم وآخرهم -: إن الله وعدكم الحسنى وزيادة، الحسنى: الجنة. وزيادة: النظر إلى وجه الرحمٰن** ﷻ».

ورواه أيضًا ابنُ أبي حاتم، من حديث أبي بكر الهُذلي عن أبي تميمة الهجيمي، به.

وقال ابن جرير أيضًا: حدثنا ابن حميد، حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جُرَيْج، عن عطاء، عن كعب بن عُجْرة، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: النظر إلى وجه الرحمٰن ﷻ.

وقال أيضًا: حدثنا ابن عبد الرحيم حدثنا عمرو بن أبي سلمة، سمعت زهيرًا عمن سمع أبا العالية، حدثنا أبيّ بن كعب: أنه سأل رسولَ الله ﷺ عن قول الله ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله ﷻ».

ورواه ابن أبي حاتم أيضًا من حديث زهير، به.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾؛ أي: قتام وسواد في عَرَصات المحشر، كما يعتري وجوه الكفرة الفجرة من القُتْرة والغُبْرة، ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾؛ أي: هوان وصغار؛ أي: لا يحصل لهم إهانة في الباطن،

ولا في الظاهر، بل هم كما قال تعالى في حقهم: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١]؛ أي: نضرة في وجوههم، وسرورًا في قلوبهم، جعلنا الله منهم بفضله ورحمته، آمين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

آمين، و﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨، ٣٩] وهي وجوه أهل الإيمان الله أكبر. ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾، فهم في غاية من النور وفي غاية من العز والكرامة، الله أكبر..

- **س: من أنكر الرؤية ما حكمه؟**

الشيخ: الأصل في هذا الكفر، من أنكر رؤية الله كفر؛ لأن الله أخبر بالرؤية، وأخبر أن الكفار محجوبون.. وأخبر النبي ﷺ بذلك، وأجمع عليه السلف، اللَّهم صلِّ عليه..

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس: ٢٧][(١)].

لما أخبر تعالى عن حال السعداء الذين يُضاعف لهم الحسنات، ويزدادون على ذلك، عطف بذكر حال الأشقياء، فذكر عدله تعالى فيهم، وأنه يجازيهم على السيئة بمثلها، لا يزيدهم على ذلك، ﴿وَتَرْهَقُهُمْ﴾؛ أي: تعتريهم وتعلوهم ذلة من معاصيهم وخوفهم منها، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ﴾ [الشورى: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٢ ـ ٤٤]، وقوله: ﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾؛ أي: من مانع ولا واق يقيهم العذاب، كما قال تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: ١٠ ـ ١٢].

وقوله: ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ إخبار عن سواد وجوههم في الدار الآخرة، كما قال تعالى: وكما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦، ١٠٧]، وكما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٣٨ ـ ٤٢] الآية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بركة، بركة. اللَّهم صلِّ عليه.

الأسئلة:

• **س أحسن الله إليكم يا شيخ! إذا الشخص أنكر يعني: شيء غير مخبر في القرآن ولكن ثابت عن النبي ﷺ في الصحيحين..؟**

الجواب: إذا تواترت به السنة عن الرسول ﷺ وأجمع عليه المسلمون يكون كفر أكبر، أما إذا كان فيه خلاف فيبين له، إذا كان في خلاف يبين له الدليل.

بيان بطلان بعض الصيغ غير الثابتة عن النبي ﷺ

• **س شيخ! سلَّمك الله، فيه ورقة توزع مكتوب فيها: الصلاة تفريجية لفتح الأبواب وتيسير الأمور، مكتوب فيها: اللَّهم صلِّ الصلاة الكاملة، وسلِّم السلام التام على محمد النبيِّ الذي تنحل به العقد، وتتفرج**

به الكُرَب، وتُقضى به الحوائج، وتنال به الرغائب وفتح الخواتيم، ويستسقى الغمام بوجهه الكريم، وعلى آله وصحبه في كل لمحة ونفس وعدد كل معلوم لك يا الله، يا حي يا قيوم، وعدد هذه الصيغة إحدى عشرة مرة عقب كل صلاة.

وقال عنها القرطبي: أن من داوم عليها كل يوم إحدى وأربعين مرة أو مائة أو زيادة فرَّج الله همَّه وغمَّه، وكشف كربه وضره، ويسَّر أمره ونوَّر سره.

الشيخ: توزع هذه؟!

مداخلة: نعم.

الجواب: لا، هذه باطلة، هذا.. ما لها أصل..، هذه بدعة ما لها أصل.

مداخلة: قول القرطبي هذا ليس له أساس؟

الشيخ: لا، ليس له أساس.

مداخلة: أحسن الله إليك.

الشيخ: الله يعفو عنا وعنه.

*

❑ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يونس: ٢٨ ـ ٣٠][(١)].

يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾؛ أي: أهل الأرض كلهم، من إنس

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

وجن وبر وفاجر، كما قال: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾؛ أي: الزموا أنتم وهم مكانًا معينًا، امتازوا فيه عن مقام المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩]، وقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم: ١٤].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والحشر هو: الجمع، حشرناهم يعني: جمعناهم، وهذا اليوم العظيم ينبغي للعاقل أن يجعله على باله وأن يتذكر هذا الموقف العظيم، أنت محشور ومجموع مع الناس، ولا تدري هل أنت مع الصالحين أو مع الطالحين، فالواجب عليك يا عبد الله! أن تعد لهذا اليوم عدته من طاعة الله واتباع شريعته وتعظيم أمره ونهيه، والحذر مما نهى عنه، مع العناية بصحبة الأخيار؛ حتى تحشر معهم، والحذر من صحبة الأشرار: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾، يعني: ميَّزنا بينهم ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ تبرءوا منهم، تبرأ منهم آلهتهم، ولا ينفع هذا، ما ينفعهم لا هؤلاء ولا هؤلاء، الكل يتبرأ من صاحبه، لكن لا ينفع، الواجب اليوم البراءة اليوم والحذر اليوم؛ هذا هو الذي ينفع، العمل في دار المهلة دار العمل، أما دار الجزاء ما ينفع فيها التبرؤ. نسأل الله السلامة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي الآية الأخرى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]؛ أي: يصيرون صِدعين، وهذا يكون إذا جاء الرب تعالى لفصل القضاء؛ ولهذا قيل: ذلك يستشفع المؤمنون إلى الله تعالى أن يأتي لفصل القضاء ويريحنا من مقامنا هذا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: قبل مجيئه جَلَّ وَعَلَا.

وما ذاك إلا لأن الكرب يشتد، عند اجتماعهم يشتد الكرب، ويعظم العرق، والخوف يشتد، فلهذا يتقدم الناس إلى آدم ليشفع، ثم يحيلهم إلى نوح، ثم يحيلهم نوح إلى إبراهيم، ثم يحيلهم إبراهيم إلى موسى، ثم يحيلهم موسى إلى عيسى ثم يحيلهم عيسى إلى محمد عليه الصلاة والسلام، فعند هذا يتقدم عليه الصلاة والسلام إلى ربه ويسجد بين يدي العرش بين يديه جل وعلا فيدعه ما شاء الله ساجدًا يحمد الله ويثني عليه ويفتح الله عليه بالمحامد، ثم يقال له: (ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع)، فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم، ثم يشفع في أهل الجنة ليدخلوا الجنة، ثم له شفاعات أخرى عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي الحديث الآخر: «نحن يوم القيامة على كَوْم فوق الناس. وقال الله تعالى في هذه الآية الكريمة إخبارًا عما يأمر به المشركين وأوثانهم يوم القيامة: ﴿مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أنكروا عبادتهم، وتبرءوا منهم، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ الآية [مريم: ٨٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

عما يأمروا يعني: يأمر الله، يعني عما يأمر: يأمر الله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ [البقرة: ١٦٦]، وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

وقال في هذه الآية إخبارًا عن قول الشركاء فيما راجعوا فيه عابديهم عند ادعائهم عبادتهم: ﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ

عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾؛ أي: ما كنا نشعر بها ولا نعلم، وإنما أنتم كنتم تعبدوننا من حيث لا ندري بكم، والله شهيد بيننا وبينكم أنَّا ما دعوناكم إلى عبادتنا، ولا أمرناكم بها، ولا رضينا منكم بذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾، يعني: آلهتهم قالت لهم، شركاؤهم: آلهتهم ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ جحدوا. الله المستعان

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي هذا تبكيت عظيم للمشركين الذين عبدوا مع الله غيره، ممن لا يسمع ولا يبصر، ولا يغني عنهم شيئًا، ولم يأمرهم بذلك ولا رضي به ولا أراده، بل تبرأ منهم في وقت أحوج ما يكونون إليه، وقد تركوا عبادة الحي القيوم، السميع البصير، القادر على كل شيء، العليم بكل شيء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد أرسل رسله وأنزل كتبه، آمرًا بعبادته وحده لا شريك له، ناهيًا عن عبادة ما سواه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال: ﴿وَسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

والمشركون أنواع وأقسام كثيرون، قد ذكرهم الله في كتابه، وبَيَّن أحوالهم وأقوالهم، ورَد عليهم فيما هم فيه أتم رد.

وقوله: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾؛ أي: في موقف الحساب يوم القيامة تختبر كل نفس وتعلم ما أسلفت من [عملها من خير وشر، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩]، وقال تعالى: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

وقد قرأ بعضهم: ﴿هنالك تتلو كل نفس ما أسلفت﴾ وفسَّرها بعضهم بالقراءة، وفسّرها بعضهم بمعنى تتبع ما قدمته من خير وشر، وفسّرها بعضهم بحديث: «**تتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت**» الحديث. وقوله: ﴿وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: ورجعت الأمور كلها إلى الله الحَكَم العدل، ففصلها، وأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾؛ أي: ذهب عن المشركين ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾؛ أي: ما كانوا يعبدون من دون الله افتراء عليه.

❋

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [يونس: ٣١ ـ ٣٣][(١)].

يحتج تعالى على المشركين باعترافهم بوحدانيته وربوبيته على

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

وحدانية الإله فقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: من ذا الذي ينزل من السماء ماء المطر، فيشق الأرض شقًّا بقدرته ومشيئته، فيُخرج منها: ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٢٧ ـ ٣١]، أإله مع الله؟ فسيقولون: الله، ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ [الملك: ٢١]؟، وكذلك قوله: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾؟ أي: الذي وهبكم هذه القوة السامعة، والقوة الباصرة، ولو شاء لذهب بها ولسلبكم إياها، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣]، وقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ﴾ [الأنعام: ٤٦].

وقوله: ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾؛ أي: بقدرته العظيمة، ومنته العميمة، وقد تقدم ذكر الخلاف في ذلك، وأن الآية عامة في ذلك كله.

وقوله: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ﴾؛ أي: من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، وهو المتصرف الحاكم الذي لا معقب لحكمه، ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألُون، ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩]، فالملك كله العلوي والسفلي، وما فيهما من ملائكة وإنس وجان، فقيرون إليه، عبيد له، خاضعون لديه، ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ﴾؛ أي: هم يعلمون ذلك ويعترفون به، ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾؛ أي: أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم؟.

وقوله: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾؛ أي: فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم وإلهكم الحق الذي يستحق أن يفرد بالعبادة، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ﴾؛ أي: فكل معبود سواه باطل، لا إله إلا هو، واحد لا شريك له.

﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٣٢﴾؛ أي: فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه، وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء، والمتصرف في كل شيء؟

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣﴾؛ أي: كما كفر هؤلاء المشركون واستمروا على شركهم وعبادتهم مع الله غيره، مع أنهم يعترفون بأنه الخالق الرازق المتصرف في الملك وحده، الذي بعث رسله بتوحيده؛ فلهذا حقت عليهم كلمة الله أنهم أشقياء من ساكني النار، كقوله: ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الله أكبر.

مداخلة: أحسن الله إليك قوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم﴾ هل تعتبر دليلًا لتوحيد الربوبية يستلزم الألوهية؟

الشيخ: هذه من أعظم الأدلة على توحيد الربوبية واضح، لأنهم أقروا بها، الله أكبر.

بركة. الله المستعان، لا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢][1].

فهذه الآية الكريمة تتعلق بالتحذير من البدع وبيان سوء عاقبتها، وأنها جُرأة على الله وزيادة في شرعه لا يجوز من أحد فعل ذلك؛ ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا في كتابه العظيم: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾: فالحق هو ما شرعه الله وبيَّنه لعباده، ومن ابتدع شيئًا يشرعه للناس لم ينزل به سلطان

---

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (١/ ٣٥٧).

فهو قد أتى بالضلال، وقال ﷻ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]؛ يعني: كل شيء بينه الله لعباده مما يحتاجون إليه، قال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، قد بيَّن الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ كل شيء يحتاجه الناس في أمر دينهم، وفيما يقربهم إلى ربهم ويباعدهم من غضبه، ﷻ. وقال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

فالسعادة كله في اتّباع شريعة الله واتّباع ما جاء به نبيه عليه الصلاة والسلام، والبدع والمحدثات خلاف ذلك، قال ﷻ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]؛ يعني: إلى الله، إلى كتاب الله القرآن، وإلى الرسول في حياته، وإلى سنته بعد وفاته، عليه الصلاة والسلام وقال ﷻ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١] يعيب عليهم وينكر عليهم، سبحانه ويقول ﷻ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]، الله أمر نبيه أن يلزم الشريعة التي جاء بها عن ربه ﷻ وأن يستقيم عليها ويحذر ما يخالفها، هكذا أوجب الله على نبيه عليه الصلاة والسلام وعلى الأمة، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وسبيل الله هو صراطه المستقيم، الذي قال فيه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧]. وقال فيه سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢ ـ ٥٣]، وصراط الله هو دينه، وهو الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمدًا عليه الصلاة والسلام، وهو طاعة الأوامر وترك النواهي، هذا هو الإسلام، الإيمان بالله ورسوله وإخلاص العبادة لله وحده وطاعة الأوامر التي

أمر الله بها ورسوله وترك النواهي، هذا هو دين الله وهذا هو صراطه المستقيم.

أما السبل التي نهى عنها فهي البدع والشهوات المحرمة والشبهات التي يشبه بها أعداء الله، هذه السُّبل الباطلة التي يدعو إليها الشياطين؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣] تبعد بكم عن سبيله، وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه: «**خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللهِ، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ قوله تعالى**: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾»[(١)].

وقد كان يخطب ﷺ في الجمعة ويقول في خطبته: «**إنَّ خيرَ الحديث كتاب الله**»؛ يعني: القرآن وخير الهدي هديُ محمد ﷺ؛ يعني: خير السيرة سيرته عليه الصلاة والسلام وما جاء به، وشرَّ الأمور مُحدثاتها وكل بدعة ضلالة، وشرُّ الأمور ما أحدثه الناس في الدين وابتدعوه بين الناس، هذا مما حرمه الله ﷻ، وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنَا**»؛ يعني: في ديننا «**مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[(٢)]، في اللفظ الآخر: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيهِ أمرُنا فَهُوَ رَدٌّ**»[(٣)]؛ يعني: فهو مردود على

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٣٥).

(٢) أخرجه البخاري من حديث عائشة ﵂ في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود برقم (٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور برقم (١٧١٨).

(٣) أخرجه البخاري تعليقًا في كتاب الاعتصام، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف رسول الله من غير علم فحكمه مردود لقول النبي ﷺ: «**من عمل عملًا ليس أمرنا فهو رد**»، وقد وصله مسلم في كتاب الأقضية، باب نقض =

صاحبه، قال في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**».

وكان إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيشٍ يقول: «صبَّحكم ومسَّاكم»؛ لأن هذا أبلغ في قلوب المستمعين وأقرب إلى تأثرهم وخوفهم من غضب الله وعقابه، وعنايتهم بأمر الله سبحانه وتعالى.

والبدع هي الزيادة في الدين الذي يُحدثها الناس؛ يعني: عبادات ما شرعها الله يقال لها: بدعة؛ يعني: الشيء المُبتدع الجديد الذي ليس لها أساس يقال: بئرُ بديعة؛ يعني: لتوها محدثة جديدة ليست عادية، يقال: ابتدع كذا؛ يعني: أحدثه وأتى به من جديد، فالبدع في الدين هي التي أحدثها الناس وزادوها في دين الله مثل الأعياد بالموالد؛ الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم يعدُّونها عيدًا، والاحتفال بموالد الأولياء أو الأنبياء الآخرين أو الملوك أو الرؤساء، هذه الاحتفالات بالموالد التي اعتبروها دينًا واعتبروها عبادة صارت بدعة، وإذا اعتبروها تأسيًا بالكفرة صارت من التأسي بالكفرة والتشبه بهم، فالاحتفال بالموالد ما بين بدعة وبين تشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى، وهكذا ما ابتدعه بعض الناس من التعبد ليلة سبع وعشرين من رجب، ويقولون: إن هذه ليلة الإسراء يتعبدون فيها بصلاة وخطب وغير هذا، وهكذا ما ابتدعه بعض الناس من التعبد ليلة النصف من شعبان، والاحتفال من ليلة النصف من شعبان وإقامة العبادات أو الاحتفالات بها، وهكذا بعضهم ابتدع بدعة في أول رجب في أول ليلة جمعة من رجب صلوات معدودة، وهكذا ما أشبه ذلك كل عبادة يحدثها الناس ما لها أصل في دين الله يقال لها: بدعة، ويقال لها: محدثة، وهي منكرة؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**كل**

= الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور برقم (١٧١٨).

بدعة ضلالة» لأن الناس إذا أحدثوا في الدين ضيَّعوا ما شرع الله لهم واختلط عليهم الأمر واشتبهت عليهم الأمور، هكذا فعل اليهود والنصارى أحدثوا فاشتبهت عليهم الأمور وضيعوا دينهم، أعوذ بالله، الواجب على أهل الإسلام التمسك بما دلَّ عليه كتاب الله وبما جاء به رسوله عليه الصلاة والسلام في العبادات والأحكام وفي كل شيء وألا يخرجوا عن ذلك لا قليلًا ولا كثيرًا، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، هكذا الواجب اتّباع ما جاء به الشرع والحذر ممّا خالف ذلك.

*

□ **قوله تعالى:** ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١][1].

فيقول الله ﷻ في كتابة المبين: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾.

يبيِّن ﷿ أنه شهيد على عباده في جميع أعمالهم فلا يخفى عليه خافيه ﷻ؛ فالواجب على المؤمن وعلى كل عاقل أن ينتبه وأن يراقب ربه سبحانه، وأن يحذر مبارزته بما حرم الله عليه، فإن الله ﷻ شهيد عليه فهو على كل شيء شهيد ﷻ، وهو رقيب على عباده لا تخفى عليه خافيه.

---

(١) حديث المساء، (ص١١٠) ط٣ ـ ١٤٣٦هـ.

فالواجب أن يحاسب نفسه وأن يراقب ربه، وأن يؤدي العمل الذي شرع الله له على ما شرع الله له، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ﴾؛ يعني: أي شأن من شؤون العبد ﴿وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾؛ يعني: أي عمل صغير أو كبير ظاهرًا أو خفي ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ﴾ المعنى: إذ تَشْرَعون فيه وتعملونه، فاتقي الله يا عبد الله وراقب ربك في جميع أعمالك من صلاة وصوم وأداء الحقوق وحج ومعاملات وغير ذلك، راقب الله فيها حتى تؤديها كما شرع ربك وكما أباح لك ربك ﷻ من غير خيانة ولا نقص ولا رياء ولا غير هذا مما حرم الله عليك، بل تؤدي العبادات خالصًا لله على الوجه الذي شرعه الله ترجو ثوابه وتخشى عقابه، وتؤدي المعاملات بغاية الصدق والأمانة والنصح وعدم الخيانة؛ لأنك تعلم أنك مراقب وإن الله شهيد عليك ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢]، وهو على كل شي شهيد، وقال ﷻ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٧ ـ ٢١٩].

فالله يعلم أحوال عباده ولا تخفى عليه من خافية ﷻ، وهو بصير بهم رقيب عليهم، وفي الحديث الصحيح يقول عليه الصلاة والسلام لما سئل عن الإحسان قال: **«أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»**(١)، فهو شهيد على عباده ويراهم ويطلع على ضمائرهم ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة برقم (٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدرة الله تعالى برقم (٩).

فعليك يا عبد الله أن تؤدي العمل كما شرعه الله، وأن تحذر اقتراف المحارم فهو ﷻ لا تخفى عليه منك خافية لا في سرك ولا في علنك، والمؤمنون الذين منَّ الله عليهم بالبصيرة يحذرون معاصيه في الخلوة أشد مما يحذروا في العلانية لعلمهم بأنه رقيبٌ عليهم، وأنه مطلع عليهم ﷻ، وأنه لا تخفى عليه خافية ﷻ، فلهذا يحذرون معصيته ويتباعدون عن أسباب غضبه لكونه عليهم شهيدًا وبهم عليمًا ﷻ.

رزقنا الله وإياكم الاستقامة، وأعاذنا وإياكم من طاعة الهوى والشيطان، وثبَّت الجميع على الخير والهدى، وصلّى الله وسلّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤](١).

هذه الآية الكريمة تتعلق بكرامات الأولياء، والكرامات هي الخوارق: خوارق العادة التي يخرقها الله لأوليائه، وهو أن يحدث شيء خلاف العادة، شيء ينفعهم من خلاف العادة، بركة طعام من وجود شيء ينفعهم من كفايتهم من عدو خلاف المعتاد إلى غير ذلك، والله ﷻ يقول سبحانه في كتابه العظيم، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣]؛ يعني: هم الذين آمنوا هؤلاء هم أولياء الله، أولياء الله هم أهل الإيمان والتقوى

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (٤/ ٢١٩).

والصدق؛ ليسوا أهل التصوف والخرافات، أولياء الله هم أهل الصدق، أهل الإيمان، أهل طاعة الله ورسوله، هم أولياء الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]؛ فأولياء الله هم المؤمنون ولهم كرامات يكرمهم الله بها عند دعاء الحاجة إليها أو الحجة عند إقامة الحجة أو عند الحاجة يحصل لهم كرامات تخرق بها العادة، إما طعام في غير وقته، فاكهة في غير وقتها، أو طعام من غير سبب واضح، أو غير ذلك، أو زوال كربة من غير سبب واضح، أو هلاك عدو من غير سبب واضح، أو أشباه ذلك.

من هذا ما ذكره المؤلف قصة مريم هزي إليك من النخلة، كذلك كلما جاء زكريا وجد عندها رزقًا، جاء في التفسير يأتيها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ما يدري من جاء بها رزق من الله ساقه الله إليها.

وهكذا قصة أهل الكهف وما فعل الله بهم حماهم مدة طويلة ولم يموتوا على هذه المدة الطويلة ثلاثمائة سنة وازدادو تسعًا وهم نيام لا مأكل ولا شرب، هذه من آيات الله ثم الشمس تزاور عنهم ذات اليمين وذات الشمال حتى لا تضرهم.

وهكذا ما يروى عن خبيب لما قدم خبيب أحد السرية الذي اشتراه أهل مكة ليقتلوه، كان مسجونًا عند أهل القتيل، قالت صاحبة البيت: إنها تأتي عنده قطف العنب وما في مكة العنب؛ ولكنه رزق ساقه الله إليه.

من ذلك قصة عبَّاد بن بشر وأسيد بن حضير كانا عند النبي ﷺ في الليل، فلما خرجا في ليلة مظلمة أضاءت لهم أسواطهما، أسواطهما أضاءت لهما الطريق، قصة أسيد بن حضير لما كان يقرأ تنزلت السكينة لقراءته بين السماء والأرض فيها من السرج حتى خشي على ولده يحيى وكان الفرس قريبًا وأجفلت الفرس من هذه السكينة خاف على ولده من ذلك، فأخبر النبي ﷺ فقال: «**تِلْكَ المَلائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ وَلَوْ قَرَأْتَ**

لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا لا تَتَوَارَى مِنْهُمْ»(١).

وهذه قصة الصديق رضي الله عنه، كان الصديق والصحابة مع النبي ﷺ فجاء ضيوف فقراء فأمر النبي ﷺ الصحابة أن يأخذ كل واحد اثنين ثلاثة يضيفونهم فقال: «**مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ، وَإِنْ أَرْبَعٌ فَخَامِسٌ أَوْ سَادِسٌ**»، وأخذ الصدِّيق ثلاثة أرسله مع عبد الرحمٰن قال: ضيِّفهم؛ يعني: عشِّهم، وذهب النبي إلى بيته بعشرة، فعبد الرحمٰن ذهب بهم إلى بيته والصديق تأخر عند النبي ﷺ يسمر معه رضي الله عنه، فقدَّم إليهم عبد الرحمٰن العشاء الميسور فأبوا قالوا: ننتظر حتى يأتي الصدِّيق حتى يأتي صاحبنا، والصدِّيق تأخر تعشَّى مع النبي ﷺ وتأخر حتى صلى العشاء فلما جاء قال: فرغتم من الأضياف؟ قالوا: أبوا حتى تحضر، وكان عبد الرحمٰن خاف من أبيه لما تأخر، أبو بكر الصديق فيه حدة رضي الله عنه فلما جاء والأضياف لم يتعشوا تكدر: (يا عبد الرحمٰن، وعبد الرحمٰن اختفى خاف منه واختفى حتى ناداه في الثالثة: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ صَوْتِي لَما جِئْتَ، فجاء قال: ما منعك أن تعطي أضيافك عشاهم؟ قال: اسألهم عرضت عليهم فأبوا فغضب قدموا لهم الضيافة فقال: والله لا آكل، فقالوا: اذا ما كنت تأكل والله ما نأكل، حضر الشيطان، فقال رضي الله عنه: بسم الله هذا من الشيطان ثم أكل وأكلوا قال: وَايْمُ اللهِ مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إِلَّا رَبَا مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا كلَّما أخذوا لقمة من هذا الطعام سواء كان جريش أو قرصان أو غيره، كلما رفعوا لقمة ربا في القصعة أكثر منها فأكلوا وشبعوا) وذلفوا بالقصعة إلى النبي ﷺ يخبرون بما جرى؛ فأكل منها جم غفير من هذه البركة التي بارك الله فيها في هذه القصعة، هذه من الدلائل على أن الله جل جلاله يبارك فيما يشاء، يعطي الكرامة من يشاء بشرط أن يكون صاحبها على الطريقة الشرعية، وإلا هي

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أسيد بن حضير في كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن برقم (٥٠١٨).

خرافة، الكرامات توزن بميزان الشرع فإن كان صاحبها من المستقيمين على الشرع فهي كرامة، وإن كان على خلاف ذلك فهي من خوارق الشياطين والسحرة والتلبيس.

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾ [يونس: ٦٢][(١)].

فهذه الآية الكريمة فيها بيان حال أولياء الله، وأنهم لا خوف عليهم ولا حزن عليهم لإيمانهم وتقواهم، يقول ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾، ثم فسرهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾، فأولياء الله هم أهل الإيمان والتقوى، هم الذين أخلصوا لله العبادة، واستقاموا على دينه واتقوه ﷻ، فأدوا فرائضه وتركوا محارمه ووقفوا عند حدوده، هؤلاء هم أولياء الله، أهل الإيمان والتقوى، أهل البصيرة، أهل الصدق، الذين أخلصوا لله العبادة، ولم يشركوا به شيئًا، ثم أدوا فرائضه، وابتعدوا عن محارمه، ووقفوا عند حدوده، هؤلاء هم أولياء الله، ليس عليهم خوف ولا حزن بل لهم الجنة والكرامة والسعادة، هذه الآية الكريمة: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣] لا خوف عليهم في المستقبل ولا يحزنون على ما خلفوا في الدنيا، وهم المذكورون في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٧، ٨]، وفي قوله - سبحانه -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ۝١٠٧

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ١٩٤).

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧ ـ ١٠٨] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: ٩٠][١].

﴿نُنَجِّيكَ﴾ [٩٠]: نلقيك على نجوةٍ من الأرض، وهو النّشز المكان المرتفع.

حدّثني محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا غندرٌ، حدّثنا شعبة، عن أبي بشرٍ، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: قدم النّبيّ ﷺ المدينة، واليهود تصوم عاشوراء، فقالوا: هذا يومٌ ظهر فيه موسى على فرعون، فقال النّبيّ ﷺ لأصحابه: «**أَنْتُمْ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْهُمْ، فَصُومُوا**»[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا هو السّنّة، كان واجبًا ثمّ نسخ بفرض رمضان، وبقي سنّةً مستحبّةً.

وقال جماعةٌ من أهل العلم: إنّه كان متأكّدًا وليس بواجبٍ، كما في حديث معاوية رضي الله عنه: «**لَمْ يكتب الله عَلَيْكُم صيامه**»[٣]، كان سنّةً مؤكدةً، فلمّا فرض الله رمضان صار هو الواجب، وصار صوم يوم

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾... برقم (٤٦٨٠)، ومسلم في كتاب الصيام، باب صوم عاشوراء برقم (١١٣٠).

(٣) أخرجه الإمام مالك من حديث معاوية رضي الله عنه (٢/ ٢٠٠).

عاشوراء مستحبًّا، وكان النّبيّ يصومه عليه الصّلاة والسّلام، وصومه يكفّر السّنة الّتي قبله. الله المستعان.

* *

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس: ٩٩][(١)].

هذه الآية وقوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾، والآيات الأخرى التي في معناهما، بَيّن العلماء أنها في حق من تؤخذ منهم الجزية؛ كاليهود والنصارى والمجوس، لا يكرهون، بل يخيّرون بين الإسلام وبين بذل الجزية.

وقال آخرون من أهل العلم: إنها كانت في أول الأمر ثم نُسخت بأمر الله سبحانه بالقتال والجهاد، فمن أبى الدخول في الإسلام وجب جهاده ـ مع القدرة ـ حتى يدخل في الإسلام، أو يؤدي الجزية إن كان من أهلها.

فالواجب: إلزام الكفار بالإسلام إذا كانوا لا يؤخذ منهم الجزية؛ لأن إسلامهم فيه سعادتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة، فإلزام الإنسان بالحق الذي فيه الهدى والسعادة خير له من الباطل، كما يُلزم الإنسان بالحق الذي عليه لبني آدم ولو بالسجن أو بالضرب، فإلزام الكفار بتوحيد الله والدخول في دين الإسلام أولى وأوجب؛ لأن فيه سعادتهم في العاجل والآجل. إلا إذا كانوا من أهل الكتاب؛ كاليهود والنصارى أو المجوس، فهذه الطوائف الثلاث جاء الشرع بأنهم يخيرون؛ فإما أن يدخلوا في الإسلام، وإما أن يبذلوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/٢٣٨).

وذهب بعض أهل العلم: إلى إلحاق غيرهم بهم في التخيير بين الإسلام والجزية.

والأرجح: أنه لا يلحق بهم غيرهم، بل هؤلاء الطوائف الثلاث هم الذين يخيرون؛ لأن الرسول ﷺ قاتل الكفار في الجزيرة ولم يقبل منهم إلا الإسلام، قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥] ولم يقل: أو أدوا الجزية.

فاليهود والنصارى والمجوس يطالبون بالإسلام، فإن أبوا فالجزية، فإن أبوا وجب على أهل الإسلام قتالهم - إن استطاعوا ذلك - يقول ﷻ: ﴿قَٰتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، ولما ثبت عن النبي ﷺ أنه أخذ الجزية من المجوس، ولم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه ﷺ أنهم أخذوا الجزية من غير الطوائف الثلاث المذكورة، والأصل في هذا قوله - تعالى -: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

وهذه الآية تسمى: (آية السيف)، وهي وأمثالها هي الناسخة للآيات التي فيها عدم الإكراه على الإسلام.



تفسير آيات من سورة هود[١]

وقال أبو ميسرة: الأوّاه: الرّحيم بالحبشيّة، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ [٢٧]: ما ظهر لنا، وقال مجاهدٌ: ﴿ٱلْجُودِىِّ﴾ [٤٤]: جبلٌ بالجزيرة، وقال الحسن: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ﴾ [٨٧]: يستهزئون به، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿أَقْلِعِى﴾ [٤٤]: أمسكي، ﴿عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾ [٧٧]: شديدٌ، ﴿لَا جَرَمَ﴾ [٢٢]: بلى، ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [٤٠]: نبع الماء، وقال عكرمة: وجه الأرض.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تكلّم الشّارح على (الجودي)؟ أو العيني؟

(القارئ): [قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عمدة القاريّ» (١٨/ ٢٨٨)]: «أشار به إلى قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾؛ أي: استوت سفينة نوحٍ عليه الصّلاة والسّلام على الجودي، وهو جبلٌ بالجزيرة، تشامخت الجبال يومئذٍ وتطاولت وتواضع الجودي لله ﷻ فلم يغرق، فأرسيت عليه السّفينة.

وقيل: إنّ الجودي جبلٌ بالموصل. وقيل: بآمد وهما من الجزيرة.

وقال: أكرم الله ﷻ ثلاثة جبالٍ بثلاثة أنبياء عليهم الصّلاة والسّلام: حراء بمحمد ﷺ، والجودي بنوحٍ عليه الصّلاة والسّلام، والطور بموسى عليه الصّلاة والسّلام». [انتهى كلامه].

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥﴾ [هود: ٥][(١)].

وقال غيره: ﴿وَحَاقَ﴾ [٨]: نزل، ﴿يَحِيقُ﴾ [فاطر: ٤٣]: ينزل، ﴿لَيَـُٔوسٞ﴾ [٩]: فعولٌ من يئست، وقال مجاهدٌ: ﴿تَبۡتَئِسۡ﴾ [٣٦]: تحزن، ﴿يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾ [٥]: شكٌّ وامتراءٌ في الحقّ، ﴿لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾ [٥]: من الله إن استطاعوا.

حدّثنا الحسن بن محمّد بن صبّاحٍ، حدّثنا حجّاجٌ قال: قال ابن جريجٍ، أخبرني محمّد بن عبّاد بن جعفرٍ أنّه سمع ابن عبّاسٍ يقرأ: (ألا إنّهم تثنوني صدورهم)، قال: سألته عنها، فقال: «أناسٌ كانوا يستحيون أن يتخلّوا فيفضوا إلى السّماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السّماء، فنزل ذلك فيهم»[(٢)].

حدّثني إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشامٌ، عن ابن جريجٍ، وأخبرني محمّد بن عبّاد بن جعفرٍ أنّ ابن عبّاسٍ قرأ: (ألا إنّهم تثنوني صدورهم) قلت: يا أبا العبّاس، ما تثنوني صدورهم؟ قال: «كان الرّجل يجامع امرأته فيستحي، أو يتخلّى فيستحي، فنزلت: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾»[(٣)].

حدّثنا الحميديّ، حدّثنا سفيان، حدّثنا عمرٌو قال: قرأ ابن عبّاسٍ:

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٥﴾ برقم (٤٦٨١).
(٣) المرجع السابق.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾[1]، وقال غيره عن ابن عبّاسٍ: ﴿يَسْتَغْشُونَ﴾: يغطّون رؤوسهم، ﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾ [٧٧]: ساء ظنّه بقومه، ﴿وَضَاقَ بِهِمْ﴾ [٧٧]: بأضيافه، ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [٨١]: بسوادٍ، (إليه أنيب) [٨٨]: أرجع.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمقصود: أنّه سبحانه يعلم السّرّ وأخفى، ولا تخفى عليه خافيةٌ، لا من جهة إثناء الصدر عند إتيانه للأهل، أو عند قضاء الحاجة ولا من جهة ما يفعل من الاستثناء بالثّياب أو بغيرها أو الخلوة بما حرّم الله في أي مكانٍ، لا تخفى عليه خافيةٌ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ﴾ [هود: ٥]، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩].

فهو سبحانه يرى عباده ويعلم أحوالهم أينما كانوا، وكيفما تستّروا؛ فالواجب الحذر من معصيته سبحانه أينما كنت؛ فإنّه جَلَّ وَعَلَا علمه محيطٌ، وبصره كذلك، لا تخفى عليه خافيةٌ جَلَّ وَعَلَا.

فالواجب على كلّ مكلّفٍ أن يحذر شرّ نفسه، وشرّ شيطانه، وأن يعلم أنّه محاطٌ به، وأنّه مهما استخفى بالمعصية فالله لا يخفى عليه خافيةٌ جَلَّ وَعَلَا، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّماء، مهما حاول العبد أن يستخفي بمعصيته فربّك جَلَّ وَعَلَا حليمٌ لا يعاجل بالعقوبة، ولو عاجل النّاس بالعقوبة لهلكوا، ولكن يحلم سبحانه وينظر ويملي؛ لعلّ ولعلّ، وهو الحكيم العليم، له الحكمة البالغة: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥].

---

(١) الواجب على العبد أن يعلم أنه لا يخفى على الله شيء من أعماله: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، فهو يعلم ما يفعل عباده أينما كانوا.

فالواجب على العاقل: ألّا يغتر بإمهال الله وإنظاره، فقد يؤخذ على غرّة فليحذر دائمًا دائمًا من شرّ نفسه وهواه، فكم من متساهلٍ مغترٍّ بحلم الله أُخِذ وهو لا يشعر، نسأل الله العافية.

• **س: له حكم المرفوع عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما في تخصيص الآية بهذا السبب** ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ [هود: ٥]؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الله أعلم، المقصود: أنّه مهما كان العبد على أي حالٍ فهو لا يخفى على الله أمره، الآية واضحةٌ.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾ [هود: ٦][1].

الآية على ظاهرها، وما يقدِّر الله سبحانه من الكوارث والمجاعات لا تضر إلا من تم أجله وانقطع رزقه، أما من كان قد بقي له حياة أو رزق فإن الله يسوق له رزقه من طرق كثيرة قد يعلمها وقد لا يعلمها، لقوله سبحانه: ﴿...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، وقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، وقول النبي ﷺ: «**لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها**»[2].

وقد يعاقب الإنسان بالفقر وحرمان الرزق لأسباب فعلها من كسل وتعطيل للأسباب التي يقدر عليها، أو لفعله المعاصي التي نهاه الله

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٤١).
(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الجامع، باب ما جاء في أهل القدر.

عنها، كما قال الله سبحانه: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ الآية [النساء: ٧٩]، وقال ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ الآية [الشورى: ٣٠]، وصح عن النبي ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ**»(١) رواه الإمام أحمد وابن ماجه بإسناد جيد، وقد يبتلى العبد بالفقر والمرض وغيرهما من المصائب لاختبار شكره وصبره؛ لقول الله سبحانه: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٦]، وقوله ﷻ: ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، والمراد بالحسنات في هذه الآية النعم، وبالسيئات المصائب، وقول النبي ﷺ: «**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن**»(٢). أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

* * *

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [هود: ٦](٣).

هذه الآية الكريمة، فيها الدلالة على أنه ينبغي لأهل الإيمان التعفف، قال ﷻ: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٨٢)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب العقوبات برقم (٤٠٢٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقاق، باب المؤمن أمره كله خير برقم (٢٩٩٩).

(٣) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (٢/ ٣٠٧).

يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٣] يعني: الفيء يعني مال بيت المال لهؤلاء، ولمن أشبههم ونصر الدين وأقام الدين ومن تبعهم بإحسان، فذكر من أن أهل بيت المال وممن يواسى: هؤلاء الفقراء المتعففون الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، فدل ذلك على فضل التعفف، ينبغي للمؤمن أن يتعفف عن سؤال الناس وعن كسب الحرام، وأن يجتهد في طلب الرزق الحلال، قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقال: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧]، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨]، قال ﷻ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦]، فالرزق عند الله، على المؤمن طلب الرزق من طريق الحلال، والحرص على الاستغناء عما في أيدي الناس وعن سؤالهم إلا من ضرورة.

ولهذا جاء في **الحديث الصحيح** يقول ﷺ: «**إِنَّ المَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لأَحَدِ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ**» حمل لإصلاح ذات البين، أو لحاجته وحاجة أولاده؛ لأن كسبه ضعيف أو ليس له كسب ولم يستطع كسبًا.

الثاني: «**وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ**» يشهد له أولو النهى والعدالة، يشهدون بأنه أصابته فاقة، حلَّت له المسألة حتى يصيب قوامًا من عيش، أو حتى يصيب سدادًا من عيش، ما يسد حاجته، أو قال: سدادًا من عيش. «**وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُولَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الحِجَا مِنْ**

قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ، أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ، فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ المَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحت يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا» رواه مسلم في الصحيح[(١)].

فينبغي للمؤمن: أن يجتهد في الاستغناء عما في أيدى الناس، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**» العَرَض؛ يعني: المال، المال كله عَرض، الدنيا كلها عَرض، «**لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**» الغني في الحقيقة هو غني النفس، الذي قد صغرت عنده الدنيا ولم يتعلق بها قلبه، بل يتعلق قلبه بما يسَّر الله له، هذا هو الغني، ليس الغني من كثر ماله وافتقر قلبه، وإنما الغني هو الذي أغنى الله قلبه وأغنى نفسه حتى قنع باليسير، واستغنى عما في أيدي الناس.

في الحديث: يقول ﷺ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وقَنَّعَهُ الله بِمَا آتَاهُ**» رواه مسلم، هذا يدل على أنه فد أفلح؛ يعني: فاز بالظفر والخير والسعادة، لكونه دخل في الإسلام، ورزقه الله الكفاف، لم يحتج إلى الناس، وقنعه الله بالرزق الذي آتاه، والكسب الذي آتاه ﷻ، فينبغي للمؤمن أن يكون قنوعًا، طالبًا للرزق، حريصًا على الكسب الحلال، بعيدًا عن الحاجة إلى الناس إلا عند الضرورة.

في: حديث حكيم بن حزام القرشي المعروف، أنه كان سأل النبي ﷺ فأعطاه ثم سأله فأعطاه فسأله فأعطاه، ثم قال النبي ﷺ: «**يَا حَكِيم، إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفسٍ**» يعني: بطيب نفس، ورخاء قناعة «**بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بإِشرافِ نَفْسٍ**» يعني: شح

(١) أخرجه من حديث قبيصة بن مخارق الهلالي رضي الله عنه في كتاب الزكاة، باب من تحل له المسألة برقم (١٠٤٤).

وحرص «**لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى**». في اللفظ الآخر: «**نِعْمَ المَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ**»[(١)] الذي ينفقه هكذا، وهكذا، في وجوه الخير.

قال حكيم لما سمع هذا الكلام: يا رسول والذي بعثك بالحق لا أرزأُ أحدًا بعدك شيئًا، يعني لا أسأل أحدًا بعدك ولا آخذ من أحدٍ شيئًا، يعني قد تأثر بهذه النصيحة وبهذه الكلمة ﵁ فلم يسأل أحدًا شيئًا من الأمراء وغيرهم، ولم يقبل من الناس عطاءً واقتنع بما عنده من الرزق ﵁ حتى عرض له الصدِّيق في خلافته وعمر في خلافته حظه من بيت المال فأبى وأوفى بقوله: والذي نفسي بيده لا أرزأ أحدًا بعدك، وكان الصديق ﵁ قد رتب عطاءً من بيت المال للمهاجرين والأنصار، وهكذا عمر كل سنة يعطيهم ما يعينهم على حاجاتهم والإنفاق على حوائجهم وضيوفهم، فكان حكيم يمتنع من ذلك على ما عاهد عليه النبي ﷺ أنه لا يرزأ بعده، ففي هذا الحث على القناعة والاكتفاء بالرزق الحلال والحرص على عدم سؤال الناس إلا عند الضرورة، فلا بأس بقدر الحاجة، ومهما أمكن فهو يستغني ولا يسأل وهو المطلوب.

والله جعل في المال حقًّا للسائل والمحروم؛ لكن إذا استغنى عن السؤال بأي طريق فهو خير له؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ شَيْئًا هُوَ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ**»[(٢)]. فالسؤال مزلة ولو كان من حق الله كبيت المال والزكاة، ولكن مهما أمكن من الاستغناء عن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث عمرو بن العاص ﵁ (٤/ ١٩٧).

(٢) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري ﵁. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة برقم (١٤٦٩)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر برقم (١٠٥٣).

السؤال وطلب الرزق من طريق الحلال؛ كالبيع والشراء، والزراعة، والخياطة، والنجارة، بأي صنعة تغني عن الناس، هذا هو الذي خير له وأفضل له، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ وَلَا تَعْجِزْ**»، وسُئل: أَيُّ الكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: «**عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ**». الإنسان يحرص على أن يكسب وأن يستغني بالكسب الحلال من بيع وشراء، وصناعة، أو أي عمل مباح يستغني به عن سؤال الناس.

* * *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧](١).

حدّثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيبٌ، حدّثنا أبو الزّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ ﷻ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ، وَقَالَ: يَدُ اللهِ مَلأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**»(٢).

﴿ٱعْتَرَىٰكَ﴾ [٥٤]: افتعلت من عَرَوْته؛ أي: أصبته، ومنه يعروه، واعتراني ﴿ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [٥٦]؛ أي: في ملكه، وسلطانه، ﴿عَنِيدٍ﴾ [٥٩]: وعنودٌ، وعاندٌ واحدٌ، هو تأكيد التّجبّر، ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ﴾: جعلكم عُمّارًا، أعمرته الدّار فهي عمرى جعلتها له، ﴿نَكِرَهُمْ﴾ [٧٠] وأنكرهم، واستنكرهم، واحدٌ، ﴿حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾؛ كأنّه فعيلٌ من ماجدٍ، محمودٌ من

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ برقم (٤٦٨٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق برقم (٩٩٣).

حمد، سجّيلٌ الشّديد الكبير، ﴿سِجِّيلٍ﴾ [٨٢] وسجّينٌ واحدٌ، واللّام والنّون أختان، وقال تميم بن مقبلٍ:

ورجلةٍ يضربون البيض ضاحيةً ضربًا تواصى به الأبطال سجّينا

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي هذا الحثّ على النّفقة، وأنّه ينبغي للمؤمن أن ينفق في وجوه البرّ والخير، والله يُخلف عليه يقول سبحانه: «**أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**»[١]، الجزاءُ من جنسِ العملِ، ومصداقُ هَذَا فِي كتابِ اللهِ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

والإنفاق يكون في وجوه الخير، في مواساة الفقير، في صلة الرّحم، في الجهاد في سبيل الله، في تعمير المساجد، في كلّ وجهٍ من وجوه الخير، مع النية الصّالحة.

والحسنة بعشر أمثالها، والدرهم بعشرةٍ إلى سبعمائة: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

فالإنفاق لا حدّ لجزائه بفضل الله وبرحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وفي «صحيح البخاريّ» رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: جاءتني امرأةٌ ومعها ابنتان تشحذ ـ تسأل ـ فلم أجد في البيت إلّا ثلاث تمراتٍ؛ فدفعتها إليها؛ فأعطت كلّ واحدةٍ من بنتيها تمرةً، ورفعت الثّالثة إلى فمها لتأكلها؛ فاستطعمتها ابنتاها التّمرة الثّالثة؛ فشقّتها بينهما نصفين ولم تأكل شيئًا؛ قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: فأعجبني أمرها، أو قالت: شأنها؛ فلمّا جاء

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل برقم (٥٣٥٢).

النّبيّ ﷺ أخبرته فقال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الجَنَّةَ**»(١)؛ يعني: بهذه الرّحمة، وهذا الإحسان.

ففي هذا أن الصدقة تنفع ولو قليلةً؛ قد تصادف من الفقير حاجةً شديدةً، تمرة، ثلاث تمراتٍ بين ثلاث نساءٍ، والأم شقّت الثّالثة بين بنتيها ولم تأكل شيئًا؛ من شدّة رحمتها لهما؛ فرحمها الله بذلك.

فالإنسان لا يستقلّ الخير: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧] الذّرّة، التّمرة تزن مثاقيل ذرٍّ كثير، التّمرة الواحدة تزن ذراتٍ كثيرة.

ويقول النّبيّ ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ ربّه لَيْس بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ عَنْ يمينه فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ شماله فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ تلقاء وجهه فَلَا يَرَى إِلَّا النَّار؛ فَاتَّقُوا النَّار وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فمن لَمْ يجد فبكلمة طيبة**». متفقٌ عليه من حديث عديّ بن حاتمٍ رضي الله عنه(٢).

فمن لم يجد فبكلمةٍ طيبةٍ: إمّا صدقة ولو قليلًا، أو كلام طيّب: أغناك الله، عافاك الله، يسّر الله أمرك، رزقك الله، وما أشبه ذلك.

فإذا كان شقّ التّمرة له شأنٌ فكيف بالدرهم، والدرهمين، والعشرة، والعشرين، والمائة؛ شأنها أكبر؛ فالإنسان لا يحقر الصدقة، يتصدّق ولو بالقليل، فالفقير في حاجةٍ إلى هذا، والقليل مع القليل مع القليل يكثر.

• **س: بعضٌ من النّاس يجعل قسطًا من راتبه شهريًّا ـ كخمسمائةٍ**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الإحسان إلى البنات برقم (٢٦٣٠).

(٢) سبق تخريجه في (٣/ ٥٤٢) و(٣/ ٦٦١).

مثلًا ـ ويستمر عليها في سبيل الله ثمّ ينفقها في وجوه البر؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

جزاه الله خيرًا، طيبٌ، جزاه الله خيرًا، هذا جاهد نفسه، أقول: جاهد نفسه.

• س: أحسن الله إليك: طرد السائلين من المساجد؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما أعرف عليه دليلًا، طردهم من المساجد ما أعرف له دليلًا، إلّا من عُرف أنّه كذّابٌ وعنده ما يغنيه يمنع من المساجد وغير المساجد، أمّا المجهول والمعروف بالفقر فلا أرى مانعًا من قيامه يشحذ إخوانه، يطلب إخوانه، متى يجد في سبيل الله إلّا في المساجد، الطرقات قد لا يلتفتون إليه.

• س: أحسن الله إليك: لو أنفق لينفق عليه هل يعتبر هذا من الاحتساب كما ورد في الحديث: «أنفق ينفق الله عليك»؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا كان يرجو من الله الثواب والأجر والخلف هذا طيّبٌ.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود: ١٨](١).

واحد الأشهاد: شاهدٌ، مثل: صاحبٍ وأصحابٍ.

حدّثنا مسدّدٌ، حدّثنا يزيد بن زريعٍ، حدّثنا سعيدٌ وهشامٌ، قالا: حدّثنا قتادة عن صفوان بن محرزٍ قال: بينا ابن عمر يطوف إذ عرض

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

رجلٌ فقال: يا أبا عبد الرّحمن، أو قال: يا ابن عمر، سمعت النّبيّ ﷺ في النّجوى؟ فقال: سمعت النّبيّ ﷺ يقول: «**يُدْنَى الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ**»، وقال هشامٌ: «يدنو المؤمن حتّى يضع عليه كنفه، فيقرّره بذنوبه: تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف، يقول: ربّ أعرف (مرّتين)، فيقول: سترتها في الدّنيا، وأغفرها لك اليوم، ثمّ تطوى صحيفة حسناته، وأمّا الآخرون، أو الكفّار، فينادى على رؤوس الأشهاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ﴾»، وقال شيبان، عن قتادة: حدّثنا صفوان[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه النّجوى مثل سائر الصّفات، كونه يناجي ﷻ مثل سائر الصّفات، ويضع كنفه صفاتٌ تليق بالله لا يشابه فيها خلقه، وضع كنفه على المؤمن، ومناجاة المؤمن كلّ هذا من فضله وإحسانه ﷻ، وهو يكلّم عباده ويناجي من يشاء، وله الحكمة البالغة في ذلك، ويوم القيامة يكلّم أهل الموقف: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ ربّه لَيسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ**»[٢]، ويكلّم أهل الجنّة ويقول: «**هل رضيتم**».

فهو سبحانه كما كلّم موسى في الدّنيا وكلّم من شاء في الدّنيا وكلّم محمّدًا ﷺ ليلة المعراج؛ هكذا يوم القيامة يكلّم جميع أهل الموقف: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ ربّه لَيسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ عَنْ يمينه فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ شماله فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ تلقاء وجهه فَلَا يَرَى إِلَّا النَّار؛ فَاتَّقُوا النَّار وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ،**

---

(١) متفق عليه من حديث صفوان بن محرز. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٨﴾ (٤٦٨٥)، ومسلم في كتاب التوبة، باب فيقبل توبة القاتل وإن كثر قتله برقم (٢٧٦٨).

(٢) سبق تخريجه في (٣/ ٥٤٢) و(٣/ ٦٦١).

فمن لَمْ يجد فبكلمة طيبة». متفقٌ على صحته من حديث عديّ بن حاتمٍ ﷺ.

- **س: السبعون ألفًا ـ عفا الله عنك ـ الّذين يدخلون الجنّة يشملهم هذا الحديث، حديث أنّ الله يدني المؤمن؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الله أعلم.

- **س: الكلام من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للمؤمن والكافر ولّا للمؤمن فقط؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عامٌّ عامٌّ «**ما منكم من أحد...**»، لكن كلامه لأعداء الله كلام الغضب، لا يكلمهم ولا ينظر إليهم؛ يعني: كلامًا ينفعهم، أو يرضون به؛ بل كلامٌ فيه زجرهم، وهكذا النّظر إليهم نظر الغضب، لا نظر الرّضا، ولا يزكّيهم، نسأل الله العافية.

- **س: سلّمك الله يا شيخ: الكلام للكافر دون رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نَعَمْ، الرؤيةُ تختصُّ بالمؤمنين: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

*

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨][(١)].

هذه الآية الكريمة تتعلق بلعن العصاة غير المعيَّنين يلعنون باسم معاصيهم لا باسم أعيانهم فلان بن فلان؛ ولكن بمعاصيهم كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يشمل المشركين ويشمل العصاة، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤]. قال ﷺ في

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (٤/ ٢٩٩).

الحديث الصحيح: «**لَعَنَ اللهُ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ، وَالوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ**»(١)، والواصلة هي التي تصل شعرها بشعر آخر، أو شبه، توهم أن شعرها طويل وكثير، والمستوصلة التي تطلب ذلك، وهكذا الواشمة والمستوشمة تلك تستعمل الوشم في خدها أو في يديها وهو غرز اللحم بالإبرة ثم يجعل مكانه كحل أو غيره يكون وشمًا وكان العرب تفعل هذا، الرسول ﷺ لعن من فعل ذلك.

كذلك لعن آكل الربا وموكله، وهذا يفيد الحذر من هذه المعاصي، كذلك لعن من غيّر منار الأرض؛ يعني: مراسيم الأرض؛ لأن تغيير المراسيم يسبب الشحناء والعداوة والاختلاف والخصومات ظلم، منار الأرض؛ يعني: مراسيمها، تفصل بينك وبين أخيك، أو بينك وبين الطريق، فالذي يغيّرها ملعون بنص الرسول عليه الصلاة والسلام.

كذلك لعن من ذبح لغير الله يتقرب بالذبائح للجن أو للأصنام، أو لغيرهم مما يُعبد من دون الله أو للنجوم، يقول ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**»(٢)؛ لأن الله يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾؛ يعني: ذبحي ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ١، ٢] فالذي يتقرب بالذبائح للجن أو للنجوم أو للأصنام من جنس الكفرة من جنس الجاهلية شرك أكبر.

كذلك لعن عليه الصلاة والسلام « **لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيه،**

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب الوصل في الشعر برقم (٥٩٣٧)، ومسلم في كتاب اللباس، باب تحريم الواصلة والمستوصلة. . . . برقم (٢١٢٤).

(٢) أخرجه مسلم من حديث علي رضي الله عنه في كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله ولعن فاعله برقم (١٩٧٨).

وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا»[١] . فالذي لعن والديه قد أتى جريمة عظيمة فقد لعنه الرسول ﷺ، وهكذا من آوى محدثًا وهو الذي يحدث حدثًا في الإسلام فالذي يؤويه وينصره حتى لا يقام عليه الحد يكون ملعونًا، نسأل الله العافية.

كذلك لعن عليه الصلاة والسلام اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذِّر من أعمالهم، لا يجوز اتخاذ المساجد على القبور، المقبرة شيء والمساجد شيء، فلا يجوز أن يتخذ على المقبرة مسجد، أو يدفن في المساجد القبور يجب الحذر من هذا؛ لأن هذا من أسباب الشرك.

كذلك «**لَعَنَ الْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ، وَالْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ**»[٢] يجب الحذر؛ فالرجل لا يتشبه بالمرأة وهي لا تتشبه به لا في قول ولا في عمل ولا في لباس، فهذه أشياء مما لعن فيها النبي عليه الصلاة والسلام يجب الحذر منها والتواصي بتركها لكونها من كبائر الذنوب، وهكذا لعن رعلًا وذكوان وعصية لما تعدوا على بعض أصحاب النبي ﷺ لعنهم قال: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ لِحيَان وَرِعْلًا، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ عَصَتِ اللهَ وَرَسُولَهُ**»[٣]، ولعن جماعة من أعيان قريش لما اشتد كفرهم وضررهم على المسلمين لعنهم عليه الصلاة والسلام؛ كأبي جهل بن هشام وعتبان بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وجماعة، نسأل الله العافية.

* *

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (١/ ٣١٧).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب اللباس، باب في لباس النساء برقم (٤٠٩٧).

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب المساجد، باب استحباب القنوت في جميع الصلوات إذا نزلت بالمسلمين نازلة برقم (٦٧٥).

❑ **تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [هود: ٨٤]**

إلى أهل مدين؛ لأنّ مدين بلدٌ، ومثله ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]: وَ(اسْأَلِ الْعِيرَ): يعني: أهل القرية، والعير، ﴿وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ [٩٢]: يقول: لم تلتفتوا إليه، ويقال إذا لم يقض الرّجل حاجته: ظهرت بحاجتي، وجعلتني ظهريًّا، والظّهريّ هاهنا أن تأخذ معك دابّةً، أو وعاءً تستظهر به، ﴿أَرَاذِلُنَا﴾ [٢٧]: سُقَّاطنا، ﴿إِجْرَامِى﴾ [٣٥]: هو مصدرٌ من أجرمت، وبعضهم يقول: جرمت، ﴿ٱلْفُلْكَ﴾ [٣٧]: والفلك واحدٌ، وهي السّفينة والسّفن، ﴿مَجْرٜىٰهَا﴾ [٤١]: مدفعها، وهو مصدر أجريت، وأرسيت: حبست، ويقرأ: مجراها: من جرت هي، مرساها: من رست، و﴿مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾: من فعل بها، الرّاسيات: ثابتاتٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله: (مجريها ومرسيها): القراءة المشهورة بالفتح، ﴿مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾؛ يعني: جريها وإرساؤها بإذن الله ﷻ.

«مجراها»: مصدرٌ ميميٌّ باسم الله جريها، وباسم الله إرساؤها، أمّا «مجريها» نعت الجلالة باسم الله، مجريها نعتٌ، لكن القراءة المشهورة والواضحة: ﴿مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾؛ يعني: جريها ورسوّها كلّه بيد الله، هو الّذي يجريها وهو الّذي يرسلها ﷻ، ترك الإمالة أولى.

﴿مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾: مجرَاها من (جَرى) المصدر الميميّ من الثّلاثي، و(مرساها) من الرّباعي من (أرسى).

* *

❑ **تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].**

﴿ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾ [٩٩]: العون المعين، رَفَدته: أعنته، ﴿تَرْكَنُوٓا۟﴾

[١١٣]: تميلوا، ﴿فَلَوْلَا كَانَ﴾ [١١٦]: فهلّا كان، ﴿أُتْرِفُوا﴾ [١١٦]: أهلكوا، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [١٠٦]: شديدٌ، وصوتٌ ضعيفٌ.

حدّثنا صدقة بن الفضل، أخبرنا أبو معاوية، حدّثنا بريد بن أبي بردة، عن أبي بردة، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**»، قال ثمّ قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود: ١٠٦، ١٠٧][(١)].

اختلف كلام أهل التفسير في هذا الاستثناء، وأحسن ما قيل في ذلك: إن الاستثناء يراد به ما يقع حال القيامة في موقف القيامة، وما يقع في حال القبور، كل هذا مستثنى، فإن المؤمنين والكافرين كلهم لهم نصيبهم، المؤمنون لهم نصيبهم من نعيم الله في قبورهم وفي موقفهم يوم القيامة، وما يحصل لهم من التسهيل واللطف. والكافرون لهم نصيبهم من العذاب في المقابر وفي موقفهم أمام الله يوم القيامة. أما بعد دخول النار فليس فيها استثناء؛ يعني: مخلدون أبد الآباد وهم الكفار، وأهل الجنة مخلدون في دار النعيم أبد الآباد لا يظعنون منها ولا يموتون، ولا تخرب بلادهم، وهكذا الكفرة مخلدون في نار جهنم عند أهل السُّنَّة والجماعة مخلدون فيها أبد الآباد، لا تخرب ولا يخرجون منها، كما

---

(١) من برنامج نور على الدرب، رقم الحلقة (٨٥١/ ٢).

قال الله ﷻ في أهل النار: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقال في أهل الجنة: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ﴾ [النساء: ٥٧].

فأهل الجنة دائمًا في نعيمهم وفي سرورهم وفي حبرتهم لا يظعنون ولا تخرب بلادهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥١ ـ ٥٧]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٥ ـ ٤٨] في آيات كثيرات كلها دالة على خلود هؤلاء وخلود هؤلاء، أهل الجنة مخلدون فيها أبد الآباد، وأهل النار مخلدون فيها أبد الآباد؛ يعني: الكفرة.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن النار لها نهاية، وأن أهلها يخرجون منها بعد النهاية، أو يموتون فيها، وهذا القول شاذٌّ عند أهل السُّنَّة والجماعة لا أساس له من الصحة، والذي عليه جمهور أهل السُّنَّة والجماعة أن النار دائمةٌ أبدًا، وأن أهلها مخلدون فيها أبد الآباد، لا تخرب ولا يخرج منها أهلها، بل هم في عذاب دائم، وخلود دائم، وهي باقية مقيمة، ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾، لا تنتهي هكذا أخبر ربنا ﷻ في قوله ـ سبحانه ـ: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]، ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠].

ومن قال: إن لها أمدًا فهو قول ضعيف شاذ لا يعوَّل عليه عند

أهل السُّنَّة والجماعة. وأما العصاة من الموحدين فهؤلاء عند أهل السُّنَّة والجماعة إذا دخلوا النار لا يخلدون فيها، بل يقيمون فيها ما شاء الله ثم يخرجهم الله منها فضلًا منه ورحمة ﷻ؛ لأنهم ماتوا على التوحيد والإسلام لكن لهم معاصي ماتوا عليها لم يتوبوا منها، فهؤلاء إذا دخلوا النار لا يخلدون عند أهل السُّنَّة والجماعة خلافًا للخوارج وخلافًا للمعتزلة ومن سار على مذهبهم من أهل البدع. أما أهل السُّنَّة والجماعة فمجمعون إجماعًا قطعيًّا على أن العصاة لا يخلدون في النار بل لهم أمد ينتهون إليه؛ كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

في «الصحيحين» وغيرهما؛ أن الرسول ﷺ، يشفع للعصاة فيحد الله له حدًّا، ويخرجهم من النار، ثم يعود فيشفع، ثم يعود فيشفع، ثم يعود فيشفع، وفي كل مرة يحد الله له حدًّا فيخرجهم من النار، وهكذا الملائكة وهكذا المؤمنون، وهكذا الأفراط يشفعون، كما صحت به الأخبار عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ثم يبقى بقية في النار لم تشملهم الشفاعات فيخرجهم الله ـ سبحانه ـ برحمته ﷻ، كما صح بذلك الحديث عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهذا هو الحق الذي لا ريب فيه، وهو قول أهل السُّنَّة والجماعة قاطبة.

*

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

• **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا

مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾، هل يفهم من هذا أن من دخل الجنة يخرج منها إذا شاء الله؟ وهل نسخت هاتان الآيتان بشيء من القرآن إذ أنهما وردتا في سورة مكية[(١)]؟

أما السؤال والآيتان ليستا منسوختين بل هما محكمتان، وقوله ﷻ: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾، اختلف أهل العلم في بيان معنى ذلك مع إجماعهم بأن نعيم الجنة دائم أبدًا لا ينقضي ولا يزول ولا يخرجون منها، ولهذا قال بعده سبحانه: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ لإزالة ما قد يتوهم بعض الناس من أن هناك خروجًا، فهم خالدون فيها أبدًا وهذا العطاء غير مجذوذ؛ أي: غير مقطوع ولهذا في الآيات الأخرى يبين هذا المعنى فيقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٥، ٤٦]؛ قوله: آمنين؛ أي: أمن من الموت وأمن الخروج يعني: آمنين من الموت وآمنين من الخروج، وآمنين من الأمراض والأحزان وكل كدر، ولهذا قال ﷻ بعد ذلك: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٧، ٤٨] فهم فيها دائمون ولا يخرجون ولا يموتون. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥١ ـ ٥٧] فأخبر سبحانه أن أهل الجنة في مقام أمين لا يعتريه خراب ولا زوال، وأنهم آمنون أيضًا لا خطر عليهم من للموت ولا مرض ولا خروج ولا حزن ولا غير ذلك وأنهم لا يموتون فيها أبدًا؛ فعُلم بهذا أن أهل الجنة يخلدون، فقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾، قال بعض أهل العلم: معناه: مدة

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/١٩٦).

مقامهم في القبور ليسوا في الجنة وإن كان المؤمن في روضة من رياضها وفي نعيم الجنة لكن ذلك ليس هي الجنة وإنما هو شيء من الجنة، فإنه يفتح للمؤمن وهو في قبره باب إلى الجنة يأتيه من ريحها وطيبها ونعيمها، ولكنه ليس المحل الجنة وينقل بعد ذلك إلى الجنة فوق السماوات في أعلى شيء.

وقال بعضهم: معنى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾؛ يعني: مدة إقامتهم في موقف القيامة للحساب والجزاء، هذا مستثنى بعد خروجهم من القبور، فإنهم بعد ذلك يتنقلون إلى الجنة، وقال بعضهم: هو من الأمرين مدة بقائهم في القبور ومدة بقائهم في الموقف ومرورهم على الصراط هذه الأوقات كلها زائدة ليسوا في الجنة لكنهم ينقلون منها إلى الجنة؛ فقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾ يعني: إلا وقت مقامهم في القبور وإلا وقت مقامهم في الموقف وإلا وقت مرورهم على الصراط، فهم في هذه الحالة ليسوا في الجنة لكنهم منقولون إليها وسائرون إليها، وبهذا يُعلم أن المقام مقام واضح ليس فيه شبهة ولا شك ولا ريب؛ فأهل الجنة منعمون وخالدون أبد الآباد ولا موت ولا مرض ولا خروج ولا كدر ولا حزن ولا حيض ولا نفاس، بل في نعيم دائم وخير دائم. وهكذا أهل النار يخلدون فيها أبد الآباد لا يخرجون منها، ولا حُزنُ أيضًا هي بل تبقى وهم باقون فيها.

أما قوله ﷻ في حقهم: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾، فقيل: إن المراد بذلك مقامهم في المقابر، وقيل: مقامهم في الموقف مما تقدم في أهل الجنة، وهم بعد ذلك يساقون إلى النار ويخلدون فيها أبد الآباد، كما قال تعالى في حقهم في سورة البقرة: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقال سبحانه في سورة المائدة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [٣٧].

قال بعض السلف: إن النار لها أمد ولها نهاية بعدما يمضي عليها آلاف السنين والأحقاب الكثيرة أنها تنتهي وإنهم يموتون أو يخرجون، وهذا قول ليس بشيء عند أهل السُّنَّة والجماعة، قول ضعيف والذي عليه عموم أهل السُّنَّة والجماعة، وإجماع أهل السُّنَّة والجماعة أنها باقية أبد الآباد، وأنهم لا يخرجون منها وأنها لا تخرب أيضًا؛ بل هي باقية أبد الآباد في ظاهر القرآن الكريم وظاهر السُّنَّة عن النبي ﷺ. نسأل الله العافية والسلامة.

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ هذا من المشتبه، لهذا اختلف في تفسيرهم له وكلمته يقينًا أنه قبل دخولهم الجنة، فإن هذا مستثنى قبل دخولهم الجنة، فإما أن يراد به مقامهم في القبور أو مقامهم في موقف الحساب، وأما بعد دخولهم الجنة فلا يخرجون منها أبد الآباد بإجماع المسلمين.

* *

❑ تفسير الآية: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢][(١)].

هذه الآية الكريمة تتعلق بأمر الاستقامة، وما ذاك إلا لأن الواجب على كل مؤمن وعلى كل مؤمنة الاستقامة على أمر الله والثبات على دينه، والحذر من أسباب الانحراف والوقوع فيما حرَّم الله ﷻ، فالإسلام دين يجب أن يستمر حتى تلقى ربك، فلا بد من استقامة وصبر وثبات حتى الموت؛ ولهذا قال الله لنبيه: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: ١١٢]، فأمر الله نبيه أن يستقيم، وهو مستقيم عليه الصلاة والسلام، لكن ليعلم جميع الأمة أن هذا هو واجبهم، كما هو واجب على نبيهم أن

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (١/ ٢٠٣).

يستقيم، فعليهم أن يستقيموا؛ يعني: أن يثبتوا على الحق ويلزموه ولا يعوجوا عنه، يمينًا ولا شمالًا، وهو ما بعث الله به النبي بالهدى ودين الحق، من توحيد الله والإخلاص له، وطاعة أوامره وترك نواهيه، والوقوف عند حدوده، عن رغبة ورهبة وعن صدق وإيمان، هذه هي الاستقامة؛ يعني: لزوم الحق قولًا وعملًا، والثبات عليه والاستمرار على ذلك حتى تلقى ربك، ومن هذا قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢].

يمدح الله سبحانه المستقيمين من أوليائه وعباده، ويُخبر سبحانه عن جزائهم في الآخرة، حتى ينشط كل مؤمن وكل مؤمنة في الاستقامة والثبات، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾؛ يعني قالوا: إلـٰهنا ومعبودنا وخالقنا ورازقنا هو الله وحده ﷻ، ثم استقاموا على توحيده والإخلاص له، والتقرب إليه بما أمر وترك ما نهى، وثبتوا على هذا واستمروا عليه، هذه هي الاستقامة؛ يعني: اعترفوا بالحق قولًا وعملًا، وأن معبودهم الله وحده، وهو المعبود بالحق ﷻ، ثم استقاموا على مقتضى هذا الإيمان وهذا الاعتراف، استقاموا عليه استمروا وثبتوا على ترك ما حرم عليهم، وعلى فعل ما أوجب عليهم، والموالاة في ذلك، والمحبة في ذلك، والبغضاء في ذلك. أخبر عن جزائهم قال سبحانه: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾؛ يعني: عند الموت تقول لهم: لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون، فالله جل وعلا يبشرهم بهذا الخير على أيدي الملائكة قبل يوم القيامة، وهكذا عند قيامهم من قبورهم وبعثهم ونشورهم، يبشرون بهذا الخير العظيم: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ لا تخافوا مما أمامكم، ولا تحزنوا على ما خلَّفتم ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ

﴿تُوعَدُونَ﴾ التي وعد الله بها المتقين المؤمنين، أبشروا بها لاستقامتكم على دين الله وإيمانكم به، ثم يقول عن الملائكة تقول الملائكة: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ الملائكة أولياء المؤمنين، يدعون لهم، ويستغفرون لهم، ويحثونهم على الخير، ويرغبونهم فيه، هم أولياء المؤمنين في الدنيا وفي الآخرة، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾؛ يعني: في الجنة ﴿مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ ما تطلبون ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ هذا جزاء أهل الاستقامة، هكذا في سورة فصلت.

وفي سورة الأحقاف يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣ ـ ١٤]، فجدير بذي الرغبة والنفس المؤمنة والراغب في الخير أن يهتم بهذا الأمر، وأن يُعنى بالاستقامة، وأن يحذر الانحراف والميل إلى الباطل، فإنها مدة يسيرة ثم ينتقل عن هذه الدار ويلقى عمله، فيُسر بما قدم من الخير، ويحزن على ما قدم من شر، وهو لا يدري ما مدته في هذه الحياة، ومتى ينتهي منها، فالواجب أن يأخذ بالحيطة، وأن يعمر أوقاته بالاستقامة، ويحفظ أوقاته بالاستقامة، حتى يحمد العاقبة، وفي الحديث يقول ﷺ لسفيان بن عبد الله الثقفي لما قال: يا رسول الله: قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك؛ يعني: قولًا جامعًا، فقال له النبي ﷺ: «**قل: آمنت بالله ثم استقم**»(١)، هذا جامع، للخير قل: آمنت بالله ثم استقم؛ يعني: آمنت بالله ربًّا وإلـٰهًا ومعبودًا بالحق، ثم يستقيم على هذا الإيمان في طاعة الله وترك محارمه ﷻ، هذا هو القول الجامع، إيمان صادق لله وأنه إلـٰهك الحق، وإيمان بما شرع، وإيمان برسله، ثم استقامة على ذلك.

وجاء في الحديث: يقول ﷺ: «**قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه (٣/ ٤١٣ و٤/ ٣٨٤).

يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بعَمَلِهِ»[١]، وفي لفظ آخر: «**واعلموا أنه لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله**»[٢]، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمَّدني الله برحمة منه وفضل**»، هذا يُبين أن الأعمال أسباب ليست الموجبة، وإنما الموجب فضله وعفوه سبحانه وتعالى، الأمر بيده جل وعلا، العبد يأخذ بالأسباب من طاعة الله ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله، والله سبحانه هو المتفضل الذي يكتب له الرحمة ويقبل عمله ويغفر ذنبه ويدخله الجنة، فضلًا منه وإحسانًا، فالأعمال أسباب كما قال عز وجل: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]. فالأعمال الطيبة أسباب الجنة، والأعمال الخبيثة أسباب النار، والمعوَّل في دخول الجنة على عفوه سبحانه ورحمته وفضله، فليطمئن المؤمن إلى وعده العظيم، وأن يسأله سبحانه العفو والمغفرة، ولا يُعجب بعمله ولا يمن بعمله وليستقم على طاعة ربه مع التسديد والمقاربة؛ يعني: مع لزوم القصد وعدم الغلو وعدم التفريط، والمقاربة والتسديد معناه لزوم الطريق السوي، والسير على المنهج القويم، من دون إفراط ولا غلو، ومن دون تفريط وتقصير وجفاء، يكون بين ذلك، طاعة الأوامر وترك النواهي، من دون زيادة وغلو ومن دون جفاء وتقصير، فلا بدعة وزيادة، ولا جفاء وتقصير في طاعة الله، ولكن بين ذلك هذا الوسط هذا هو السداد والمقاربة.

*

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل برقم (٦٤٦٣)، ومسلم في كتاب الجنة والنار، باب لن يدخل الجنة أحد بعمله بل برحمة الله تعالى برقم (٢٨١٦).

(٢) أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب الجنة والنار، باب لن يدخل الجنة أحد بعمله بل برحمة الله تعالى برقم (٢٨١٨).

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود: ١١٤][1].

﴿وَزُلَفًا﴾ [١١٤]: ساعاتٍ بعد ساعاتٍ، ومنه سمّيت المزدلفة، الزّلف: منزلةٌ بعد منزلةٍ، وأمّا: ﴿زُلۡفَىٰٓ﴾ [سبأ: ٣٧]: فمصدرٌ من القربى، ازدلفوا: اجتمعوا، (أَزْلَفْنَا) [الشعراء: ٦٤]: جَمَعْنَا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى: أنّه سبحانه قد يملي للظّلمة ويمهلهم؛ لحكمةٍ بالغةٍ كما قال ﷻ: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢]، ويقول ﷻ: ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥].

ولهذا في هذا الحديث: «**إن الله ليملِي للظَّالِم** - يعني: ما يشاء - **حَتَّى إِذَا أخذَه لَمْ يفلتْه**»، ثمّ قرأ النّبيّ ﷺ قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

أمهل قوم نوحٍ، أمهل قوم هودٍ، أمهل قوم صالحٍ، أمهل قوم شعيبٍ، أمهل قوم لوطٍ، أمهل فرعون وقومه، أمهلهم مدةً طويلةً، ثمّ أخذهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهكذا أمهل قريشًا مدةً طويلةً، ثمّ أخذهم يوم بدرٍ، وقتل الله صناديدهم ورؤساءهم مع كثرتهم وقلة المسلمين، ثمّ أراهم الأمر العجيب، والآية العظيمة يوم الأحزاب، فما أغنى عنهم ذلك شيئًا، ثمّ أنزل الله في قلوبهم الرّعب، وفتح الله على نبيّه مكّة، وانقادوا لأمر الله، ودخلوا في دين الله أفواجًا.

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

• **س: شيخ أحسن الله إليك: المظلوم إذا عفا عن الظالم وأراد أن يرجع في عفوه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا ليس له الرجوع، من عفا مضى الأمر.

*

حدّثنا مسدّدٌ، حدّثنا يزيد، هو ابن زريع، حدّثنا سليمان التّيميّ، عن أبي عثمان، عن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رجلًا أصاب من امرأةٍ قبلةً، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأنزلت عليه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾، قال الرّجل: ألي هذه؟ قال: «**لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي**»[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا عامٌّ، كلّ من تاب إلى الله تاب الله عليه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾. وأحسن الحسنات توبته من شركه، وتوحيده لله، فإذا وقع منه الشّرك أو شيءٌ من المعاصي ـ ومن جملة ذلك تقبيل المرأة الأجنبية أو مسّها ـ فهو إذا تاب تاب الله عليه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

أجمع العلماء على أنّها في التائبين، وأن من تاب تاب الله عليه من الشّرك فما دونه بالنّدم والإقلاع والعزم الصّادق ألّا يعود؛ يمحو الله عنه

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ برقم (٤٦٨٧)، ومسلم في كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ برقم (٢٧٦٣).

ما سبق، الإسلام يجبّ ما قبله. وهكذا المعاصي التّوبة تجبّها من باب أولى.

● س: **الكفّارة هنا بالصّلاة أو...؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

توبته؛ جاء تائبًا نادمًا، التّوبة حسنةٌ من الحسنات، فهو جاء إلى الرّسول ﷺ يستفتيه تائبًا نادمًا مثل ما جاء ماعزٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

● س: **شيخ سلّمك الله: الرّجل يفعل الذّنب ثمّ يتوب فيرجع يفعل الذّنب، ثمّ يتوب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هكذا يتوب الله عليه ولو ألف مرّةٍ إذا كان صادقًا، أمّا إذا كان متلاعبًا لا، ما تسمّى توبةً، لكن تاب توبةً صادقةً ثمّ بلي، ثمّ تاب توبة صادقةً، ثمّ بلي هذا المعنى. وابن آدم ضعيفٌ، ضعيفٌ جدًّا: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النّساء: ٢٨] هذا من رحمة الله.

● س: **ورد في «صحيح مسلم» أن الرّجل أتاه فقال له النّبيّ ﷺ: «ألم تَخْرُج من بيتِك متطهرًا فصليت معنا؟» قال: نعم. قال: «فذَاكَ»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم، جاء تائبًا نادمًا.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٨، ١١٩][(١)].

ليس في هذا إشكال، الله ـ سبحانه ـ هو الحكيم العليم، ولو شاء

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/٢٠٦).

لجمع الناس على الهدى، كما قال ﷻ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]؛ فالله ـ سبحانه ـ لو شاء لهداهم أجمعين ﷻ، ولكن له الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، في إدخال من عصاه وخالف أمره وأشرك به سبحانه النار، لظلمه لنفسه، وتعديه حدود ربه، ومخالفة ما جاءت به الرسل، وله الحكمة البالغة والفضل الواسع على أوليائه وأهل طاعته في إدخالهم الجنة، وإنجائهم من النار؛ لأنهم أطاعوا أمره، واتبعوا شريعته، ووقفوا عند حدوده، فجزاهم سبحانه أحسن الجزاء. فهو ﷻ قد خلقهم ليرحمهم، خلقهم لإدخالهم الجنة وإنجائهم من النار إذا قاموا بحقه، واستقاموا على دينه، فإن خرجوا عن طاعته وخرجوا عما أمرهم به فقد توعدهم بالنار جزاءً وفاقًا لأعمالهم القبيحة، وخروجهم عن طاعة ربهم ﷻ، واتباعهم لأهوائهم قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧ ـ ٣٩]، وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، فهم مؤاخذون بأعمالهم القبيحة من كفرٍ ونفاق ومعاصي، كما أن أهل الجنة مجزيون بأعمالهم الطيبة، وطاعتهم لربهم، وإحسانهم في خدمته سبحانه، جازاهم ﷻ كرامته، وإدخالهم جنته، والنظر إلى وجهه الكريم يوم القيامة وهم في دار النعيم، فضلًا منه وإحسانًا، فهذا فضله ﷻ، ولهذا قال ﷻ: ﴿...وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾ فالمرحومون هم أهل السعادة والنجاة، وهم الذين خلقوا ليرحمهم ﷻ في توفيقه وهدايته ﷻ، وأولئك حرموا هذه الرحمة وحرموا هذا الخير بأعمالهم القبيحة، وابتعادهم عن طاعته، وإيثارهم أهوائهم، فلما فعلوا ذلك استحقوا نقمته وغضبه ﷻ.

والاختلاف واقع ومكتوب عليهم بسبب ما يقدمونه من أعمال

سيئة، وبسبب اتباعهم لأهوائهم وشهواتهم وإيثارها على الحق، وقع الاختلاف، فمن رحمه الله سلم من ذلك واتبع الحق، ومن لم يوفق لرحمة الله، ولم يهد لسبيل الهدى بقي في ضلاله وعماه واختلافهم، نسأل الله العافية ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] بل يجازيهم بأعمالهم، فمن عمل الصالحات وتابع المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وتابع من قبلهم من الرسل رزقوا من ربهم فضله وإحسانه، وفازوا بجنته وكرامته. ومن تابع الهوى وعصى الرسل وآثر الدنيا على الآخرة باء بالخيبة والندامة، واستحق العقاب من ربه ﷻ على عمله الخبيث، وعلى انحرافه عن طاعة مولاه ﷻ.



تفسير آيات من سورة يوسف(١)

وقال فضيلٌ عن حصينٍ، عن مجاهدٍ ﴿مُتَّكَأً﴾ [٣١]: الأترجّ بالحبشيّة: متكأً، وقال ابن عيينة عن رجلٍ، عن مجاهدٍ: متكأً: كلّ شيءٍ قطع بالسّكّين، وقال قتادة: ﴿لَذُو عِلْمٍ﴾ [٦٨]: عاملٌ بما علم، وقال سعيد بن جبيرٍ: ﴿صُوَاعَ﴾ [٧٢]: مكّوك الفارسيّ الّذي يلتقي طرفاه، كانت تشرب به الأعاجم، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿تُفَنِّدُونِ﴾ [٩٤]: تجهّلن، وقال غيره: ﴿غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ [١٠، ١٥]: كلّ شيء غيّب عنك شيئًا فهو غيابةٌ، والجبّ: الرّكيّة الّتي لم تطو، ﴿بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [١٧]: بمصدّقٍ، ﴿أَشُدَّهُۥ﴾ [٢٢]: قبل أن يأخذ في النّقصان، يقال: بلغ أشدّه، وبلغوا أشدّهم، وقال بعضهم: واحدها شدٌّ، والمتّكأ ما اتّكأت عليه لشرابٍ، أو لحديثٍ، أو لطعامٍ وأبطل الّذي قال: الأترجّ، وليس في كلام العرب الأترجّ، فلمّا احتجّ عليهم بأنّه المتّكأ من نمارق، فرّوا إلى شرٍّ منه، فقالوا: إنّما هو المتك ساكنة التّاء، وإنّما المتك طرف البظر، ومن ذلك قيل لها: متكاء، وابن المتكاء، فإن كان ثمّ أترجٌّ فإنّه بعد المتّكأ، ﴿شَغَفَهَا﴾ [٣٠]: يقال: بلغ إلى شغافها، وهو غلاف قلبها، وأمّا شعفها فمن المشعوف، ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ [٣٣]: أميل إليهن حبًّا، ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ [٤٤]: ما لا تأويل له، والضّغث: ملء اليد من حشيشٍ، وما أشبهه، ومنه: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ [ص: ٤٤]: لا من قوله: ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ [٤٤]

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

واحدها ضغثٌ، (نَمِيرُ) [٦٥]: من الميرة، ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ [٦٥]: ما يحمل بعيرٌ، ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ [٦٩]: ضمّ إليه، ﴿ٱلسِّقَايَةَ﴾ [٧٠]: مكيالٌ، ﴿تَفْتَؤُاْ﴾ [٨٥]: لا تزال، ﴿ٱسْتَيْـَٔسُواْ﴾ [٨٠]: يئسوا، ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [٨٧]: معناه: الرّجاء، ﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ [٨٠]: اعتزلوا نجيًّا، والجمع: أنجية يتناجون، الواحد: نجي، والاثنان والجمع: نجًى وأنجية، ﴿حَرَضًا﴾ [٨٥]: محرضًا يذيبك الهمّ، (تَحَسَّسُوا) [٨٧]: تخبّروا، ﴿مُّزْجَىٰةٍ﴾ [٨٨]: قليلةٍ، ﴿غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [١٠٧]: عامّةٌ مجلّلةٌ.

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [يوسف: ٦][١]

حدّثنا عبد الله بن محمّدٍ، حدّثنا عبد الصّمد، عن عبد الرّحمن بن عبد الله بن دينارٍ، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النّبيّ ﷺ قال: «**الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ**»[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

في اللّفظ الآخر لما سئل: من أكرم النّاس؟ قال: «**أتقاهم**»؛ لقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾؛ فقال السّائل: ليس عن هذا أسأل. قال: «فاسأل نعم، (الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام)»، عليه وعلى آبائه الصّلاة والسّلام.

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ...﴾ برقم (٤٦٨٨).

المقصود: أنّ أكرم النّاس وأرفعهم عند الله منزلةً، وأحسنهم عنده عاقبةً وأتقاهم من الأنبياء وغيرهم ومن أتباعهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾.

من كان أتقى لله في ترك محارمه، وأداء فرائضه والوقوف عند حدوده، والنفع لعباده كان أكرم عند الله ﷻ، وأرفع درجةً.

ولهذا تفاوت الرّسل والأنبياء والمؤمنون في المنازل على حسب تفاوتهم في التّقوى.

والتّقوى هي: توحيد الله وطاعته وترك معصيته، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ﴾ [الطور: ١٧]، ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ [النّساء: ١]، بمعنى: اعبدوا ربّكم وآمنوا به، واستقيموا على طاعته، خاضعين ذليلين منكسرين، هكذا تكون العبادة والتّقوى في تعظيم الله والإخلاص له، والانكسار بين يديه، والتّذلّل والإيمان الكامل بكلّ ما أخبر به الرّسول ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ. مع صدق العمل.

● **س: أحسن الله إليك: ذكر أنّه أكرم النّاس من جهة النّسب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الله أعلم بقصده، لكن ظاهر السّؤال أنّه يريد عن الدّين، وإلّا فالنّبيّ ﷺ أخبر عمّا يتعلّق بالدّين، أعرض عن مسألة الأنساب: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ كما قال ﷻ. الأنساب ما لها قيمةٌ، أبو لهبٍ من بيت النّبيّ ﷺ، وهو وزوجته في النّار، وهو من بني هاشمٍ، وأبو طالبٍ من بني هاشمٍ، ونصر النّبيّ ﷺ وأحاطه، ثمّ مات على الكفر والضّلال فصار من أهل النّار.

فالأنساب مثل ما قال ﷻ: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المُؤْمِنُونَ: ١٠١]، الأنساب والأموال ما لها قيمةٌ؛ قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

من أكثر النّاس مالًا قارون قد خسف الله به وبداره الأرض، ومن أكثر النّاس مالًا وعتادًا وقوةً فرعون قد أغرقه الله وجنده.

● **س: أحسن الله إليك: يعني: يقول الشّارح: «ومعنى قوله: أكرم النّاس»؛ أي: من جهة النّسب، ولا يلزم من ذلك أن يكون أفضل من غيره مطلقًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ليس بالظّاهر، والله أعلم، وقد يقال: يتعلق؛ لأنّه قال بعدها ـ لما قال ليس عن هذا نسألك ـ فقال: «**فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّة خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَام، إِذَا فَقُهُوا**»[(١)].

خيارهم في الجاهليّة هم أهل الجود والكرم، وحمل الضّيم، ونصر المظلوم، وإعانة الفقير هم خيار النّاس في الجاهليّة.

وهكذا في الإسلام إذا قاموا بهذه الأعمال فهم خيار الناس في الإسلام، فالّذين قالوا: إنه يسأل عن النّسب أخذوه من قوله: ليس عن هذا نسألك. حتّى قال: «**فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّة خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَام، إِذَا فَقُهُوا**».

هذا وجه حمل السّؤال على النّسب، أنّه يسأل عن الأنساب؛ لأنّه لم يقتصر على الجواب؛ لمّا قال له النّبيّ ﷺ: «**أتقاهم**»، وقال له عن

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ برقم (٣٣٥٣)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل يوسف برقم (٢٣٧٨).

يوسف ﷺ؛ فقال: «**فَعَنْ مَعَادِنِ النَّاس تَسْأَلُونِي...**» كلّه يدور على الخير، على التّقوى والإيمان.

□ تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ [يوسف: ٧](١).

حدّثني محمّدٌ، أخبرنا عبدة عن عبيد الله، عن سعيد بن أبي سعيدٍ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أيّ النّاس أكرم؟ قال: «**أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاهُمْ**» قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «**فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللهِ**»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «**فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟**» قالوا: نعم، قال: «**فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا**»، تابعه أبو أسامة، عن عبيد الله.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨](٢)

﴿سَوَّلَتْ﴾: زيّنت.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

بهذا عرف مقصود السّائل، عن معادن العرب، أيّ معادنهم أفضل؟ فأعرض النّبيّ ﷺ عن المعادن وأخبرهم بالأمر العظيم الّذي به التزكية، وهو أن خيارهم في الجاهليّة خيارهم في الإسلام، سواء

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.
(٢) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

من قريشٍ، أو من قحطان، أو من زيدٍ، أو من عمرٍو؛ المهم عملهم الطّيّب.

● **س: (من المعادن) النسب يعني؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: أصولهم من قبائلهم.

● **س:** ...؟[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقت العمل ليسوا بأنبياء، لكن كونهم نبّئوا بعدها الله أعلم، أمّا وقت العملية فليسوا بأنبياء، ويتنزّه الأنبياء عن عملهم، لكن بعد التّوبة وبعد الرّجوع، كون الله أوحى إليهم الله أعلم يحتاج إلى دليلٍ.

* * *

حدّثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدّثنا إبراهيم بن سعدٍ، عن صالحٍ، عن ابن شهابٍ، (ح)، قال: وحدّثنا الحجّاج، حدّثنا عبد الله بن عمر النّميريّ، حدّثنا يونس بن يزيد الأيليّ قال: سمعت الزّهريّ، سمعت عروة بن الزّبير، وسعيد بن المسيّب، وعلقمة بن وقّاصٍ، وعبيد الله بن عبد الله، عن حديث عائشة زوج النّبيّ ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرّأها الله، كلٌّ حدّثني طائفةً من الحديث: قال النّبيّ ﷺ: «**إِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ، وَتُوبِي إِلَيْهِ**»، قلت: إنّي والله لا أجد مثلًا إلّا أبا يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾، وأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور: ١١] العشر الآيات[٢].

---

(١) غير مسموع بالأصل، والذي يظهر أن السائل يسأل عن نبوة إخوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ برقم (٤٦٩٠)، ومسلم في كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف برقم (٢٧٧٠).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يدلّ على الفقه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فإنّها لما قال لها ﷺ: (**إِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ**)؛ فقالت لأبيها: أجيبوا رسول الله. قال أبوها: ماذا أقول؟ وقالت أمّها كذلك، فلمّا اعتذر قالت: ما أعلم لي ولكم مثلًا إلّا ما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾، فأنزل الله براءتها من فوق سبع سمٰوات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. الله أكبر.

❊

حدّثنا موسى، حدّثنا أبو عوانة عن حصينٍ، عن أبي وائلٍ، قال: حدّثني مسروق بن الأجدع قال: حدّثتني أمّ رومان، وهي أمّ عائشة، قالت: بينا أنا وعائشة أخذتها الحمّى، فقال النّبيّ ﷺ: «لَعَلَّ فِي حَدِيثٍ تُحُدِّثَ؟» قالت: نعم، وقعدت عائشة، قالت: «مثلي ومثلكم كيعقوب وبنيه، ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾»[١].

❊

□ **بيان المراد من قوله تعالى:** ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١][٢].

● **س: سائلة من الطائف تسأل عن قول الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ برقم (٤٦٩١).

(٢) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

أَمْرِهِۦ﴾ هل كلمة ﴿غَالِبٌ﴾ صفة من صفات الله؟ وما معنى هذه الآية، جزاكم الله خيرًا؟[١].

○ **الجواب**: معناها: أنه سبحانه غالب على أمره، ولا يهزمه الناس، بل ما شاءه كان ونفذ، وإن لم يرض الناس، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

فمشيئته نافذة ﷻ، فإذا قال: ما شاء الله ولا قوة إلا بالله، فهذا الكلام طيب، والله سبحانه هو الغالب على أمره؛ يعني: مشيئته نافذة، إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن، فيكون، فليس لأحد أن يغلبه، لا يغلبه أحد، بل ما شاءه نفذ وإن لم يرضَ الناس، سواء كان ذلك الشيء إماتة إنسان أو نصر قوم أو هزيمتهم، أو غير ذلك، من الشؤون، أمره غالب ﷻ، أمره ﷻ هو الغالب لأمر الناس، لا يغلبه شيء ﷻ، وكلمة غالب صفة من صفات الله ﷻ.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣][٢]

وقال عكرمة: هيت لك بالحورانيّة: هلمّ، وقال ابن جبيرٍ: تعاله.

حدّثني أحمد بن سعيدٍ، حدّثنا بشر بن عمر، حدّثنا شعبة، عن

---

(١) برنامج نور على الدرب، السؤال الحادي والثلاثون من الشريط رقم (٣٢٥) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٠٩).

(٢) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

سليمان، عن أبي وائلٍ، عن عبد الله بن مسعودٍ قال: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ قال: «وإنّما نقرؤها كما علّمناها، ﴿مَثْوَنهُ﴾ [٢١]: مقامه، (أَلْفَيَا) [٢٥]: وجدا، ﴿أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ﴾ [الصافات: ٦٩] ﴿أَلْفَيْنَا﴾ [البقرة: ١٧٠]، وعن ابن مسعودٍ: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢]»(١).

حدّثنا الحميديّ، حدّثنا سفيان، عن الأعمش عن مسلم، عن مسروقٍ، عن عبد الله رضي الله عنه أنّ قريشًا لمّا أبطؤوا عن رسول الله ﷺ بالإسلام قال: «**اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ، فَأَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ، حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا مِثْلَ الدُّخَانِ، قال اللهُ:** ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠]، **قال الله:** ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥]، **أَفَيُكْشَفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَدْ مَضَى الدُّخَانُ، وَمَضَتِ الْبَطْشَةُ**»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يعني: الدّخان الّذي وقع لقريشٍ غير الدخان الّذي وعد الله به في آخر الزّمان، هذا دخانٌ آخر، ولهذا ردّ عليه ابن مسعودٍ رضي الله عنه: أنّ هذا الدخان يوم القيامة يكشف.

الحاصل: أنّه دخانٌ أصاب قريشًا.

*

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾... إلخ برقم (٤٦٩٢).

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾... إلخ برقم (٤٦٩٣)، ومسلم في كتاب الجنة والنار، باب الدخان برقم (٢٧٩٨).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤][1].

يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ همَّ بها وهمَّت به بعد المراودة، لكن الله عصمه وحماه منها، وسَلِمَ، وهذا البرهان لم يرد فيه نص واضح، شيء أراه الله إيّاه حتى انكفَّ عن هذا الأمر، ولم يُقْدِم عليه، وحماه الله من ذلك؛ لأنه كان من عباد الله المخلَصين، الذين خلصهم الله لعبادته وطاعته ونبوته ـ عليه الصلاة والسلام ـ، قال بعض السلف: إنه رأى صورة يعقوب أمامه، وقال قوم آخرون: شيء آخر غير ذلك، المقصود: أن هذا البرهان، لم يرد فيه عن النبي ﷺ ما يفسِّره، وأقوال بني إسرائيل لا يُعوَّل عليها، هو برهان أراه الله إيَّاه، أوجب له الكفّ والحذر؛ لأنَّ الله جعله من عباده المخلَصين، الذين يُطَهَّرُون عن مثل هذا الأمر، ولهذا قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾؛ يعني: المُطَهَّرين من هذه الفواحش.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[2]: على ظاهرها، لما اشتدت المراودة منها، همَّ بها وهمَّت به، لكن الله عصمه وحفظه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ورأى برهانًا منعه من ذلك، فهذا من فضل الله عليه، أمَّا قول بعض الناس أنه همَّ بضربها، فهذا ما له أصل، ليس بشيء، همَّ بها؛ يعني: بالفاحشة، إلا أن الله حفظه وصانه؛ لأنه من عباد الله المخلَصين، وسَلِم من شرّها، والحمد لله.

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢١١).

(٢) السؤال الرابع والعشرون من الشريط رقم (٤٠٣) من نور على درب.

❏ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝٥٠ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٥٠ ـ ٥١][1]

وحاش، وحاشى: تنزيهٌ، واستثناءٌ، ﴿حَصْحَصَ﴾ [٥١]: وَضَحَ.

● **س: مجيء المؤلف بآية الصافات** ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝١٢﴾ **[الصافات: ١٢] مناسبتها هنا؛ والترجمة** ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف: ٢٣] **ذكر الآية من سورة يوسف ثُمَّ قال: وعن ابْن مَسْعُودٍ** رضي الله عنه: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝١٢﴾ [الصافات: ١٢]؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الله أعلم. تكلّم عليه الشّارح؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رحمه الله في «الفتح» (٨/ ٣٦٤)]: «قوله: (عن عبد الله بن مسعود قال: هَيْتَ لَكَ وقال: إنّما نقرؤها كما علّمناها): هكذا أورده مختصرًا، وأخرجه عبد الرّزّاق عن الثّوريّ عن الأعمش بلفظ: إنّي سمعت القراء فسمعتهم متقاربين فاقرءوا كما علَّمتم، وإيّاكم والتّنطّع والاختلاف؛ فإنّما هو كقول الرّجل: هلمّ وتعال، ثمّ قرأ: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾، فقلت: إنّ ناسًا يقرءونها: «هيت لك» قال: لا، لأن أقرأها كما علِّمت أحبّ إليّ. وكذا أخرجه ابن مردويه من طريق شيبان، وزائدةٌ عن الأعمش نحوه. ومن طريق طلحة بن مصرّفٍ عن أبي وائل أن ابن مسعودٍ قرأها: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ بالفتح.

ومن طريق سليمان التّيميّ عن الأعمش بإسناده لكن قال: بالضّمّ، وروى عبد بن حميدٍ من طريق أبي وائلٍ قال: قرأها عبد الله بالفتح، فقلت له: إنّ النّاس يقرءونها بالضّمّ... فذكره. وهذا أقوى.

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

قلت: وقراءة ابن مسعودٍ بكسر الهاء وبالضّمّ وبالفتح بغير همزٍ، وروى عبد بن حميدٍ عن أبي وائلٍ أنّه كان يقرؤها كذلك، لكن بالهمز، وقد تقدّم إنكار أبي عمرٍو ذلك.

لكن ثبت ما أنكره في قراءة هشامٍ في السّبعة، وجاء عنه الضّم والفتح أيضًا، وقرأ ابن كثير بفتح الهاء وبالضم، وقرأ نافع وابن ذكوان بكسر أوّله وفتح آخره، وقرأ الجمهور بفتحهما، وقرأ ابن محيصنٍ بفتح أوّله وكسر آخره، وهي عن ابن عبّاس أيضًا، والحسن. وقرأ ابن أبي إسحاق أحد مشايخ النّحو بالبصرة بكسر أوّله وضمّ آخره، وحكى النّحّاس أنّه قرأ بكسرهما.

وأمّا ما نقل عن عكرمة أنّها بالحورانيّة فقد وافقه عليه الكسائيّ والفرّاء وغيرهما كما تقدّم. وعن السّدّيّ أنّها لغةٌ قبطيّةٌ معناها: هلمّ لك، وعن الحسن أنّها بالسّريانيّة كذلك. وقال أبو زيدٍ الأنصاريّ: هي بالعبرانيّة وأصلها هيت لج؛ أي: تعاله، فعرّبت.

وقال الجمهور: هي عربيّةٌ معناها: الحثّ على الإقبال، والله أعلم.

قوله: (مثواه مقامه): ثبت هذا لأبي ذرٍّ وحده، وكذا الّذي بعده. قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَنٰهُ﴾؛ أي: مقامه الّذي ثوّاه، ويقال لمن نزل عليه الشّخص ضيفًا: أبو مثواه.

قوله: (وألفيا وجدا): ﴿أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ﴾ وألفى، قال أبو عبيدة في قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾؛ أي: وجداه. وفي قوله: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ﴾؛ أي: وجدوا، وفي قوله: ألفى؛ أي: وجد.

قوله: (وعن ابن مسعود: بل عجبت ويسخرون): هكذا وقع في هذا الموضع معطوفًا على الإسناد الّذي قبله، وقد وصله الحاكم في «المستدرك» من طريق جريرٍ عن الأعمش بهذا.

وقد أشكلت مناسبة إيراد هذه الآية في هذا الموضع؛ فإنّها من سورة (والصّافّات) وليس في هذه السّورة من معناها شيءٌ، لكن أورد البخاريّ في الباب حديث عبد الله وهو ابن مسعودٍ: أنّ قريشًا لمّا أبطئوا على النّبيّ ﷺ قال: «**اللّهمّ اكفنيهم بسبعٍ كسبع يوسف...**» الحديث. ولا تظهر مناسبته أيضًا للتّرجمة المذكورة وهي قوله: «باب قوله: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾».

وقد تكلّف لها أبو الإصبع عيسى بن سهلٍ في شرحه فيما نقلته من رحلة أبي عبد الله بن رشيدٍ عنه ما ملخّصه: ترجم البخاريّ باب قوله: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ وأدخل حديث ابن مسعودٍ: أنّ قريشًا لمّا أبطئوا... الحديث، وأورد قبل ذلك في التّرجمة عن ابن مسعود: ﴿بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ۝١٢﴾.

قال: فانتهى إلى موضع الفائدة ولم يذكرها، وهو قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ۝١٣ وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ﴾ [الصافات: ١٣، ١٤]. قال: ويؤخذ من ذلك مناسبة التّبويب المذكورة، ووجهه أنّه شبّه ما عرض ليوسف عليه السلام مع إخوته ومع امرأة العزيز بما عرض لمحمّدٍ ﷺ مع قومه حين أخرجوه من وطنه، كما أخرج يوسف عليه السلام إخوته وباعوه لمن استعبده، فلم يعنّف النّبيّ ﷺ قومه لمّا فتح مكّة كما لم يعنّف يوسف إخوته حين قالوا له: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ [يوسف: ٩١].

ودعا النّبيّ ﷺ بالمطر لمّا سأله أبو سفيان أن يستسقي لهم، كما دعا يوسف لإخوته لمّا جاءوه نادمين فقال: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾ [يوسف: ٩٢].

قال: فمعنى الآية: بل عجبت من حلمي عنهم مع سخريتهم بك وتماديهم على غيّهم، وعلى قراءة ابن مسعودٍ بالضّمّ: (بل عجبت) من حلمك عن قومك إذ أتوك متوسّلين بك، فدعوت فكشف عنهم، وذلك

كحلم يوسف عن إخوته إذ أتوه محتاجين، وكحلمه عن امرأة العزيز حيث أغرت به سيّدها وكذبت عليه، ثمّ سجنته، ثمّ عفا عنها بعد ذلك ولم يؤاخذها.

قال: فظهر تناسب هاتين الآيتين في المعنى مع بُعد الظّاهر بينهما.

قال: ومثل هذا كثيرٌ في كتابه ممّا عابه به من لم يفتح الله عليه، والله المستعان.

ومن تمام ذلك أن يقال: تظهر المناسبة أيضًا بين القصّتين من قوله في الصّافّات: ﴿وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ [الصافات: ١٤]؛ فإنّ فيها إشارة إلى تماديهم على كفرهم وغيّهم، ومن قوله في قصّة يوسف: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا ٱلْآيَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥].

وقول البخاريّ: «وعن ابن مسعودٍ»: هو موصولٌ بالإسناد الّذي قبله، وقد روى الطّبريّ وابن أبي حاتمٍ من طريق الأعمش عن أبي وائلٍ، عن شريحٍ أنّه أنكر قراءة: «عجبت» بالضّمّ ويقول: إنّ الله لا يعجب وإنّما يعجب من لا يعلم. قال: فذكرته لإبراهيم النّخعيّ؛ فقال: إنّ شريحًا كان معجبًا برأيه، وإن ابن مسعودٍ كان يقرؤها بالضّمّ وهو أعلم منه.

قال الكرمانيّ: أورد البخاريّ هذه الكلمة، وإن كانت في الصّافّات هنا إشارةٌ إلى أنّ ابن مسعودٍ كان يقرؤها بالضّمّ كما يقرأ «هيت» بالضّمّ. انتهى.

وهي مناسبةٌ لا بأس بها، إلّا أن الّذي تقدّم عن ابن سهلٍ أدقّ، والله أعلم.

وقرأ بالضّمّ أيضًا سعيد بن جبيرٍ، وحمزة، والكسائيّ، والباقون بالفتح، وهو ظاهرٌ، وهو ضمير الرّسول، وبه صرّح قتادة.

ويحتمل أن يراد به كلّ من يصحّ منه، وأمّا الضّمّ فحكاية شريحٍ

تدلّ على أنّه حمله على الله، وليس لإنكاره معنًى؛ لأنّه إذا ثبت حمل على ما يليق به سبحانه وتعالى.

ويحتمل أن يكون مصروفًا للسّامع؛ أي: قل بل عجبت ويسخرون، والأوّل هو المعتمد». [انتهى كلامه].

● **س: قوله: (والأول أدق) كأنّه أشار في كلام سابق؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

(بل عجبت)؛ يعني: محمّدًا ﷺ.

قال العيني رحمه الله في «عمدة القاري» (١٨/ ٣٠٧): «مطابقته للتّرجمة من حيث إن في نفس الحديث: فأتاه أبو سفيان فقال: يا محمّد، إنّك تأمر بطاعة الله، وبصلة الرّحم، وإنّ قومك قد هلكوا فادع الله لهم... الحديث.

وقد مضى في كتاب الاستسقاء في باب دعاء النّبيّ ﷺ: «**اجْعَلْهَا سِنِين كَسِنِي يُوسُفَ**»؛ فدعا لهم بكشف العذاب، ففيه أنّه عفا عن قومه، كما أن يوسف عليه السلام عفا عن زليخا». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: الله أعلم.

*

حدّثنا سعيد بن تليدٍ، حدّثنا عبد الرّحمن بن القاسم، عن بكر بن مضر، عن عمرو بن الحارث، عن يونس بن يزيد، عن ابن شهابٍ، عن سعيد بن المسيّب وأبي سلمة بن عبد الرّحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَرْحَمُ اللهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لأَجَبْتُ الدَّاعِيَ، وَنَحْنُ أَحَقُّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قال لَهُ:** ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]»[1].

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب أحاديث =

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من التّواضع، من تواضعه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

والمقصود: لوطٌ من جهة قومه لا من جهة الله، ولكن أراد النّبيّ ﷺ التّنبيه على أنّه يأوي إلى ركنٍ شديدٍ من جهة الله ﷻ، ولكن هو لوط قصد من جهة قومه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

● **س: أحسن الله إليك: من معجزات يوسف** عَلَيْهِ السَّلَامُ **تعبير الرؤى؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

من معجزاته، لكن معجزاته فوق ذلك، معجزات الأنبياء فوق ذلك.

● **س: قوله: «فارجع إلى ربّك»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

السيد؛ يعني: جائزٌ في شرعهم، أمّا في شرعنا فنهي أن يقال ربّك: «**لا يقل أحدكم: اسق ربّك، أطعم ربّك، وضّئ ربّك، ولا يقل أحدكم: ربّي، وليقل: سيّدي مولاي**»، لكن هنا يدلّ على أنّه جائزٌ في شرعهم، ربّ الشّيء مالكه، ولكن تعظيمًا لله ﷻ؛ لأنّه اسمٌ من أسمائه العظيمة، جاء في الحديث: «**لا يقولنَّ أَحَدُكُمْ، أَطْعِمْ: رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي ومَوْلَايَ**»(١). اللّهمّ صلّ على محمّد وسلّم.

= الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ [يوسف: ٧] برقم (٣٣٨٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة برقم (١٥١).

(١) متفق عليه، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب العتق، باب كراهة التطاول على الرقيق... برقم (٢٥٥٢)، ومسلم في كتاب الألفاظ من الأدب، باب كلمة إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد برقم (٢٢٤٩).

● س: (ربّ الأسرة) يجوز؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، ربّ الأسرة، لكن كونه يقال: صاحبها على ما جاء في الحديث، لعلّه أحسن، ما جاء فيه شيءٌ، لكن لعلّه يلحق بقول النّبيّ ﷺ: «**لَا يَقُوْلن أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ...**»، وإن كان ما هو مثله؛ لأنّ (ربّك) للخطاب، كاف الخطاب، فربّ الأسرة مثل ربّ الدّابّة، لا يضرّ، لا بأس، ربّ الدّابّة؛ يعني: مالك الدّابّة، ربّ البيت: صاحب البيت، فالأمر فيها واسعٌ جائزٌ بخلاف الكاف «ربك» لا يستعمل.

□ **قوله تعالى:** ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَـٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾ [يوسف: ٦٥][(١)].

يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ أمر فتيانه أن يجعلوا بضاعة إخوته في متاعهم؛ حتى يستعينوا بها على الرجوع للميرة بأخيهم الذي طلب منهم أن يأتوا به: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَـٰعَهُمْ﴾ المتاع: الأثاث الذي معهم في المزاود والخروج التي فيها حاجاتهم، يقال لها: المتاع، وجدوا الدراهم معهم، فقالوا: ما نبغي؟ ما لنا حجّة في هذا، معنا فلوس، نستطيع أن نرجع ونشتري مرة أخرى، ومع هذا نزداد كيل بعير، إذا كان معنا أخونا، هناك الابن العاشر، يكون عندهم عشرة أحمال، فطلبوا من أبيهم أن يرسله معهم، ما دامت النقود موجودة، ويزدادون حمل بعير، هذا فيه مصلحة، الدراهم موجودة ووجود الأخ معهم، يحقق رغبة يوسف ـ عليه

(١) السؤال العاشر من الشريط رقم (٢٨٢)، فتاوى نور على الدرب ج٢٧ (ص٢١٢).

الصلاة والسلام ـ، مع هذا يزدادون كيل بعير، هذا هو على ظنهم أنه يرجع معهم بحمل.

* * *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧][1].

المعنى: النهي عن اليأس من رحمة الله وإحسانه وجوده، روح الله رحمته وإحسانه إلى عباده، وإنعامه عليهم ﷻ، الإنسان منهيّ عن اليأس، يقول ﷻ في الآية الأخرى: ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٥٣]، فسَّرها بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٥٣]، وفي سورة يوسف: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ﴾؛ يعني: رحمته وإحسانه وفَرَجَهُ وتيسيره.

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦][2].

قد أوضح العلماء معناها؛ كابن عباس وغيره.

وإن معناها: أن المشركين إذا سئلوا عمن خلق السمٰوات والأرض ومن خلقهم: يقولون: الله، وهم مع هذا يعبدون الأصنام والأوثان؛ كاللات والعزى ونحوهما، ويستغيثون بها، وينذرون ويذبحون لها.

---

(١) من برنامج نور على الدرب، رقم الحلقة (٥٥٩/ ١).

(٢) نشر في مجلة الدعوة، في العدد (١٤٨٣)، بتاريخ ١٥/ ١٠/ ١٤١٥هـ. والمجموع (٢٤/ ٢٤٨).

فإيمانهم هذا هو: توحيد الربوبية، ويبطل ويفسد بشركهم بالله ـ تعالى ـ ولا ينفعهم؛ فأبو جهل وأشباهه يؤمنون بأن الله خالقهم ورازقهم، وخالق السماوات والأرض، ولكن لم ينفعهم هذا الإيمان؛ لأنهم أشركوا بعبادة الأصنام والأوثان.

هذا هو معنى الآية عند أهل العلم.

*

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨][(١)].

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، **أما بعد:**

فقد سمعنا هذه الكلمات المباركات المتعلقة بقوله ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

من صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمٰن بن حماد آل عمر، جزاه الله خيرًا، وبارك فيه، وزادنا وإياكم وإياه علمًا وهدًى وتوفيقًا.

لا ريب أن هذه الآية كما أشار فضيلته دليل واضح على وجوب الإخلاص لله في الدعوة إليه ﷻ؛ لأن الدعوة إلى الله عبادة يجب أن تكون لله وحده كسائر العبادات؛ فلهذا قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وقال ﷻ: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص: ٨٧]، وهنا يقول سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾؛ أي: قل يا أيها الرسول للناس هذه

---

(١) حديث المساء (ص١١٣) ط٣ ـ ١٤٣٦هـ.

سبيلي: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ هذه سبيلي التي أنا عليها أسير وأعمل وأوجِّه، أدعو إلى الله على بصيرة، أدعو إلى الله؛ إلى عبادته وحده، والإيمان به، والاستقامة على صراطه المستقيم، والالتزام بذلك، وترك ما يخالف ذلك، هكذا شأن الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، يدعون إلى الله؛ يعني: إلى دينه، وإلى عبادته، وإلى الالتزام بأحكامه وإلى ترك ما يخالف ذلك؛ ولهذا قال ﷻ في آية النحل: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥] بدل ادع إلى الله قال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، فالدعوة إلى سبيل الله هي الدعوة إلى الله؛ لأن سبيله سبحانه هو الإخلاص والمتابعة للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ هذا هو سبيله ﷿، الإخلاص له في العبادة، والإيمان به وبرسله، والاستقامة على ما شرعه ﷻ من قول وعمل فعلًا وتركًا، فالدعوة إلى الله هي الدعوة إلى سبيله وإلى صراطه المستقيم، لا إلى مذهب معين أو طريقة معينة أو آراء معينة أو إلى فلان أو فلان، لا. الدعوة إلى الله؛ يعني: التوجُّه إلى الله بالعبادة والعمل في كل شيء لأنه هو إلٰه الجميع، وهو خالقهم ومربيهم، وهو مدبِّر شؤونهم، وهو الخالق لهم، العالم بهم وبما يصلحهم.

فوجب على العباد أن يلتزموا بما أمرهم به، وأن يستقيموا عليه؛ لأنه ليس هناك أعلم من الله بهم، وليس هناك من يستحق العبادة سواه، فهو المستحق للعبادة؛ لكمال إحسانه وكمال إنعامه، وكمال قدرته، وكمال أسمائه وصفاته؛ ولأنه ﷻ العالم بما يصلح العباد، ويقيمهم على الطريق السوي، ويحفظ عليهم مصالحهم، ويقيهم شر أعدائهم، وشر ما يضرهم، فليس هناك من يعلم هذا سواه، فوجب الالتزام بما يرسمه لهم، ويقيمه لهم، من الصراط المستقيم، ولهذا قال في آيات أخرى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾ [الأنعام: ١٥٣]؛ يعني: الطريق الذي رسمه لهم هو صراطه المستقيم بالإخلاص للعبادة له ﷻ والإيمان به

وبرسله واتباع رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيما أمر ونهى.

هذا هو سبيله وصراطه، وهذا هو الذي سار عليه أنبياؤه، وهذا هو الذي يدعو إليه كل رسول وكل نبي: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]؛ يعني: خذوا به والتزموه واستقيموا عليه.

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وهي الطرق الأخرى؛ فالحق واحد، وسبيله واحد، والباطل أنواع منوعة وسبل مختلفة، ومن سار عليها مالت به عن الحق، واستولى عليه الشياطين، ولهذا جاء في حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قال: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا سَبِيلُ اللهِ**»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قال: «**هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**». ثُمَّ قَرَأَ الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣][(١)].

وأمر ﷻ في سورة الفاتحة عباده بطلب الهداية إلى سبيله إلى الصراط المستقيم: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] وصراطه المستقيم هو ما شرعه لنا من الأحكام من الهدى ودين الحق الذي بعث به نبيّه وأرسله به: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣] بالهدى بالعلم النافع والأخبار الصادقة، ودين الحق الأعمال الصالحة والشرائع المستقيمة والأحكام العادلة.

وأخبر أيضًا في سورة الشورى أن النبي هو يهدي إلى ذلك، فقال ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

فوجب على الدعاة إلى الله وعلى كل عالم وعلى كل مسلم وعلى

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٤٦٥)، والنسائي في الكبرى برقم (١١١٧٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٣٩).

كل إنسان، وعلى كل مكلف من جن وإنس أن يلتزم بهذا الصراط، وأن يستقيم عليه، وأن يدعو إليه؛ لأنه دين الله وصراطه، ولا يجوز لأحد من المكلَّفين الخروج عن ذلك أينما كان من بر وبحر وجو وأرض؛ بل يجب عليه أن يلتزم بهذا الصراط، وأن يسير عليه ويدعو إليه عن صدق وإخلاص ورغبة لما عند الله، وحذرًا من عقابه.

ولا يتم هذا إلا بالتفقه في هذا الصراط، والتعلم، وذلك بالعناية بكتاب الله وبسُنَّة رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ، حتى يكون متبصرًا في هذا الصراط عالمًا به؛ حتى لا يدعو إلى غيره يظن أنه الصراط، فالجهل داء عضال يؤدي بأهله إلى أن يظنوا ما ليس بحق حقًّا وإلى أن يظنوا ما ليس هدًى هدى، فليس كل أحد يفهم هذا الصراط ويعلمه، فوجب التعلُّم والتبصُّر والتفقُّه في الدين، ولا سبيل إلى هذا إلا بالتفقُّه في كتاب الله القرآن العظيم والإقبال عليه والاهتداء به، فقد بيَّن الله فيه صراطه المستقيم، وبيَّن دعوة الرسل، وأن أول شيء دعوا إليه هو أساس الصراط، وهو أصله، وهو توحيد الله والإخلاص له: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، و﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿وَسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

فأصل الصراط وأساسه هو توحيد الله، والإخلاص له، وتوجُّه القلوب إليه، والاعتراف بحقه، وأنه المعبود بحق سبحانه وتعالى، كما قال عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢] لا بد من الإيمان بأنه هو المعبود بالحق، ولا بد من صرف العبادة إليه وحده وتخصيصه بها عز وجل، فلا يُعبَد معه ملَك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي معروف بالعبادة والخير، ولا غيرهم كالصنم والجن والملائكة، وغير ذلك، كلهم لا يصلحون أن يُعبَدوا من دون الله، كلهم

عبيد لله ومخلوقون لله يجب أن يسيروا في طاعته ﷻ، وأن يحذروا غضبه، ويستوي في ذلك الأنبياء والأولياء من الجن والإنس، فإن الجن فيهم أولياء، فيهم صالحون، كما قال ﷻ: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: ١١]، ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَۖ﴾ [الجن: ١٤]، فلا يجوز أن يُعبَد مع الله غيره لا جن ولا إنس ولا صنم ولا شجر ولا حجر ولا كوكب، ولا غير ذلك، فالعبادة حق الله وحده.

وهذا الصراط هو طريق المنعَم عليهم؛ ولهذا قال: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، أهل العلم والعمل، أهل العلم والعمل هم المنعمَ عليهم الذين تفقَّهوا بالدين، وعرفوا دين الله، وتبصَّروا فيه، وعملوا به، هذا صراطهم هو صراط الله المستقيم الذي سار عليه الأنبياء، وسار عليه الصالحون بعدهم من أتباعهم، كما قال ﷻ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وكما أنه لا يُعبد الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، كذلك لا يُعبد أصحابهم وأتباعهم كأتباع موسى وأتباع عيسى وأتباع نوح وأتباع صالح وأتباع هود وأتباع شعيب وأتباع داود وسليمان وغيرهم، وهكذا لا يعبد أصحاب عيسى وحواريوه كما لا يعبد عيسى ومريم هكذا لا يعبد حواريوه، كلهم عباد لله والعبادة حق الله وحده: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْۚ﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٧]. هذا قول عيسى ـ عليه الصلاة السلام ـ فيما ذكره الله عنه قال للناس: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْۖ﴾.

وهكذا أصحاب الأنبياء؛ كالصديق رضي الله عنه، وكعمر رضي الله عنه، وكعثمان رضي الله عنه، وكعلي رضي الله عنه، وكطلحة، وابن الزبير رضي الله عنهما، وعبد الرحمٰن بن

عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبي عبيدة بن الجراح، وبقية العشرة، وهكذا غيرهم من الصحابة؛ كابن مسعود، وابن عمر، وأبي هريرة، وغيرهم من أصحاب النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، كلهم لا يُعبَدون من دون الله، ولا يُستغاث بهم، ولا يُنذَر لهم، ولا يُذبَح لهم، فالعبادة حق الله وحده، وهكذا أهل بيت النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

وهكذا أهل بيت الأنبياء كل بيوت الأنبياء وأهلوهم لا يُعبَدون من دون الله، فإذا كان الأنبياء أنفسهم لا يُعبَدون، فأهلوهم من باب أولى، فالعبادة حق الله وحده.

ولهذا قال ﷻ في سورة الحج: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، وفي سورة لقمان: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [لقمان: ٣٠]؛ فالحق هو دين الله، وهو عبادة الله وحده، ولزوم صراطه المستقيم، وذلك بتخصيص العبادة لله وحده؛ من صلاة، وزكاة، وصوم، وذبح، ونذر، ودعاء، واستغاثة، وطلب مدد، وشفاء مريض، ورد غائب، ونحوه، هذا كله لله. وإنما الأنبياء والرسل مُتبَعون يُسلَك طريقهم وعلى رأسهم نبيّنا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ تجب طاعته واتباعه والسير على منهاجه، مع محبته العظيمة المحبة الصادقة التابعة لمحبة الله سبحانه المقتضية اتباعه، والسير على منهجه والمقتضية ترك ما نهى عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ولزوم الطريق، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ [آل عمران: ٣١].

هكذا يجب على الدعاة والعلماء أن ينبِّهوا الناس؛ وأن يبصِّروهم بهذا الأمر، فأساس الملة وأصلها هو توحيد الله والإخلاص له، وتوجيه القلوب إليه، وتخصيصه بالعبادة، هذا أصل الصراط المستقيم، ثم يلي ذلك بقية الشرائع من الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد،

والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وترك ما حرم الله ﷻ.

ولا تصح هذه الفروع من الصلاة وما دونها إلا بصحة الأصل، فمتى استقام الأصل استقام العبد على توحيد الله والإخلاص له والسلامة من الشرك كله، استقامت له أعماله الأخرى، ومتى فسد هذا الأصل، وصار صاحبه من المشركين بطلت أعماله، كما قال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

هذا أصل أصيل وأساس عظيم لهذا الدين العظيم الذي بعث الله به نبيِّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وأساس عظيم للدعاة إلى الله والعلماء والمُبلِّغين، وأساس عظيم لكل مسلم يجب أن يلتزمه ويسير عليه، وأن يحافظ عليه أينما كان وفي جميع العبادات.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية والفقه في هذا الأمر العظيم، وصلِّ اللَّهُمَّ وسلِّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

*

▢ تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ [يوسف: ١١٠][1].

حدّثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدّثنا إبراهيم بن سعدٍ، عن صالحٍ، عن ابن شهابٍ قال: أخبرني عروة بن الزّبير، عن عائشة ﵂ قالت له وهو يسألها عن قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾، قال: قلت: أكذَّبوا أم كُذِّبوا؟ قالت عائشة: «كذّبوا، قلت: فقد استيقنوا أنّ قومهم كذّبوهم، فما هو بالظّنّ؟ قالت: أجل، لعمري لقد استيقنوا بذلك، فقلت

(١) من شرح سماحته ﵀ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

لها: وظنّوا أنّهم قد كذبوا؟ قالت: معاذ الله، لم تكن الرّسل تظنّ ذلك بربّها، قلت: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباع الرّسل الّذين آمنوا بربّهم، وصدّقوهم، فطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النّصر، حتّى استيأس الرّسل ممّن كذّبهم من قومهم، وظنّت الرّسل أنّ أتباعهم قد كذّبوهم، جاءهم نصر الله عند ذلك»[١].

ـ حدّثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيبٌ، عن الزّهريّ، قال: أخبرني عروة فقلت: لعلّها ﴿كُذِبُوا﴾ مخفّفةً؟ قالت: معاذ الله. نحوه[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعني: بمعنى: أيقنوا، معنى الظّنّ هنا يأتي بمعنى: اليقين، كما قال تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨]، ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]؛ يعني: يوقنون، وظنّوا: أيقنوا.

فالظنّ يأتي بمعنى: الشّكّ مع الرُّجحان، ويأتي بمعنى: اليقين؛ يعني: أيقنوا أنّهم قد كذّبوا، وأنّهم لا رجاء في قومهم جاءهم النّصر.

وأما على (كذبوا) ففيه محلّ الشّاهد الّذي أنكرته عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، كيف يظنّ بالرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أنّهم يظنّون أنّهم قد كذبوا، وأنّ الله وعدهم، وأنّه لم يوف لهم بالوعد، ومن قرأ بالتّخفيف يرد عليه هذا الإشكال كما هي القراءة المشهورة (كُذِبوا).

وأمّا قراءة (كُذّبوا) فالأمر فيها واضحٌ؛ يعني: أيقنوا أنّهم كُذّبوا كما قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ برقم (٤٦٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ برقم (٤٦٩٦).

• **س: يكون يرجع إلى أتباع الرّسل؛ يعني: على قراءة التّشديد؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم.

(**من الشّيخ**): ماذا قال عليه الشّارح على (كذبوا)؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٣٦٧)]: (**قوله: قلت: أكذّبوا أم كذبوا؟**)؛ أي: مثقّلةٌ أو مخفّفةٌ، ووقع ذلك صريحًا في رواية الإسماعيليّ من طريق صالح بن كيسان، هذه.

قوله: (**قالت عائشة: كذّبوا**)؛ أي: بالتّثقيل في رواية الإسماعيليّ مثقّلةٌ.

قوله: (**فما هو بالظّنّ؟ قالت: أجل**): زاد الإسماعيليّ: قلت: فهي مخفّفةٌ؟ قالت: معاذ الله. وهذا ظاهرٌ في أنّها أنكرت القراءة بالتّخفيف؛ بناءً على أنّ الضّمير للرّسل، وليس الضّمير للرّسل على ما بيّنته، ولا لإنكار القراءة بذلك معنًى بعد ثبوتها.

ولعلّها لم يبلغها ممّن يرجع إليه في ذلك، وقد قرأها بالتّخفيف أئمّة الكوفة من القرّاء: عاصمٌ، ويحيى بن وثّابٍ، والأعمش، وحمزة، والكسائيّ، ووافقهم من الحجازيّين أبو جعفر بن القعقاع، وهي قراءة ابن مسعودٍ وابن عبّاسٍ وأبي عبد الرّحمن السّلميّ، والحسن البصريّ ومحمّد بن كعب القرظيّ في آخرين.

وقال الكرمانيّ: لم تنكر عائشة القراءة، وإنّما أنكرت تأويل ابن عبّاسٍ. كذا قال، وهو خلاف الظّاهر، وظاهر السّياق أن عروة كان يوافق ابن عبّاسٍ في ذلك قبل أن يسأل عائشة، ثمّ لا يدري رجع إليها أم لا.

وروى ابن أبي حاتمٍ من طريق يحيى بن سعيدٍ الأنصاريّ قال: جاء رجلٌ إلى القاسم بن محمّدٍ فقال له: إنّ محمّد بن كعبٍ القرظيّ يقرأ

«كذبوا» بالتّخفيف. فقال: أخبره عنّي أنّي سمعت عائشة تقول: «كذّبوا» مثقّلةٌ؛ أي: كذّبتهم أتباعهم.

وقد تقدّم في تفسير البقرة من طريق ابن أبي مليكة قال: قال ابن عبّاس: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾ خفيفةٌ. قال: ذهب بها هنالك، وفي رواية الأصيليّ بما هنالك بميمٍ بدل الهاء، وهو تصحيفٌ.

وقد أخرجه النّسائيّ والإسماعيليّ من هذا الوجه بلفظ: «ذهب هاهنا وأشار إلى السماء وتلا: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وزاد الإسماعيليّ في روايته: ثمّ قال ابن عبّاسٍ: كانوا بشرًا ضعفوا وأيسوا وظنّوا أنّهم قد كذبوا. وهذا ظاهره أن ابن عبّاسٍ كان يذهب إلى أنّ قوله: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ﴾ مقول الرّسول. وإليه ذهب طائفةٌ، ثمّ اختلفوا فقيل: الجميع مقول الجميع. وقيل: الجملة الأولى مقول الجميع، والأخيرة من كلام الله. وقال آخرون: الجملة الأولى وهي: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ﴾ مقول: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾، والجملة الأخيرة وهي: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ مقول الرّسول، وقدّم الرّسول في الذّكر، لشرفه، وهذا أولى، وعلى الأوّل فليس قول الرّسول: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ﴾ شكًّا، بل استبطاءً للنّصر، وطلبًا له، وهو مثل قوله ﷺ يوم بدرٍ: «**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي**»[1].

قال الخطابيّ: لا شكّ أن ابن عبّاسٍ لا يجيز على الرّسل أنّها تكذّب بالوحي، ولا يشكّ في صدق المخبر؛ فيحمل كلامه على أنه أراد أنهم لطول البلاء عليهم وإبطاء النّصر وشدّة استنجاز من وعدوه به

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم برقم (١٧٦٣).

توهّموا أنّ الّذي جاءهم من الوحي كان حسبانًا من أنفسهم، وظنّوا عليها الغلط في تلقّي ما ورد عليهم من ذلك؛ فيكون الّذي بني له الفعل أنفسهم لا الآتي بالوحي، والمراد بالكذب الغلط لا حقيقة الكذب كما يقول القائل: كذبتك نفسك.

قلت: ويؤيّده قراءة مجاهدٍ: «وظنّوا أنّهم قد كذبوا» بفتح أوّله مع التّخفيف؛ أي: غلطوا، ويكون فاعل وظنّوا الرّسل.

ويحتمل أن يكون أتباعهم، ويؤيّده ما رواه الطّبريّ بأسانيد متنوّعةٍ من طريق عمران بن الحارث وسعيد بن جبيرٍ وأبي الضّحى وعليّ بن أبي طلحة والعوفيّ كلهم عن ابن عبّاسٍ في هذه الآية قال: أيس الرّسل من إيمان قومهم وظنّ قومهم أنّ الرّسل كذبوا.

وقال الزّمخشريّ: إن صحّ هذا عن ابن عبّاسٍ فقد أراد بالظّنّ ما يخطر بالبال ويهجس في النّفس من الوسوسة وحديث النّفس على ما عليه البشريّة، وأمّا الظّنّ وهو ترجيح أحد الطّرفين فلا يظنّ بالمسلم، فضلًا عن الرّسول.

وقال أبو نصر القشيريّ: ولا يبعد أنّ المراد خطر بقلب الرّسل؛ فصرفوه عن أنفسهم، أو المعنى: قرّبوا من الظّنّ كما يقال: بلغت المنزل إذا قربت منه.

وقال التّرمذيّ الحكيم: وجهه أنّ الرّسل كانت تخاف بعد أن وعدهم الله النّصر أن يتخلّف النّصر لا من تهمةٍ بوعد الله؛ بل لتهمة النّفوس أن تكون قد أحدثت حدثًا ينقض ذلك الشّرط؛ فكان الأمر إذا طال واشتدّ البلاء عليهم دخلهم الظّنّ من هذه الجهة.

قلت: ولا يظنّ بابن عبّاسٍ أنّه يجوّز على الرّسول أنّ نفسه تحدّثه بأنّ الله يخلف وعده؛ بل الّذي يظنّ بابن عبّاسٍ أنّه أراد بقوله: «كانوا بشرًا. . .» إلى آخر كلامه من آمن من أتباع الرّسل، لا نفس الرّسل،

وقول الرّاوي عنه ذهب بها هناك؛ أي: إلى السّماء معناه: أنّ أتباع الرّسل ظنّوا أنّ ما وعدهم به الرّسل على لسان الملك تخلّف، ولا مانع أن يقع ذلك في خواطر بعض الأتباع، وعجبٌ لابن الأنباريّ في جزمه بأنّه لا يصحّ». [انتهى كلامه].

● س: قوله: (ونحن أحقّ من إبراهيم)؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: بعلم اليقين وعين اليقين سمي شكًّا وليس بشكٍّ، لكن رتبةٌ بين علم اليقين وعين اليقين، بالنّسبة إلي الرّسل ـ عليهم الصّلاة والسّلام ـ، قال: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠] ليطمئنّ قلبي بالمشاهدة، بمزيد العلم، هذا عين اليقين، والنّاس الآن عندهم علم اليقين، وإذا دخلوا الجنّة صار عين اليقين.

وهكذا الإنسان إذا سمع الخبر من الثّقات أنّ فلانًا وصل فهذا علم اليقين، فإذا شاهده أو رآه فهذا عين اليقين، حقّ اليقين إذا دخل الجنّة وحصل نعيمها.

وهكذا إذا قال: إنّ الوادي وصل ـ وادي السّيل ـ جاء فشاهده هذا عين اليقين، فإذا اغترف منه وشرب أو خاضه فهذا حقّ اليقين.



تفسير آيات من سورة الرعد(١)

وقال ابن عبّاسٍ: ﴿كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ﴾ [١٤]: مَثَل المشرك الّذي عبد مع الله إلهًا غيره، كمثل العطشان الّذي ينظر إلى ظلّ خياله في الماء من بعيدٍ، وهو يريد أن يتناوله، ولا يقدر، وقال غيره: ﴿وَسَخَّرَ﴾ [٢]: ذلّل، ﴿مُّتَجَٰوِرَٰتٞ﴾ [٤]: متدانياتٌ، ﴿ٱلۡمَثُلَٰتُۗ﴾ [٦]: واحدها مثلةٌ، وهي الأشباه، والأمثال، وقال: ﴿إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ﴾ [يونس: ١٠٢]، ﴿بِمِقۡدَارٍ ٨﴾ [٨]: بقدرٍ، ﴿مُعَقِّبَٰتٞ﴾ [١١]: ملائكةٌ حفظةٌ، تعقّب الأولى منها الأخرى، ومنه قيل: العقيب، يقال: عقّبت في إثره، ﴿ٱلۡمِحَالِ ١٣﴾ [١٣]: العقوبة، ﴿كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [١٤]: ليقبض على الماء، ﴿رَّابِيٗاۚ﴾ [١٧]: من ربا يربو، ﴿أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ﴾ [١٧]: المتاع: ما تمتّعت به، ﴿جُفَآءٗۖ﴾ [١٧]: أجفأت القدر: إذا غلت، فعلاها الزّبد، ثمّ تسكن فيذهب الزّبد بلا منفعةٍ، فكذلك يميّز الحقّ من الباطل، ﴿ٱلۡمِهَادُ ١٨﴾ [١٨]: الفراش، ﴿وَيَدۡرَءُونَ﴾ [٢٢]: يدفعون، درأته: دفعته، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾ [٢٤]: أي: يقولون: سلامٌ عليكم، ﴿وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠﴾ [٣٠]: توبتي، ﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ﴾ [٣١]: لم يتبيّن، ﴿قَارِعَةٌ﴾ [٣١]: داهيةٌ، ﴿فَأَمۡلَيۡتُ﴾ [٣٢]: أطلت، من المليّ، والملاوة، وَمِنْهُ: ﴿مَلِيّٗا ٤٦﴾ [مريم: ٤٦]، ويقال للواسع الطّويل من الأرض: ملًى من الأرض، ﴿أَشَقُّۖ﴾ [٣٤]: أشدّ، من المشقّة، ﴿مُعَقِّبَ﴾ [٤١]: مغيّرٌ، وقال مجاهدٌ: ﴿مُّتَجَٰوِرَٰتٞ﴾

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

[٤]: طيّبها، وخبيثها السّباخ، ﴿صِنْوَانٌ﴾ [٤]: النّخلتان، أو أكثر في أصلٍ واحدٍ، ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ [٤]: وحدها، ﴿بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ [٤]: كصالح بني آدم، وخبيثهم: أبوهم واحدٌ، ﴿ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾ [١٢]: الّذي فيه الماء، ﴿كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾ [١٤]: يدعو الماء بلسانه، ويشير إليه بيده، فلا يأتيه أبدًا، (سَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) [١٧]: تملأ بطن وادٍ، ﴿زَبَدًا رَّابِيًا﴾ [١٧]: زبد السّيل، ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [١٧]: خبث الحديد والحلية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

(مِنَ الطَّالِبِ): قوله: ﴿مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ عندنا (متاب) أحسن الله إليك: هنا (مئاب) بالهمزة أحسن الله إليك؟

(من الطّالب): قال في الشّرح: (متاب: مصدر تبت إليه وتوبتي).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا نصّ الآية بالتّاء، «متاب» ومعناه: الرّجوع إلى الله، والرّجوع قريبٌ من التّوبة؛ فمئابٌ ومتابٌ متقاربان.

وهو رَحِمَهُ اللَّهُ قصده من هذا إيضاح هذه الكلمات من حيث اللغة والتفسير، ثمّ يأتي بما تيسّر من الأحاديث رَحِمَهُ اللَّهُ.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ [الرعد: ٨](١).

غيض: نقص.

حدّثني إبراهيم بن المنذر، حدّثنا معنٌ، قال: حدّثني مالكٌ، عن عبد الله بن دينارٍ، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنّ رسول الله ﷺ قال:

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

«مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ: لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللهُ»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

سبحانه لا إله إلّا هو، وهذه مفاتح الغيب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ [لقمان: ٣٤]، سبحانه وتعالى، هذا العالم بكلّ شيءٍ ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥].

أمّا بعد ما يخطط للجنين ويأمر الله الملك هذا يطّلع عليه الملك، ويطّلع عليه بعض النّاس من جهة الطّبّ، فلا يكون من علم الغيب حينئذٍ. وأمّا قبل ذلك فهو من الغيب. الله المستعان.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١﴾ [الرعد: ١١](٢).

• تسأل عن تفسير قول الحق تبارك وتعالى، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾، تتساءل أختنا عن هذه الآية فتقول: مع أن الله هو الذي خلق الأنفس، وهو الذي يتحكم بتغييرها، فكيف يستطيع القوم أن يغيروا ما بأنفسهم، ويغيروا ما

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ﴾ [الرعد: ٨] برقم (٤٦٩٧).

(٢) من برنامج نور على الدرب.

كُتب عليهم؟ أرجو من سماحة الشيخ عبد العزيز أن يتفضل بالشرح الوافي حول هذا الموضوع، جزاكم الله خيرًا(١).

فالله ﷻ هو مدبِّر الأمور، وهو مصرف العباد كما يشاء ﷻ، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، وهو سبحانه قد شرع لعباده الأسباب التي تقرِّبهم منه، وتسبِّب رحمته وإحسانه عليهم، ونهاهم عن الأسباب التي تسبِّب غضبه عليهم، وبُعدهم منه، وحلول العقوبات فيهم، ومع ذلك هم بهذا لا يخرجون عن قدره، هم بغير الأسباب التي شرعها لهم والتي نهاهم عنها، هم لا يخرجون بهذا عن قدره ﷻ، فالله أعطاهم عقولًا، أعطاهم أدوات، وأعطاهم أسبابًا يستطيعون بها أن يتحكموا فيما يريدون من جلب خير، أو دفع شر، وهم بهذا لا يخرجون عن مشيئته، كما قال ﷻ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]، وقد سُئِل النبي ﷺ عن هذا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إذا كان ما نفعله قد كُتِب علينا، وفُرِغ منه ففيمَ العمل؟! قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ الآية [الليل: ٥، ٦](٢).

فهكذا قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾، فأمره نافذ ﷻ، لكنه ﷻ يغيِّر ما بالناس إذا غيَّروا، فإذا كانوا على طاعة واستقامة ثم

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢١٥)، الحلقة (٩٣٥).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧﴾ برقم (٤٩٤٦)، ومسلم في كتاب القدر، برقم (٢٦٤٧).

غيَّروا إلى المعاصي غيَّر الله حالهم من الطمأنينة والسعادة واليسر والرخاء إلى ضد ذلك؛ بسبب معاصيهم وذنوبهم، وقد يملي لهم سبحانه، وقد يتركهم على حالهم؛ استدراجًا، ثم يأخذهم على غِرَّة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

فالواجب الحذر، فعلى المؤمن أن يتقي الله، وأن يلزم الحق، وأن يستقيم عليه، وألا يحيد عنه إلى الباطل، فإنه متى حاد عنه إلى الباطل فقد تعرَّض لغضب الله، أن يغيِّر قلبه، وأن يغيِّر ما به من نعمة إلى جدب وقحط وفقر وحاجة، وهكذا بعد الصحة إلى المرض، وهكذا بعد الأمن إلى خوف، إلى غير ذلك، بأسباب الذنوب والمعاصي، وهكذا العكس إذا كانوا في معاصٍ وشرور وانحراف ثم توجهوا إلى الحق، وتابوا إلى الله، ورجعوا إليه، واستقاموا على دينه، فإن الله يغيِّر ما بهم سبحانه من الخوف والفقر، والاختلاف والتشاحن إلى أمن وعافية واستقامة، وإلى رخاء وإلى محبة وإلى تعاون وإلى تقارب، فضلًا منه وإحسانًا سبحانه وتعالى، ومن هذه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْۙ﴾ [الأنفال: ٥٣]، فالعبد عنده أسباب، عنده عمل، عنده إرادة، عنده مشيئة، ولكنه بذلك لا يخرج عن قدر الله سبحانه وتعالى.

فالواجب عليه أن يستعمل ما استطاع من طاعة الله ورسوله، وأن يستقيم على ما أمره الله به، وأن يحذر ما نهى الله عنه، وأن يسأل ربه العون والتوفيق؛ فالله سبحانه وتعالى هو المتفضل، وهو الموفق، وهو الهادي جل وعلا،

وله الفضل، وله النعمة، وله الإحسان ﷻ، بيده توفيق العباد، وبيده هدايتهم وبيده، إضلالهم فيهدي من يشاء ويضل من يشاء ﷻ.

الحاصل: أن العبد له أسباب، العبد عنده أسبابه، والله أعطاه أدوات وعقلًا يعرف به الضار والنافع والخير والشر، فإن استعمل عقله وأسبابه في الخير جازاه الله على ذلك بالخير العظيم، وأدرَّ عليه نعمه، وجعله في نعمة وعافية بعد ما كان في سوء وشر في معاصيه الأولى، فإذا تاب إلى الله وأناب واستقامَ، فالله ﷻ من جوده وكرمه يغيِّر حاله السيئة إلى حالة حسنة، وهكذا العكس إذا كان العبد على طاعة واستقامة وهدى، ثم انحرف وحاد عن الطريق، واتبع الهوى والشيطان، فالله سبحانه قد يعجِّل له العقوبة، وقد يغيِّر عليه، وقد يمهله ﷻ فينبغي أن يحذر، وينبغي ألا يغتر بإمهال الله إذا أمهله ﷻ.

• س: شيخ عبد العزيز، الكثير يخوضون في موضوع القضاء والقدر، لعل لكم توجيهًا؟

هذا بابُ خاضه الأولون أيضًا، وغلط فيه من غلط، فالواجب على كل مؤمن وكل مؤمنة التسليم لله، والإيمان بقدره سبحانه، والحرص على الأخذ بالأسباب النافعة والطيبة، والبُعد عن الأسباب الضارة، كما علَّم الله عباده، وكما جعل لهم قدرة على ذلك، بما أعطاهم من العقول والأدوات التي يستعينون بها على طاعته وترك معصيته ﷻ.

• س: إذن لا تنصحون بالخوض في هذا الباب؟

لا ننصح، لا؛ بل ينبغي عدم الخوض في هذا الباب، والإيمان بأن الله قدَّر الأشياء وعلمها وأحصاها، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه الخلاق العظيم القادر على كل شيء، وأن جميع الموجودات كلها بخلقه وتكوينه ﷻ، وأن الله سبحانه أعطى العبد عقلًا

وتصرفًا وأسبابًا وقدرة على الخير والشر، كما يأكل ويشرب ويلبس وينكح ويسافر ويقيم وينام ويقوم، إلى غير ذلك، كذلك يطيع ويعصي.

• س: هل هناك من شيء شيخ عبد العزيز، تخشونها على الخائضين في القضاء والقدر؟

نخشى عليهم أن يحتجوا بالقدر، أو ينكروه؛ لأن قومًا خاضوا فيه فأنكروه؛ كالقدرية النفاة، قالوا: لا قدَر، وزعموا أنهم يخلقون أفعالهم، وأن الله ما تفضَّل عليهم بالطاعة ولا قدَّر عليهم المعصية، وقوم قالوا: بل تفضَّل الله بالطاعة، ولكن ما قدر المعصية، فوقعوا في الباطل أيضًا، وقوم خاضوا في القدر فقالوا: إنا مجبورون، وقالوا: إنهم ما عليهم شيء عصوا أو أطاعوا لا شيء عليهم؛ لأنهم مجبورون، ولا قدرة لهم، فضلوا وأضلوا، نسأل الله العافية.

• س: من هم مجوس هذه الأمة، شيخ عبد العزيز؟

هم القدرية النفاة، الذين نفوا القدر وقالوا: الأمر أُنُف، فإن المجوس يقولون إن للعباد إلٰهين، النور والظلمة، فيقولون: النور خلق الخير، والظلمة خلقت الشر، فشابههم نفاة القدر؛ حيث جعلوا لله شريكًا في أفعالهم أنهم يخلقون أفعالهم، نسأل الله العافية.

• س: إذن القول الفصل في هذا ألا يخوض المسلمون في باب القضاء والقدر؟

نعم، يؤمنون بالقدر، ولا يخوضون في ذلك خوض المبتدعة، بل يؤمنون بذلك، ويسلِّمون لذلك، ويعلموا أن الله قدَّر الأشياء وعلمها وأحصاها، وأن العبد له مشيئة، وله إرادة، وله اختيار، لكنهم لا يخرجون في ذلك عما قدَّره الله سبحانه وتعالى.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١](١)

فقد سمعنا جميعًا هذه الكلمة المباركة من صاحب الفضيلة الشيخ جعفر شيخ إدريس حول قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾.

وأوضح فضيلته أن الذي يظهر له من كلام المفسرين القدامى أن الآية ليست على عمومها بالنسبة إلى ما يوجد في الناس من الفقر والحاجة والمعاصي ونحو ذلك، وأن الله لا يرزقهم ولا يغير حالهم من فقرهم وحاجتهم وذلهم ونحو ذلك حتى يغيروا ما بأنفسهم، وأن المراد منها عكس ذلك، وأنه لا يغير حالهم من الرخاء وما هم فيه من النعم إلى الفقر والحاجة، إلا إذا غيَّروا أنفسهم بالمعاصي والسيئات.

هذا قول له بعض الوجاهة بالنظر على واقع الناس، ولكن على القاعدة الشرعية المعروفة أن الاعتبار بالنصوص لعموم الألفاظ، لا بخصوص الأسباب، ولا بما يقع من الناس، فالآية عامة؛ لأن الله عمَّم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾، ظاهره من رخاء إلى شدة، أو من شدة إلى رخاء، ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ حتى يأتوا بالأسباب، هم حتى يأتوا بأسباب تغيير النعم من معاصيهم وسيئاتهم وتفرقهم وقعودهم عن الأسباب، فتزول النعم بسبب ذلك، أو العكس يكونوا في فقر وحاجة، ومعاصٍ وسيئات، ثم يغيِّروا بطاعة الله ﷻ، أو بتعاطي الأسباب والأخذ بالأسباب التي تُدر عليهم الأرزاق بإذن الله فيغيِّر الله حالهم.

فالأظهر في هذه الآية ـ والله أعلم ـ هو العموم، وأن الآية عامة، وأما ما قد يقع خلاف ذلك فللّه فيه الحكم سبحانه وتعالى، كما قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤]، فقد

---

(١) حديث المساء (ص١٢٠) ط٣ ـ ١٤٣٦هـ.

يملي الله لبعض الناس كما في الحديث الصحيح: «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**»(١)، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود ١٠٢].

وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، قد يملي للكفرة من الأمريكان والروس وغيرهم من كذا وكذا على ظلمهم وكفرهم، ويُدِر عليهم النعم، ويُؤخِّر العذاب إلى يوم القيامة، هذا نص الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، فقد تستمر النعم عليهم زيادة في عذابهم ونكالهم يوم القيامة، ولإقامة الحجة عليهم، وهذا معنى الآية الأخرى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤] لما نسيت الأمم ما هي فيه، واتخذت أهواءها إلٰهًا لها، وتابعت الكفر والمعاصي من طوائف النصارى وطوائف اليهود أو طوائف الوثنيين أو غيرهم أُملي لهم؛ ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣] فأملي لهم وتواترت عليهم النعم، فيكون ذلك أشد في عذابهم يوم القيامة، وأعظم في قطع حجتهم وإبلاسهم.

الذي يظهر أن الآية عامة، وما يقع خلاف ذلك هو لحكمة بالغة، اقتضتها حكمة الله وسُننه التي أجراها في عباده ﷻ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

أما الأسباب فهي هي إن استمروا على طاعة الله، واستقاموا على أمره، وأخذوا بالأسباب، أدرَّ الله عليهم النعم، وأوسع لهم الرزق، ونصرهم على الأعداء، وإن غيَّروا غُيِّر عليهم.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾ برقم (٤٦٨٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٨٣).

وفيما وقع في عهد النبي ﷺ عِبَرٌ؛ ففي غزوة بدر جرى ما جرى مع قلة القوم صبروا، وجاهدوا، واستقاموا، واتفقت كلمتهم، فنصرَهم اللهُ على عدوِّهم مع قلَّتهم وكثرة عدوهم وبغيه، وسلاحه الكثير، ويوم أُحد لما غيَّروا غُيِّر عليهم، وفيهم رسول الله ﷺ أفضل الخلق، وفيهم الصحابة أفضل أولياء الله بعد الأنبياء، ولما غيّر الرماة موقفهم، وعصوا فيه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ جرى عليهم ما جرى، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ [آل عمران: ١٥٢] الآية؛ يعني: سلّطوا عليكم، وجرى ما جرى من القتل والجراحات والهزيمة، حتى كادوا أن يقتلوه ﷺ لولا حفظ الله له، وإنجاؤه إياه ﷻ بأسباب فعلوها هم من الفشل والتنازع وعصيان الأمر فسُلِّط عليهم العدو مع أنهم أكثر من يوم بدر.

فالحاصل: أن الوقائع لها شأنها، هكذا يوم الأحزاب العدو كثير، والمسلمون بالنسبة إليهم قليلون محصورون، فلما كان المسلمون في غاية من الاستقامة، وفي غاية من الهداية مع قلَّتهم، كفاهم الله شر عدوِّهم، وأرسل على عدوِّهم الريح العظيمة التي قلعت خيامهم، وكفأت قدورهم وأقلقتهم حتى انكشفوا عن المدينة، وردَّهم الله خائبين لم ينالوا خيرًا، مع أنهم جاؤوا بحنق شديد، وكيد عظيم، وحاصروا المدينة بنحو عشرة آلاف مقاتل، ثم بدَّد الله شملهم، وردَّهم على خسارة وذل، وهوان، والأمثلة في هذا كثيرة.

فإذا استمر الناس على البغي والعدوان، وأدرَّ الله عليهم الرزق صار ذلك حجة عليهم وسببًا لعقابهم، إما بعقاب مؤجل كما جرى لقوم نوح، وقوم صالح، وقوم هود، وقوم شعيب وغيرهم، وإما بالتأجيل إلى يوم القيامة ويعاقبهم الله أشد يوم القيامة.

والخلاصة: أن الآية عامة، وما يقع بخلاف ذلك فهو لحكمة بالغة، ولأسباب اقتضت ذلك، وليس ذلك بمخصص للآية.

ثم أيضًا يجب أن يُراعَى أن هناك أسبابًا غير الطاعات، فمن الطاعات أيضًا تعاطي أسباب الرزق وينشطون في إعداد القوة لعدوهم: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] من الزراعة، والسلاح، وطلب الرزق في أيما معنى، ليس مجرد الطاعات التي تدور بها المعينات من الصلاة والصوم، بل هناك طاعات أخرى لا بد منها في مجابهة العدو وفي قتال العدو وفي الإعداد له، أمر الله بها في قوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١] فلا بد من إعداد، وأسباب يقوم بها المؤمنون حتى تكون سببًا لتغيُّر ما بهم من نقص وضعف، فطاعتهم لله وصلاتهم وصومهم ونحو ذلك، هذه أسباب، وإعدادهم العُدة أيضًا طاعة وأيضًا مأمورون بها، كونهم يتعلمون أنواع الصناعة حتى يستفيدوا منها وحتى يستغنوا عن عدوِّهم، وحتى يزول فقرهم يتعاطون الزراعة؛ يصلحون الأراضي، يعدون العدد الأخرى التي أمر الله بها لمكافحة عدوِّهم، وهذه كلها من الطاعات كلها فروض كفاية، وقد تكون فرض عين في بعض الأحيان على حسب الحاجة إليها.

فالمقصود: أنه لا بد أن يُراعَى هذا وهذه الطاعات البدنية المعينة لا بد منها التي أوجب الله، والطاعات الأخرى التي تجب بوجود أسبابها عند عجزهم عن السلاح، يجب أن يوجد السلاح، وعند عجزهم عن الزراعة يجب أن يُوجِدوها، وهكذا الأسباب الأخرى التي يكون بها الإعداد والتهيؤ لعدوِّهم حتى لا ينقضَّ عليهم وليس عندهم ما يقاتلونهم به، أو حتى يهجموا هم أو يبدؤوا بالقتال؛ لأن عندهم من القوة ما يكفي لذلك، هذا هو الذي يظهر، والله أعلم.

وفي إمكان طالب العلم أن يراجع الكتب، وأن يعتني بما قاله العلماء؛ حتى يستفيد من ذلك، ويظهر له ما يطمئن إليه قلبه، أما الذي

يظهر لي الآن فهو أن الآية على عمومها، وأما قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ [الأنفال: ٥٣] فلا يقتضي التخصيص، بل هذه آية مستقلة، وهذه آية مستقلة، بيَّن في هذه أن النعم قد تزول بأسباب ما يغيِّره الناس. قد يتقاعسون عن الأسباب فتزول النعم، فيقع في المعاصي فتزول النعم؛ فالآية لها معناها، والآية الأخرى لها معناها.

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

ما تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾؟ وتقول السائلة: مع أن الله هو الذي خلق الأنفس وهو الذي يتحكم بتغييرها، فكيف يستطيع القوم أن يغيِّروا ما بأنفسهم، ويغيِّروا ما كُتب عليهم؟ أرجو التفضل بالشرح الوافي حول هذا الموضوع، وجزاكم الله خيرًا[١].

الله ﷻ هو مدبِّر الأمور، وهو مصرِّف العباد كما يشاء ﷻ، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، وهو سبحانه قد شرح لعباده الأسباب التي تقرِّبهم منه، وتسبِّب رحمته وإحسانه إليهم، ونهاهم عن الأسباب التي تسبِّب غضبه عليهم وبُعدهم منه، وحلول العقوبات بهم، وهم مع ذلك لا يخرجون عن قدره؛ بفعل الأسباب التي شرعها لهم، والتي نهاهم عنها، وهم بذلك لا يخرجون عن قدره ـ سبحانه ـ. فالله أعطاهم عقولًا، وأعطاهم أدوات، وأعطاهم أسبابًا يستطيعون بها أن يتحكموا فيما يريدون؛ من جلب خير أو دفع شر، وهم بهذا لا يخرجون عن

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/٢٥٢).

مشيئته كما قال ـ تعالى ـ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩].

وقد سئل النبي ﷺ عن هذا، قالوا له: يا رسول الله إن كان ما نفعله قد كُتِب علينا وفُرِغ منه، ففيمَ العمل؟ قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»**. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠][1]، وهكذا قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾.

فأمره نافذ سبحانه وتعالى، لكنه ﷻ يغيِّر ما بالناس إذا غيَّروا، فإذا كانوا على طاعة واستقامة ثم غيَّروا إلى المعاصي، غيَّر الله حالهم من الطمأنينة والسعادة واليسر والرخاء إلى غير ذلك.

وقد يُملي لهم سبحانه ويتركهم على حالهم، استدراجًا، ثم يأخذهم على غرة ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

فالواجب الحذر، وعلى المؤمن أن يتقي الله، ويسعى في الحق، وأن يستقيم عليه، وألا يحيد عنه إلى الباطل؛ فإنه متى حاد عنه إلى الباطل، فقد تعرَّض لغضب الله؛ أن يغير قلبه، وأن يغيِّر ما به من نعمة إلى ضدها؛ من جدب وقحط وفقر وحاجة وغير ذلك، وهكذا بعد

(١) سبق تخريجه في (ص١٢٥).

الصحة إلى المرض، وهكذا بعد الأمن إلى الخوف إلى غير ذلك؛ بأسباب الذنوب والمعاصي.

وهكذا العكس؛ إذا كانوا في معاصٍ وشرور وانحراف، ثم توجَّهوا إلى الحق، وتابوا إلى الله، ورجعوا إليه، واستقاموا على دينه، فإن الله يغيِّر ما بهم سبحانه من الخوف والفقر والاختلاف والتشاحن، إلى أمن وعافية واستقامة، إلى رخاء وإلى محبة وإلى تعاون وإلى تقارب؛ فضلًا منه سبحانه، ومن هذا قوله ـ تعالى ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣]، فالعبد عنده أسباب، وعنده عمل، وعنده إرادة، وعنده مشيئة، ولكنه بذلك لا يخرج عن قدر الله ومشيئته.

فالواجب عليه أن يستعمل ما استطاع في طاعة الله ورسوله، وأن يستقيم على ما أمره الله به، وأن يحذر ما نهى الله عنه ورسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وأن يسأل ربه العون والتوفيق، والله سبحانه هو المتفضل وهو الموفق، وهو الهادي جل وعلا، وله الفضل، وله النعمة، وله الإحسان سبحانه وتعالى، بيده الفضل، وبيده توفيق العباد، وبه هدايتهم، وبيده إضلالهم، يهدي من يشاء، ويضل من يشاء سبحانه.

والخلاصة: أن العبد له أسباب وأعمال، والله أعطاه أدوات يعرف بها الضار والنافع والخير والشر؛ فإذا استعمل عقله وأسبابه في الخير جازاه الله على ذلك بالخير العظيم، وأدرَّ عليه نعمه، وجعله في نعمة وعافية بعدما كان في سوء وشر؛ فإذا تاب إلى الله وأناب واستقام، فالله جل وعلا بجوده وكرمه يغيّر حاله السيئة إلى حالة حسنة، وهكذا إذا كان العبد على راحة واستقامة وهدى، ثم انحرف وحاد عن الطريق، وتابع الهوى والشيطان، فالله سبحانه قد يعاجله بالعقوبة، وقد يغيِّر عليه سبحانه وتعالى، فينبغي له أن يحذر، وأن لا يغتر بأنعم الله تعالى عليه سبحانه وتعالى.

❑ ❑ ❑

تفسير آيات من سورة إبراهيم(١)

قال ابن عبّاسٍ: ﴿هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]: داعٍ، وقال مجاهدٌ: (صَدِيدٌ) [إبراهيم: ١٦]: قيحٌ، ودمٌ، وقال ابن عيينة: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [إبراهيم: ٦]: أيادي الله عندكم، وأيّامه، وقال مجاهدٌ: ﴿مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤]: رغبتم إليه فيه، ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [آل عمران: ٩٩]: يلتمسون لها عوجًا، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]: أعلمكم: آذنكم، (رَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) [إبراهيم: ٩]: هذا مثلٌ: كفّوا عمّا أمروا به، ﴿مَقَامِي﴾ [إبراهيم: ١٤]: حيث يقيمه الله بين يديه، ﴿مِّن وَرَائِهِ﴾ [إبراهيم: ١٦]: قدّامه جهنّم، ﴿لَكُمْ تَبَعًا﴾ [إبراهيم: ٢١]: واحدها تابعٌ، مثل: غيبٍ، وغائبٍ، ﴿بِمُصْرِخِكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢]: اسْتَصْرَخَنِي: اسْتَغَاثَنِي، ﴿يَسْتَصْرِخُهُ﴾ [القصص: ١٨]: مِنَ الصُّرَاخِ، ﴿وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم: ٣١]: مَصْدَرُ خَالَلْتُهُ خِلَالًا، وَيَجُوزُ أَيْضًا جَمْعُ خُلَّةٍ وَخِلَالٍ، ﴿اجْتُثَّتْ﴾ [إبراهيم: ٢٦]: اسْتُؤْصِلَتْ.

*

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ **[إبراهيم: ٢٤، ٢٥].**

حدّثني عبيد بن إسماعيل، عن أبي أسامة عن عبيد الله، عن نافعٍ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنّا عند رسول الله ﷺ فقال: «**أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ**

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

تُشْبِهُ، أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ، لَا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا، وَلَا، وَلَا، وَلَا، تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ» قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنّها النّخلة، ورأيت أبا بكرٍ، وعمر لا يتكلّمان، فكرهت أن أتكلّم، فلمّا لم يقولوا شيئًا قال رسول الله ﷺ: «**هِيَ النَّخْلَةُ**»، فلمّا قمنا قلت لعمر: يا أبتاه، والله لقد كان وقع في نفسي أنّها النّخلة، فقال: ما منعك أن تكلّم؟ قال: لم أركم تكلّمون، فكرهت أن أتكلّم، أو أقول شيئًا، قال عمر: لأن تكون قلتها أحبّ إليّ من كذا وكذا»[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ما فيها (ولا) تؤتي ما فيها (ولا)؟[(٢)] لا يتحاتّ ورقها، وهي تؤتي أكلها كلّ حينٍ.

(من القارئ): يعني: ولا يتحاتّ ورقها كأنّه ذكر صفاتٍ للنخلة، لا يتحاتّ ورقها، ولا يحصل كذا ولا كذا، كررها ثلاثًا، قال: «**ولا ولا ولا**» ثلاث مراتٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: كذا عندك؟

(من القارئ): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا فيه من التّشجيع على العلم أنّ الإنسان إذا كان عنده علمٌ ولو أنّه من صغار القوم يتكلّم بالعلم؛ ولهذا قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما قال: (لو كنت تكلّمت؛ كان أحبّ إليّ من كذا وكذا).

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ﴾ برقم (٤٦٩٨)، ومسلم في كتاب الجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة برقم (٢٨١١).

(٢) إشارة إلى قوله في الحديث: «**ولا ولا ولا تُؤتي أُكُلَهَا**».

فالنّخلة شأنها عظيمٌ، ونفعها كبيرٌ، وهي مثل المؤمن ثمرها نافعٌ، ليفها نافعٌ، جذعها نافعٌ، كرمها نافعٌ، عسيبها نافعٌ، كلّها نافعةٌ، والمؤمن هكذا ـ الموفّق ـ كلّه نفعٌ، فهذا تفسير قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

فالشّجرة الّتي تشبه المؤمن هي هذه النّخلة المعروفة.

• **س: عفا الله عنك: (قول ابن عمر: قال عمر) كذا مجردًا فيه أنّه يحسن تسمية الأب باسمه مجرّدًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما فيه بأسٌ، قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال أبي.

• **س: أحسن الله إليك: تفسير الشّجرة الطّيّبة بالنّخلة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، أصلها ثابتٌ وفرعها في السّماء.

• **س: أحسن الله إليك: صحّ عن فضل النّخل أحاديث أخر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما أتذكّر شيئًا، يكفي هذا، يكفي نصّ القرآن والسّنّة.

*

❏ تفسير قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧][1]

حدّثنا أبو الوليد، حدّثنا شعبة قال: أخبرني علقمة بن مرثدٍ قال:

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

سمعت سعد بن عبيدة، عن البراء بن عازبٍ أنّ رسول الله ﷺ قال: **«الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

نسأل الله لنا ولكم الثّبات على الحقّ.

(في الآخرة): يعني: أوّل الآخرة؛ يعني: أوّل الآخرة، وهي منزلة القبور؛ لأنّها أوّل أمر الآخرة، فإذا وضع في قبره ثبته الله عند السّؤال.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨][(٢)].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: ألم تعلم؛ كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟﴾ [البقرة: ٢٤٣]، ﴿ٱلْبَوَارِ﴾ [٢٨]: الهلاك، بار يبور بورًا، ﴿قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفرقان: ١٨]: هالكين.

حدّثنا عليّ بن عبد الله، حدّثنا سفيان، عن عمرو، عن عطاءٍ سمع ابن عبّاسٍ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾، قال: «هُمْ كُفَّارُ أَهْلِ مَكَّةَ»[(٣)].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتاب التفسير، باب ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ برقم (٤٦٩٩)، ومسلم في كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه برقم (٢٨٧١).

(٢) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ برقم (٤٧٠٠).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: بأعمالهم الخبيثة، الرّسول ﷺ دعاهم إلى الحقّ والهدى والتّوحيد أعظم نعمةٍ، وأكبر نعمةٍ؛ فصدّوا عن السّبيل، وأبوا وامتنعوا وقاتلوا، واختاروا بعملهم النّار ودار البوار - نسأل الله العافية - وهو يدعوهم إلى النّجاة والسّعادة، وإلى غاية الخير وأفضله، ولكن ما زيّن لهم الشّيطان من باطلهم، وما دعاهم إليه قادتهم؛ ﴿بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، وهي النّار، نسأل الله العافية، ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٩].

والمعنى: أنّ الواجب على من جاءته الرّسل وجاءته الدّعوة إلى الله أن يبادر بالقبول، وأن يتّهم رأيه، وأن يقبل دعوة الحقّ؛ حتّى ينجو من النّار، وحتّى ينجو من سوء المصير؛ وحتّى تستقرّ نعمة الله، وأنّه يبوء بالخير والسّعادة.



تفسير آيات من سورة الحجر(١)

وقال مجاهدٌ: ﴿صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [٤١]: الحقّ يرجع إلى الله، وعليه طريقه، ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾ [٧٩]: على الطريق، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ [٧٢]: لعيشك، ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [٦٢]: أنكرهم لوطٌ، وقال غيره، ﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾﴾ [٤]: أجلٌ، ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا﴾ [٧]: هلّا تأتينا، ﴿شِيَعِ﴾ [١٠]: أممٌ، والأولياء أيضًا شيعٌ، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿يُهْرَعُونَ﴾ [هود: ٧٨]: مسرعين، ﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [٧٥]: للنّاظرين، ﴿سُكِّرَتْ﴾ [١٥]: غشّيت، ﴿بُرُوجًا﴾ [١٦]: منازل للشّمس والقمر، ﴿لَوَاقِحَ﴾ [٢٢]: ملاقح ملقحةً، ﴿حَمَإٍ﴾ [٢٦]: جماعة حمأةٍ، وهو الطّين المتغيّر، والمسنون: المصبوب، ﴿تَوْجَلْ﴾ [٥٣]: تخف، ﴿دَابِرَ﴾ [٦٦]: آخر، ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾ [٧٩]: الإمام: كلّ ما ائتممت، واهتديت به، ﴿الصَّيْحَةُ﴾ [٨٣]: الهلكة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

(من الطّالب): أحسن الله إليك، عندنا زيادة بعد قوله: ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾ يقول: (إمام كلّ ما ائتممت واهتديت به إلى الطّريق).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ نعم، ولهذا ﴿صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾﴾: صراط الله نهايته الربّ جَلَّ وَعَلَا، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، ﴿وَأَنَّ

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

﴿هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣]؛ يعني: هذه نهايته، إلى الجنّة والكرامة والنّظر إلى وجه الله، وسماع كلامه، هذه نهاية الصّراط وهو طريق السعادة.

وهو دين الله الّذي بعث به نبيّه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، هو الصّراط المستقيم، وهو صراط المنعم عليهم من الرّسل وأتباعهم، نهايته الوصول إلى الله، والفوز بكرامته، والنظر إلى وجهه الكريم.

● **س: آية ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦] من الصفات؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، على حقٍّ واضحٍ، أوامره ونواهيه وكل ما يدعو إليه كلّه صراطٌ مستقيمٌ.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر: ١٨](١).

حدّثنا عليّ بن عبد الله، حدّثنا سفيان، عن عمرو، عن عكرمة، عن أبي هريرة يبلغ به النّبيّ ﷺ قال: «**إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ**»، قال عليٌّ، وقال غيره: صفوانٍ ينفذهم ذلك، «فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربّكم؟ قالوا للّذي قال: الحقّ، وهو العليّ الكبير، فيسمعها مسترقو السّمع، ومسترقو السّمع، هكذا واحدٌ فوق آخر، ووصف سفيان بيده، وفرّج بين أصابع يده اليمنى، نصبها بعضها فوق بعضٍ، فربّما أدرك الشّهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه، فيحرقه، وربّما لم

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

يدركه حتّى يرمي بها إلى الّذي يليه، إلى الّذي هو أسفل منه، حتّى يلقوها إلى الأرض»، وربّما قال سفيان: «حتّى تنتهي إلى الأرض، فتلقى على فم السّاحر، فيكذب معها مئة كذبةٍ، فيصدَّق، فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا، فوجدناه حقًّا؟ للكلمة الّتي سمعت من السّماء»(١).

حدّثنا عليّ بن عبد الله، حدّثنا سفيان، حدّثنا عمرٌو، عن عكرمة، عن أبي هريرة: «إذا قضى الله الأمر»، وزاد: «والكاهن».

وحدّثنا سفيان فقال: قال عمرٌو: سمعت عكرمة، حدّثنا أبو هريرة قال: «إذا قضى الله الأمر»، وقال: «على فم السّاحر»، قلت لسفيان: أأنت سمعت عمرًا قال: سمعت عكرمة، قال: سمعت أبا هريرة؟ قال: نعم، قلت لسفيان: إنّ إنسانًا روى عنك عن عمرٍو، عن عكرمة، عن أبي هريرة ويرفعه: أنّه قرأ «فزّع» قال سفيان: هكذا قرأ عمرٌو، فلا أدري سمعه هكذا أم لا. قال سفيان: وهي قراءتنا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من الابتلاء والامتحان؛ فإنّ مسترقي السّمع يكون بعضهم فوق بعضٍ من غير مماسّةٍ إلى السّماء، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: ٨]، فهم يسترقون، والله أقدرهم على هذا، وله الحكمة البالغة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ابتلاءً وامتحانًا لأهل الأرض، فهي دار الامتحان، ودار الابتلاء، فيسمع مسترق السّمع الكلمة فربّما أدركه الشّهاب قبل أن يلقيها وأحرقه، وربّما ألقاها من يليه قبل أن يحرقه الشّهاب، وهكذا حتّى تصير الكلمة إلى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾... إلخ برقم (٤٧٠١).

أوليائهم من الإنس من السّحرة والكهنة، فيكذبون معها مائة كذبةٍ، أو يزيدون، فيقول النّاس: ألم يقل لنا: كذا وكذا؟ فصدق مرةً من المرات؛ فيصدق بتلك الكلمة الّتي سمعت من السّماء؛ يعني: تكون تلك الكلمة سببًا لتصديقه في كذباته الكثيرة الّتي تبلغ المائة وأكثر، وبهذا يفتن النّاس بالسّحرة والكهنة والمنجّمين وما يخبرهم به الشّياطين.

وهكذا ما تنقله الشّياطين من بلادٍ إلى بلادٍ، الشّياطين تلتقي من هنا ومن هنا؛ تنقل من مكّة، من مصر، من الشّام، من أمريكا، من كذا صار كذا وصار كذا، تنقل لأوليائها، فأولياؤها يحدّث بعضهم بعضًا، ويخبرون النّاس، فيكون فتنةً للنّاس في إخبارهم ببعض الحوادث الّتي وقعت.

المقصود من هذا: أن الواجب الحذر من الشّياطين وأوليائهم من السّحرة والكهنة ولو صدقوا في بعض الأحيان؛ بسبب ما يسترق من السّمع، وبسبب ما تأتي به الشّياطين من البلدان الأخرى.

والواجب على المكلّف أن يتقي الله، وأن يراقب الله، وأن يحذر ما نهى الله عنه في جميع الأحوال، لا يصدّق الكهنة ولا المنجّمين ولا الرّمّالين، ولا العرّافين ولا غيرهم، ولا يأتيهم ولا يسألهم.

ولهذا في الصّحيح يقول ﷺ: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»[١]، وهكذا في الحديث الآخر: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ فِيمَا يَقُوْل، فَقَد كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّد ﷺ**»[٢]، «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّن لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ**»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم من حديث صفية عن بعض أزواج النبي ﷺ في كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم برقم (٢٢٣٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة والحسن ٢/ ٤٢٩.

(٣) أخرجه البزار من حديث عمران بن حصين (٩/ ٥٢ برقم ٣٥٧٨)، والطبراني =

فالمؤمن يحذر هذه الشّرور الّتي تقع على أيدي المخرّفين والمنجمين والسّحرة وأوليائهم.

● **س: أحسن الله إليك: ما يسمّى بالأبراج وما يقوله أهل الأبراج من يصدق بكلامهم يكفر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: أيّ أبراج؟

(من السّائل): إذا كان في البرج الفلانيّ فإنّه يحصل له كذا وكذا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

الّذي يصدّق بمن يدّعي علم الغيب يكفر: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، مصدّق علم الغيب يكفر، لا يعلم الغيب إلّا الله تَعَالَى، لكن هؤلاء قد يصدقون في كلمةٍ ولا يصدّقون يسمعونها من مسترق السّمع، ولو صدقوا في شيءٍ لا يصدّقون؛ هم كَذَبةٌ ولو صدقوا في شيءٍ؛ لأنّهم قد يصدقون في شيءٍ سمعه مسترق السّمع من السّماء. نسأل الله العافية.

● **س: تصديقهم كفرٌ يا شيخ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

من صدّق من يدّعي علم الغيب يكفر، من صدّق من يدّعي علم الغيب.

● **س:** ....؟[1].

= في الكبير (١٨/ ١٦٢). وقال في المجمع: رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع، وهو ثقة، ورواه الطبراني في الأوسط (٢٤٦٢)، وابن عدي في الكامل (٣/ ٣٣٩) وغيرهما من حديث ابن عباس، وفي إسناده زمعة بن صالح وهو ضعيف، قال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٧): إسناد الطبراني حسن، وإسناد البزار جيد، وحسنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ سليمان بن عبد الله.

(١) سقط في الأصل المسموع.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا رأى الغيلان يؤذّن والأذان يطردها.

- **س: إذا مات خلال الأربعين ليلة فما حكمه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هو مسلمٌ ما كفر، لكن هذا وعيدٌ، من باب الوعيد، أمّا إذا صدّق بعلم الغيب هذا يكفر هذا بمجرّد السّؤال فقط، نسأل الله العافية، صلاته مجزئةٌ ولا يؤمر بقضائها، كما ذكر النوويّ: أجمع العلماء أنّه لا يؤمر بالقضاء، لكنّه متوعّدٌ، مثل من أبق على سيّده لم تقبل له صلاة، وأشباه ذلك. وعيدٌ، من باب الوعيد.

- **س: واحدٌ ظهر في أندونيسيا يقولون: يعمل العملية بأصبعه، وكثير من النّاس تسافر له من هذه البلاد ومن غيرها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه من الخرافات، هذه من خرافات النّقلة.

- **س: كيف تصديق هذا، من صدّق هذا الّذي يعمل عمليةً بيده؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

من يدّعي علم الغيب، العمليات ينظر فيها، لكن من صدّق من يدّعي علم الغيب، من يعلم الغيب.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ **[الحجر: ٢٨]**.

هذا هو آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، خلقه الله من طين من التراب، والصلصال هو الطين الذي يبس حتى صار له صلصلة، والحمأ المسنون هو الطين الذي صار له رائحة؛ لطول مكثه مع الماء.

الحاصل: أن الله خلقه من صلصال من حمأ مسنون، وهو التراب الذي مُزِج بالماء، حتى صار له صلصلة، وحتى أنتن فصار حمأً له رائحة.

*

❐ **تفسير قوله تعالى**: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [**الحجر**: ٣٦ ـ ٤٠][1].

مقصود الشيطان من ذلك: أنه يعمل ما يستطيع لإغواء الناس وصدِّهم عن الحق وإخراجهم من الهدى إلى الضلالة حتى يكونوا معه في في الجحيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، فهو يدعوننا إلى أن نكون معه في النار؛ لأن الله وعده بالنار، وحكم له بالنار، وأنظره إلى يوم القيامة ابتلاءً وامتحانًا، حتى يتبين من يطيع الله ورسوله ممن يطيع الشيطان ويوافقه، وهو أيضًا يزين لهم الباطل، ويحسِّن لهم المعاصي ويدعوهم إليها، ويسهلها عليهم ويقول لهم: افعلوا كذا، الله غفور رحيم، الله تواب كريم، حتى يزين لهم الباطل، ويقول تمتع الزنا، تمتع الخمر، بأنواع الباطل كما يزين لهم الشرك إذا استطاع حتى يدعوهم إلى الكفر بالله والضلال، فعدو الله يغوي الناس، ويزين لهم الباطل حتى يكونوا معه في النار؛ لأنه ابتُلي بهذا البلاء لعنه الله وطرده ووعده النار؛ لاستكباره وإبائه من السجود لآدم وعصيانه ربه، فاستحق لعنة الله وغضبه وطرده من رحمته، وأنه توعَّده بالنار والخلود فيها.

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٢٤).

قال تعالى: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٤ ـ ٨٥]. فالعدو هو الشيطان قد وعده الله النار وحتم له دخولها، فهو حريص غاية الحرص على إغواء بني آدم وعلى تزيين الباطل لهم حتى يكونوا معه في النار، وهكذا هو أيضًا شياطين الجن حريصة أيضًا على إغواء حتى الجن، فهم حريصون على إغواء الجن معهم وعلى إغواء الإنس، كما أن شياطين الإنس كذلك حريصون على إغواء الإنس حتى يكونوا معهم في السعير، كما قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

والله ﷻ ابتلى هؤلاء وهؤلاء، ابتلى الجن والإنس بالشياطين المتمردين الخارجين عن طاعة الله من الإنس والجن حتى يدعوا الناس إلى الباطل، ويزينوا لهم الباطل.

فالواجب على المكلفين من الرجال والنساء الحذر من الشياطين، وكل من دعاك إلى عصيان الله متعمدًا فهو شيطان إما إنسي وإما جني، فالذي يملي عليك الباطل في قلبك فهو من شياطين الجن، والذي يدعوك لها ظاهرًا من الإنس هو من شياطين الإنس، الذي يقول لك: افعل الزنا، اشرب الخمر، اقتل فلانًا بغير حق، أو يدعوك للكفر والضلال، إلى عبادة الأموات والاستغاثة بالأموات، أو إلى عبادة الأصنام أو الملائكة أو الجن، كل هؤلاء من الشياطين، فليس لك أن تطيعهم، يجب عليك أن تعصيهم حتى لا تكون معهم في النار، وفي السعير، وإياك أن تخدع بهم وتزيينهم للباطل وتحسينهم للمعاصي، بل يجب أن تطيع الله ورسوله، وأن تستقيم على أمر الله، وأن تبتعد عن محارم الله، وأن تستعين بربك ﷻ، تقول: اللَّهُمَّ اهدني صراطك المستقيم، اللَّهُمَّ أصلح قلبي وعملي، اللَّهُمَّ أعذني من شياطين الإنس والجن، اللَّهُمَّ اكفني شرَّهم، تستعيذ بالله من شياطين الإنس والجن،

تحذرهم، وإذا وقع في قلبك شيء فاعرضه على ما قاله الله ورسوله، فإن كان مما يوافق قول الله ورسوله فهذا حق اقبله، وإن كان يخالف أمر الله ورسوله فهو من الشيطان، وإن أشكل عليك فاسأل أهل العلم والإيمان، أهل البصيرة من علماء المسلمين، أهل الهدى، اسألهم عما أشكل عليك، هل هذا حق أو باطل؟

إذا كنت لست بعالم، وإذا كنت طالب علم فانظر في الأدلة في كلام الله وكلام رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ حتى تعرف الحق من الباطل، وحتى لا تشتبه عليك الأمور التي يدعو إليها الشياطين من الإنس والجن بما قاله الله ورسوله، والله يقول سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ويقول سبحانه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، والنزغات التي من الشيطان فهي ما يمليه عليك الشيطان، ويقع في قلبك من دواعي الباطل فهي من نزغات الشياطين، شياطين الجن، يتمثّل الجن بالناس ويدعونهم إلى الباطل في صور الرجال من بني آدم أو في صور النساء، قد يتمثَّلون ويدعون إلى الشرك والباطل، فإياك أن تطيع من أمرك بالباطل ولو كان أخاك، ولو كان أباك، ولو كان صديقك، لا تطع أحدًا في الباطل أبدًا؛ لقول النبي ﷺ: «**لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»(١).

فمن أمرك بالخير وطاعة الله ورسوله فهو مشكور، وهذا يُطاع في الخير، أما من دعاك إلى المعاصي والشرك فلا وإن كان قريبًا، وإن كان

(١) متفق عليه من حديث علي رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام برقم (٧٢٥٧)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية برقم (١٨٤٠).

صديقًا، وإن كان أميرًا، وإن كان أبًا، وإن كان أمًّا، فليس لك أن تطيع أحدًا في معاصي الله ﷻ، وإياك أن تغتر بالخداع وتزيين الباطل، وتلبيس الحق بالباطل من شياطين الإنس والجن احذرهم، حتى لا يجروك إلى النار، وحتى لا يقودوك إلى السعير بسبب الخداع وتزيين الباطل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨)﴾ **[الحجر: ٤٥ ـ ٤٨]**[(١)].

فقد قال الله ﷻ في كتابه المبين: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨)﴾.

في آيات كثيرات بيَّن سبحانه أنه أعدَّ الجنة لأهل التقوى، وهم الذين اتقوا عذاب الله، واتقوا عقاب الله بفعل أوامره وترك نواهيه ﷻ، هؤلاء هم المتقون الذين أطاعوه بترك ما حرّم عليهم، وأداء ما فرض عليهم ﷻ، فلهذا سمَّاهم متقين، وهم أهل الإيمان والهدى، وهم أهل الصلاح، وهم المسلمون الكُمل الذين حقَّقوا إيمانهم بطاعة الله ورسوله، واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله، ولهذا في آيات أخرى يقول ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥)﴾، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١)﴾ [المرسلات: ٤١]: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤] في غير ذلك من الآيات الدالة على فضل أهل التقوى.

---

(١) حديث المساء، (ص١٢٥) ط٣ ـ ١٤٣٦هـ.

وفي هذه الآية يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾؛ يعني: في بساتين فيها أنواع الثمار وأنواع الخيرات وأنهار جاريات والعيون السائحات لنعيم أهل الجنة ولحصول ما يُسِرُّهم، وما ينفعهم، وما تقرُّ به أعينهم في تلك الدار العظيمة.

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ يقال لهم: ادخلوها بسلام؛ لأن الجنة هي دار السلام: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥]، ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وهي الجنة هي دار السلام، ليس فيها أذى ولا مرض ولا موت ولا كدر، فهي دار السلام من كل مكروه ومن كل أذى.

﴿ءَامِنِينَ﴾ هذا وصفهم أنهم آمنون في هذه الدار من كل أذى؛ فلا موت ولا مرض ولا كدر ولا حُزن ولا خروج، ولا غير هذا من أنواع الأذى والمكاره، هم آمنون، كما في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥١ ـ ٥٥] هم آمنون وفي مقام أمين؛ فالدار آمنة لا خراب فيها ولا فساد فيها، وهم آمنون أيضًا من كل أذى: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

أهل الجنة يدخلونها وقد نُزع ما في صدورهم من الغل، الناس في الدنيا يكون بينهم شيء وإن كانوا مؤمنين، وإن كانوا متقين، قد تقع بينهم خصومات وأشياء تسبِّب بعض الغِل والحُزن، ولكن هذا يزول قبل دخول الجنة إذا مروا على الصراط وقفوا على قنطرة، محل هناك بين الجنة وبين الصراط عند منتهى الصراط قنطرة يقف عليها أهل الجنة فيُقتَص لبعضهم من بعض، ويُعطى كل واحد حقه من أخيه؛ حتى لا تبقى بينهم

أشياء، فيدخلوها وقد سلمت صدورهم، ونُزِع منها كل غل وبلاء: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾، يقتص بعضهم لبعض؛ فإذا هُذِّبوا ونُقوا، وصفت قلوبهم، ولم يبقَ شيء من غِل وغيره دخلوها آمنين سالمين؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾، وهو التعب؛ لا تعب النفس ولا تعب البدن كله: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾: بقاؤهم فيها دائم، وأمنهم فيها دائم، ونعيمهم فيها دائم، هكذا أخبر الله عنهم ﷻ، وفي الحديث يقول النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادي منادٍ** - يعني: من عند الله -: **يا أهل الجنة، إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبأَسُوا أَبَدًا**»(١).

فهم في نعيم دائم وصحة دائمة وشباب دائم ونعيم مستمر، فلا موت ولا مرض ولا كدر ولا غير ذلك، ولهذا قال بعده سبحانه: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾، وقال في آخره: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾، فالنعيم دائم، والصحة دائمة، والمقام أمين، والحياة مستمرة على أحسن حال، فهذه الدار التي ينبغي أن تُطلَب، وينبغي أن يسعى لها الساعون والمشمرون والأخيار، وأن يحذروا كل ما يعوقهم عن ذلك.

*

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما، في كتاب الجنة، باب في دَوَامِ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ برقم (٢٨٣٧)، والترمذي في كتاب ثواب القرآن، باب وَمِنْ سُورَةِ الزُّمَرِ برقم (٣٢٤٦)، وأحمد في المسند (١/ ٣١٩).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٤٥ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٧ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝٤٨﴾ [الحجر: ٤٥ ـ ٤٨].

هذه الآيات الكريمات كلها تتعلق ببيان نعيم أهل الجنة وما أعد الله لهم من الخير؛ يعني: المتقون المؤمنون، فالجنة أعدّها الله للمتقين المؤمنين، والنار أعدَّها الله للكافرين، فالله ﷻ بيَّن لعباده هذه وهذه، وبيَّن حال هؤلاء وحال هؤلاء؛ حتى يبادر المؤمن الموفَّق إلى الأعمال الصالحات، وإلى المجاهدة لنفسه في لزوم الحق والثبات عليه رجاء أن يكون من هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من أهل الجنة والكرامة ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٤٥ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٥، ٤٦]؛ يعني: يقال لهم ذلك ادخلوها بسلام آمنين، آمنين من الموت والأمراض، والجوع، والعطش، والخوف وغير هذا من كل ما يسوؤهم آمنين، هذه حالهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، لا تباغض بينهم ولا اختلاف، ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾؛ يعني: تعب، ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، بل في نعيم دائم في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٨]، في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٢ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٦ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥١ ـ ٥٧]، والآيات كثيرة في بيان حال المتقين ومقامهم أنه الجنة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ

﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٧، ٨].

وجاء في حديث جابر: «**يَأْكُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَبُولُونَ، وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَاكَ جُشَاءٌ كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهَمُونِ التَّسْبِيحَ وَالحَمْدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ**»(١).

في الحديث الآخر: «**وَلَا يَتْفِلُونَ**»، بل ذلك الطعام جُشاء من غير حاجة، لا بول ولا غائط يتبخر، رشحهم المسك، وآنيتهم الذهب، لا اختلاف بينهم ولا تباغض على قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشية، هذه حالهم دار النعيم لا نوم ولا موت، ولا بصاق، ولا بول، ولا غائط؛ ولكن في نعيم دائم، يأكلون مما يشتهون ويشربون، مما يشتهون، ولا يحتاجون إلى بول ولا غائط، كله يذهب جُشاءً، ويتبخر من غير حاجة إلى بول ولا غائط من خفته وطيبه، فينبغي للمؤمن أن يسعى لهذا الخير العظيم، وأن يستقيم على طاعة الله ورسوله، وأن يحذر التساهل في هذا الأمر واستبطاء المسير إلى الله؛ وليس بينك وبين هذا إلا خروج هذه الروح، وأنت لا تدري متى تخرج هذه الروح، والقبر أول منزلة من منازل الجنة أو النار، إما أن تنعم فيه، وإما أن تعذّب، فالعاقل والحازم أن يعد العُدة، ويحذر أسباب الخزي والندامة. نسأل الله للجميع التوفيق والسلامة.

*

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته برقم (٣٣٢٧)، ومسلم في كتاب الجنة، باب أوّل زمرةٍ تدخل الجنّة على صورة القمر ليلة البدر وصفاتهم وأزواجهم برقم (٢٨٣٤)، ومسلم من حديث جابر في كتاب الجنة، باب في صفات الجنة وأهلها وتسبيحهم بكرة وعشيًّا برقم (٢٨٣٥) رقم حديث الباب (١٩).

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠﴾ **[الحجر: ٤٩، ٥٠].**

يحذِّرهم سبحانه من أسباب العذاب، ويحثّهم على أسباب المغفرة من التوبة والاستغفار والدعاء.

فالإنسان يعرض له عوارض، وإن كان من المتقين تعرض له عوارض، وهو مأمور بسؤال الله التوبة والاستغفار؛ فالله غفور رحيم ﷻ، وكذلك مأمور بالحذر من المعاصي والشرور.

لأن ربه شديد العقاب: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠﴾، هذا ترغيب وترهيب ودعوة إلى الخير وتحذير من الشر، دعوة إلى التوبة والاستقامة وطلب المغفرة، وهو غفور رحيم ﷻ، وتحذير من التساهل وارتكاب المحارم والإصرار على المعاصي، فإن عذاب الله شديد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

*

❐ **يسأل تفسير قول الحق تبارك وتعالى:** ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٨٠﴾ **[الحجر: ٨٠]**(١).

ذكر العلماء في هذا أن من كذَّب رسولًا، فقد كذَّب المرسلين؛ لأن الحكم واحد، فالتكذيب لواحد منهم تكذيب لهم؛ لأنهم بُعِثوا من عند الله بالآيات والمعجزات؛ فمن كذَّبه فحكمه حكم من كذَّب الجميع، ولهذا قال في حقهم وحق غيرهم: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣]، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٤١]، من هذا الباب؛ لأنه لما كذبوا

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٢٨).

نبيهم مع قيام الحجة القاطعة فيهم على صدقه فهم في الحقيقة مكذبون لغيره.

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الحجر: ٨٠](١)

حدّثنا إبراهيم بن المنذر، حدّثنا معنٌ، قال: حدّثني مالكٌ، عن عبد الله بن دينارٍ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال لأصحاب الحجر: «**لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ**»(٢).

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧](٣)

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا يدلّ على أنّ ديارهم ما هي محلّ نزهةٍ؛ بل يجب الحذر، ولهذا لما مرّ بها قنّع رأسه وأسرع السّير ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، لما ذهب إلى تبوك ومرّ بديار ثمود أسرع السّير وقنّع رأسه وقال: «**لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ**».

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾ برقم (٤٧٠٢)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا إلا أن تكونوا باكين برقم (٢٩٨٠).

(٣) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

فهي محلّ حذرٍ ومحلّ خوفٍ؛ فإنّ الله جعل آثارهم نذارةً وعظةً، فقد أصابهم بسبب كفرهم ما أصابهم من الصّيحة؛ حتّى هلكوا، وهكذا عادٌ، وهكذا قوم لوطٍ، وهكذا أهل مدين.

فالمقصود من هذه العبرة، والله قصّ لنا القصص؛ حتّى نحذر أعمالهم ونبتعد عن فعالهم، وليست محلّ تفرّجٍ وسياحةٍ.

● **س: يصورون فيها الآن القبور، ويدخلون داخلها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا غلطٌ، هذا من جهلهم، هذه أماكن العذاب، يجب الحذر من الدّخول عليهم، وسؤال الله العافية.

● **س: هذه الأماكن زيارتها بالنّسبة للاعتبار هل يجوز؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا دخلها يبكي صادقًا، خائفًا حذرًا، مثل ما قال: «**لَا تَدْخُلُوها إِلَّا أَنْ تَكُوْنوا بَاكِينَ، حذرًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ**».

● **س: أحسن الله إليك: في كتب ومجلات تتكلّم عن الحضارات ويأتون بصور هذه الأماكن وصور أصنام ويقولون: هذه الحضارة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا من الجهل، هذا نوعٌ من الدّعاية جهلٌ من صاحبه؛ ينبغي أن يحذّر، مثل هذا يحذّر إذا ذكر شيئًا، يجب الحذر من أفعالهم وما كانوا عليه من الباطل؛ حتّى لا يغترّ النّاس بذلك ـ بعض النّاس ـ الجاهل قد يظنّ تصوير الأصنام جيدًا، ولا بأس من جهله.

● **س: هذا عامٌّ في جميع المعذّبين؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم، نسأل الله العافية.

*

حدّثني محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا غندرٌ، حدّثنا شعبة، عن خبيب بن عبد الرّحمن، عن حفص بن عاصمٍ، عن أبي سعيد بن المعلّى قال: مرّ بي النّبيّ ﷺ وأنا أصلّي فدعاني، فلم آته حتّى صلّيت، ثمّ أتيت فقال: «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ؟**» فقلت: كنت أصلّي، فقال: «**أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾** [الأنفال: ٢٤]؟»، ثمّ قال: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ؟**» فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَخْرُجَ فَذَكَّرْتُهُ، فَقَال: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]: **هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهي أعظم سورة في القرآن، الفاتحة هي أعظم سورةٍ، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم تسمّى السّبع المثاني، سبع آياتٍ أولها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وآخرها: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧].

وفيها حمد الله والثّناء عليه، وبيان أسمائه وصفاته، وأنّه المستحقّ لأن يعبد، وبيان الصّراط المستقيم الّذي يجب أن يسأل وأن يسلك، وأن يستقام عليه، وهو طريق الرّسل وأتباعهم ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦]، هو طريق الرّسل وأتباعهم المنعم عليهم، وهو دين الله الّذي بعث به الرّسل، وأنزل به الكتب، هو الصّراط المستقيم.

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: هم أهل العلم الّذين عرفوا ولم يعملوا كاليهود وأشباههم، والضّالون هم النّصارى وأشباههم، أهل الجهل والإعراض، أمّا الرّسل وأتباعهم فهم أهل العلم والعمل؛ عرفوا الحقّ وعملوا به، وهم أهل الصّراط المستقيم.

• **س: من قال: إن البسملة آية من الفاتحة صحيح.**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لا، غلطٌ، البسملة آيةٌ مستقلةٌ، وبعض آيةٍ من سورة النّمل، وهي آيةٌ مستقلةٌ فصلٌ بين السّور.

• **س: هذا صار بعد البعثة ـ أحسن الله إليك ـ صاروا مغضوبًا عليهم؛ لأنّهم عرفوا الحقّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هم مغضوبٌ عليهم، النّصارى واليهود كلّهم مغضوبٌ عليهم، لكن اليهود أشدّ غضبًا، والنّصارى أشدّ ضلالًا، وإلّا كلّ الكفّار مغضوبٌ عليهم وضالّون، كلّهم سواءٌ، نصارى، أو يهود، أو شيوعيّون، أو عَلمانيون، أو لا دينيّون، جنٌّ، أو إنسٌ كلّهم مغضوبٌ عليهم وضالون، لكن من كان يغلب عليه العناد مع العلم وصف الغضب أغلب عليه، ومن كان يغلب عليه الجهل وصف الضّلال أغلب عليه.

• **س: العلمانيّ وإن صلّى وإن صام؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

الّذي يرى، أنّه لا دين ولا يرى صحّة الدّين، وإنّما يصوم ويصلّي كالمنافقين مثلهم.

• **س: أحسن الله إليك: الحديث: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقةً»، كلّهم في النّار؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعني: إلّا واحدة، وهكذا النّصارى ثنتين إلّا واحدةً، إلّا أتباع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأتباع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هم الّذين نجوا، والبقيّة هالكون، وهكذا الثّلاثة وسبعون فرقةً أمة محمّدٍ ﷺ، اليهود افترقوا على إحدى وسبعين، والنّصارى ثنتان وسبعون.

• **س: قوله: «وستفترق هذه الأمة على ثلاثٍ وسبعين فرقةً كلّها في النّار إلّا واحدة»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، نسأل الله أن يجعلنا وإيّاكم من النّاجين، نسأل الله أن يجعلنا وإيّاكم من النّاجين.

حدّثنا آدم، حدّثنا ابن أبي ذئبٍ، حدّثنا سعيدٌ المقبريّ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُمُّ الْقُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ**»[(١)].

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨][(٢)].

هذه الآية الكريمة تتعلّق بالحث على الاستقامة على الخير، الذي اعتاده مما شرعه الله، وعدم التفريط فيه، كما تضمّن أيضًا الحث على حسن الخلق وطيب الكلام، وطلاقة الوجه من المؤمن مع أخيه إلا إذا وُجد أسباب تمنع ذلك، إذا وُجِد أسباب توجب الهجر والشدة فلا بأس، وإلا فالأصل أن المؤمن مأمور بحُسن الخلق وطلاقة الوجه، وطيب الكلام، والحذر من ضد ذلك، يقول الله جَلَّ وَعَلَا في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾ [النحل: ٩٢]. ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وكان حسن الخلق ـ عليه الصلاة والسلام ـ طيب الكلام قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فكان طيِّب الكلام طليق الوجه ـ عليه الصلاة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ برقم (٤٧٠٧).

(٢) انظر: شرح كتاب رياض الصالحين الجزء الثالث، باب استحباب طيب الكلام وطلاقة الوَجه عند اللقاء ج٣ (ص٢١).

والسلام ـ، وقال ﷻ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]. قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ولما بعث موسى وهارون إلى فرعون قال لهما: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]. فالمؤمن مأمور بطيب الكلام ولين الجانب مع إخوانه ومع أهل بيته، مع جيرانه، إلا من اقتضى الشرع الإغلاظ له وهجره لإظهاره المنكرات، هذا شيء آخر، مثلما قال ﷻ في أهل الكتاب: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ويقول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «**يَا عبْدَ الله، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ**»(١)، يحثه على الاستمرار والثبات على قيام الليل ولو قليلًا، قال الله في صفة المتقين: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨]. هذه من صفات أولياء الله، وقال في صفة عباد الرحمٰن في سورة الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٤]، هكذا صفتهم وأخلاقهم العظيمة، وقال لعبد الله بن عمر: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ**»(٢)، فقالت حفصة: فما زال عبد الله يصلي من الليل منذ سمع من النبي هذا، ما كان ينام إلا قليلًا رضي الله عنه وأرضاه، وفي الصحيحين: أنه ﷺ أوصى أبا هريرة بصلاة الضحى ركعتي الضحى وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، والوتر قبل النوم، وأوصى أبا الدرداء بذلك أيضًا، بصلاة الضحى وصيام ثلاثة أيام من كل شهر والوتر قبل النوم.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن العاص رضي الله عنهما في كتاب التهجد، باب ما يُكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه برقم (١١٥٢).

(٢) متفق عليه من حديث سالم رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب فضل قيام الليل برقم (١١٢٢)، ومسلم في كتاب، باب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن عمر برقم (٢٤٧٩).

وقال لأبي ذر: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»[(١)] طلق؛ يعني: منبسط، وقال لعدي بن حاتم ﵁: «**مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»[(٢)].

الإنسان يفعل الخير ولو قليلًا فمن لم يجد فبكلمة طيبة، الإنسان يحرص على الخير إما بالصدقة والمعروف ولو قليلًا، وإما بالكلام الطيب كما في حديث أبي هريرة يقول ﷺ: «**وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**»[(٣)]، التسبيحة: صدقة، التحميدة: صدقة، التهليلة: صدقة، «**الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**»، فهكذا الصدقة القليلة تنفع، تقدم قوله ﷺ: «**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ**»[(٤)].

في «صحيح البخاري» عن عائشة ﵂ قالت: (جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ تَسْأَلُنِي - تشحذ تسأل - فلم أجد في البيت إلا ثلاث تمرات فدفعتها إليها، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، وَاسْتَطْعَمَتْاهَا ابْنَتَاهَا التمرة الثالثة؛ يعني: أكلتا التمرتين كانتا أسرع منها واسْتَطْعَمَتْهَا التمرة الثالثة، فشقتها بينهما نصفين ولم تأكل شيئًا، قالت عائشة: فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته بشأنها، فقال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ**»)؛ يعني:

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي ذر ﵁ في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء برقم (٢٦٢٦).

(٢) سبق تخريجه (٣/ ٥٤٢) و(٣/ ٦٦١).

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﵁، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل من حمل متاع صاحبه في السفر برقم (٢٨٩١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب بيان اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف برقم (١٠٠٩).

(٤) متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله ﵄، أخرجه البخاري في كتاب الآداب، باب كل معروف صدقة برقم (١٠٠٩).

أوجب بهذه الرحمة بهاتين الطفلتين، هذا يدل على فضل الصدقة والرحمة والإحسان، وأن الله ﷻ يأجر على هذا، ويثيب على هذا الثواب الجزيل، وفي هذا الدلالة على أنه ينبغي للمؤمن القناعة والصبر على الشدة، بيت النبي ﷺ ما وُجِد فيه إلا ثلاث تمرات، في بعض الأحيان ثلاث، وهو بيت أفضل الخلق، هذا يدل على أنه ينبغي للمؤمن التصبُّر والتحمُّل ولو أصابه الفقر لا يجزع، يتحمل، ويأخذ بالأسباب التي شرعها الله، فله أُسوة في نبي الله ﷺ ربما ربط الحجر على بطنه من شدة الجوع ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وهكذا كثير من الصحابة أصابه شدة في المدينة، ثم وسَّع الله عليهم، والحمد لله.

نسأل الله للجميع التوفيق وصلاح النية والعمل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* *

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨](١).

هذه الآية الكريمة تتعلَّق بالحث والترغيب في خفض الجناح للمؤمنين ورحمة اليتيم والمسكين وعدم التكبُّر والتجبُّر، هكذا يجب على أهل الإيمان أن يكونوا متواضعين مع إخوانهم خافضين للجناح ولا سيما مع الفقير، والمسكين، واليتيم، والمريض، ومن به عاهة قد ينفرُ منه الناس أو ما أشبه ذلك، وهكذا من ليس له جماعة تحميه، كل هذا من شأن المؤمنين أن يرفقوا به ويرحموه، ويكونوا قوة له وسندًا له؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، هكذا ينبغي للمؤمنين أن يكونوا أهل تواضع مخفضي الجناح لإخوانهم ولو كانوا فقراء، وهكذا قوله ﷻ:

---

(١) انظر: شرح كتاب رياض الصالحين الجزء الأول، باب ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفة (١/ ٥٢٩).

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١ ـ ٣]. ﴿يَدُعُّ﴾؛ يعني: يدفع ولا يُبالي به ولا يرحم، تكبرًا وتعاظمًا، قال جل وعلا: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾؛ يعني: احبسها يخاطب نبيه ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ [الكهف: ٢٨]؛ يعني: مع الفقراء، وكان نزلت في سعد بن أبي وقاص، وبلال، وابن مسعود وأشباههم من الفقراء المهاجرين لما طلبت قريش إبعادهم منه، أمره الله أن يحبس نفسه معهم، وأن يتواضع لهم، وألا يطيع فيهم هؤلاء الكفرة. ويقول ﷺ: «**أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ في الجَنَّةِ هَكَذا**»، وَأَشارَ بأصبعه السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا، فالمقصود أن المشروع للمؤمنين والواجب عليهم التواضع وعدم التكبر، والتلطف بالمساكين والفقراء والأيتام، والإحسان إليهم ورحمة حالهم ودفع الضرر عنهم، ولما قدم أبو سفيان المدينة لطلب تأكيد الصلح بينه وبين أهل مكة في الهدنة التي بين النبي وبين أهل مكة التي تمَّت يوم الحديبية، وكانت بنو بكر قد خانت وغزت خزيمة وهم في حلف النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فجاء أبو سفيان ليؤكد الصلح فلم يكلمه النبي ﷺ وقال فيه بعض الصحابة كصهيب وغيره: ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها، فقال أبو بكر: أتقولون هذا لسيد قريش! لأن أبا سفيان في ذاك الوقت كبير قريش، هو كبيرهم، هو الذي ترأس غزوة أحد والأحزاب، فقال له النبي ﷺ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ** ـ يعني: هؤلاء الفقراء ـ **لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ**»[١].

فأتاهم أبو بكر الصديق فقال: يا إخوتاه قد أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك، والشاهد في قوله ﷺ: «**لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ**»، هذا فيه الدلالة على أن رحمة المساكين والإحسان إليهم

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عائذ بن عمرو بن هلال المزني ﷺ في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سلمان وصهيبٍ وبلالٍ رضي الله تعالى عنهم برقم (٢٥٠٤).

والتلطف بهم مما يرضي الله، وأن سبَّهم أو الغلظة عليهم أو التجبر عليهم أو جفاءهم والإساءةِ إليهم مما يُغضِب الله ﷻ.

*

▢ تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾ [الحجر: ٩١]

﴿ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ [الحجر: ٩٠]: الّذين حلفوا، ومنه: ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ [البلد: ١]؛ أي: أقسم، وتقرأ: لأقسم، ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ [الأعراف: ٢١]: حلف لهما، ولم يحلفا له، وقال مجاهدٌ: ﴿تَقَاسَمُواْ﴾ [النمل: ٤٩]: تحالفوا.

حدّثني يعقوب بن إبراهيم، حدّثنا هشيمٌ، أخبرنا أبو بشرٍ، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾ قال: «هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، جَزَّؤُوهُ أَجْزَاءً، فَآمَنُوا بِبَعْضِهِ، وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ»[1].

حدّثني عبيد الله بن موسى، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ [الحجر: ٩٠] قال: «آمَنُوا بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ: الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى»[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمقصود: تحذير هذه الأمّة أن تفعل فعل اليهود والنّصارى من التّصديق ببعضٍ والتكذيب ببعضٍ، واتّباع الهوى، فيجب اتّباع الحقّ كلّه والحذر من اتّباع الهوى ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]. نسأل الله العافية.

* *

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾ برقم (٤٧٠٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾ برقم (٤٧٠٦).

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ **[الحجر: ٩٩].**

قال سالمٌ: ﴿ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾: الموت[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والواجب على جميع النّاس أن يعبدوا ربّهم حتّى يأتيهم اليقين؛ يعني: حتّى الموت، وهذا معنى الاستقامة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]؛ أي: ثبتوا على الحقّ واستقاموا عليه حتّى الموت.

وهذا هو الواجب على كلّ مكلّفٍ من الجنّ والإنس أن يستقيم على الحقّ ويثبت عليه، ويحذر خلافه حتّى الموت .الله المستعان.

• **س: صلاة الجمعة والمؤذّن يؤذّن الأذان الثّاني هل الأولى أن يصلّي أو؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الأفضل أن يجيب المؤذّن ثمّ يصلّي ركعتين، الأفضل يجيب المؤذّن ثمّ يصلّي ركعتين، يجمع بين السّنّتين، يجيب المؤذّن ثمّ يصلّي ركعتين، ثمّ يجلس، إذا دخل المسجد والمؤذّن يؤذّن: يجيب المؤذّن ثمّ يصلّي ركعتين، هذا أفضل حتّى يجمع بين الحسنيين.

• **س: والظّاهر في قول النّبيّ ﷺ: «فقولوا مثل ما يقول» هل هذا للوجوب أو للاستحباب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

السّنّة أنّه يقول مثل ما يقول، المشهور عند العلماء أنّه سنّةٌ، إلّا الحيعلة فيقول: (لا حول ولا قوّة إلّا بالله) والباقي يقول مثل ما يقول.



(١) وهذا هو الواجب على جميع الناس أن يستقيموا على طاعة الله إلى الموت.

تفسير آيات من سورة النحل(١)

﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ [النحل: ١٠٢]: جبريل، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، ﴿فِي ضَيْقٍ﴾ [١٢٧]: يقال: أمرٌ ضَيْقٌ وضيِّقٌ، مثل هَيْنٍ وهَيِّنٍ، ولَيْنٍ وليِّنٍ، ومَيْتٍ وميّتٍ، وقال ابن عبّاسٍ: (تَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ) [النحل: ٤٨]: تتهيأ، ﴿سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًاۚ﴾ [النحل: ٦٩]: لا يتوعّر عليها مكان سلكنه، وقال ابن عباس: ﴿فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ [النحل: ٤٦]: اختلافهم، وقال مجاهدٌ: ﴿تَمِيدَ﴾ [النحل: ١٥]: تكفّأ، ﴿مُّفْرَطُونَ﴾ [النحل: ٦٢]: منسيّون، وقال غيره: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]: هذا مقدّمٌ ومؤخّرٌ، وذلك أنّ الاستعاذة قبل القراءة، ومعناها: الاعتصام بالله، وقال ابن عباس: ﴿تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠]: ترعون، ﴿شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤]: ناحيته، ﴿قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩]: البيان، الدّفء: ما استدفأت به، ﴿تُرِيحُونَ﴾ [النحل: ٦]: بالعشيّ، و﴿تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦]: بالغداة، ﴿بِشِقِّ﴾ [النحل: ٧]: يعني: المشقّة، ﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [٤٧]: تنقّصٍ، ﴿ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةًۖ﴾ [٦٦]: وهي تؤنّث، وتذكّر كذلك، وكذلك النّعم، الأنعام: جماعة النّعم، ﴿أَكْنَٰنًا﴾ [النحل: ٨١]: واحدها كنّ، مثل: حمل، وأحمال، ﴿سَرَٰبِيلَ﴾ [النحل: ٨١]: قمصٌ، ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، وأمّا ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْۚ﴾ [النحل: ٨١]: فإنّها الدّروع، ﴿دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ [النحل: ٩٢، ٩٤]: كلّ شيءٍ لم يصحّ، فهو دخلٌ، قال ابن عبّاسٍ:

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

﴿وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]: من ولد الرّجل، السّكر: ما حرّم من ثمرتها، والرّزق الحسن: ما أحلّ الله، وقال ابن عيينة عن صدقة: ﴿أَنكَٰثًا﴾ [النحل: ٩٢]: هي خرقاء، كانت إذا أبرمت غزلها نقضته، وقال ابن مسعودٍ: الأمّة معلّم الخير.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: يقال: (ضيق وضيّق...) كلماتٌ معدودةٌ، شدّدوا وخفّفوا «ضَيْق وضَيِّق»، «هَيْن هَيِّن»، «لين»، «مَيْت وميّت»، «نَيْف ونيّف». نحو خمس أو ستّ كلمات معروفة في لغتهم، هذه الأربعة الّتي ذكرها المؤلّف، ويضاف إليها: «نيف ونيّف» أيضًا: «ضيق، ولين، هين، ميت، ونيف».

ومعنى «إذا قرأت»: يعني: إذا أردت القراءة.

قوله: (هذا مقدّم ومؤخر): لأنّها يبدأ بها، مثل ما جاء في الحديث: «**إِذَا دَخَلَ الخلاء قال: بسم الله**»، «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ**»(١)؛ يعني: أراد دخول الخلاء، كما في الرّواية الأخرى.

• **س: للوجوب أم النّدب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المعروف عند أهل العلم السّنّة، سنّةٌ مؤكدةٌ، والقول بالوجوب قولٌ قويٌّ؛ لأنّه أمرٌ.

قولُه: ﴿تَمِيدَ﴾: تضْطرب، ﴿تَمِيدَ﴾: تتحرَّكُ وتضطربُ، مَعْنَاهَا ظاهرٌ.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب ما يقول عند الخلاء برقم (١٤٢)، وانظر: (٦٣٢٢).

قوله: (وَذَلِكَ أَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ قَبْلَ القِرَاءَةِ): معنى ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ﴾؛ يعني: أردت القراءةَ، مثل: «إذا دَخَلَ الخلاء»؛ يعني: إِذَا أَرَادَ دخولَ الخلاءِ، يؤتى بالفعلِ والمرادُ بِهِ إرادةُ فعلِه.

وقوله: (وقال ابن مسعودٍ: الأمّة معلّم الخير)؛ يعني: إمامًا - الله أكبر - يقتدى بِهِ.

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٦].

• **يقول الله - تعالى - عن يوم القيامة: ﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾، ويقول - ﷻ - في سورة النحل: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٣]، ولكني وجدت آيةً في سورة الرحمٰن تنفي حدوث السؤال للإنس والجن يوم القيامة، يقول المولى فيها: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمٰن: ٣٩]، فكيف الجمع بين هذه الآيات التي تثبت الحساب، والأخرى التي تنفي السؤال[1]؟**

أيها الأخ السائل، اعلم أن يوم القيامة له أحوال، وله شؤون، وهو يوم طويل، مقداره خمسون ألف سنة، كما قال ﷻ في كتابه العظيم: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ الآيات [المعارج: ٤ - ٧]. فهو يوم طويل وعظيم، وله شؤون وله أحوال، والناس فيه على أحوال، ففي وقت يسألون، وفي وقت لا يسألون، ففي وقت يسألهم الله

(١) فتاوى نور على الدرب، ومجموع تفسير آيات من القرآن، جمع: يزيد الدرعان (ص١٦٩).

عن أعمالهم كما قال ﷻ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣] فيسألهم ويجازيهم وتعرض عليهم صحائفهم، وفي وقت آخر من هذا اليوم الطويل لا يسألون، وهكذا في قوله ﷻ عن الكفار أنهم قالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] وفي موضع آخر قال: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢] ولهذا نظائر، فيوم القيامة طويل عظيم، للناس فيه شؤون مع ربهم ﷻ؛ فتارة يقرون، وتارة يجحدون، وتارة يسألون، وتارة لا يسألون، فانتبه لهذا، ولا تشك في شيء من ذلك، فكله حق، والله المستعان.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ **[النحل: ٦٧].**

• **في آخر أسئلته يستفسر عن هذه الآية:** ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾ **الآية [النحل: ٦٧][(١)]؟**

هذا كان في أول الإسلام يتخذون من النخيل والأعناب السكر، الخمر، حين كانت مباحة، ثم نسخ الله ذلك، وحرَّمها بقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، والنبي ﷺ، لعن الخمر وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة إليه، وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومشتريها وآكل ثمنها، وكانت في الأول مباحة يشربها الناس، في

(١) من برنامج نور على الدرب، الحلقة رقم (١٢/٥٦١)، ونور على الدرب ج٢٧ (ص٣٢٥).

مكة وفي أول الإسلام وفي أول الهجرة ثم حرَّمها الله في المدينة، ولعن شاربها.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [النحل: ٧٠][1].

حدّثنا موسى بن إسماعيل، حدّثنا هارون بن موسى أبو عبد الله الأعور عن شعيبٍ، عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو: أَعُوذُ بِكَ مِنَ: الْبُخْلِ، وَالْكَسَلِ، وَأَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا في آخر الصّلاة، كما جاء في الرّواية الأخرى في حديث سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه قبل أن يسلم، وهي دعواتٌ عظيمةٌ في كلّ وقتٍ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»**، كلّها دعواتٌ عظيمةٌ؛ كان يدعو بها في آخر الصّلاة، ويدعى بها في كلّ وقتٍ؛ لأنّها دعواتٌ عظيمةٌ.

- **س: ولد البنت من الأحفاد؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

نعم، يسمّونه على الغالب سبطًا، وولد الذّكر يسمّى حفيدًا، هذا

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ برقم (٤٧٠٧)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره برقم (٢٧٠٦).

الغالب، وقد يطلق السّبط على الحفيد، والحفيد على السّبط، لكن الغالب أبناء الذّكور حفدةٌ، وأبناء الإناث أسباطٌ.

*

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠][1].

هذه الآية الكريمة في فضل ولي الأمر العادل المستقيم الحاكم بشرع الله، وأن فضله عظيم، وأن الواجب على ولاة الأمور سواء كانوا ولاةً عاملين، أو أُمراء في القرى والقبائل ونحو ذلك، الواجب عليهم جميعًا أن يعدلوا في الرعية، وأن يحكِّموا فيهم شرع الله ﷻ، ويحذروا الظلم في جميع الأحوال؛ ولهذا يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]. البغي: الظلم، والعدل: وضع الأمور في مواضعها، والظلم والبغي وضعها في غير مواضعها، قال تعالى: ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩] أقسطوا؛ يعني: اعدلوا، القسط: العدل.

والواجب على كل من ولَّاه الله شيئًا من أمور المسلمين أن يعدل، وأن يتحرَّى الحق، سواء كان أمير عامة أو أمير خاصة، حتى الرجل في أهل بيته وفي أولاده يجب عليه أن يعدل على حسب حكم الله؛ ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ**»[2]؛ يعني: سبعة أصناف من الناس «**يُظِلُّهُمُ الله يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**» يعني: يوم القيامة.

---

(١) انظر: شرح كتاب رياض الصالحين (٢/ ٤٧٥).

(٢) سبق تخريجه في (٣/ ٥٤٤).

«**إِمَامٌ عَادِلٌ**» بدأ به؛ لأنه أعظم الناس فضلًا ونفعًا إذا عدل واستقام، وأضر الناس على الناس إذا مال وأبى الحق، ففضله عظيم، ونفعه كبير إذا استقام وعدل، وشره عظيم إذا انحرف عن الهدى؛ ولهذا قال: «**إمام عادل**» بدأ به؛ لفضل العدل وما فيه من الخير العظيم والمصالح العظيمة للمسلمين.

«**وَشَابٌّ نَشَأَ في عِبادة الله تَعَالَى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ**» بالحرص على الجماعة وأدائها في الجماعة الحرص على الصلاة وأدائها في الجماعة.

«**وَرَجُلانِ تَحَابَّا في اللهِ اجتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ**» وهكذا: امرأتان تحابَّتا في الله ورجل وامرأة تحابَّا في الله، المقصود الحب في الله من الجميع من الرجال والنساء، يحبه لله لطاعة الله وللقيام بأمر الله لا لطمع في مال أو لنسب أو صداقة دنيوية ونحو ذلك؛ بل محبة لله وفي الله هو من السبعة الذين «**يُظِلُّهُمُ الله يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**»، يقول الله ﷻ: «**أَيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**»(١). هكذا رواه مسلم في الصحيح عن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

الخامس: «**وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجَمالٍ، فَقال: إنّي أخافُ اللهَ**» دعته امرأة ذات منصب يعني منزلة ونسب رفيع ومحل رفيع من الناس، ومع ذلك ذات جمال فأبى عليها، وقال: «**إني أخافُ اللهَ**» وهكذا المرأة التي يدعوها ذو المنصب والجمال، فتقول: إني أخافُ اللهَ، من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

والسادس: «**وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**» من شدة إخلاصه من كمال إخلاصه، أخفاها ودفعها

---

(١) سبق تخريجه في (٣/ ٥٤٤).

للمستحقين سرًّا يرجو ما عند الله ﷻ، هذا هو الأفضل، وإن تصدق علانية فلا بأس، كما قال ﷻ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾ تُبدُوها تظهروها، ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ الآية [البقرة: ٢٧١] فالصدقة مطلوبة سرًّا وجهرًا، لكن إذا أخفاها كان هذا أكمل في الإخلاص والبعد عن الرياء، إلا إذا دعت الحاجة إلى إظهارها فلا بأس، إذا دعت الحاجة إلى إظهارها، مثل مشروع يجتمعون له ويقوم فيهم من يحثهم على التبرع له كإقامة مدرسة، مسجد، مشروع خيري ينفع المسلمين، فإظهار المساعدة في هذا والتعاون مطلوب، حتى يتأسى بعضهم ببعض؛ ولهذا لما رأى النبي ﷺ جماعة من مُضر اشتدت بهم الحاجة والفاقة، خطب الناس وحثَّهم على الصدقة، فجاء رجل بصُرة من فضة كادت كفُّه تعجز عنه، فتتابع الناس في ذلك، تتابعوا في الصدقة، فلما رأى النبي تتابعهم هذا يأتي بدراهم، وهذا يأتي بثياب، وهذا يأتي بطعام، استنار وجهه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كأنه مذهبة، فرحًا بعملهم ومسارعتهم، وقال: «**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»(١)؛ يعني: أظهرها وبيَّنها للناس وسابق إليها حتى يقتدى به.

فينبغي للمؤمن المسارعة في الخيرات، وإخفاء الصدقة إذا لم يكن هناك حاجة إلى إظهارها، فإذا دعت الحاجة إلى إظهارها فلا بأس.

والسابع: «**وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**» هذا من السبعة،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار برقم (١٠١٧).

رجل ذكر الله خاليًا ليس عنده أحد في مكان خاص، ففاضت عيناه بُكاءً من خشية الله ﷻ، هذا له الأجر العظيم، وأنه من السبعة الذين **«يُظِلُّهُمُ الله يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»**، هذا فضل كبير يدل على أنه ينبغي للمؤمن أن يحرص على البكاء من خشية الله، ويتذكر مقامه بين يدي الله يوم القيامة، والجنة والنار، وأهوال القيامة، وأهوال القبر وحال القبر، يتذكر هذه الأمور حتى يخشع قلبه حتى يبكي من خشية الله، لعله ينجو فينبغي للمؤمن أن يخشى هذا الأمر العظيم، بل ينبغي له أن يجتهد في أسباب البكاء من خشية الله، لعله يبكي من خشية الله، لعل قلبه يخشع، ولا شك أن تدبُّر القرآن الكريم وتذكُّر الآخرة والجنة والنار والقبر وفتنته إلى غير هذا، كل هذا مما يعين على البُكاء من خشية الله ﷻ.

وفي الحديث: يقول ﷺ: **«إِنَّ الْمُقْسِطِينَ»** هم أهل العدل، المقسط هو العادل **«إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ: الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وأَهْلِيْهِم وَمَا وَلُوْا»**[(١)]. هؤلاء هم المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور؛ لأنهم عدلوا في أهلهم وفي أموالهم وفيما ولوا، وفي حكمهم وأهليهم، وفيما ولوا من أمور المسلمين في الإمارة من نظر وهيئة نظر، حكم قضاء، من غير ذلك من وجوه الولايات؛ يعني: يرفع الله شأنهم يوم القيامة، ويُعلي أمرهم حتى يراهم الناس على منابر من نور يوم القيامة؛ بسبب عدلهم لأحكامهم في أهليهم وفي ولاياتهم.

وفي الحديث: يقول ﷺ: **«خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ»** يعني: أُمراءكم **«الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وشِرَارُ أَئِمَّتِكُم الَّذِينَ**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر... إلخ برقم (١٨٢٧).

تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ!» هؤلاء هم شرارهم، الولاة الذين تُبغضهم الرعية، وتلعنهم الرعية، وهم يلعنون الرعية، ويبغضون الرعية؛ لاختلافهم في الدين وكثرة الفساد، قالوا: يا رسول الله **(أفَلَا نُنَابِذُهُم؟)** يعني: نقاومهم بالسيف؛ يعني: نُقاتلهم، قال: «**لَا**» يعني: لا تنزعوا يدًا من طاعة، لا تؤثروا الفتنة «**مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ**»(١). وفي اللفظ الآخر: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»(٢).

فالواجب الدعاء لهم والتعاون معهم في الخير والنصيحة لهم، حتى يستقيموا وحتى يحصل التحابُّ بينهم مع الرعية على طاعة الله، فإن لم يحصل ذلك فلا ينزعن يدًا من طاعة ولا يخرج بالسلاح على الأُمراء، ما داموا يصلون، ما داموا لم يظهروا كفرًا بواحًا، فأما إذا أظهروا كفرًا بواحًا وتركوا الصلوات يلزم الخروج عليهم ممن يستطيع ذلك من الجيش العادل الطيب، الناس الطيبين الذين يستطيعون إزالة هذا الوالي الكافر والإتيان بغيره من الصُّلحاء إذا استطاعوا ذلك، وإلا تركوا المنازعة واجتهدوا في الخير، وعاونوا على الخير، أما من أظهر الإسلام ولم يظهر كفرًا بواحًا وإن ظلم وإن جرى منه بعض المعاصي، لا يجوز الخروج عليه، لا يجوز نزع اليد من الطاعة وإظهار السلاح وإثارة الفتنة، هذا لا يجوز.



---

(١) أخرجه مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه في كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع، وترك قتالهم ما صلوا ونحو ذلك برقم (١٨٥٥).

(٢) متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت، أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: سترون بعدي أمورًا تنكرونها برقم (٧٠٥٦)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية برقم (١٧٠٩) ساقه بعد الحديث برقم (١٨٤٠).

تفسير آيات من سورة الإسراء

□ بَابٌ

حدّثنا آدم، حدّثنا شعبة، عن أبي إسحاق قال: سمعت عبد الرّحمن بن يزيد قال: سمعت ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: «إنّهنّ من العتاق الأول، وهنّ من تلادي»، ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥١] قال ابن عبّاسٍ: يهزّون، وقال غيره: نغضت سنّك، أي: تحرّكت»[١].

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١][٢]

حدّثنا عبدان، حدّثنا عبد الله، أخبرنا يونس، (ح)، وحدّثنا أحمد بن صالحٍ، حدّثنا عنبسة، حدّثنا يونس، عن ابن شهابٍ، قال ابن المسيّب: قال أبو هريرة: «أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِإِيلِيَاءَ بِقَدَحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَلَبَنٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا، فَأَخَذَ اللَّبَنَ، قال جِبْرِيلُ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ، لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب برقم (٤٧٠٨).

(٢) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٣) متفق عليه من حديث أبو هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، =

حدّثنا أحمد بن صالحٍ، حدّثنا ابن وهبٍ قال: أخبرني يونس، عن ابن شهابٍ قال أبو سلمة: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النّبيّ ﷺ يقول: «**لَمَّا كَذَّبَتنِي قُرَيْشٌ، قُمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَّى اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ**»، زاد يعقوب بن إبراهيم، حدّثنا ابن أخي ابن شهابٍ عن عمّه: «**لَمَّا كَذَّبَتنِي قُرَيْشٌ حِينَ أُسْرِيَ بِي إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ... نَحْوَهُ**»، ﴿قَاصِفًا﴾ [الإسراء: ٦٩]: ريحٌ تقصف كلّ شيءٍ[(١)].

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ٣﴾ [الإسراء: ٣]

حدّثنا محمّد بن مقاتلٍ، أخبرنا عبد الله، أخبرنا أبو حيّان التّيميّ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جريرٍ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتي رسول الله ﷺ بلحمٍ، فرُفع إليه الذّراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسةً، ثمّ قال: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يُجْمَعُ النَّاسُ: الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَلَا**

= باب قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ برقم (٤٧٠٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله إلى السماوات وفرض الصلوات برقم (١٦٨).

(١) متفق عليه من حديث جابر رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ برقم (٤٧١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال برقم (١٧٠).

يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عليه السلام، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عز وجل قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الْحَدِيثِ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى

غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ﷻ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قال: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا يبيّن أن هؤلاء الفازعين هم المؤمنون، هم رؤوس النّاس، ولهذا ذكروا صفات الأنبياء، وشيئًا مما فضّلهم الله به، ولهذا في الرّواية الأخرى: «**يفزع المُؤْمِنُونَ**»، والنّاس تبعٌ لهم في طلب الشّفاعة من آدم، ثمّ من نوحٍ، ثمّ من إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.... إلى آخره، والأمر عظيمٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

قوله: (حمير) كذا عندكم بالحاء؟

(من الطّالب): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: المشهور (هجر).

ماذا قال الشّارح عليه؟

(القارئ): [قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ اللهُ في «عمدة القاريّ» (١٩/ ٢٨)]:

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ برقم (٤٧١٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها برقم (١٩٤).

«قوله: (وحمير)، بكسر الحاء المهملة وسكون الميم وفتح الياء آخر الحروف: هو باليمن، (وبصرى) بضم الباء مدينة بالشّام».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المشهور بين مكّة وهجر؛ يعني: قريبًا من مكّة واليمن.

المقصود: أنّ هذا اليوم العظيم هو يوم الشّفاعة العظمى، ذكر هنا الشّفاعة الخاصّة بأمّته بإدخالهم الجنّة، وفي الرّوايات الأخرى: «**الشَّفَاعَةُ العُظْمَى الَّتِي طلبَهَا النَّاسُ**» طلب النّاس الشّفاعة العظمى حتّى يُراحوا من كرب الموقف، فبعدما يحمد الله بالمحامد العظيمة يأمر الله له: «**سَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وقُل يسمع**»، فيشفع في أهل الموقف أن يقضى بينهم؛ فيقضي الله بينهم سبحانه، ثمّ بعد القضاء يشفع في أهل الجنّة أن يدخلوا الجنّة.

هاتان الشّفاعتان خاصّتان له ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، الشّفاعة العظمى في أهل الموقف، والشّفاعة في أهل الجنّة أن يدخلوا الجنّة، هاتان خاصّتان بنبيّنا محمّدٍ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، وهو شريك النّاس في بقيّة الشّفاعات.

وهذا الأمر العظيم هو المقام المحمود الّذي قال الله فيه سبحانه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] يحمده فيه الأولون والآخرون، وهو الشّفاعة العظمى .الله أكبر.

• **س: قول المؤمنين لإبراهيم** عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**أنت نبيّ الله وخليله من أهل الأرض»، مع أن نبيّنا** ﷺ **خليل الله أيضًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لم يقولوا: ما هناك غيرك، هو خليل الله، ومحمدٌ ﷺ خليل الله، كلاهما يصدق عليه، هما الخليلان.

• **س: وكذلك قولهم في موسى عليه السلام: «اصطفاك الله بكلامه»، على النّاس؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لأنّ الله كلّمه، هذا خاصٌّ بموسى عليه السلام: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النّساء: ١٦٤]، وإن كان محمّدٌ ﷺ كلّمه في المعراج، لكن مدحه عن غيره في مقام طلب الشّفاعة يخبر بما خصّه الله به من بين الأنبياء، شاركه في هذا محمّدٌ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، كما شارك محمّدٌ إبراهيم الخلّة ـ عليهما الصلاة والسلام ـ، وشارك موسى عليه السلام في الكلام.

• **س: أحسن الله إليك: ذهابهم لآدم، ثمّ إلى محمّدٍ ـ عليهما الصلاة والسلام ـ في الشفاعتين فقط في العظمى وفي الجنّة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ظاهر السّياق في هذا وهذا.

• **س: أحسن الله إليك: إجلاس الرّسول ﷺ على العرش؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا في سنده ضعفٌ، قيل: إنه المقام المحمود، ولكن في سنده ضعفٌ.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء: ٤].

أخبرناهم أنّهم سيفسدون، والقضاء على وجوهٍ، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ [الإسراء: ٢٣]: أمر ربّك، ومنه الحكم ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ﴾ [يونس: ٩٣]، ومنه الخلق ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ﴾ [الصافات: ١٢]، ﴿نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦]: من ينفر معه، ﴿وَلِيُتَبِّرُواْ﴾ [الإسراء: ٧]: يدمّروا، ﴿مَا عَلَوۡاْ﴾ [الإسراء: ٧]، ﴿حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨]: محبسًا محصرًا، ﴿حَقَّ﴾ [الإسراء: ١٦]: وجب،

﴿مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨]: ليِّنًا، ﴿خِطْـًٔا﴾ [الإسراء: ٣١]: إثمًا، وهو اسمٌ من خطئت، والخطأ مفتوحٌ مصدره من الإثم، خطئت بمعنى: أخطأت، ﴿تَخْرِقَ﴾ [الإسراء: ٣٧]: تقطع، ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٤٧]: مصدرٌ من ناجيت، فوصفهم بها، والمعنى: يتناجون، ﴿وَرُفَـٰتًا﴾ [الإسراء: ٤٩، ٩٨]: حطامًا، ﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾ [الإسراء: ٦٤]: استخفَّ، ﴿بِخَيْلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]: الفرسان، والرّجل: الرّجّالة، واحدها: راجلٌ، مثل: صاحبٍ وصحبٍ، وتاجرٍ وتجرٍ، ﴿حَاصِبًا﴾ [الإسراء: ٦٨]: الرّيح العاصف، والحاصب أيضًا: ما ترمي به الرّيح، ومنه: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] يرمى به في جهنّم، وهو حصبها، ويقال: حصب في الأرض: ذهب، والحصب مشتقٌّ من الحصباء، والحجارة، ﴿تَارَةً﴾ [الإسراء: ٦٩]: مرّةً، وجماعته: تيرةٌ، وتاراتٌ، ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ [الإسراء: ٦٢]: لأستأصلنّهم، يقال: احتنك فلانٌ ما عند فلانٍ من علمٍ: استقصاه، ﴿طَـٰٓئِرَهُۥ﴾ [الإسراء: ١٣]: حظّه، قال ابن عبّاسٍ: كلّ سلطانٍ في القرآن فهو حجّةٌ، ﴿وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١]: لم يحالف أحدًا(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: (**لم يحالف أحدًا**)؛ يعني: أنّ أولياءه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أولياء الطّاعة والاستقامة والخضوع والذّلّ والانكسار، وإلّا هو لا حاجة به إلى أحدٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإنّما أولياؤه هم المحتاجون إليه، والأذلاء بين يديه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

بخلاف الملوك والرّؤساء وغيرهم قد يحتاجون أولياء من الذّلّ؛ يخافون من الأعداء فيتخذون أولياء ليساعدوهم وينصروهم.

• **س: والرَّجل بإسكان الجيم، في الآية بكسر الجيم (ورَجِل) ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]؟**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، ساقه بعد الحديث رقم (٤٧٠٨).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الرّجّالة؛ يعني: المشاة، المشاة والرّكبان.

(من السّائل): لكن في الآية بكسر الجيم هنا بإسكان الجيم، **(الرّجل: الرّجّالة، واحدها راجلٌ)**، وفي الآية: ﴿وَرَجِلِكَ﴾؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كأنّها قراءةٍ، والأصل: (رجل) مثل: (صاحبٍ وصحبٍ)، و(قوم) وهذه كأنّها لغاتٌ في الجمع، يقال: (رجلك ورجلك) كأنّها سماعيةٌ، اللغات سماعٌ.

• **س: أحسن الله إليك: بالنّسبة لتسمية السّورة بـ (بني إسرائيل) هل هذا اسمٌ آخر لسورة الإسراء؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لما فيها من ذكر بني إسرائيل ويقال: (سورة سبحان)، ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: ٤]؛ يعني: لذكر بني إسرائيل فيها نسبة، مثل ما يقال: (سورة مريم)؛ لأنّ فيها ذكر مريم من باب التعريف.

• **س: أقصد الأصح في تسميتها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كلّها واحد تسمّى (سورة سبحان)، وتسمّى سورة (بني إسرائيل) ما فيه مشاحّة.

• **س: ﴿مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾؛ يعني: من ذلّه هو أم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ذله هو للربّ جَلَّ وَعَلَا، له أولياء ليس من الذلّ بل للاصطفاء والمحبّة، لاصطفائهم ومحبّتهم؛ لطاعتهم له بخلاف الملوك ونحوهم، فقد يتخذون أولياء من الذلّ له، لا من أجل المحبّة؛ بل من أجل الحاجة إليهم كما هو المعروف في العهود والمواثيق.

• س: حتّى يتقوّى هو؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: حتّى يتقوّى هو بهم نعم.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

الحمد لله، وصلّى الله وسلّم على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، **أما بعد**[1]:

فيقول الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه المبين: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾، ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، ويقول سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

فكتاب الله فيه الهدى والنور، وهو الذي يهدي من تعقَّله وتدبَّره وطلب الهدى، يهديه للتي هي أقوم؛ يعني: الطريقة التي هي أهدى وأسدَّ وأصلح.

فينبغي للمؤمن الإكثار من تلاوته بالتدبُّر والتعقُّل وطلب الهدى، وهو أُنزل لبيان الحق والدعوة إليه والتحذير من الباطل والتنفير منه، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ولا سيما في هذا الشهر الكريم شهر القرآن شهر القيام شهر المنافسة في الخيرات والمسابقة إلى الأعمال الصالحات.

---

(١) حديث المساء (ص١٣٣) ط٣ ـ ١٤٣٧هـ.

كان السلف الصالح من أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم رضي الله عنهم يهتمون بالقرآن الكريم في هذا الشهر العظيم، ويعتنون بالإكثار من تلاوته والعناية به وتدبر معانيه، ويدعون الحلقات العلمية اشتغالًا بالقرآن العظيم؛ فينبغي لأهل الإيمان التأسي بأولئك الأخيار في هذا الشهر العظيم بالإقبال على كتاب الله، والإكثار من تلاوته تلاوة متدبر متعقل يريد أن يفهم كلام ربه يريد أن يعرف مراد الله حتى يمتثل، حتى يبادر إلى ما أمر الله به، وحتى ينتهي عما نهى الله عنه، هذا هو المقصود من التلاوة، وهذا هو المقصود من إنزال هذا الكتاب العظيم فهو أُنزل للعمل، فينبغي للمؤمن أن يحقق في نفسه ذلك، ويدعو الناس إلى ذلك، وأن يكون أسوة في ذلك، وقد صح عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: «**اقْرَؤوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ**»[١]؛ يعني: اقرأوه قراءة المتدبر العامل المستفيد.

وصحَّ عنه أيضًا أنه قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»[٢]. فخيار الناس وأفاضل الناس هم أهل القرآن الذين يعلِّمونه، ويتعلَّمونه، ويعملون به، ويدعون إليه، وتظهر عليهم آثار تلاوته والعمل به، هم أهل القرآن هم خيار الناس هم صفوة الأمة؛ لكونه يدعو من قرأه وتدبره يدعوه إلى الاستقامة والتخلق بالأخلاق الفاضلة والحذر مما يغضب الله عز وجل.

ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**»[٣]، بكل حرف يُعطَى به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها إذا قرأه احتسابًا وطلبًا لمرضاة الله.

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ١٨٤).
(٢) سبق تخريجه في (٢/ ١٦٨).
(٣) سبق تخريجه في (٢/ ١٦٨).

وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ بين أصحابه يومًا بالمدينة ﷺ فقال لهم: **«أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ»** يقصد واديًا في المدينة يقال له: بطحان معروف يشقها: **«فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ»**، قالوا: كلنا نحب ذلك يا رسول الله، قال: **«أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ ﷻ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ»**(١).

وما ذاك إلا لأن تعلمهم لكتاب الله وتعليمه لكتاب الله يترتب عليه من الثمرات والعواقب الحميدة مع الصدق وصلاح النية أمور عظيمة في وجوه كثيرة لا يخطر على البال، فهي خير من الدنيا وما عليها.

وكان السلف ـ رحمة الله عليهم ـ يكثرون من التلاوة، منهم من يختم في كل عشر، منهم من يختم في كل سبع، ومنهم من يختم في كل ثلاث، ومنهم من يختم كل يوم، لكن الأفضل أن تكون التلاوة بالترتيل العناية والتدبر، وأن يختم في سبع أو في ثلاث، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقرأ القرآن في كل يوم، وكان يصوم الدهر، فقال له النبي ﷺ: **«صُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ»**، وكان يقوم الليل كله، **«وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، وَاقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ»** قال: إني أُطيق أفضل من ذلك قال: **«اقرأه في العشرين»**، فلم يزل به حتى قال له: **«اقرأه في سبع»**، فلم يزل به حتى قال: **«اقرأه في ثلاث»**(٢)، فالسبع مدة مناسبة، كان الصحابة رضي الله عنهم يعتنون

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه برقم (٨٠٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن؟ برقم (٥٠٥٢)، ومسلم في كتاب الصوم، باب النهي عن صوم الدهر برقم (١١٥٩).

بها ويختمون كل أسبوع في رمضان وفي غيره، فإذا يسَّر الله للمؤمن أن يختم كل أسبوع أو كل خمسة أيام أو كل أربعة أيام، أو كل ثلاثة أيام فهذا خير عظيم، والأفضل أن لا ينقص عن ثلاث حتى لا يشق على نفسه وحتى يتدبر حتى يتعقل وحتى يعطي المقام حقه من العناية.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى أصحابه.

*

❐ **قوله تعالى:** ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥].

هل والدَي النبي ﷺ من أهل الفترة؟

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وقد ورد في بعض الأحاديث أن الرسول ﷺ أخبر بأن والديه في النار.

• **س: ألم يكونا من أهل الفترة، وأن القرآن صريح بأنهم ناجون؟ أفيدونا أفادكم الله**[١].

أهل الفترة ليس في القرآن ما يدل على أنهم ناجون أو هالكون، إنما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، فالله ﷻ من كمال عدله لا يعذب أحدًا إلا بعد أن يبعث إليه رسولًا، فمن لم تبلغه الدعوة فليس بمعذَّب حتى تُقام عليه الحجة، وقد أخبر سبحانه أنه لا يعذبهم إلا بعد إقامة الحجة، والحجة قد تقوم عليهم يوم القيامة، كما جاءت السُّنَّة بأن أهل الفترات يمتحنون ذلك اليوم، فمن أجاب وامتثل نجا، ومن

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١٨٠).

عصى دخل النار، والنبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**» لما سأله رجل عن أبيه قال: «**إِنَّ أَبَاكَ فِي النَّارِ**»، فلما رأى ما في وجهه من التغير قال: «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**»، خرَّجه مسلم في «صحيحه»[(١)].

وإنما قال له النبي ﷺ ذلك ليتسلى به، ويعلم أن الحكم ليس خاصًّا بأبيه، ولعل هذين بلغتهما الحجة؛ أعني: أبا الرجل وأبا النبي ﷺ، فلهذا قال النبي ـ عليه الصلاة السلام ـ: «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**»، قالهما عن علم ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى، قال الله ﷻ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ ـ ٤]، فلعلَّ عبد الله بن عبد المطلب والد النبي ﷺ قد قامت عليه الحجة لما قال في حقه النبي ما قال، عليه الصلاة والسلام، وكان علم ذلك مما عرفته قريش من دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإنها كانت على ملة إبراهيم حتى أحدث ما أحدث عمرو بن لحي الخزاعي حين تولى مكة، وسرى في الناس ما أحدثه عمرو المذكور من بثِّ الأصنام والدعوة إلى عبادتها من دون الله، فلعل عبد الله قد بلغه ما يدل على أن هذا باطل، وهو ما سارت عليه قريش من عبادة الأصنام فتابعهم في باطلهم، فلهذا قامت عليه الحجة، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرِ بْنِ لُحَيٍّ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ**»[(٢)].

---

(١) من حديث أنس رضي الله عنه، في كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين برقم (٢٠٣)، وأبو داود في كتاب السُّنَّة، باب في ذراري المشركين برقم (٤٧١٨)، وأحمد (٣/ ١١٩، ٢٦٨).

(٢) متفق عليه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب قصة خزاعة برقم (٣٥٢١)، ومسلم في كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٥٦).

ومن هذا ما جاء في الحديث أنه ﷺ قال: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي**». أخرجه مسلم في «صحيحه»[(١)]، فلعله بلغها ما تقوم به الحجة عليها من بطلان دِين قريش كما بلغ زوجها عبد الله، فلهذا نُهي ﷺ عن الاستغفار لها، ويمكن أن يقال: إن أهل الجاهلية يعاملون معاملة الكفرة في الدنيا فلا يُدعى لهم، ولا يستغفر لهم؛ لأنهم يعملون أعمال الكفرة فيُعامَلون معاملتهم، وأمرهم إلى الله في الآخرة.

فالذي لم تقم عليه الحجة في الدنيا لا يُعذَّب حتى يُمتحن يوم القيامة؛ لأن الله سبحانه قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، فكل من كان في فترة لم تبلغهم دعوة نبي، فإنهم يمتحنون يوم القيامة، فإن أجابوا صاروا إلى الجنة، وإن عصوا صاروا إلى النار، وهكذا الشيخ الهَرَم الذي ما بلغته الدعوة، والمجانين الذين ما بلغتهم الدعوة وأشباههم كأطفال الكفار؛ لأن الرسول ﷺ لما سئل عنهم قال: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»[(٢)].

فأولاد الكفار يُمتحَنون يوم القيامة كأهل الفترة، فإن أجابوا جوابًا صحيحًا نجوا وإلا صاروا مع الهالكين. وقال جمع من أهل العلم: إن أطفال الكفار من الناجين؛ لكونهم ماتوا على الفطرة؛ ولأن النبي ﷺ رآهم حين دخل الجنة في روضة مع إبراهيم عليه السلام هم وأطفال المسلمين. وهذا قول قوي؛ لوضوح دليله.

---

(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه برقم (٩٧٦).

(٢) متفق عليه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين برقم (١٣٨٤)، ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يُولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين برقم (٢٦٥٩).

أما أطفال المسلمين فهم من أهل الجنة بإجماع أهل السُّنَّة والجماعة. والله أعلم وأحكم.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦][١].

حدّثنا عليّ بن عبد الله، حدّثنا سفيان، أخبرنا منصورٌ، عن أبي وائلٍ، عن عبد الله، قال: «كنّا نقول للحيّ إذا كثروا في الجاهليّة: أمر بنو فلانٍ»، حدّثنا الحميديّ، حدّثنا سفيان: وقال: أمر[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كذا عندك (أمر) ضبطه؟

(من الطّالب): نعم الأولى (أمر) والثّانية (أمر).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾؛ يعني: كثرناهم. تكلّم عليه بشيء؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٣٩٤)]: «قوله: (باب: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ الْآيَة): ذكر فيه حديث عبد الله وهو ابن مسعودٍ: (كنّا نقول للحيّ إذا كثروا في الجاهليّة أَمَرَ بنو فلانٍ). ثمّ ذكره عن شيخٍ آخر عن سفيان؛ يعني: بسنده قال: أَمِرَ. فالأولى بكسر الميم والثّانية بفتحها، وكلاهما لغتان.

وأنكر ابن التّين فتح الميم في «أمر» بمعنى كثر وغفل في ذلك،

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ برقم (٤٧١١).

ومن حفظه حجّةٌ عليه كما سأوضّحه. وضبط الكرمانيّ أحدهما بضمّ الهمزة، وهو غلطٌ منه». [انتهى كلامه].

قال ابن بازٍ رحمه الله: يعني: يقال: (أمر) ويقال: (أمر)؛ يعني: كثروا.

● **س: المعنى واحدٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

المعنى واحدٌ على قول ابن مسعودٍ رضي الله عنه.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤](١).

هذه الآية الكريمة تتعلق بالوفاء بالعهد والوعد، وعدم الغدر وعدم خلاف الوعد، وتدل على أن خلاف الوعد وأن الغدر بالعهد والخيانة من صفات أهل النفاق، وإن صلى الإنسان وصام، فإنها تكون خلة من خلال المنافقين، ولو صلى وصام، وفيه نقص، ويكون في إيمانه ضعف، وتشبّه بأهل النفاق، قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقال جل وعلا: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١]. قال سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ ـ ٣]. قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾ [المائدة: ١]. قال جل وعلا:

---

(١) انظر: شرح كتاب رياض الصالحين (٣/ ١٥).

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥٤]، فهذه خصال أهل الإيمان الوفاء بالعهود والعقود، وعدم الخيانة، وعدم الغدر، فالمؤمن يتعاهد نفسه حتى لا يغدر، ولا يخل بالوعد، ولا يخون الأمانة، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]. ويقول عن أهل الإيمان وصفاتهم: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

فالواجب على المؤمن أن يراعي الأمانة والعهد، وأن يتقِ الله في ذلك، وأن لا يخون أمانة أُؤتمنها سواءً سرًّا أو مالًا أو غير ذلك، يقول النبي ﷺ: «**آيَةُ المنافق**»؛ يعني: علامة المنافق، الآية العلامة ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ [فصلت: ٣٧]؛ يعني: علامات وجوده وملكه وكماله آيات الليل والنهار «**آيَةُ المُنَافِقِ**»؛ يعني: علامة المنافق «**ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»[١]. هذه من صفات المنافقين حصل كذا، وحصل كذا، وهو يكذب، سوف أفعل كذا وأفعل كذا ويكذب، وإذا اؤتمن خان الأمانة، فالواجب الحذر من هذه الصفات الذميمة.

في **الحديث**: يقول ﷺ: «**أَرْبَعٌ**»؛ يعني: أربع خصال «**مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا**»؛ يعني: نفاقًا عمليًا. «**وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**». إذا خاصم فجر في الخصومات، وكذب واستحل أموال الناس بالكذب، «**وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ**»

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق برقم (٣٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق برقم (٥٨).

إِذَا عَاهَدَ غيره من الكفار أو غيرهم غدر؛ وذاك لضعف إيمانه، أو عدم إيمانه وعدم خوفه من الله ﷻ، أو قلة خوفه من الله ﷻ.

فالواجب الحذر من هذه الخصال والتواصي بتركها، والإنسان قد يحمله عليها حب المال، قد يحمله عليها البغضاء لقوم، والحسد لآخرين، قد يحمله عليها أمور أُخرى، فالواجب أن يخاف الله، وأن يراقبه حتى لا يغدر في عهد، وحتى لا ينقض عقدًا إلا بحق، وحتى لا يخون الأمانة، وحتى لا يفجر في الخصومة، يتورع، إذا خاصم يتقي الله ولا يكذب، يقر بالحق الذي عليه، ولا يحوج الناس إلى تعب وهو يعرف أنه كاذب وظالم.

في الحديث: عن جابر رضي الله عنه؛ أن الرسول ﷺ وعده قال: يا جابر **«لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ البَحْرَيْنِ أَعْطَيْتُكَ هكَذَا وَهَكَذَا وَهكَذَا»**(١) بيديه، وعده النبي ﷺ إذا جاء مال البحرين؛ يعني: الجزية؛ جزية البحرين، كان في البحرين في ذاك الوقت مجوس، كان النبي ﷺ ضرب عليهم الجزية، والجزية مال يضرب على الكفار كل سنة يقال له: جزية كما قال في حق اليهود والنصارى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، الجزية كالأُجرة مال يُضرَب عليهم حتى يسلموا أو يؤدوا هذا المال للمسلمين عونًا للمسلمين، وهم اليهود والنصارى والمجوس، إذا ظهر عليهم المسلمون فإن المسلمين يلزمونهم بالإسلام، أو بالجزية، إما أن يسلموا، وإما أن يؤدوا الجزية، وهي مال تُضرَب عليهم كل سنة في الرأس عليه مائة ريال، مئتا ريال في الرأس من الذكور البالغين، هذا المال يُضرَب عليهم يؤدونه للمسلمين كل سنة؛ ليتقوى به المسلمون على

---

(١) متفق عليه من حديث جابر رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الكفالة، باب من تكفل عن ميت دينًا فليس له أن يرجع برقم (٢٢٩٦)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا، برقم (٢٣١٤).

حربهم وعلى حرب غيرهم، إلا إذا أسلموا سقطت عنهم، إذا أسلموا فلا جزية عليهم. فقال ﷺ: «**لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ البَحْرَيْنِ**»؛ يعني: الجزية من البحرين من المجوس: «**أَعْطَيْتُكَ هكَذَا وَهَكَذَا وَهكَذَا**»، وأشار بيديه كفيه يعني، فتُوفِّي النَّبيُّ ﷺ ولم يأتِ مال البحرين، ما جاءت الجزية في عهده ﷺ، وجاءت في عهد الصديق.

الصديق تولَّى الإمرة بعد النبي ﷺ، وصار هو خليفة المسلمين ﷺ فجاء مال البحرين، فجاءه جابر وقال: يا أمير المؤمنين، إني قلت للنبي ﷺ كذا، وأنه قال لي كذا، الرسول وعدني وكان الصديق لما تُوفِّي النبي ﷺ أمَرَ من ينادي في الناس: (**مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رسول الله ﷺ عِدَةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا**)، وهذا من عناية الصديق رضي الله عنه وحرصه على براءة ذمة النبي ﷺ، فجاء جابر من عرض الناس وقال: يا أبا بكر إن الرسول وعدني إذا جاء مال البحرين أن يعطيني كَذَا وَكَذَا، وقد جاء مال البحرين، فَحَثَى له الصديق بيديه من المال دراهم وقال (عُدها فَعَدَدْتُهَا، فَإِذَا هِيَ خَمْسُمِئَةٍ، فَقَال لِي: خُذْ مِثْلَيْهَا مرتين)؛ لأن الرسول قال له: «هكذا وهكذا وهكذا» ثلاث مرات، خذ مثلها مرتين حتى يحصل لك ثلاث مرات؛ يعني: ما وعدك به النبي ﷺ، فأوفى له الصديق، هذا يدل على أنه ينبغي للمؤمن أن يوفي بالعدة كما يوفي بالدين، إذا وعد إنسانًا؛ يعني: قال: يا فلان تأتينا إن شاء الله نعطيك كذا وكذا، يُوفِّي له بالوعد مثل الدين، العِدَة دَين، فلا يتشبه بأهل النفاق يواعد ويخلف، إذا وعد يصدق، هذه صفة أهل الإيمان، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ﴾؛ يعني: نبي الله، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤ ـ ٥٥]، والرسول يقول: «**آية المنافق ثلاث**»؛ يعني علامة المنافق ثلاث خصال: «**إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»، نسأل الله العافية.

وفَّق الله الجميع للخصال الطيبة، وفَّق الله الجميع للتخلُّق بأخلاق المؤمنين، وأعاذ الجميع من أخلاق المنافقين والكافرين.

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦](١).

فهذه الآية الكريمة تدل على وجوب حفظ اللسان وصيانتها عن الكذب، وأن يتحرَّى في كلامه حتى لا يتكلم إلا عن بصيرة، يقول ﷻ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، فإذا كانت كلماتك وألفاظك مراقبة فالواجب عليك أن تعتني بها، وأن تتحفظ، وأن تحرص ألا تقول إلا شيئًا ينفعك، لا يضرك، فإن الملائكة تكتب؛ وأنت على خطر، فالواجب عليك أن تتحرَّى في كلماتك حتى لا يكون فيها ما يضرك، وهكذا قال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾؛ يعني: لا تتكلم ولا تفعل ما ليس لك علم، تقف تتبعه بقول أو فعل ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]؛ فالواجب أن يحذر الإنسان أن يقول شيئًا يضره أو يفعل شيئًا يضره، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] أمر عباده أن يتَّقوه، وأن يكونوا مع الصادقين في أقوالهم وأعمالهم؛ قال ﷻ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

فالصدق يكون في القول، ويكون في العمل، صدق في العمل، وصدق في القول، فالصدق في العمل أداء الفرائض عن بصيرة وعن

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين ج٤، كتاب الأمور المنهي عنها، باب تحريم الكذب (ص٢٧٤).

عناية، ترك المحارم عن بصيرة وعن عناية وإخلاص، والوقوف عند الحدود عن عناية وبصيرة وإخلاص، والصدق في القول تحري الصواب في القول، يقول النبي ﷺ في حديث ابن مسعود: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ، فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**»(١). هذا فيه حذر من الكذب تحرِّيه والتساهل به، والإنسان يتحرَّى الصدق، ويلتزم الصدق إلا فيما رخّص الله فيه من الكذب، ما رخَّص الله فيه من الكذب، ما رخَّص الله فيه فلا بأس، الكذب في الإصلاح بين الناس، والحرب، وفي حديث الرجل مع المرأة، والمرأة مع زوجها، لا بأس لما فيه من المصلحة.

حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول النبي ﷺ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»(٢). والشاهد قوله: «**إذا حدَّث كذب**»، وأن الكذب من خصال المنافقين، من خصالهم الذميمة الكذب وعدم مبالاتهم، و«**إذا اؤتمن خان**»، سواء كانت الأمانة دينية أو مالية، «**وإذا خاصم فجر**»؛ يعني: كذب في خصومته وفجر، وإذا عاهد غدر.

وهكذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين أيضًا يقول ﷺ: «**آيَةُ**

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١١٩﴾ برقم (٦٠٩٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله برقم (٢٦٠٧).

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو. أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق برقم (٣٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق برقم (٥٨).

الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ»[١]؛ يعني: علامته: «**إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»، فوجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يحذر خصال أهل النفاق، وأن يبتعد عنها.

وهكذا حديث ابن عباس رضي الله عنهما يقول النبي ﷺ: «**مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ**»[٢] (من يستطيع أنَّ يعقد بين شعيرتين، الشعيرة: حبة يابسة ما تنعقد مع أختها؛ يعني: كلف بشيء يضره ولا يستطيعه من باب التعذيب. من تحلَّم بحلم لم يرَه كُلِّف أن يعقد بين شعيرتين؛ يعني: تعذيبًا في هذا الحلم الذي كذبه وافتراه)، «**وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً عُذِّبَ، وَكُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ**» ويعذب بها يوم القيامة؛ فالواجب الحذر أيضًا من التصوير، وأن الصور محرَّمة، وأهلها يُعذَّبون بها، وفي الحديث الآخر: يقول ﷺ: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ**»[٣]، والحديث الآخر أن الرسول ﷺ: «**لَعَنَ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ، وَالوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ وَالْمُصَوِّرَ**».

والشاهد قول: «**مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ، كُلِّفَ**»، من كذب في الرؤيا بكذب كما اعترف بجريمة ليسً له أن يكذب يقول: رأيت وهو يكذب؛ بل يجب أن يحذر ذلك، ولا يقول رأيت إلا وهو صادق.

*

(١) سبق تخريجه في (١/ ٢٧٤) (٥/ ٤٤٠).

(٢) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه برقم (٧٠٤٢).

(٣) متفق عليه من حديث عبد الله رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة برقم (٥٩٥٠)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صور الحيوان... إلخ برقم (٢١٠٩).

❐ تفسير قوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦][1].

ففي هذه الآية الكريمة التحذير من التساهل بالكلام، وأن الواجب التثبت وألا يقول إلا عن بصيرة حتى لا يقع في الكذب أو في الغيبة والنميمة، أو في غير ذلك مما حرَّمه الله، الواجب التثبت في الكلام حتى لا ينطق إلا عن بصيرة، تقدم قوله ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»[2].

ويقول ﷻ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، فألفاظك يا ابن آدم مراقبة مكتوبة عليك خيرها وشرها؛ فالواجب التثبت فيها حتى لا تقول إلا خيرًا، وهكذا قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]؛ فأنت مسؤول عما تلقى، وما تسمع، وما تقول، وما يعتقده قلبك؛ فالواجب على المكلف الحذر، وأن يكون كلامه موزونًا ومضبوطًا وعن بصيرة.

وفي حديث أبي هريرة يقول ﷺ: «**كَفَى بِالمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**»[3]. يكفي بأن يوصف بالكذب كونه ما يبالي كل ما سمع حدَّث به: صار كذا، وجرى كذا، وفيه الشيء الكثير الكذب، فيكون تحدث بالكذب وأقر الكذب فيكون كاذبًا فينبغي له أن ينتقي، وألا يتحدث إلا بالشيء الذي يرى أنه صواب، وأنه طيب، وأنه نافع لا يحدث كل ما سمع، «**بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا**»[4]. الإنسان يتثبت

---

(١) انظر: شرح كتاب رياض الصالحين ج٤، كتاب الأمور المنهي عنها، باب الحثّ عَلَى التثبت فيما يقوله ويحكيه (ص٢٨٩).

(٢) سبق تخريجه في (ص٦).

(٣) سبق تخريجه في (٦/ ٦٣).

(٤) أخرجه أبو داود من حديث أبي مسعود رضي الله عنه في كتاب الأدب، باب في زعموا برقم (٤٩٧٢)، وأحمد (٤/ ١١٩).

ويتأمل حتى لا يتكلم إلا عن بصيرة، هكذا المؤمن، تقدم على من يذيع القول على غير بصيرة؛ فالواجب على المؤمن أن يحذر ذلك، قال الله سبحانه في ذم من فعل هذا: ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ٨٣]؛ يعني: لم يبالوا ولم يتثبتوا حتى يردوه إلى من يستنبطه ويعرف طيبه من خبيثه؛ فالحاصل على المؤمن التثبت، الواجب عليه التثبت والحذر أن يتكلم بشيء يضره ولا ينفعه أو يضر غيره.

وهكذا قوله ﷺ: «**مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بحديث وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الكَاذِبِينَ**»(١)، ضبط يَرَى بالفتح؛ يعني: يعلم، وضبط بالضم يُرى؛ يعني: يظن، وهو أبلغ وهو يُرى يظن أنه كذب «فَهُوَ أَحَدُ الكَاذِبِينَ». رُوي بالجمع ورُوي بالمثنى الكاذبين، وبكل حال هذا ذم وعيب لمن لا يتثبت؛ فالواجب متى ظن أن الحديث كذب أو علمه كذبًا لا يحدث به إلا مبينًا كذبه، يقول: هذا كذب غير صحيح، أما يتكلم ويسكت فهو أحد الكاذبين، وسألته امرأة قالت: يا رسول الله، فهل علي من بأس إذا قلت في حق جارتي ما لا يقع من زوجي: إنه أعطاني كذا، وأعطاني كذا؟ فقال ﷺ: «**المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ، كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**»(٢)، كإنسان لبس ثوبي زور: كذب، المعنى كالذي يزوِّر مرتين، يكذب مرتين، ومعلوم ما يترتب على قولها: إن زوجها أعطاها كذا، وأعطاها كذا من الشر، فإن الزوجة الثانية تطالب تقول: أعطيت فلانة، ما أعطيتني، فيقع الشجار بين الرجل وأهله والفتنة، كون المرأة التي لها ضرة تدعي أشياء

---

(١) أخرجه مسلم من حديث سمرة رضي الله عنه في المقدمة، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين برقم (١).

(٢) متفق عليه من حديث أسماء رضي الله عنها، أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب المتشبع بما لم ينل وما ينهى من افتخار الضرة برقم (٥٢١٩)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره. إلخ برقم (٢١٣٠).

أنها أعطاها زوجها كذا وهي تكذب، هذه يضر زوجها، ويضر ضرتها، ويضرها هي أيضًا، قد يكون سببًا لطلاقها؛ فالواجب الصدق، وألا تتشبع بما لم تُعطَ، وألا تدَّعي كذبًا تضر زوجها، وتسبب مشاكل بينه وبين زوجته الأخرى.

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦][1].

فهذه الآية الكريمة مضمونها التحذير من أن تسمع ما لا يحل لك، أو تنظر ما لا يحل لك، أو تعتقد ما لا يحل لك، فأنت مسؤول عما سمعت وعما نظرت إليه وعما اعتقدته بقلبك، والفؤاد هو القلب، والإنسان مسؤول عن سمعه وبصره وفؤاده، فعلى المؤمن أن يتقي الله في سمعه وبصره وقلبه، وألا يسمع ما حرَّم الله عليه من سماع الأغاني، الأغاني وآلات اللهو، أو سماع الغيبة والنميمة، لما فيهما من الضرر العظيم، أو ما أشبه ذلك مما يضر سماعه فليستمع لخير؛ كسماعه للقرآن الكريم وللسُّنَّة المطهرة أو للأحاديث المفيدة، وسماعه لكلام أهله المباح، أو كلام إخوانه وما أشبه ذلك مما هو مباح، أما المحرم فليحذر، ومن ذلك أن يستمع لقوم يكرهون سماعه ولا يرضون أن يسمع حديثهم فلا يجوز له ذلك، كما في الحديث في الصحيح عن رسول الله ﷺ: «**مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ يَكْرَهُونَهُ أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» رواه البخاري[2].

---

(١) من فتاوى نور على الدرب، (٢٧/ ٢٣٥).

(٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، في كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه برقم (٧٠٤٢).

الآنُك: يعني: الرصاص، هذا تحذير من سماع أحاديث الناس وهم يكرهون ذلك، كأن تستمع لهم من عند الباب سرًّا أو من نافذة، أو من سمَّاعة التلفون أو ما أشبه ذلك، ليس لك أن تستمع حديث قوم يكرهون ذلك، لهذا الحديث العظيم، وهو قوله ﷺ: «**مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ يَكْرَهُونَهُ أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»؛ نسأل الله العافية، وهكذا البصر، أنت مأمور بغض البصر عما حرَّم الله، غض البصر عن النساء؛ لئلا تفتن بهن، كما قال ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، تغض بصرك عما حرَّم الله عليك من النساء، الأجنبيات؛ كزوجة أخيك أو زوجة عمك، أو ما أشبه ذلك من غير المحارم، وهكذا عن المردان إذا خشيت الفتنة، تغض بصرك عن النظر إلى الأمرد إذا خشيت الفتنة، وهكذا ما أشبه ذلك مما يحرَّم النظر إليه كعورات النساء، ليس لك أن تنظر إلى عوراتهم، ولا من عورات الناس في بيوتهم؛ لأنك ممنوع من ذلك.

وهكذا يجب عليك أن تحذر الاعتقادات الباطلة، يجب أن تنزِّه قلبك وعقلك عما حرَّم الله، فلا تعتقد ما حرَّم الله عليك من حل ما حرَّم الله، أو اعتقاد عدم وجوب ما أوجب الله، أو عمل بقلبك لما حرَّم الله؛ ومثلًا الاعتقاد أن الزنا حلال، من مرض القلب، وهو كفر نسأل الله العافية، وهكذا اعتقاد أن شرب الخمر، حلال، هذا من مرض القلب وهو كفر أكبر نسأل الله العافية، وهكذا سوء ظنك بالله وسوء ظنك بإخوانك من غير دليل، هذا أيضًا من مرض القلب، وهكذا قنوطك عن رحمة الله وأمنك من مكر الله، كلها أعمال قلبية خطيرة منكرة من كبائر الذنوب، وهكذا النفاق مرض قلبي كونك تظهر الإسلام وتعتقد الكفر الباطل بالقلب، تعتقد أن الرسول ليس بصادق أو أن الدين ليس بحق، أو ما أشبه هذا من اعتقادات أهل النفاق.

والخلاصة: أن السمع والبصر والفؤاد كلها يجب أن تُصان عما

حرَّم الله، عليك أن تصون سمعك عما حرَّم الله، وبصرك عما حرَّم الله، وقلبك عما حرَّم الله، وأن تنظر وتسمع لما ينفعك ولما أباح الله لك، وتعتقد في قلبك ما شرعه الله وما أباح الله تعمل بذلك بحب الله ورسوله، وخوف الله ورجاؤه كلها هذه أعمال قلبية مطلوبة، كحسن الظن بالله، اعتقاد أنه الواحد الأحد المستحق للعبادة، واعتقاد ما أوجب الله عليك؛ كالصلاة والصوم، تعتقد هذا بقلبك أن الله أوجب الصلاة على المكلفين من المسلمين، وأوجب الزكاة لمن لديه مال فيه الزكاة، أوجب صوم رمضان لمن استطاع ذلك، أوجب الحج على من استطاع ذلك، وهكذا وأنت مسؤول عن هذه كلها، يوم القيامة، فإن كنت حافظت عليها وصنتها سلمت، وحمدت العاقبة، أما إن كنت أسأت التصرف ولم تصنها عما حرَّم الله، فإنك على خطر عظيم، وفيه تفصيل كما تقدم.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦][1].

على ظاهرها؛ فالله ينهى عن كون الإنسان يتكلم فيما لا يعلم ﴿وَلَا تَقْفُ﴾؛ يعني: لا تقل في شيء ليس لك به علم، بل تثبت، ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ﴾ يقول: سمعت كذا، وهو ما سمع ﴿وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ الإنسان مسؤول عن سمعه وقلبه وبصره، فالواجب عليه أن لا يقول: سمعت كذا إلا عن بصيرة، ولا يقول: نظرت كذا إلا عن بصيرة، ولا يعتقد بقلبه شيئًا إلا عن بصيرة، لا بد، فهو مسؤول، فالواجب عليه أن يتثبت، وأن يعتني حتى لا يتكلم إلا عن علم، ولا

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٣٣).

يفعل إلا عن علم، ولا يعتقد إلا عن علم، ولهذا قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾، فالإنسان يتثبت في الأمور، والله يقول ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، فجعل القول على الله بغير العلم فوق هذه الأشياء كلها، فالواجب على الإنسان أن يتعلم حتى يكون على علم، وبصيرة فلا يقول: سمعت، ولا يقول: رأيت، ولا يقول: كذا وكذا إلا عن بصيرة وعن علم.

*

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء: ٥٥][1].

حدّثني إسحاق بن نصرٍ، حدّثنا عبد الرّزّاق عن معمرٍ، عن همّام، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: «**خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ الْقُرآنُ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَابَّتِهِ لِتُسْرَجَ، فَكَانَ يَقْرَأُ قَبْلَ أَنْ يَفْرُغَ**»[2]؛ يعني: القرآن.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يعني: الزّبور، وهذا الزّبور الّذي أنزل عليه، عليه الصّلاة والسّلام.

يعني: الزبور يسمّى قرآنًا؛ لأنّه يقرأ ويتلى .الله أكبر.

(من الطّالب): عندنا في النسخ (**خفف على داود القراءة**) بدل القرآن؟

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ برقم (٤٧١٣).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لعلها روايةٌ، ماذا قال الشّارح عليه؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٣٩٧)]: «ووقع في روايةٍ لأبي ذرٍ القراءة، والمراد بالقرآن مصدر القراءة لا القرآن المعهود لهذه الأمة، وقد تقدّم إشباع القول فيه في ترجمة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ من أحاديث الأنبياء». [انتهى كلامه].

* *

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ **[الإسراء: ٥٦]**.

حدّثني عمرو بن عليٍّ، حدّثنا يحيى، حدّثنا سفيان، حدّثني سليمان، عن إبراهيم، عن أبي معمرٍ، عن عبد الله ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ قال: «كان ناسٌ من الإنس يعبدون ناسًا من الجنّ، فأسلم الجنّ، وتمسّك هؤلاء بدينهم»، زاد الأشجعيّ عن سفيان، عن الأعمش: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه الآية في هؤلاء وفي المسيح ابن مريم، ومريم، والعُزير ونحوهم ممّن كان يعبد أناسًا صالحين، ولهذا قال بعدها: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧] فهم يعبدون أناسًا صالحين أو أنبياء كما في تفسير الآية، فسّرت بالعزير، والمسيح

(١) متفق عليه من حديث عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ﴾ برقم (٤٧١٧)، ومسلم في كتاب التفسير، باب ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ برقم (٣٠٣٠).

ابن مريم، ومريم، وفسّرت بأناسٍ كانوا يعبدون أناسًا من الجنّ فأسلم الجنّ وتمسّك النّاس بعبادتهم؛ فأنزل الله في ذلك: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧] المعنى: تعبدون أناسًا يعبدون الله ويخافون عذابه؟! أين ذهبت عقولكم؟!.

فالواجب أن تعبدوا الله الّذي بيده تصريف الأمور، وبيده العطاء والمنع، والضّرّ والنّفع، بيده كلّ شيءٍ، ولكن أهل الشّرك لا يعقلون!!.

والحاصل: أنّها في من عَبدَ غير الله، وذلك المعبود يعبد الله وحده ويدعوه، ويبتغي إليه الوسيلة، يشمل هذا الأنبياء والصّالحين، ويشمل ما قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: إنّهم كانوا أناسًا من الجنّ يعبدون، فأسلم الجنّ وتمسّك الإنس بعبادتهم، فأخبر الله عنهم أنّهم يدعون ربهم ويبتغون إليه الوسيلة، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه، فكيف يعبدون مع الله؟!.

وهكذا عبادة الملائكة والأنبياء والصّالحين من البشر، هو من هذا الباب، وهو ردٌّ وإبطالٌ لما يفعله هؤلاء المشركون، وأنّهم في هذا على جهلٍ وضلالٍ وقلّة بصيرةٍ، فكيف يعبدون أناسًا مثلهم؟! الله المستعان.

• **س**: ....[1]؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

عامّةٌ نعم، عامّةٌ فيمن عبد معبودًا يعبد الله وهو مستقيمٌ على دينه.

• **س: أحسن الله إليك: في الحديث السّابق: «إنَّ ربِّي غضبَ يَوْم القِيَامَةِ غضَبًا لَمْ يغضب قبله» المقصود به يوم القيامة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: يوم القيامة نعم.

*

(١) هناك سقط في الأصل المسموع، ولعلَّ السؤال (هل الآية عامة)؟

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ الآيَةَ [الإسراء: ٥٧].**

حدّثنا بشر بن خالدٍ، أخبرنا محمّد بن جعفرٍ، عن شعبة، عن سليمان، عن إبراهيم، عن أبي معمرٍ، عن عبد الله رضي الله عنه في هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ قال: «نَاسٌ مِنَ الْجِنِّ يُعْبَدُونَ فَأَسْلَمُوا».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يقول سبحانه: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الإسراء: ٥٦]؛ يعني: أيّها المشركون، ﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦] لا يملكون كشف الضّرّ بالكليّة، ولا يملكون تحويله من حالٍ إلى حالٍ، من شدّة إلى ضعفٍ، أو من مكانٍ إلى مكانٍ، عاجزون عن هذا كلّه.

ثمّ قال: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾؛ يعني: أولئك الّذين يدعونهم أهل الشّرك، ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ (وسيلة) القربى بطاعته، ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾.

فهم مؤمنون يدعون الله ويتقرّبون إليه بوسائل الطّاعات من الصّلاة والصّوم والصّدقة وغير ذلك، ويخافونه ويرجونه، وأنتم تدعونهم من دون الله.

يعني: أين ذهبت عقولكم؟! تدعون أناسًا هم عابدون لله هم يخافون الله ويرجونه ويعظّمونه ويتقرّبون إليه بأنواع القربات، وهي الوسائل.

وهذه مثل قوله جل وعلا في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ [٣٥]. الوسيلة هي القربى إليه بطاعته من صلاةٍ وصومٍ ودعاءٍ وغير ذلك.

يتأوّل أهل الشّرك الوسيلة، يتأوّلونها بدعاء الأنبياء ودعاء الصّالحين، فناقضوا مراد الله ﷻ، وكذبوا عليه، الله ﷻ ما جعل دعاء الأنبياء، ولا دعاء الصّالحين، ولا دعاء الملائكة، ما جعله وسيلةً، جعله شركًا بالله، وعبادةً لغيره، ولكن أهل الشّرك لا يفقهون، وفي ضلالهم يعمهون، نسأل الله العافية.

• **س: على هذا أحسن الله إليك: تكون الوسيلة وسيلتين: وسيلة طاعةٍ، ووسيلة شركٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الوسيلة الشّرعيّة هي الطّاعة، توحيد الله وطاعته هي الوسيلة الشّرعيّة، أمّا ما يزعمه المشركون فهو الشّرك، يسمّونه وسيلةً كذبًا وبهتانًا؛ بل هو ضد المطلوب؛ بل هو وسيلةٌ إلى النّار، نسأل الله العافية.

• **س: كانوا يحكمون على مطلق الوسيلة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يسمون عبادة الصّالحين وعبادة الأنبياء وسيلةً، وهي في الحقيقة وسيلةٌ إلى النّار لو كانوا يعقلون.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾﴾ **[الإسراء: ٥٨]**[(١)].

الآية على ظاهرها معناها أن ما من قرية إلا نحن مهلوكها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابًا شديدًا؛ أي: ما من قرية إلا ويصيبها شيء كما

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٣٩).

قال ﷻ: ﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾، وهذا معناه: أن هذه القرى كلها تذهب، كلها تنتهي، ولا يبقى شيء، فإن القيامة إذا قامت ذهب كل شيء، يقول ﷻ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طـه: ١٠٥ ـ ١٠٧]. حتى الجبال تذهب، حتى الجبال هذه الرواسي العظيمة، فهذه القرى تذهب، ولا يبقى على الأرض شيء بالكلية عند قيام الساعة، يعني قبل يوم القيامة، فقد تذهب بأمر الله عند قيام الساعة بدكها وذهابها، وقد تذهب بعقوبة عاجلة؛ بسبب معاصي أهلها وكفرهم وضلالهم، كما جرى لقوم لوط، فقد خسف الله بهم مدائنهم، حتى هلكوا عن آخرهم.

فالمقصود: أنه يقول ﷻ: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ﴾؛ أي: ما من قرية ﴿قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾، هذه القرى والمدن لا بد أن تذهب قبل يوم القيامة، إما بعقوبة عاجلة، وإما بمجيء القيامة، فإذا جاءت القيامة اندك كل شيء، هذه الحصون العظيمة، والقرى العظيمة، والبيوت كلها تذهب، حتى الجبال تنتهي.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠](١)

حدّثنا عليّ بن عبد الله، حدّثنا سفيان، عن عمرٍو، عن عكرمة، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنه ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ قال:

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

«هي رؤيا عينٍ أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٦٠] قال: شجرة الزّقّوم»(١).

*

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

كرّمنا، وأكرمنا واحدٌ، ﴿ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٥]: عذاب الحياة وعذاب الممات، ﴿خِلَٰفَكَ﴾ [الإسراء: ٧٦]: وخلفك سواءٌ، ﴿وَنَـَٔا﴾ [الإسراء: ٨٣]: تباعد، ﴿شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤]: ناحيته، وهي من شكله، ﴿صَرَّفْنَا﴾ [الإسراء: ٨٩]: وجّهنا، ﴿قَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٩٢]: معاينةً، ومقابلةً، وقيل القابلة لأنّها مقابلتها، وتقبل ولدها، ﴿خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ [الإسراء: ١٠٠]: أنفق الرّجل: أملق، ونفق الشّيء: ذهب، ﴿قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠]: مقتّرًا، ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾ [الإسراء: ١٠٧]: مجتمع اللّحيين، والواحد ذقنٌ، وقال مجاهدٌ: ﴿مَّوْفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٣]: وافرًا، ﴿تَبِيعًا﴾ [الإسراء: ٦٩]: ثائرًا، وقال ابن عبّاسٍ: نصيرًا، ﴿خَبَتْ﴾ [الإسراء: ٩٧]: طفئت، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]: لا تنفق في الباطل، ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ﴾ [الإسراء: ٢٨]: رزقٍ، ﴿مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]: ملعونًا، ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ [الإسراء: ٣٦]: لا تقل، ﴿فَجَاسُوا۟﴾ [الإسراء: ٥]: تيمّموا، «يُزْجِي الْفُلْكَ» [الإسراء: ٦٦]: يجري الفلك، ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ [الإسراء: ١٠٧]: للوجوه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كل ما تقدّم بيانٌ لما أيّد الله به نبيّه ﷺ؛ فإنّه ﷺ أعطاه الله آياتٍ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب في التفسير، باب ﴿رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ برقم (٤٧١٦).

ومعجزاتٍ كلّها تدلّ على صدق رسالته، وأنّه رسول الله حقًّا ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

ولما أسري به إلى المسجد الأقصى، ثمّ عرج به إلى السّماء وكذّبت قريشٌ ذلك؛ جعل الله المسجد الأقصى بين عينيه؛ حتّى يريهم الآيات الّتي تدلّهم على أنّه أسري به إليه، ولكن مثل ما قال ﷻ: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]. فمن كان سبقت له الشقاوة فإنّه لا تنفع فيه الآيات ولا يبالي.

فالواجب على طالب الحقّ أن يحسن النّيّة، وأن يريد الحقّ، وأن يطلبه بأدلّته، وأن يحرص عليه، ويسأل ربّه التّوفيق إليه، هكذا يكون طالب الحقّ.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ **[الإسراء: ٧٨]**(١).

المراد بذلك: صلاة الفجر عند أهل العلم، سماها قرآنًا؛ لأنه يطول فيها القراءة، ومعنى ﴿مَشْهُودًا﴾؛ يعني: تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار جميعهم في صلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فينا إلى السماء ويبقى الذين نزلوا لعمل النهار، وقال بعض أهل العلم: يشهده الله وملائكته، لكن المشهور هو الأول؛ لكون ملائكة الليل وملائكة النهار يشهدون هذه الصلاة.

* *

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٤١).

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾ [الإسراء: ٧٨].**

قال مجاهدٌ: صلاة الفجر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى ملعونة؛ يعني: مذمومةٌ، يقال: هذا ملعونٌ؛ يعني: مذمومٌ، ما هو ليس من شرطه أن يقال: لعن كذا باللّفظ؛ فالمذموم ملعونٌ، معناه: الذمّ والعيب، فهي شجرةٌ مذمومةٌ، ذمّها الله وعابها في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٤٦].

وبعض النّاس ممّن عميت بصيرته وضلّ سعيه: يرى أن عبادة غير الله إذا كان المعبود من الملائكة أو من الأنبياء، أو من الصّالحين فلا بأس بهذا؛ لأنّهم شفعاء، أو وسطاء، والمعبود في الحقيقة هو الله؛ فردّ الله عليهم بهذه الآيات وأشباهها، وأنّه لا فرق بين كون المعبود عابدًا لله أو غير عابدٍ لله؛ كلّه شركٌ، وكلّه باطلٌ، فأنكر على من عبد الأنبياء والصّالحين، وأنكر على من عبد الجنّ الّذين أسلموا كما في هذه الآية وكما في قوله: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝٨٠﴾ [آل عمران: ٨٠].

ثمّ نفس المشركين عبدوا الملائكة وعبدوا الصّالحين، وأنكر الله عليهم ذلك وكفّرهم، وهكذا نبيّهم، محمّدٌ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

ولكن العمى ـ والعياذ بالله ـ وعدم قصد الحقّ يجعل صاحبه أبدًا في عمايةٍ، وفي ضلالٍ، لا يرعوي إلى الحقّ؛ لأنّه لم يطلبه ولم يرده، نسأل الله العافية[(١)].

---

(١) وقال سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القراءة الثانية: الملعونةُ يعني: المذمومةُ؛ اللّعنُ: الذمُّ كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٤٥] فهي مذمومةٌ.

• س: أحسن الله إليك: هل هنا في الرؤيا تطلق على رؤيا العين؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كأنّه على ظاهره، يقال في الحلم ويقال في رؤيا العين، ومن ذلك ما رآه النّبيّ ﷺ في الملأ الأعلى.

*

حدّثني عبد الله بن محمّدٍ، حدّثنا عبد الرّزّاق، أخبرنا معمرٌ، عن الزّهريّ، عن أبي سلمة وابن المسيّب، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النّبيّ ﷺ قال: «**فَضْلُ صَلَاةِ الْجَمِيعِ عَلَى صَلَاةِ الْوَاحِدِ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً، وَتَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ**»، يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هكذا العصر يجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر فيعرج الّذين باتوا فينا، ويبقى الّذين نزلوا حتّى يصلّوا، يحضرون الصّلاة مع النّاس، صلاة العصر، ثمّ يصعدون ويبقى من نزل باللّيل: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَة بِاللَّيْل، وَمَلَائِكَةُ بِالنَّهَارِ**»[2]، الله أكبر، سبحان اللهِ ما أعظم شأنه!.

• س: هؤلاء الملائكة الحفظة أم فقط للشهادة على النّاس؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

غيرهم، الحفظة ما يفارقون النّاس، هؤلاء يشاهدون النّاس ويرفعون بما شاهدوا إلى ربهم جَلَّ وَعَلَا، الله أكبر.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في كتاب التفسير، باب: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] برقم (٤٧١٦).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر برقم (٥٥٥)، ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل صلاة الصبح والعصر برقم (٦٣٢).

• **س: أحسن الله إليك: ما فيه تبادل بين الحفظة والكتبة، ما جاء ما يدلّ على أنّهم يتبادلون؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هؤلاء شيءٌ، وهؤلاء شيءٌ، هؤلاء يحضرون صلوات النّاس ويرفعون خبرهم إلى الله ﷻ: «**تَرَكْنَاهُمْ وَهُم يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُم يُصَلُّونَ**».

والحفَظة والكتَبة يحفظون أعمال بني آدم ويكتبونها من خيرٍ وشرٍّ، ولا يفارقونها: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الإنفطار: ١٠ ـ ١٢]، ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

• **س: ما فيه تبادل أربعةٌ باللّيل وأربعةٌ بالنهار يتبادلون؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما أذكر شيئًا في هذا، الحفظة ملازمون ليلًا ونهارًا.

• **س: هؤلاء غير الحفظة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله أعلم، غير الحفظة لكن هل هم من المتعاقبين أو نوع آخر، الله أعلم.

• **س: أحسن الله إليك: الحفظة عددهم معروفٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ملكان، كلّ واحدٍ معه ملكان يكتبان الحسنات والسّيّئات، كلّ واحدٍ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾؛ يعني: ما يكتبونه، كلّ إنسانٍ معه ملكان: واحدٌ يكتب الحسنات، وواحدٌ يكتب السّيّئات هو القرين، هم القرناء.

• **س: ما العلة في غضب الله يوم القيامة في قوله: «إنّ ربّي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله»، العلة في الغضب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

الله أعلم، حضور الكفرة بين يديه الّذين صدّوا عن سبيله وأشركوا به، وكفروا به وجحدوه؛ فيغضب عليهم غضبًا عظيمًا؛ ولهذا يأمر بهم إلى النّار، نسأل الله العافية.

• **س: أحسن الله إليك: احتجاج بعض الأنبياء مثل موسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ **ببعض ما بدر منهم في الحياة الدّنيا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

حياءً من ربّهم، من شدّة تعظيمهم لله، والله ألهمهم أن يقولوا هذا سبحانه.

• **س: أحسن الله إليك: ما هو القرين من الجنّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: الشّيطان الملازم للعبد.

• **س: أحسن الله إليك: ثبت أن الصّحابة** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ **رأوا الملائكة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

رأوا بعضهم، مثل ما رأوا جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ حين جاء يسأل عن الإسلام والإيمان والإحسان، ومثل ما رأوا بعضهم في يوم بدرٍ. الله المستعان.

* *

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩][1].

هذه الآية الكريمة تتعلق بالتهجد في الليل، يُستحب لمن أعطاه الله نعمة جديدة أو صرف الله عنه نقمة أن يسجد لله شكرًا، وهكذا المسلمون

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لكتاب رياض الصالحين (٣/ ٥٠١).

إذا نصرهم الله على عدوهم شُرع لهم سجود الشكر؛ ولهذا كان ﷺ إذا جاءه خبر يسرُّه سجد لله شكرًا وشفع لأمته الذين أجابوه وأطاعوه، شفع لهم، وأجاب الله شفاعته وخرَّ ساجدًا لله ﷻ وهم أُمة محمد المجيبة التي قال فيها سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. والله ﷻ وعدهم أن يشفع فيهم في دخولهم الجنة، وهو أول من يفتتح باب الجنة ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وأول أمة تدخل الجنة من الأُمم أمته المجيبة التي أطاعته، واتبعت شريعته، ويحبس الناس منهم لمعاصيهم فيشفع فيهم، شفاعته متعددة ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

ويدخلهم الله الجنة، وتبقى بقية في النار يُخرِجهم الله برحمته ﷻ لم يفعلوا ما يوجب الخلود، بل ماتوا على التوحيد، فبهذا أخرجهم الله من النار، فلا يخلد في النار إلا من مات على الشرك والكفر بالله ﷻ. أما الموحدون فإن دخلوها فإنهم لا يخلدون فيها، بل يُعذَّبون على قدر المعاصي التي ماتوا عليها، لم يتوبوا منها ثم يخرجون منها كما قال الله ﷻ في كتابه العظيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] فما دون الشرك يغفره الله لمن يشاء، بعض الناس يَغفر له لأعمال صالحة فعلها وأعمال طيبة أسلفها، وبعضهم يعفى عنه بشفاعة الشفعاء من النبي ﷺ والملائكة والمؤمنين والأفراط، وبعضهم يدخلون النار بمعاصيهم بالزنى أو بشرب المسكر أو أكل الربا أو عقوق أو غير هذا، فإذا طُهِّر في النار ومُحِّصَ أخرجه الله من النار إلى الجنة فيُلْقَون بنهر يقال له: نهر الحياة، فينبتون فيه كما ينبت الحَبُّ في حميل السيل، فإذا تمَّ خلقهم أدخلهم الله الجنة.

ولما جاء خبر قتل مسيلمة الكذاب في عهد الصديق رضي الله عنه سجد لله شكرًا، كان الصحابة توجَّهوا إلى اليمامة هنا من أجل قتال مسيلمة

الكذاب ومن معه، الذي ادَّعى النبوة، فقتلوه وقتلوا جماعة من أصحابه، وأسلم الباقون منهم، فلما جاء الخبر إلى الصديق أنه قُتل خرَّ لله ساجدًا، السُّنَّة لمن جاءه شيء يسرُّ أن يسجد لله، فإذا سمع خبر أن الله نصر المؤمنين وأيدهم على عدوهم وسجد لله شكرًا فهذا مستحب، أو ولد له ولد فسجد لله شكرًا، أو دُفع نقمة عنه سجد لله شكرًا أو صلَّى، كل هذا مما يحبه الله عز وجل.

ومما شرع الله التهجد بالليل، التعبد بالليل، ما يسَّر الله للعبد يصلي ثلاثًا يصلي خمسًا يصلي سبعًا يصلي تسعًا يصلي إحدى عشرة ما يسر الله له، يسلم كل ثنتين، يقول الله جل جلاله في عباد الرحمٰن ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٤]. وعباد الرحمٰن هم المؤمنون من صفاتهم التعبد بالليل أو التهجد بالليل. قال تعالى في كتابه العظيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ١ ـ ٤]، ويقول جل جلاله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]، ويقول جل جلاله في صفات المتقين: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨]، ويقول سبحانه: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧]. قالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي يقوم من الليل ـ عليه الصلاة والسلام ـ يتهجد، ويطول حتى تفطَّر قدماه، حتى ترِم من طول القيام، يقوم طويلًا، ويقرأ ويركع طويلًا، ويسجد طويلًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ويصلي إحدى عشرة ركعة يسلم من كل ثنتين، وربما صلَّى ثلاث عشرة ركعة يسلِّم من كل ثنتين، وربما صلَّى أقل من ذلك تسعًا أو سبعًا، يطيل في القراءة، ويطيل في الركوع والسجود، عليه الصلاة والسلام. قالت عائشة: (كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى

تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقالتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قال: «**أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا**» عليه الصلاة والسلام.

السُّنَّة للمؤمن أن يجتهد في قيام الليل ما يسَّر الله له في أول الليل، في وسط الليل، في آخر الليل حسب التيسير، وأقل ذلك ركعة واحدة يوتر بها، أقل ذلك ركعة واحدة يوتر بها بعد سُنَّة العشاء، وإذا أوتر بثلاث أو بخمس أو بأكثر، فكلما زاد فهو خير له وأفضل، وأفضل الوتر وأكمله إحدى عشرة أو ثلاث عشرة ركعة يسلِّم كل ثنتين كفعل النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩](١).

حدّثني إسماعيل بن أبان، حدّثنا أبو الأحوص، عن آدم بن عليٍّ، قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما، يقول: «إنّ النّاس يصيرون يوم القيامة جثًا، كلّ أمّةٍ تتبع نبيّها يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتّى تنتهي الشّفاعة إلى النّبيّ ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود».

حدّثنا عليّ بن عيّاشٍ، حدّثنا شعيب بن أبي حمزة، عن محمّد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قال حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، رواه حمزة بن عبد الله، عن أبيه، عن النّبيّ ﷺ.

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من أحاديث الوعد، ومن أحاديث الرّجاء، أنّ الإنسان يرجو ويفعل الأوامر الشّرعيّة، ولكن لا يغترّ بهذا؛ فإنّ المراد يعني مع ملاحظة أداء ما أوجب الله وترك ما حرّم الله.

وهكذا أحاديث الرّجاء في جميع الفضائل المراد فعلها مع أداء ما فرض الله وترك ما حرّم الله؛ فإن قصّر في ذلك فهو معرّضٌ للوعيد؛ فلهذا يقول ﷻ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النّساء: ٣١]، ويقول ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَان، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِر**»(١).

فإجابة المؤذّن من الفضائل الّتي وعد الله بها هذا الخير العظيم لمن استقام.

● **س: أحسن الله إليك: الأدعية بعد الأذان على التّرتيب أم على التخيير الصّلاة على النّبيّ ﷺ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

على التّرتيب، يجيب المؤذّن، ثمّ يصلّي على النّبيّ ﷺ، ثمّ يدعو، هكذا السّنّة.

● **س: على الوجوب أحسن الله إليك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: سنّةٌ، لا، سنّةٌ مؤكدةٌ.

● **س: ما الفضيلة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هي الوسيلة، وصفٌ لها بأنّها وسيلةٌ وفضيلةٌ، المنزلة في الجنّة، المنزلة الّتي في أعلى الجنّة تسمّى الوسيلة، وتسمّى الفضيلة.

---

(١) سبق تخريجه في (٣/ ٥٧٨) و(٥/ ٢٤٧).

• **س: زيادة: «إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا بأس بها، رواها البيهقيّ بإسنادٍ فيه الزيادة: «**إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ**»(١).

«**اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاة القَائِمَةِ**»؛ يعني: ستقوم «**آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيْلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ**»(٢)، زاد البيهقيّ بسندٍ جيدٍ: «**إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ**»، وهكذا يقال عند الإقامة؛ لأنّها أذانٌ.

• **س: ... في آخر الأذان فقال هذا الدّعاء؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، يأتي بأوّله يجيبه من أوّله، ومما يدلّ على عدم الوجوب أنّه ﷺ ثبت عنه أنّه سمع مؤذنًا يؤذّن؛ فلمّا قال: الله أكبر الله أكبر قال: «**على الفِطْرةِ**»؛ فلمّا قال: أشهد أن لا إله إلّا الله. قال: «**خرج من النّار**». قال الرّاوي: ولم يجب.

يعني: ولم يجبه، والظّاهر أنّه فعل هذا ليبيّن عدم الوجوب، وأنّه ليس بواجبٍ، ولكنه سنّةٌ مؤكّدةٌ - إجابة المؤذّن: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُوْل...**»(٣)، على سبيل النّدب والفضيلة.

• **س: أحسن الله إليك: جاء بعد الشّهادتين يقول: «رضيتُ بِاللهِ ربًّا وبالإِسْلَامِ دينًا...»؟**

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الصغرى» (٢٩٦).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء برقم (٦١٤).

(٣) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة برقم (٣٨٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقولها عند الشّهادتين، هذا الأفضل، عند الشّهادتين يقول: «**رضيتُ باللهِ ربًّا وبالإسْلَام دينًا وبمحمَّدٍ رسولًا**»؛ لحديث سعد بن أبي وقّاصٍ رضي الله عنه، أن النّبيّ ﷺ قال: «**مَنْ قال حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»، مثله وقال: «**رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالإِسْلَام دِينًا؛ غُفِرَ لَهُ**»[١].

● **س: أحسن الله إليك: الدّعاء مجابٌ، الدّعوة بعد الأذان؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بين الأذان والإقامة ترجى الإجابة، من مواضع الإجابة بين الأذان والإقامة، في الحديث: «**الدُّعَاء بينَ الأَذَانِ والإِقَامَة لا يُردُّ**»[٢]، هذا من مواضع الإجابة، مواضع الإجابة الخاصّة ستةٌ ـ وإن كان الدّعاء يرجى في كلّ وقتٍ ـ له مظانّ ستةٌ: بين الأذان والإقامة، وفي السّجود، حال السّجود، وقبل أن يسلّم من الصّلاة، فيما بين أن يسلّم إلى أن تقضى الصّلاة يوم الجمعة، وفي آخر ساعةٍ من يوم الجمعة بعد العصر، وفي آخر اللّيل، وفي جوف اللّيل.

● **س: وعند القتال أحسن الله إليك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

جاء في بعض الرّوايات: عند القتال نعم، عند حضور الصّفّ.

(**السّائل**): ودعوة المسافر؟

---

(١) أخرجه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة برقم (٣٨٦).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في كتاب الصلاة، باب ما جاء في الدعاء بين الأذان والإقامة برقم (٥٢١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ودعوة المظلوم كذلك، على كلّ حالٍ عدة أشياء.

• س: بعضهم قال: إنّها شاذةٌ «إنك لا تخلف الميعاد»؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما فيه شيء يخالف حتّى تسمّى شاذة، ما جاء أحدٌ يقول: إنه لم يقلها؛ حتّى تسمّى شاذةً، الرّواية فقط فيها السّكوت.

الشّاذّ الّذي يخالف ما هو أصحّ منه. هذا الشّاذّ، لو كان في الرّوايات أنّه سمع: ما يقول بعدها شيئًا. وهذا زادها، هذا يسمّى شاذًّا، أمّا هذه فمجرّد زيادة ثقةٍ، ما خالفها أحدٌ، ما ردّها.

• س: أحسن الله إليك: سكوت عشرةٍ من الرّواة في البخاريّ وغيره؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

السّكوت ما يمنع يا ولدي، الّذي يمنع إذا زيد خلاف ذلك أو نفيت الزيادة، فإذا روى جماعةٌ أنّ النّبيّ ﷺ دعا في السّجود بكذا، ثمّ روى واحدٌ ثقة أن الرّسول دعا بدعوةٍ أخرى؛ تقبل، وهكذا في آخر الصّلاة.

• س: أحسن الله إليك: رفع اليدين أثناء الدّعاء بين الأذان والإقامة مشروعٌ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا رفعها فلا بأس، ما أعلم فيه مانعًا؛ لأنّه موضع دعاءٍ، فلو رفع يديه فما فيه مانعٌ.

• س: بعض النّاس ـ أحسن الله إليك ـ يزيد بعد قوله: «آت محمّدًا الوسيلة والفضيلة» يقول: «والدرجة العالية في الجنّة»؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، هذه وقعت في بعض النّسخ لـ«القاعدة الجليلة في التوسل

والوسيلة» للشّيخ تقيّ الدّين، وهو غلطٌ، «الدرجة الرفيعة» هي الوسيلة، وهي الفضيلة، هي الدرجة، فذكر الدرجة الرّفيعة غلطٌ من بعض الكتّاب «آت مُحَمَّدًا **الوَسِيْلَة والفضيلة**» هي الدرجة.

● **س: عفا الله عنك: قضاء الأذان؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بعض أهل العلم يقول: إذا صار يقضي الحاجة أو يصلي أنّه يقضيه، والأمر في هذا واسعٌ، ما أعلم عليه دليلًا، لكن الأمر في هذا واسعٌ إن شاء الله، وإلّا لا أعلم عليه دليلًا.

❁

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١][1].

يزهق: يهلك.

حدّثنا الحميديّ، حدّثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهدٍ، عن أبي معمرٍ، عن عبد الله بن مسعودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ وَحَوْلَ الْبَيْتِ سِتُّونَ وَثَلَاثُمِئَةِ نُصُبٍ، فَجَعَلَ يَطْعَنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾، ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]»[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في هذا خبث الشّيطان، ونشاط نوّاب الشّيطان، ثلاثمائةٍ وستون

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه في كتاب التفسير، باب ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ برقم (٤٧٢٠)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة برقم (١٧٨١).

صنمًا حول الكعبة؛ هذا يدلّ على شدّة نشاط أهل الباطل، والشّيطان معهم، ما يكفيهم اثنان ولا ثلاثةٌ ولا أربعةٌ، حتّى ثلاثمائة وستين صنمًا حول الكعبة؟! تدعى من دون الله، ويستغاث بها وينذر لها، لا حول ولا قوّة إلّا بالله، الله أكبر، سبحان الله ما أعظم شأنه! سبحان الله ما أحلمه؟! فلمّا فتح الله عليه مكّة حطّمها كلّها؛ الحمد لله. الله أكبر.

ومنها هُبُل، كبيرها هبل الّذي قال فيه أبو سفيان رضي الله عنه يوم أحدٍ: «اعلُ هبل»، وقال في العزّى الّتي في أعالي مكّة: لنا العزّى ولا عزّى لكم. الله المستعان. ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ [فاطر: ٨] . الله المستعان.

• **س: هبل في نفس الكعبة أم بعيد؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لا، الظّاهر أن هبل تبع الثّلاثمائة والستين.

• **س: أحسن الله إليك: الدّعاء داخل الكعبة من أسباب الإجابة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يرجى، ما أعلم فيه شيئًا خاصًّا، لكن يرجى، النّبيّ ﷺ لما دخلها دعا في نواحيها، صلّى ركعتين ودعا في نواحيها ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥].

حدّثنا عمر بن حفص بن غياثٍ، حدّثنا أبي، حدّثنا الأعمش، قال: حدّثني إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه قال: «بينا أنا مع النّبيّ ﷺ في حرثٍ، وهو متّكئٌ على عسيبٍ، إذ مرّ اليهود، فقال بعضهم لبعضٍ: سلوه عن الرّوح، فقال: مَا رَابَكُمْ إِلَيْهِ، وقال بعضهم: لا

يستقبلكم بشيءٍ تكرهونه، فقالوا: سلوه، فسألوه عن الرّوح، فأمسك النّبيّ ﷺ فلم يردّ عليهم شيئًا، فعلمت أنّه يوحى إليه، فقمت مقامي، فلمّا نزل الوحي قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا يبيّن أن الرّوح لا يعلم شأنها إلّا الله ﷻ، وفي هذا: قل الروح من علم ربي، ولم يفسّرها لهم، وهي هذه المادة الّتي تحصل بها الحياة، المادّة وهي نفس الإنسان، هي الرّوح، وهي الّتي تخرج عند موته وتنفخ فيه بعد استكمال خلقه من بطن أمّه. الله المستعان. الله أكبر.

في هذا من الفوائد في قصّة الرّوح[2]: أنّ الواجب على العالم ألّا يجيب عن شيءٍ إلّا عن بصيرةٍ، إذا كان الرّسول ﷺ - وهو أفضل الخلق وأعلمهم - إذا سئل عما لا يعرف توقّف حتّى يأتيه العلم، ولا يتكلّف، قال تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] فمن سئل عن علمٍ أجاب، ومن سئل عن غير علمٍ لا يجيب حتّى يتثبّت وينظر، ولا يتكلّف؛ لأنّه قد يجيب فيخطئ ويضلّ غيره.

وكان ﷺ إذا سئل عن شيءٍ وليس عنده سكت حتّى يأتيه وحيٌ، مثل صاحب الجبّة الّذي سأل وقد تضمّخ بجبةٍ، أحرم في جبّةٍ وتضمّخ

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ﴾ برقم (٤٧٢١)، ومسلم في كتاب الجنة والنار، باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ﴾ برقم (٢٧٩٤).

(٢) جاءت تتمة شرح الحديث بعد الأسئلة فألحقتها بمكانها المناسب تحت الحديث؛ تتميمًا للفائدة.

بالطّيب؛ فسأل فلم يردّ عليه حتّى نزل الوحي، ثمّ بعد هذا سأل: «**أين صَاحِب الجُبَّة؟**» فأخبره.

وهذا كثيرٌ منه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، يسأل عن أشياء ليس عنده فيها علمٌ فيتوقّف حتّى ينزل الوحي.

فطالب العلم من بابٍ أولى؛ لأنّ علمه أقلّ، وجهله معروفٌ؛ فالواجب أن يتثبت، وألا يعجل حتّى يتضح له الأمر من كتاب الله، أو من سنّة رسوله ﷺ، أو من إجماع أهل العلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

عندك (ما رابكم[١] إليه) كذا؟

(من القارئ): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ماذا قال الشّارح عليه؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٤٠١)]: «قوله: «ما رابكم إليه» كذا للأكثر بصيغة الفعل الماضي من الرّيب، ويقال فيه: رابه كذا وأرابه كذا، بمعنًى، وقال أبو زيدٍ: رابه إذا علم منه الرّيب، وأرابه إذا ظنّ ذلك به، ولأبي ذرٍّ عن الحمويّ وحده بهمزةٍ وضمّ الموحّدة من الرّأب، وهو الإصلاح». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ما أربكم؟»؛ يعني: ما حاجتكم، وهذا أظهر، (ما أربكم إليه؟)؛ يعني: ما حاجتكم إليه؟.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقال فيه: رأب بين القوم إذا أصلح بينهم، وفي توجيهه هنا بعدٌ.

---

(١) كذا قرأها الطالب من نسخته: «سلوه عن الروح، فقال: ما رابكم إليه» بالباء الموحدة بدل (رأيكم).

وقال الخطّابيّ: الصّواب «ما أربكم؟» بتقديم الهمزة وفتحتين من الأرب، وهو الحاجة».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا هو الأظهر في المعنى يعني.

قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا واضح المعنى لو ساعدته الرّواية نعم، رأيته في رواية المسعوديّ عن الأعمش عند الطّبريّ كذلك، وذكر ابن التّين أنّ رواية القابسيّ كرواية الحمويّ لكن بتحتانيّةٍ بدل الموحّدة من الرّأي، والله أعلم».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ما رأيكم).

● **س: الآية هذه يا شيخ مكيّةٌ أو مدنيّةٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ظاهر السّياق هذا أنّها مدنيّة؛ لأنّ اليهود كانوا معه في المدينة، وهي من السّور المكيّة، لكن بعض السّور قد تكون مكيةً، وتكون بعض آياتها مدنيةً، ويحتمل أنّها نزلت مرّتين، نزلت في مكّة، ثمّ أعيد نزولها؛ تذكيرًا للنبيّ ﷺ، وتنبيهًا له أن هذا جوابهم، جوابهم، هذا جوابهم ما نزل في السّورة سابقًا: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ﴾.

● **س: سلّمك الله: وضع الصّدر على جدار الكعبة والتعلّق بأستارها من الخارج هل له أصلٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما أخبره أنّه الملتزم، هذا الّذي فعله بعض الصّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وفيه أحاديث ضعيفةٌ مرفوعةٌ، فعله بعض الصّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في الملتزم، بين الباب والحجر الأسود، أمّا من داخل فقد التزمها النّبيّ ﷺ ووضع صدره عليها ويديه ودعا ـ في حديث أسامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ.

● **س: لكن من الخارج؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

من الخارج ما ورد، ويعلّمون، يقال لهم: الوارد بين الرّكن والباب فقط.

• **س: ويكون... بهذا الشّكل الّذي نراه الآن؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هكذا يديه وصدره وذراعيه ووجهه.

(**السّائل**): بين الرّكن والباب؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم، هذا يسمّى الملتزم.

• **س: يسألونه وهو في حرثٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: النّخل؛ يعني: بستانًا.

• **س: أحسن الله إليك: الطّالب المبتدئ إذا سئل عن مسألةٍ وهو يعرفها عن عالمٍ مثلًا هل يعزوها للعالم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا أخبر عنه أنّه يعلم أنّي سمعت فلانًا يفتي بها فهذا ما فيه بأسٌ، إذا كان عنده جزمٌ ويقينٌ.

• **س: أحسن الله إليك: من توسّع في الكلام عن الرّوح وذكر أشياء ما ثبتت؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ليس لأحدٍ أن يتكلّم إلّا عن بصيرةٍ، عن علمٍ، الرّوح مثل ما بيّن الله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]، وهي الّتي تحصل بها الحياة، وبفقدهَا يأتي الموت، يقول النّبيّ ﷺ في قصّة أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ**»[(١)]؛ فهي روحٌ لها جسمٌ، لها جرمٌ،

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حُضر برقم (٩٢٠).

تذهب وتأتي وتخرج، لكن لا يعلم كيفية هذا الجسم وصفته إلّا الله ﷻ.

ولهذا قال ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ: «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ**»، فضجّ ناسٌ من أهله، فقال: «**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ**»(١).

فالرّوح ذاتٌ خفيفةٌ تدخل في الإنسان فتحصل له الحياة، وتخرج منه فيحصل له الموت، وتخرج بالنّوم، ويبقى فيه آثارها غير ميتٍ، خروجها في النّوم خروجٌ خاصٌّ، ليس خروجًا عامًّا .الله المستعان.

● **س: يجاب عند عدم العلم أحسن الله إليك: بقول: «الله أعلم» أولى أم بقول: «لا أدري»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

كلّها واحدٌ «لا أدري» أو «الله أعلم» كلّه طيّب.

● **س: مقولة عمر** رضي الله عنه **عندما ردّوا عليه بقول: «الله أعلم»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

قال أسألك عن علمك، فإذا قال: «الله أعلم» أو قال: «لا أدري فلا بأس» كلّه طيبٌ، إلّا إذا كان عنده علمٌ فلا يبخل.

● **س: الجواز يجوز أن يقول: الله أعلم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

نعم، الله أعلم بكل شيءٍ ﷻ.

● **س: معنى من قال: إن الروح علوية؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: لا أدري.

*

(١) والحكمة في ذلك: «فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ».

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩](١).

هذه الآية الكريمة تتعلق بفضل البكاء من خشية الله وما وعد الله به على البكاء من خشيته من الأجر العظيم والعاقبة الحميدة، يقول الله ﷻ في كتابه العظيم في وصف عباده الأخيار: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩] ويقول ﷻ لما ذكر جماعة من الأنبياء: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨] عليهم الصلاة والسلام، قال ﷻ: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النجم: ٥٩ ـ ٦٢] حثَّ على البكاء من خشية الله ﷻ، واستنكر عليهم عملهم من الضحك وعدم البكاء من خشيته ﷻ، فإن المؤمن إذا تلا هذا الكتاب العظيم، وسمع براهين الله وحججه، أوجب له ذلك الخشوع لله، والحذر من غضبه، والبكاء من خشيته سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾، فالمؤمن ينبغي له أن يتدبر هذا الكتاب العظيم ويتعقل بما فيه من الزواجر والعظات والتكرار حتى يرقَّ قلبه، وحتى تدمع عينه، وهكذا ما جاءت به السُّنَّة الصحيحة عن الرسول ﷺ من الوعيد والوعد كل ما يحرِّك القلوب ويذكِّرها بالله ﷻ.

جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «**اقْرَأْ عليَّ القُرْآنَ**» قلت: يا رسول اللهِ أقرأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قال: «**إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيرِي**»(٢) ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فتلا عليه ابن مسعود صدرًا من سورة

---

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (٢/ ١٩٢).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، برقم (٤٥٨٢)، ومسلم من كتاب =

النساء، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] يعني: جئنا بك يا محمد على هؤلاء، على أمته ـ عليه الصلاة والسلام ـ، شهيدًا أنه بلَّغهم وأنذرهم وأمرهم ونهاهم، قال: حسبك.

قال النبي: «**حَسْبُكَ الآنَ**» أي: يكفي «**فَالتَفَتُّ إِلَيْهِ فإذا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ**» عليه الصلاة والسلام، تذكَّر ذلك الموقف العظيم يوم القيامة حين يحضر ويقال له: نطلب منك الشهادة على أمته ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ولا شك أن هذا الموقف عظيم، من تذكره وأهواله وشدائده أوجب له ذلك خشية الله ـ سبحانه ـ، والحذر من غضبه، والبكاء من خشيته ﷻ، فينبغي للمؤمن أن يتذكر أسباب الخشوع لله وأسباب البكاء من خشيته حتى تدمع عينه، ويرقَّ قلبه.

وهكذا جاء في **حديث أنس** رضي الله عنه: قال: إن رسول الله ﷺ خطب الناس خطبة ما سمعت مَن خطب مثلها قطُّ، فقال: «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَليلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**» لو تعلمون ما أعلم مِمَّا عند الله من العقوبة لمن خالف أمره وعصاه لبكيتم كثيرًا وقلَّ ضحككم. فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم، ولهم خنينٌ، خنين بالبكاء ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ.

وحديث العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودِّع فأوصنا، عادة المودع يجتهد في الوصية والنصيحة، المسافر يودِّع أهله؛ فالنبي ﷺ اجتهد في موعظتهم وتذكيرهم، حتى قال الصحابة: كأنها موعظة مودِّع فأوصنا، قال: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ**

= صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه للاستماع... برقم (٨٠٠).

وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ، ضَلَالَةٌ»(١)، فأوصاهم بالسُّنَّة والتمسك بها والثبات عليها، مع سُنَّة الخلفاء وطريقهم ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ والعض عليها بالنواجذ عند وجود الاختلاف والنزاع.

وقال ﷺ: **«لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ في الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ في سبيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ»**. وهذا فيه الوعد للمجاهدين، والخير العظيم والعاقبة الحميدة، والتباكي من خشية الله من الخير العظيم والعاقبة الحميدة، فينبغي للباكي من خشية الله أن يكون صادقًا، وأن يتأثر ذلك بقلبه وقالبه في أداءِ ما أوجب الله وترك ما حرَّم الله، هكذا يكون المؤمن عند التذكر والاتعاظ يجتهد في أداء الواجبات وترك المحارم والوقوف عند حدود الله.

فإن من قصَّر في ذلك وتساهل في ذلك ندم، وساءت العاقبة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولكن يبكي من خشية الله، وليحذر أسباب غضب الله، وهكذا المجاهد يجتهد في قتال أعداء الله، ويصبر ويتحمل، يرجو ما عند الله من المثوبة، فإذا سلَّمه الله ورزقه العودة ولم يكتب له الشهادة فليتقِ الله، وليستقم على أمر الله حتى لا يُحبَط ما مضى من عمله.

*

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السُّنَّة، باب في لزوم السُّنَّةِ برقم (٤٦٠٧)، والترمذي في كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء فى الأخذ بالسنة واجتناب البدع برقم (٢٦٧٦).

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]**[١].

حدّثنا يعقوب بن إبراهيم، حدّثنا هشيمٌ، حدّثنا أبو بشرٍ، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ قال: «نزلت ورسول الله ﷺ مختفٍ بمكّة، كان إذا صلّى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون سبّوا القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾؛ أي: بقراءتك فيسمع المشركون، فيسبّوا القرآن ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم، ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١١٠﴾»[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يعني: قراءةً بين ذلك، قراءةً بين ذلك يحصل بها سماعهم، ولا يحصل منها إسماع المشركين خارج البيت. اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

وهذا هو السّنّة، إذا دعت الحاجة تكون القراءة بين، لا جهرًا يتأذّى به أحدٌ، ولا إخفاتًا عمّن يقتدي بالقارئ، ولكن بين ذلك، ومن هذا أنّه ﷺ لما خرج ذات ليلة على المصلين في المسجد بعضهم يجهرون قال لهم: «**كلُّكم يناجِي اللهَ، فَلَا يؤذِ بعضُكم بَعْضًا**»[٣]، في اللّفظ الآخر قال: «**فلا يجْهَرْ بعْضُكم عَلَى بعضٍ**»[٤].

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ برقم (٤٧٢٢)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية بين الجهر والإسرار إذا خاف من الجهر مفسدة برقم (٤٤٦).

(٣) أخرجه البيهقي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (٢/ ٣٢٨).

(٤) اخرجه النسائي في الكبرى (٢/ ٢٦٤).

إذا كانوا جماعةً يصلّون هنا وجماعة يصلّون هنا، يتهجدون باللّيل كلّ واحدٍ يخافت قليلًا حتّى لا يتأذّى به الآخرون.

هكذا إذا كان حوله مصلّون أو قرّاء لا يجهر، يشقّ عليهم؛ يقرأ قراءةً ليس فيها ما يشوّش على من حوله من المصلّين أو القرّاء، يبتغي سبيلًا.

*

حدّثنا طلق بن غنّام، حدّثنا زائدة عن هشامٍ، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أُنْزِلَ ذَلِكَ فِي الدُّعَاءِ»[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الأظهر هو القول الأوّل مثل ما روى ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

تكلّم الشّارح على الحديثين؟ ماذا قال على الحديثين؟ الأظهر ما دلّ عليه حديث ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما؛ لأنّ الدّعاء مأمورٌ به، ومأمورٌ بالإخفات به إلّا أن يحمل على الدّعاء الّذي يؤمّن عليه؛ فيكون المعنى واحدًا، فيجهر في الدّعاء الّذي يؤمّن عليه، ولا يخافت فلا يسمعه المأمومون.

أمّا إذا حمل على الدّعاء المجرّد فالسّنّة دالّةٌ على أن الدّعاء المجرّد - الكتاب والسّنة جميعًا - دلّا على أنّ السّنّة فيه الإخفات والسّرّ بين العبد وبين ربّه.

[قال الحافظ ابن حجرٍ رحمه الله في «الفتح» (٨/ ٤٠٥)]: «قوله: (**أُنْزِلَ ذَلِكَ فِي الدُّعَاءِ**): هكذا أطلقت عائشة وهو أعمّ من أن يكون ذلك داخل الصّلاة أو خارجها، وقد أخرجه الطّبريّ وابن خزيمة والعمريّ والحاكم

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ برقم (٤٧٣٢)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب التوسط في القراءة والصلاة... إلخ برقم (٤٤٧).

من طريق حفص بن غياثٍ، عن هشامٍ فزاد في الحديث: «في التّشهّد».

ومن طريق عبد الله بن شدّاد قال: كان أعرابيٌّ من بني تميمٍ إذا سلّم النّبيّ ﷺ قال: «**اللّهُمّ ارزقنا مَالًا وَولدًا**»[١].

ورجح الطّبريّ حديث ابن عبّاسٍ قال: لأنّه أصحّ مخرجًا. ثمّ أسند عن عطاءٍ قال: يقول قومٌ: إنّها في الصّلاة، وقومٌ: إنّها في الدّعاء.

وقد جاء عن ابن عبّاسٍ نحو تأويل عائشة. أخرجه الطّبريّ من طريق أشعث بن سوارٍ عن عكرمة عن ابن عبّاسٍ قال: نزلت في الدّعاء. ومن وجهٍ آخر عن ابن عبّاسٍ مثله، ومن طريق عطاءٍ ومجاهدٍ وسعيدٍ ومكحول مثله. ورجح النّوويّ وغيره قول ابن عبّاسٍ كما رجّحه الطّبريّ.

لكن يحتمل الجمع بينهما بأنّها نزلت في الدّعاء داخل الصّلاة؛ وقد روى ابن مردويه من حديث أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلّى عند البيت رفع صوته بالدّعاء؛ فنزلت.

وجاء عن أهل التّفسير في ذلك أقوالٌ أخرى منها: ما روى سعيد بن منصورٍ من طريق صحابيٍّ لم يسمّ رفعه في هذه الآية: لا ترفع صوتك في دعائك فتذكر ذنوبك فتعيّر بها. ومنها: ما روى الطّبريّ من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاس: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾؛ أي: لا تصلّ مرآة للنّاس، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾؛ أي: لا تتركها مخافةً منهم. ومن طرقٍ عن الحسن البصريّ نحوه.

وقال الطّبريّ: لولا أنّنا لا نستجيز مخالفة أهل التّفسير فيما جاء عنهم لاحتمل أن يكون المراد: «لا تجهر بصلاتك»؛ أي: بقراءتك نهارًا، «ولا تخافت بها»؛ أي: ليلًا، وكان ذلك وجهًا لا يبعد من الصّحّة. انتهى.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٣٣٠).

وقد أثبته بعض المتأخّرين قولًا. وقيل: الآية في الدّعاء وهي منسوخةٌ بقوله: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ [الأعراف: ٥٥]». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأظهر - والله أعلم - في هذا كلّه ومن جمع الأدلّة أن المراد به القراءة؛ كما في حديث ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومنه الدّعاء الّذي يحتاج إلى رفعٍ مثل دعاء القنوت في النّوازل، ودعاء القنوت في الوتر، ومنه الدّعاء الّذي يحتاج إلى تعليمه كالدّعاء بعد الصّلاة يحتاج إلى تعليمه حتّى يعلمه النّاس كما سمع الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من النّبيّ ﷺ الدّعوات الّتي كان يدعو بها في آخر الصّلاة وبعد الصّلاة، كما روى سعد بن أبي وقّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه كان يقول في آخر الصّلاة: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُبْنِ...**» إلى آخره.

وكما روى عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النّبيّ ﷺ كان يقول في آخر الصّلاة: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ....**» فلولا أنّه جهر بذلك حتّى سمعوه لما عرفوا ذلك.

فالدّعاء الّذي يجهر به للتّعليم والتّوجيه وهكذا القراءة الّتي يجهر بها ليستفيد المأمومون أو ليستفيد القارئ - كأن يكون عنده نعاسٌ - فليس هناك ما يمنع، أو هناك ما يمنع الجهر الكليّ فيخافت.

فالحاصل: أن الجمع بينهما ممكنٌ بحمل هذا وهذا على المعنى المناسب.

فالقراءة إذا كان الجهر بها يؤذي أحدًا من النّاس كالمصلّين والنّوّام أو يسبّ به الربّ عَزَّ وَجَلَّ أو يسبّ به القرآن لم يشرع الجهر به؛ بل ينهى عنه.

والمخافتة الّتي تضرّ بالمستمعين كذلك، وإذا كان لا هذا ولا هذا فهو مخيرٌ، إن شاء رفع وإن شاء أسرّ.

وهكذا الدّعاء إن كان هناك مصلحةٌ في رفعه، وإن كان ليس هناك مصلحةٌ في رفعه أسرّ به بينه وبين الله، ويكون هذا هو المقصود فيما يتعلّق بالجهر والإخفات، فإذا كان هناك حاجةٌ إلى الجهر بعض الشّيء جهر به بعض الشّيء، ولم يرفع الرفع الّذي يسبب ما ينهى عنه من سبّ المشركين، أو من إيذاء المصلّين أو القرّاء أو نحو ذلك، ولا يخفت إخفاتًا يضرّ المستمعين ويضرّ المريدين للتّعلّم.

● **س: إذا كان الدّعاء في داخل الصّلاة وخارجها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

داخل الصّلاة كالدّعاء في السّجود، والدّعاء في التّشهّد الأخير، ومثل خارجها بعد الصّلاة؛ يعني: كبّر ودعا بعد الصّلاة ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، بعد الذّكر كما ثبت في حديث مسلم عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه كان إذا سلّم قال: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ...**» إلى آخره.

● **س: أحسن الله إليك: متى يصل أحدنا في الإنكار إلى فعله ﷺ بهدم الأصنام بعد دخوله ﷺ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا كان لك سلطانٌ تقوم بالواجب، إذا كان لك سلطانٌ تستطيع به؛ بأنّك أميرٌ في بلدٍ أو لك سلطانٌ أو مفوّضٌ من سلطانٍ لك أن تعمل ما تستطيع: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

● **س: ما يكون قول عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **أحسن الله إليك: داخلًا في قول ابن عبّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **هو الدّعاء بعد الصّلاة؟**

○ **الجواب**: لا، الدّعاء السّنّة فيه السرّ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، إنّما هذا في القراءة، أمّا الدّعاء فالسّنّة فيه السرّ إلّا الدّعاء الّذي يؤمّن عليه كالقنوت والدّعاء في الخطب، خطبة الاستسقاء ونحوها، أمّا الدّعاء الخاصّ فالسّنّة فيه السّرّ.

تفسير آيات من سورة الكهف

فضل قراءة سورة الكهف:

• س: يقول السائل عن سورة الكهف: إنَّه ورد في قراءتها يوم الجمعة: «ألا أحدثكم بسورة ملأ عِظَمها ما بين السماوات والأرض، ولكاتبها من الأجر مثل ذلك، ومن قرأها يوم الجمعة غُفر الله له ما بينها وبين الجمعة الأخرى، وزيادة ثلاثة أيام، ومن قرأ الخمس الأواخر منها عند نومه بعثه الله تعالى أيّ الليل شاء؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: سورة الكهف»، ما مرجع الضمير في «شاء» هل هو الله تبارك وتعالى(١)؟

الحديث ضعيف، وإنما يُروَى عن بعض الصحابة أنهم كانوا يقرؤون الكهف يوم الجمعة، فإذا قرأها يوم الجمعة فحسن ـ إنْ شاء الله ـ يستحب قراءتها؛ لفعل بعض الصحابة، ويعضد على ذلك بعض الأحاديث الضعيفة كهذا الحديث.

• س: هناك قول للرسول ﷺ: «من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة جعل الله له نورًا ما بين الجمعتين»، فهل أقرأها بعد صلاة العشاء أم بعد صلاة الفجر؟ جزاكم الله خيرًا(٢).

○ **الجواب**: الحديث المذكور ضعيف، وإنما الوارد في النهار يوم

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٤٢).

(٢) السؤال التاسع والعشرون من الشريط رقم (٣٢٤).

الجمعة وهو ضعيف أيضًا، وإن كان من الأولى أن يفعل ذلك، فإذا فعله الإنسان نهارًا فحسن، إذا قرأها نهارًا يوم الجمعة فحسن.

• **س: هل هناك حديث عن فضل قراءة سورة الكهف**(١)؟

○ **الجواب**: فيه حديث موقوف، كان بعض الصحابة يقرؤها يوم الجمعة، أما المرفوع فضعيف، لكن جاء الموقوف عن بعض الصحابة وهذا في حكم الرفع؛ لأن الصحابي إذا حافظ عليها يدل على أنه سمع فيها شيئًا عن النبي ﷺ.

• **س: على أي دين أصحاب الكهف سماحة الشيخ**(٢)؟

○ **الجواب**: ظاهر القرآن أنهم على دين الحنيفية، التوحيد، على الإسلام.

بيان المراد بأهل الصخرة وأهل الكهف وعددهم وديانتهم:

• **س: ما القول الصحيح في عدد أهل الكهف؟ وهل هم أصحاب الصخرة، أم أنهم غيرهم؟ فإن كان كذلك فمن هم إذًا أصحاب الصخرة؟ وما قصتهم**(٣)؟

○ **الجواب**: أهل الكهف بيَّنهم الله في كتابه العظيم والأقرب كما قاله جماعة من أهل العلم أنهم سبعة وثامنهم كلبهم، هذا هو الأقرب والأظهر، وهم أناس مؤمنون، فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى، وفارقوا قومهم؛ من أجل الشرك والكفر، ثم توفَّاهم الله بعد ذلك، بعدما ناموا المدة الطويلة، توفَّاهم الله بعد ذلك على دينهم الحق، فهؤلاء هم أهل الكهف كما بيَّنهم الله في كتابه، فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى،

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٤٤).

(٢) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٤٤).

(٣) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٤٤).

وناموا النومة الطويلة بإذن الله، ثم ماتوا بعد ذلك، وبنى عليهم بعض أهل الغلبة هناك من الأمراء والرؤساء مسجدًا، وقد أخطؤوا وغلطوا؛ لأن القبور لا يُبنى عليها، والرسول ﷺ نهى عن ذلك، قال: «**لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا**»[(١)].

وحذَّر من البناء على القبور وتجصيصها واتخاذ المساجد عليها، كل هذا نهى عنه النبي ﷺ، ولعن من فعله، فلا يجوز للمسلمين أن يبنوا على القبور مساجد، ولا قبابًا، ولا غير ذلك، بل تكون القبور ضاحية للشمس والأمطار، ليس عليها بناء، لا قبَّة ولا مسجدًا ولا غير ذلك، هكذا كانت قبور المسلمين في عهد النبي ﷺ وفي عهد الخلفاء الراشدين، حتى غيَّر الناس بعد ذلك وبنوا على القبور، وهذا من الجهل والغلط، قال النبي ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا**». قالت عائشة رضي الله عنها: يحذر ما صنعوا، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ لما أخبرته أم حبيبة وأم سلمة، لمَّا كانتا في أرض الحبشة، عن كنيسة، فيها تصاوير ـ قال: «**أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ العَبْدُ الصَّالِحُ، أَوِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ**»[(٢)]. فأخبر أنهم شرار الخلق؛ بسبب بنائهم على القبور، واتخاذهم الصور عليها، نسأل الله السلامة.

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فيما رواه جندب، في «صحيح مسلم»: «**أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**»[(٣)].

فنهى ﷺ عن اتِّخاذ القبور مساجد، وحذَّر من هذا، وبيَّن أنه عمل

(١) سبق تخريجه في (١/ ١٦١). (٢) سبق تخريجه في (١/ ١٦٥).
(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها... برقم (٥٣٢).

من كان قبلنا، ذلك العمل المذموم، فلا يجوز للمسلمين أن يتَّخذوا قبابًا ولا مساجد على قبور أمواتهم، بل هذا منكر، ومن وسائل الشرك.

أمَّا أصحاب الصخرة فهم أناس خرجوا يتمشون فآواهم المبيت والمطر إلى غار في جبل، فلما دخلوا انحدرت عليهم صخرة فسدَّتْ عليهم فم الغار، فقالوا فيما بينهم: لا ينجيكم الله من هذا إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم التي فعلتموها لله، فقال أحدهم: اللَّهُمَّ إنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهم أهلًا ولا مالًا، (الغبوق: سقي اللبن أو الحليب مساءً)، فنأى بي طلب الشجر ذات ليلة، فلم أرح عليهما ـ يعني: الإبل ـ إلا وقد ناما، فوقفت بالقدح أنتظر استيقاظهما، فلم يستيقظا حتى برق الصبح، والصبية يتضاغون تحت قدمي، اللَّهُمَّ إن كنت تعلم إني فعلت هذا ابتغاء وجهك ففرِّج عنَّا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة شيئًا قليلًا، لا يستطيعون معه الخروج.

ثم قال الثاني: اللَّهُمَّ إنه كان لي ابنة عم، وكنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، وإني أردتها عن نفسها فأبت، فألمَّتْ بها سنة ـ يعني: حاجة في بعض السنين ـ فجاءت إليَّ تطلبني، فقلت لها: لا، حتى تمكنيني من نفسك، فوافقت على ذلك على مئة وعشرين دينارًا، فسلَّمتها لها، فلما جلست بين رجليها قالت: اتَّقِ الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت خوفًا من الله وتركتها، وتركت الذهب لها، ثم قال: اللَّهُمَّ إن كنت تعلم أني فعلت هذا ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة أيضًا، لكن ما يستطيعون الخروج.

ثم قال الثالث: اللَّهُمَّ إنِّي استأجرت أجراء، فأعطيت كل أجير حقه، إلا أجيرًا واحدًا، كان له فرق من أرز فتركته، فثمرته له حتى اشتريت منه رقيقًا وإبلًا وبقرًا وغنمًا كثيرًا، فجاء بعد ذلك فقال: أعطني حقي، فقلت: يا عبد الله كل هذا من حقك، قال: اتقِ الله ولا تستهزئ بي، فقلت له: إني لا أستهزئ بك، بل هذا كله من حقك، فأخذه

واستاقه جميعًا، اللَّهُمَّ إن كنت تعلم أني فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، وخرجوا يمشون، وهذا دليل على أن الله على كل شيء قدير، وأنه سبحانه يبتلي عباده بالسراء والضراء، وهذا الحديث صحيح رواه البخاري ومسلم في «الصحيحين»[(١)]، عن ابن عمر عن النبي ﷺ.

فهو حديث صحيح، فيه عبرة، وفيه إرشاد إلى الضراعة إلى الله وسؤاله عند الكروب والشدائد، وأنه سبحانه قريب مجيب يسمع دعاء الداعي، ويجيب دعوته إذا شاء ﷻ، وأن الأعمال الصالحات من أسباب تفريج الكروب، ومن أسباب تيسير الأمور، ومن أسباب إزالة الشدة، والمؤمن إذا وقع في الشدَّة يضرع إلى الله ويسأله ويتوسل بأعماله الصالحة، بإيمانه بالله ورسوله، بتوحيده والإخلاص له، بإخلاصه لله.

هذه الأسباب وهذه الوسائل الشرعية، والله سبحانه من فضله وإحسانه يجيب دعوة المضطَّر، ويرحم عبده المؤمن، ويجيب سؤاله كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وهو القائل سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وهو القائل ﷻ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

فهولاء المضطرون نزل بهم أمر عظيم وكربة شديدة، فسألوا الله بصالح الأعمال، فأجاب الله دعاءهم، وفيه أيضًا من الفوائد: فضل برّ الوالدين؛ لأن برّ الوالدين من أفضل القربات، ومن أسباب تفريج الكروب، وتيسير الأمور، وهكذا العفَّة عن الزنى، والحذر من الزنى من

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيرًا فترك الأجير أجره... برقم (٢٢٧٢)، ومسلم في كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة... برقم (٢٧٤٣).

الأعمال الصالحات، ومن أسباب تفريج الكروب، ومن أسباب النجاة من كل شدة، وهكذا أداء الأمانة والنصح في أداء الأمانة، من أعظم الأسباب في تفريج الكروب، ومن الأعمال الصالحات، فهذه الأعمال الصالحة من أسباب النجاة في الدنيا والنجاة في الآخرة.

وهذه القصة كانت فيمن قبلنا، قبل مبعث النبي ﷺ، أمّا الزمان فلا نعرفه، لكن فيمن قبلنا، قبل مبعث النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

• **س: هل هناك حديث في فضل قراءة سورة الكهف يوم الجمعة، وهل هذا الحديث أو بما معناه: أن من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء الله له نورًا ما بين السماوات والأرض**[1]**؟**

○ **الجواب**: نعم، ورد في ذلك أحاديث لكن فيها ضعف، فإذا فعل الإنسان ذلك يرجو فضل ذلك فهذا حسن، وقد فعله ابن عمر رضي الله عنهما، فالمقصود: أن الأحاديث الضعيفة في هذا يستعمل في فضائل الأعمال، أهل العلم يستعملون الأحاديث الضعيفة في الفضائل والترغيب فيها، ولا سيما إذا فعلها بعض الصحابة، فهذا مما يقوي تلك الأحاديث، ويدل على أن لها أصلًا، فإذا قرأ الكهف يوم الجمعة فهذا فيه خير عظيم، وفضل كبير، ويُرجى له في ذلك ما ورد في الأحاديث.

* *

❐ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ﴾ **[الكهف: ٢٨]**[2].

هذه الآية الكريمة فيها الحث على الذكر، وعلى مجالس العلم

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٤٣).

(٢) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين الجزء الرابع، باب فضل حِلَقِ الذكر والندب إِلَى ملازمتها والنهي عن مفارقتها لغير عذر (ص١٦٦).

وحِلَق الذكر في المساجد وغيرها، ينبغي للمؤمن أن يحرص على حلقات العلم حلقات الذكر في المساجد وغيرها حتى يستفيد هذا الخير العظيم، منها أن الله ﷻ يعلي شأن هؤلاء، ويباهي بهم ملائكته، فإن هذين الحديثين الصحيحين يدلّان على عظم شأن الذاكرين وحلقات العلم التي فيها: قال الله، قال رسوله؛ فيها ذكر الله تحضره الملائكة؛ فالملائكة سياحون في الأرض يلتمسون مجالس الذكر، فإذا وجدوها تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفون بأهل المجلس، يكونون حولهم يسمعون إلى عنان السماء يسمعون ما يقال وما يؤتى به من الأذكار، فإذا انتهى صعدوا إلى الله فيسألهم وهو أعلم: كيف تركتم عبادي؟ يقولون: تركناهم كذا وكذا، فيسألهم سبحانه وهو أعلم يسألهم عن أحوالهم وهو أعلم بهم ﷻ: ماذا يسألون؟ ماذا يرجون؟ ماذا يخافون؟ يسألهم يقولون: (إنهم يحمدونك ويذكرونك ويمجدونك، يسألهم: وهل رأوني؟) وهو يعلم أنهم لم يروه، (يقولون: لا والله ما رأوك) لو رأوك كانوا أشد رغبة فيما عندك وأشد شوقًا إليك، قال: ماذا يطلبون؟ (يسألون الجنة! وهل رأوها؟ قالوا: يا رب ما رأوها، قال: كيف لو رأوها؟) تقول الملائكة: لو رأوها لكانوا لها أشد طلبًا وأعظم فيها رغبة، قال: (فممَّ يتعوَّذون؟ قال: يتعوذون من النار، وهل رأوها؟ قالوا: يا رب ما رأوها)، وهو يعلم أنهم ما رأوها؛ لكن لإظهار هذا الأمر بين الملائكة وبين أهل الأرض، قال: (كيف لو رأوها؟) قالوا: لو رأوها لكانوا أشد منها رهبة وأكثر فرارًا منها، فيقول ﷻ: «أُشهدكم أني قد غفرت لهم»، في الرواية الأخرى: قد أعطيتهم ما طلبوا وأمَّنتهم مما حذروا، هذا فضل الله ﷻ.

وفي اللفظ الآخر: «**إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ**»، في اللفظ الآخر: «**لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ** ﷻ **إِلاَّ حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»، وهذا من فضله ﷻ أيضًا؛ وهكذا جلسوا يدرسون القرآن

ويتلون القرآن، تحفهم الملائكة، وتنزل عليهم السكينة، وتعمهم رحمة الله ﷻ، ويذكرهم الله فيمن عنده، هذا فيه فضل عظيم لحلق الذكر والجلوس لسماع القرآن والمذاكرة في القرآن والجلوس في المساجد وغيرها يذكر الله ويهلله ويحمده، ليسأل آثار النعمة عليهم وما أعطاهم من النعم وما أزال عليهم من النقم فيشكرون ويحمدون، هذه فيها خير عظيم وفضل كبير.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨][1].

هذه الآية الكريمة مع ما في معناها من الآيات والأحاديث في فضل الفقراء والمساكين الذين حُرِموا هذه الدنيا وزهرتها، ولكنهم وُفِّقوا بالإيمان والعمل الصالح والاستقامة، ولم يُرزقوا الأموال التي بها يكونون من جملة الأغنياء وأن لهم فضلًا عظيمًا، وأنه لا ينبغي احتقارهم ولا ازدراؤهم، ولا البعد عن مجالستهم إذا استقاموا على دين الله، فإن الفقر لا يضرهم، وإنما يضرهم عدولهم عن طاعة الله وركوبهم محارم الله، فالفقر لا يضر العبد في الدنيا ولا في الآخرة عند الله ﷻ، وإنما يضره الخلاف عن طاعة الله، وركوبه لمحارم الله، وتكبره عن طاعة الله، ولهذا قال ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾؛ يعني: احبس نفسك ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (١/ ٥١٥)، باب فضل ضعَفة المسلمين والفقراء والخاملين.

أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] فأمر الله نبيّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يجالس الفقراء والمحاويج، وألّا يترفع عنهم، وألّا يزدريهم من أجل الدنيا وزينتها، فكم من فقير خير عند الله من مِلْء الأرض من أغنياء انحرفوا عن طاعة الله وعن الحق.

ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الصحيح لما سُئل عن أهل النار والجنة، في أهل النار قال: «**كُلُّ عُتُلٍّ جَوّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**»، وفي أهل الجنة: «**كُلُّ ضَعِيف مُتَضَعَّف، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ**»، بيَّن ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن أصحاب الجنة من الفقراء والمساكين أكثر؛ ولهذا قال: «**كُلُّ ضَعِيف مُتَضَعَّف، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ**».

والذي يغمط الناس، ويحتقرهم، ولا يوافق الحق إذا خالف هواه، فالكبر غمط الناس ورد الحق، فأهل الكبر هم الذين يغمطون الناس، ويحتقرونهم، ويردون الحق إذا خالف أهواءهم، أما الفقراء والمساكين المطيعون لله فإنه لا يضرهم فقرهم وعدم مالهم عند الله ﷻ؛ بل هم في منزلة عظيمة عند الله وإن قلَّ مالهم، وإن كانوا فقراء، والله يعطي المال من يحب، ومن لا يحب ﷻ، ولكنه لا يعطي الدين والإيمان والتقوى إلا من أحب، ومن أعطاه الله الدين ووَفَّقه للدين فقد أحبه.

فلا ينبغي للعاقل أن يحزن ويألم عندما تفوته الدنيا ويحسب من الفقراء، فلعل ذلك خير له، لعل ذلك ليحظى بالسعادة وأسباب النجاة، وكذلك إذا بُلي بالغنى والمال فليحذر أن يطغى، وأن يبغي، وأن يغترَّ بالمال فيهلك، هكذا أكثر الناس يطغون عند المال، ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧] فلا يدُب على أهل المال الطغيان والتكبر والاستعانة بالأموال على طاعة الشيطان، فليحذر الإنسان من ذلك، وليكن ماله عونًا له على طاعة الله، ولا يزدري الفقير، بل يعطيه حقه، من زكاة وغيرها، ويعرف له فضله، ويعرف له قدره ويحترمه ولا يحتقره ويزدريه من أجل قلَّة ماله.

وهذه أمور يختلف فيها الناس، من الناس من يُوفَّق ويعرف لإخوانه حقهم وإن كانوا فقراء ومساكين، **اقتداءً** بالنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ومنهم من يحتقرهم ولا يرى لهم قيمة؛ لأنه فقد المال، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذه من المصائب الكبيرة التي ينبغي للمؤمن أن يحذرها، وألا يبتلى بها مع إخوانه الفقراء، بل يعرف لهم قدرهم وحقهم، ويعطيهم ما أنكره من حقهم من زكاة وغيرها، ويسأل ربه التوفيق والهداية، وإذا أعطاه الله مالًا فليستعن به على طاعته، وليؤدِّ حقوقه، هكذا المؤمن، هكذا المتقي لله ﷻ.

وفي الحديث: يقول ﷺ: «**احْتَجَّتِ الجَنَّةُ والنَّارُ، فقالتِ النَّارُ: فِيَّ الجَبَّارُونَ وَالمُتَكَبِّرُونَ. وَقَالتِ الجَنَّةُ: فِيَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَمَسَاكِينُهُمْ، فَقَضَى اللهُ بَيْنَهُمَا: إنَّكِ الجَنَّةُ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أشَاءُ، وقال للنار: وَإنَّكِ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أشَاءُ، وَلِكلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا**»(١). كل واحد لها مِلْؤُهَا، فينبغي للمؤمن أن يحرص أن يكون من أهل الجنة ومن أهل الاستقامة، من أهل طاعة الله ﷻ، وفي رواية من هذا الحديث أن الجنة لا تمتلئ فينشئُ الله لها أقوامًا فيدخلهم الجنة سبحانه وتعالى بفضل رحمته ﷻ، فعليك يا عبد الله أن تحذر أسباب النار، وأن تحذر معاصي ربك ﷻ، وأن تجتهد في طاعته سبحانه وتعالى، فإن الجنة دار المتقين دار المؤمنين وإن كانوا فقراء، وإن كانوا مساكين، والنار دار الجبارين والمتكبرين والكافرين وإن كانوا أغنياء، وإن كانوا من أشراف الناس.

وفي الحديث: أن رجلًا مرَّ على النبي ﷺ من أشراف الناس، لكنه ليس بذاك في دينه، فقال لبعض جلسائه: ما تقولون في هذا؟ قالوا: (هذا رَجُلٌ مِنْ أشْرَافِ النَّاسِ؛ يعني: معروف في الناس بنسبه ونحوه،

---

(١) أخرجه في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٤٦).

هَذَا واللهِ حَرِيٌّ إنْ خَطَبَ أنْ يُنْكَحَ، وَإنْ شَفَعَ أنْ يُشَفَّعَ، وإن قال يُسمع لقوله)؛ يعني: معروف بين الناس، شريف بين الناس في دنياه إما لنسبه وإما لماله وإما بكل منهما، (فَسَكَتَ رسولُ الله ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، من فقراء المسلمين فَقال: «**مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟**» فَقال: يَا رَسُولَ الله، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَراءِ المُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إنْ خَطَبَ ألّا يُنْكَحَ؛ لفقره وَإنْ شَفَعَ ألّا يُشَفَّعَ؛ لفقره، وَإنْ قال ألّا يُسْمَعَ لِقَولِهِ، فَقال رَسُول الله ﷺ: «**هَذَا**» هذا يعني الأخير «**خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الأرْضِ مِثْلَ هَذَا**») من ذاك الأول الذي هو عند الناس شريف؛ لأن الأول قد انحرف عن طاعة الله، ولم يستقم، وغرَّه ماله أو شرفه أو نحو ذلك، والثاني فقير، لكن مستقيم استقام على أمر الله فلم يضره فقره، إذا استقام على أمر ربه ﷻ. فالمال والأنساب والوجاهة عند الناس والوظائف ليست تُقدِّم عند الله ولا تقرِّب لديه إلا من استعملها في طاعته، من استعمل ماله وشرفه وجاهه ووظيفته في طاعة الله، والنفع لعباد الله نفعه ذلك، أما من استعملها في معاصي الله والتكبر على عباد الله، فإن ذلك يضره ولا ينفعه.

*

قال البخاري رحمه الله: وقال مجاهدٌ: ﴿تَّقۡرِضُهُمۡ﴾ [الكهف: ١٧]: تتركهم، ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ﴾ [الكهف: ٣٤]: ذهبٌ وفضّةٌ، وقال غيره: جماعة الثّمر، ﴿بَٰخِعٞ﴾ [الكهف: ٦]: مُهلكٌ، ﴿أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]: ندمًا، ﴿ٱلۡكَهۡفِ﴾ [الكهف: ٩]: الفتح في الجبل، ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾ [الكهف: ٩]: الكتاب، ﴿مَّرۡقُومٞ﴾ [المطففين: ٩]: مكتوبٌ من الرّقم، (رَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ) [١٤]: ألهمناهم صبرًا، ﴿لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا﴾ [القصص: ١٠]، ﴿شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤]: إفراطًا، (الْوَصِيدُ) [١٨]: الْفِنَاءُ، جَمْعُهُ وَصَائِدُ، وَوُصُدٌ، وَيُقَالُ: الْوَصِيدُ: الْبَابُ، ﴿مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ [البلد: ٢٠]: مطبقةٌ، آصَدَ الباب، وأوصد، ﴿بَعَثۡنَٰهُمۡ﴾ [الكهف: ١٢]: أحييناهم، ﴿أَزۡكَىٰ﴾ [الكهف: ١٩]: أكثر، ويقال: أحلّ،

ويقال: أكثر ريعًا، قال ابن عبّاسٍ: ﴿أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم﴾ [الكهف: ٣٣]: لم تنقص، وقال سعيدٌ عن ابن عبّاسٍ: (الرَّقِيمُ): اللّوح من رصاصٍ، كتب عاملهم أسماءهم، ثمّ طرحه في خزانته، فضرب الله على آذانهم: فناموا، وقال غيره: وألت تئل: تنجو، وقال مجاهدٌ: ﴿مَوْبِلًا﴾ [الكهف: ٥٨]: محرزًا، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١]: لا يعقلون.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ
وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا
وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ
مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ
أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا
﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ
سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ
جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾
فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ
صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ
فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ
أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ
لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ
ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ
أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن
نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ

هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٣٢ ـ ٥٩][(١)].

في هذه الآيات الكريمات تذكيرٌ من رَبنا ﷻ لعباده لحال الدُّنيا وحقارتها وزوالها وانتهاءِ أمرها، وأن هناك بَعدَها أمرًا عظيمًا، وهو أمرُ العَرْضِ على الله ﷻ، ومُجازاةِ العباد بأعمالهم خيرِها وشَرِّها، ثم مصيرهم إلى دار الهَوان أو للنعيم والسُّرور والحَبْرَة.

ويُذكِّر أيضًا بعد ذلك بالشيطان وحاله، وعداوته وذُرِّيَّته لبني آدم، تحذيرًا من طاعته وحثًّا على عصيانه ومخالفته.

---

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية لفضيلة الشيخ عبد السلام السليمان حفظه الله (٣٦٦/٤).

ويُذكِّر بحال العباد وما يجب عليهم عند مجيء الرُّسل من الطاعة والاستقامة والامتثال لهم.

ويحذر أيضًا من الإعراض عن ذكر الله عندما يُذَكِّر ويوعَظ وينبِّه، وأن الواجب على العبد في مثل هذه الحال الاستجابة والمبادرة إلى طاعة الله ورسوله، وأنه لا أَظلَمَ ممَّن ذُكِّرَ بآيات ربه فأعرض عن ذلك ونسي ما قَدَّمت يداه من الشَّرِّ والفسادِ، فليس هناك أَظلَمُ من هذا الصِّنف من الناس، الذين يُذكَّرون بآيات الله وحُجَجِه وبيِّناته، ويُذكَّرون بحقه عليهم، ويُذكَّرون بنِعَمه ﷻ، ثم يُعرِضون عن ذلك، ولا يبالون ولا ينتبهون، وينسون ما قدّموا من أعمال سيِّئةٍ وقضايا خطيرةٍ، ويَرتعون كما ترتع الأنعام، ولا يبالون بما وراء ذلك.

ثم يقول ﷻ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]، فربُّنا ﷻ يضرب الأمثال للناس؛ لِيَعُوا ويتذكروا، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] هذا شأن الدُّنيا مَثَلُها كمَثَل هذا النبات الذي بعد نزول المطر يخرج ويَنمو ويخضرُّ، ويُعجِبُ الناظرين، ثم بعد مدة يسيرة تمرُّ عليه الرياح فيَيْبسُ ويتكسَّر، ويضمحلُّ وينتهي.

هذه الدنيا شأْنُها يَظهر عند الناس وبينهم، بينما الإنسانُ فيها في نعمة وحَبْرَةٍ وسُرور وفي عزٍّ، وغير ذلك من أنواع النعيم فإذا أصابته مصيبة ونزلت به كارثة، فتغيرت الأحوال، وصار إلى حالٍ أخرى لا تُشبه الحال الأولى، فأصبح في ذُل وهوانٍ وفقر وحاجة، أو تنزل به مصيبة الموت، فيُرفع من هذا النعيم، ويزول عنه إلى ما قدم من أعمال سيِّئة، ومصائب عظيمةٍ وسيِّئاتٍ كثيرةٍ، يبوءُ بسببها بغضب الله ﷻ وعظيم عقابه، نسأل الله العافية والسلامة.

فالمقصود: أن هذه الدار لا يغتر بها إلا مغرورٌ، فليست دار نعيم ولا دار إقامه أو خُلدٍ، ولكنها دار ابتلاءٍ وامتحان، ودار أكدار وأحزان، ودار عملٍ وإعداد للآخرة لمن عَقَلَ. فينبغي للمؤمن وللعاقل أن لا يغترَّ بها، وأن لا يصيرَ فيها كحال الأكثرين الذين ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢] فيجب على العاقل أن ينتبه، وأن يعلم أن هذه الدار برزخ وليست دار إقامة، ولكنها دارٌ خُلقت لغيرها لا للبقاء ولكن للفناء، خُلقت ليعمل سُكَّانها ما ينبغي أن يعملوا، ويُعِدُّوا ما ينبغي أن يُعِدُّوا، وليست دارًا للإقامة، وليست دارًا للخُلد، أو دارًا يتنعم فيها أهلها بدون مُنغِّصات، بل هي دار فيها الأكدار والأحزان، ثم بعد ذلك الزَّوال والاضمِحلال، وانتقال أهلها منها إلى غيرها.

ثم يبيِّن ﷻ أن المال والبنين زينة هذه الحياة ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، فلا ينبغي للعاقل أن يغترَّ بالمال، ولو بلغ ما بلغ من أنواع النعيم والرِّفعة والخدم والقصور وغير ذلك، فهو زائل. وهكذا البنون وإن أعجبوه وإن حموه وإن سعوا في مصالحه، فمصيرهم إلى الموت والزوال، وقد يكونون بعد ذلك أعداءً في آخر أمرهم، فقد يؤذونه ويضرونه، ويسعون في أسباب هلاكه، فلا ينبغي أن يغتر بالبنين وإن كانوا زينةً في الدنيا؛ لأنهم قد يكونون بعد ذلك شرًّا عليه ووبالًا ونكدًا، ولا سيما في آخر الدُّنيا، وفي مثل هذا العصر عند غُربة الإسلام وقلة العلم، وغَلَبة الشهوات والهوى.

ولهذا قال بعده: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ ما يُقدَّم من أعمال صالحة، من طاعة الله ورسوله، ومن أذكار وصلوات وصيامٍ وجهاد وأمر بمعروف ونهي عن منكر وغير ذلك، ومن هذا التسبيح والتهليل كما في الحديث عن أبي سعيد الخدري قال: قال رَسُول اللهِ ﷺ: «**اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ**». قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «الْمِلَّةُ». قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «**الْمِلَّةُ**».

قِيلَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «**الْمِلَّةُ**». قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «**التَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»[١]؛ أي: هذه الأذكار وأشباهها من الباقيات الصالحات، والباقيات الصالحات أشمل وأعمُّ، نسأل الله التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* *

❑ **تفسير قوله الله تعالى:** ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [**الكهف**: ٥٠][٢].

العلماء لهم في هذا قولان: **أحدهما**: أنه من الملائكة، من طائفة يقال لهم: الجن من الملائكة، ولهذا شمله الأمر، وحكم الله عليه بالبعد واللعنة؛ لأنه عصى الأمر. **والأمر الثاني**: أنه كان معهم، يتعبد معهم، وأنه خُوطب معهم، وأُمِر معهم بأن يسجد؛ لأنه كان معهم وقد صحبهم بالعبادة، فلهذا ورد عليه الأمر معهم فعصى، فعاقبه الله باللعنة والطرد بسبب عصيانه للأوامر الموجهة إليه، وإن كان ليس منهم عنصرًا فهو منهم في العمل، فقد وجّه إليه الخطاب والأمر معهم، فعصى واستكبر، فلهذا أصابته العقوبة، وحلت عليه اللعنة، إما لكونه منهم، وهم طائفة يقال لهم: الجن، أو أنه صار معهم وتلبَّس بأعمالهم، وصاحبهم في أعمالهم، وصدر الأمر إليه وإليهم جميعًا، فلما وجه إليه الأمر معهم صار مستحقًّا للعنة؛ لعصيانه واستكباره، وهذا أمر واضح، والقولان مشهوران للعلماء، **أحدهما**: أنه منهم، فلا إشكال في ذلك، **والثاني**: أنه أبو الجن المعروفين من الثَّقَل الثاني، وهو كآدم للإنس، ولكنه صار مع

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٧٥).

(٢) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٥٠).

الملائكة حين الأمر، ووجّه إليه الأمر معهم فصار مأمورًا كما أنهم مأمورون، فلهذا استحق اللعنة والطرد؛ لاستكباره وعصيانه.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف: ٥٤][١].

حدّثنا عليّ بن عبد الله، حدّثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعدٍ، حدّثنا أبي، عن صالحٍ، عن ابن شهابٍ قال: أخبرني عليّ بن حسينٍ أنّ حسين بن عليٍّ أخبره عن عليٍّ رضي الله عنه «أنّ رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة قال: ألا تصلّيان»[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ما كمّل الحديث؟

(**من القارئ**): ما أكمله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الشّارح ماذا قال؟ لأنّ الشّاهد ما جاء، أقول: الشّاهد من الحديث ما جاء.

(**القارئ**): [قال الحافظ ابن حجرٍ رحمه الله في «الفتح» (٨/ ٤٠٨)]: «وقوله في آخره: (**ألا تصليان؟**) زاد في نسخة الصّغاني... وذكر الحديث والآية إلى قوله: أكثر بشيءٍ جدلًا». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: العيني كذلك؟

(**القارئ**): ما حضر أحسن الله إليك.

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث علي رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ برقم (٤٧٢٤)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح برقم (٧٧٥).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في كمال الحديث أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال ـ لما قال له هذا النّبيّ ﷺ ـ: إنّما نفوسنا بيد الله يرسلها حيث يشاء، ويقبضها حيث شاء. أو كما قال، فأدبر النّبيّ وهو يقول ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾؟

﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ [الكهف: ٢٢]: لم يستبن، ﴿فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]: ندمًا، ﴿سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]: مثل السّرادق، والحجرة الّتي تطيف بالفساطيط، ﴿يُحَاوِرُهُۥ﴾ [الكهف: ٣٤، ٣٧]: من المحاورة، ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ [الكهف: ٣٨]: أي: لكن أنا هو الله ربّي، ثمّ حذف الألف، وأدغم إحدى النّونين في الأخرى، ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ [الكهف: ٣٣]: تقول: بينهما نهرًا، ﴿زَلَقًا﴾ [الكهف: ٤٠]: لا يثبت فيه قدمٌ، ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ [الكهف: ٤٤]: مصدر ولي الوليّ ولاءً، ﴿عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤]: عاقبةٌ، وعقبى، وعقبةٌ واحدٌ، وهي الآخرة، قبلًا، و﴿قُبُلًا﴾ [الكهف: ٥٥]: وقبلًا استئنافًا، ﴿لِيُدْحِضُوا۟﴾ [الكهف: ٥٦]: ليزيلوا، الدّحض: الزّلق.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

- **س: أحسن الله إليك: كأنّ هذا تابعٌ للترجمة السّابقة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

على عادته رَحِمَهُ اللَّهُ التنبيه على الكلمات أدخل بينهم حديث عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(السّائل): يتعلّق بالترجمة السّابقة والحديث؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، هذا من كلام المؤلّف، الحديث انتهى عند قوله: **(ألا تصليان؟)**، ولكن سقط منه كماله أن عليًّا قال: يا رسول الله، إنّما نفوسنا بيد الله يرسلها حيث يشاء، ويقبضها حيث يشاء، فجعل النّبيّ يضرب على فخذه ويقول: «**وكان الإنسان أكثر شيءٍ جدلًا**» ما ذكره المؤلّف.

(**السّائل**): ما لها مناسبةٌ الترجمة هذه؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المناسبة سقطت ما كمّله المؤلف.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ماذا قال عليه الشّارح؟ كأنّه اختصره أو سقطت من بعض النّساخ، (**ألا تصليان**) ماذا قال الشّارح عليه؟ الشّاهد سقط من الرّواية.

(**القارئ**): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٤٠٨)]: «وقوله في آخره: (**ألا تصليان؟**) زاد في نسخة الصّغاني... وذكر الحديث والآية إلى قوله: «**أَكْثَر بِشَيْءٍ جدلًا**»». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: وهو الشّاهد.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٠ ـ ٦٦]، **وقال تعالى**: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨][١].

هذه الآيات الكريمات كلها تتعلق بفضل زيارة الإخوان في الله

---

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (٢/ ٧٠).

والأحباب في الله ومحبتهم والأنس بهم وطلب دعائهم، وهكذا زيارة الأماكن الفاضلة؛ كالمسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى كما جاءت به السُّنَّة، يقول ﷻ في قصة موسى لما خطب بني إسرائيل وسألوه: هل تعلم أحدًا أعلم منك؟[١] قال: لا، فأوحى الله إليه أن لنا عبدًا هو أعلم منك، فسأل ربه أن يسير إليه، فأذن الله له أن يسير إليه، فقال لفتاه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ فسار ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع فتاه إلى المنطقة الشرقية إلى محل الخضر، فاتصل به هناك، وقصَّ الله علينا قصصه في سورة الكهف، وهذا يدل على شرعية الزيارة لأهل الخير والعلم والفضل؛ للتعلم والاستفادة، وأن موسى ذهب إلى الخضر؛ لأجل الاستفادة وطلب العلم ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾.

والمقصود من ذلك: طلب العلم والاستفادة، هذا يدل على شرعية السفر لأهل العلم بقصد الطلب والاستفادة، وقد سافر جمع من الصحابة ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ إلى أمصار كثيرة من أجل طلب الحديث، وهكذا أهل العلم بعدَهم سافر الكثير منهم إلى البلاد البعيدة لطلب العلم، فسافروا إلى مكة والشام ومصر والعراق، وسافر بعض المغاربة إلى الشرق، كل ذلك لطلب العلم والاستفادة، ولهم رحلات في ذلك كثيرة كلها من أجل طلب العلم.

وهكذا قوله ﷻ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ الآية ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ يعني: احبسها مع هؤلاء، اصبر على صحبتهم والأُنس بهم وإن كانوا فقراء؛

---

(١) متفق عليه عن أُبي بن كعب أخرجه، البخاري في كتاب العلم، باب ما ذكر في ذهاب موسى عليه السلام في البحر إلى الخضر برقم (٧٤)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام برقم (٢٣٨٠).

لكونهم صلحاء أخيارًا عُبادًا لله ﷻ؛ ولهذا أخبر عنهم أنهم ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾؛ أي: يعبدونه ﷻ بالغداة والعشي، ويتقربون إليه بالطاعات يبتغون مرضاته، ويبتغون وجهه الكريم ﷻ وصحبة الأخيار، وإن كانوا فقراء، والأُنس بهم والاستفادة منهم، وإفادتهم أيضًا وتوجيههم إلى الخير إذا كانوا بحاجة إلى ذلك، كل هذا مما ينبغي للمؤمن، وكل هذا فعله أهل العلم والخير من الصحابة ومن بعدهم ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ.

وفي هذه الآية وآية الأنعام أُمر النبي ﷺ بالصبر معهم وحبس النفس معهم؛ لما في ذلك من الفائدة العظيمة من التواضع وحبس النفس وإفادتهم وتوجيههم وتعليمهم، وبكل ما فيه من الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة؛ لأن صحبة الأغنياء وصحبة المترفين قد تجرُّ العبد إلى إيثار الدنيا والتأسِّي بهم في ذلك، وإذا صحب الأخيار من الفقراء والمتوسطين كان هذا أقرب إلى لين قلبه وتواضعه ورغبته في الآخرة وزهده في الدنيا وما يشغله عن الآخرة.

وفي هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف الدلالة على فضل الزيارة والتحابِّ في الله ﷻ، وأن المؤمن يزور إخوانه في الله ويحبهم في الله، ومن ذلك قصة الرجل الذي زار أخًا له في الله، فرصد الله له ملكًا في صورة إنسان على مدرجته في طريقه الذي يمر عليه، فقال: أين تذهب؟ قال: أريد فلانًا، فقال: هل لك من نعمة تَرُبُّها عليه، قال: لا، إلا أني أحبه في الله، فقال: إني رسول الله إليك، ثم قال له: إن الله قد أحبك كما أحببته[1]. هذا من فضل الله ﷻ وإحسانه وتشجيع الأخيار على صحبة الأخيار، والتشجيع على المحبة في الله والتزاور في الله، وأن الله

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة في كتاب البر والصلة، باب في فضل الحب في الله برقم (٢٥٦٧).

أرسل إليه ملكًا يخبره بهذا الخبر العظيم، هذا يدل على محبته سبحانه للتزاور في الله والتعاون في الخير وصحبة الأخيار.

وهكذا حديث أبي هريرة: «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللهِ نَادَاهُ مُنَادٍ من السماء أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلًا**»(١)، كذلك يدل على الفضل في عيادة المرضى وزيارة الإخوان في الله، وأن زيارته فيها خير عظيم، وهي من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار.

والوارد في هذا كثير؛ فينبغي للمؤمن أن يكون له نصيب من هذا.

وهكذا قصة الصديق مع عمر في زيارة أم أيمن، وأم أيمن هذه حاضنة النبي ﷺ عُمِّرت عجوزًا كبيرًا، وكانت تتولَّى حضانة النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وكانت بمثابة أمه، ويسميها أمه؛ لأنها حضنته وهو صغير؛ لأن أمه ماتت وهو صغير جدًّا، في سن الخامسة أو السادسة فحضنته أم أيمن وربته وأحسنت إليه، وكان يكرمها ويحبها كثيرًا ويعظمها ويدعوها أمه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فلما تُوفِّي النبي ﷺ قال عمر لأبي بكر: لو زرناها كما كان النبي ﷺ يزورها، كان النبي يزورها في حياته ويكرمها، وينفق عليها ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فزارها عمر والصديق رضي الله عنهما تأسيًا بالنبي ﷺ، ولحبها في الله، ولتقدير حبها للنبي ﷺ وإكرامها له وخدمتها له، والتأسِّي بالنبي ﷺ في زيارتها وإكرامها، وهي امرأة عجوز كبيرة ليس في زيارتها فتنة، فزاراها وسلَّما عليها، فلما رأتهما بكت فاستنكرا بكاءها وقالا لها: لمَ تبكين؟ ألا تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله من بقائه في الدنيا، قالت: لست أبكي؛ لأني لا أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله، ولكني أبكي؛ لأن الوحي انقطع

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في زيارة الإخوان برقم (٢٠٠٨)، وابن ماجه في كتاب الجنائز، باب ثواب من عاد مريضًا برقم (١٤٤٣).

من السماء، كان في حياته يأتينا الوحي صباحًا ومساءً بالأوامر والنواهي والأحكام والبشارات والنذارات، فلما تُوفِّي ﷺ انقطع الوحي، فأنا أبكي من أجل هذا، فلهذا هيَّجتهما على البكاء حتى بكيا من بكائها ـ رضي الله عنهم جميعًا ـ.

فهذا فيه الزيارة في الله حتى ولو للنساء إذا كانت زيارة شرعية كريمة بعيدة عن ظن السوء وعن الفتنة والريبة، فإنها تزار في الله؛ كالعجوز الكبيرة والمرأة الصالحة أو مع محرمها إذا كانت تأبى ذلك، المقصود: أن الزيارة لله وفي الله ولو للنساء إذا كانت زيارة بعيدة عن الريبة، وبعيدة عن الفتنة فلا بأس بها، كما فعل الصديق وعمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ مع أم أيمن، وكما زار النبي ﷺ جدة أنس، وأكرمته فأعدت له الطعام، ودعته إلى الطعام، وزارها وصلى عندهم صلاة الضحى، وصلى بهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، كل هذا يدل على أن الزيارة لله وفي الله مع الرجال والنساء بشرط أن يكون ذلك فيما يتعلق بالنساء بعيدًا عن الريبة وعن ظن السوء، فكل هذا مشروع، وفيه خير عظيم، وفيه تواصٍ بالحق وتعاون على البر والتقوى، وتكريم للأخيار وإيناس لهم وتقدير لهم، وحث على التأسِّي بأخلاقهم.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ [الكهف: ٦٠][(١)].

زمانًا، وجمعه أحقابٌ.

حدّثنا الحميديّ، حدّثنا سفيان، حدّثنا عمرو بن دينارٍ قال: أخبرني

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

سعيد بن جبيرٍ، قال: قلت لابن عبّاسٍ إنّ نوفًا البكاليّ يزعم أنّ موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل، فقال ابن عبّاسٍ: كذب عدوّ الله، حدّثني أبيّ بن كعبٍ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقال: أَنَا، فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: إِنَّ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قال مُوسَى: يَا رَبِّ، فَكَيْفَ لِي بِهِ؟ قال: تَأْخُذُ مَعَكَ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهْوَ ثَمَّ، فَأَخَذَ حُوتًا، فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ، ثُمَّ انْطَلَقَ، وَانْطَلَقَ مَعَهُ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُؤُوسَهُمَا فَنَامَا، وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ، فَخَرَجَ مِنْهُ، فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ، ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾، وَأَمْسَكَ اللهُ عَنِ الْحُوتِ جِرْيَةَ الْمَاءِ، فَصَارَ عَلَيْهِ مِثْلَ الطَّاقِ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نَسِيَ صَاحِبُهُ أَنْ يُخْبِرَهُ بِالْحُوتِ، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتَهُمَا، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ قال مُوسَى لِفَتَاهُ: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾، قال: وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ، فَقال لَهُ فَتَاهُ: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ قال: فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا، وَلِمُوسَى وَلِفَتَاهُ عَجَبًا، فَقال مُوسَى: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي، ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾، قال: رَجَعَا يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى ثَوْبًا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَقال الْخَضِرُ: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ، قال: أَنَا مُوسَى، قال: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قال: نَعَمْ، أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾، يَا مُوسَى، إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَكَ اللهُ لَا أَعْلَمُهُ، فَقال مُوسَى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾، فَقال**

لَهُ الْخَضِرُ: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَمَرَّتْ سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ، فَعَرَفُوا الْخَضِرَ، فَحَمَلُوهُ بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ لَمْ يَفْجَأْ إِلَّا وَالْخَضِرُ قَدْ قَلَعَ لَوْحًا مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ بِالْقَدُوم، فَقال لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا، لَقَدْ جِئْتَ شَيْـئًـا إِمْـرًا ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ قـال: وَقـال رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَكَانَتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا، قال: وَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً، فَقال لَهُ الْخَضِرُ: مَا عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ، ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ، فَبَيْنَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ، إِذْ أَبْصَرَ الْخَضِرُ غُلَامًا يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ رَأْسَهُ بِيَدِهِ، فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ، فَقال لَهُ مُوسَى: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا! قال: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا، قال وَهَذه أَشَدُّ مِنَ الأُولَى، ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ ـ قال: مَائِلٌ ـ فَقَامَ الْخَضِرُ فَأَقَامَهُ بِيَدِهِ، فَقال مُوسَى: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعِمُونَا، وَلَمْ يُضَيِّفُونَا ﴿...لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ إِلـى قَـوْلِـهِ: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾، فَقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ حَتَّى يَقُصَّ اللهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا، قال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ: «وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا»، وَكَانَ يَقْرَأُ: «وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ»[(١)].

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب =

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: «**مَا عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إلا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا العُصْفُورُ مِنْ هَذَا البَحْرِ**»: وهذا مثل ما قال جَلَّ: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١]، فعلمه قد أحاط بكلّ شيءٍ مما كان وما يكون في الدّنيا والآخرة؛ ولهذا قال الخضر لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما نقر العصفور من البحر: (مَا عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إلا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا العُصْفُورُ مِنْ هَذَا البَحْر). وأيّ شيءٍ نقص من هذا البحر؟!

هذه قصّةٌ عظيمةٌ علّم الله فيها الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ أشياء لم يعلمها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حتّى قصّها عليه وبيّنها له. اللّهمّ صلّ عليه وسلّم، الله المستعان.

المقصود: من فوائد هذا: أن الإنسان مهما بلغ من العلم والوحي ـ وإن كان نبيّنًا مكلّمًا ـ فإنّ علمه محدودٌ، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، فعلم الخلق محدودٌ، وعلم الأنبياء محدودٌ والرّسل والملائكة محدودٌ، علم الأطباء محدودٌ، علم المهندسين محدودٌ، جميع طبقات بني آدم. والعلم الشّامل والكامل لله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: «**مَا عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إلا مِثْل مَا نَقَصَ هَذَا العُصْفُورُ مِنْ هَذَا البَحْر**»، وهذا شاهدٌ لقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، فعلم الله عَزَّ وَجَلَّ لا حدّ له. الله المستعان.

ولهذا قال الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلّا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر .الله أكبر.

= ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ برقم (٤٧٢٥)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر برقم (٢٣٨٠).

والصّحيح أن الخضر نبيٌّ، كما يدلّ عليه السّياق، الصّحيح أنّه نبيٌّ، والسياق يدلّ على ذلك.

فإذا كان علم الأنبياء لا ينقص من علم الله إلّا كما ينقص هذا العصفور من هذا البحر، فكيف بعلم غيرهم؟ الله المستعان، الله أكبر.

قوله: (فَكَانَ ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما يَقْرَأُ: وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذ كُلّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا)؛ لأنّ الوراء تأتي بهذا، وتأتي بمعنى أمام، وتأتي بمعنى خلف، فهي هنا بمعنى أمام، وراءهم؛ يعني: أمامهم، ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧]؛ يعني: أمامه كذلك.

• **س: أحسن الله عملك: الحديث المرفوع الّذي أورده المنذري وغيره الّذي فيه أن الخضر سئل بوجه الله فلم يجد شيئًا فباع نفسه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ما أعرفه، أقول: ما أعرف حاله.

• **س: أحسن الله إليك: الخضر نبيٌّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

نعم، الصّحيح أنّه نبيٌّ. ولهذا قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢] عن أمر الله. ظاهر السّياق أنّهُ نبيٌّ، أقول: ظاهر الآيات أنّه نبيٌّ فقط.

• **س: من قال: إن الخضر حيٌّ الآن؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الصّواب: أنّه ميت قبل بعث النّبيّ ﷺ، لو كان حيًّا لقابله النّبيّ ﷺ، ثمّ لو كان حيًّا لمات على رأس مائة سنة كما قال ﷺ في آخر حياته: «**لَا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ مائةُ سَنَةٍ وحيٌّ عَلَى وجْهِ الأَرْضِ عينٌ**

تَطْرُفُ مِمَّن هُوَ اليومَ، وَالله إن رَخاء هذِهِ الأمة بَعْدَ مائة عَام»[1].

• س: أحسن الله إليك: قراءة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما هذه القراءة توضيحية؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: من باب الإيضاح.

• س: قول الأكثر أن هذا من العلم اللدنّي الّذي أعطيه الخضر وأنّه ولي؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لا، الصّحيح أنّه نبيٌّ ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾، وقوله: «علَّمنيه الله».

• س: جاء في بعض الأجزاء من «فتاوى شيخ الإسلام» أنّه قرر أنّه ولي، ووجد في بعض الأجزاء أنّه نبي؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لا، الصّواب أنّه نبيٌّ؛ لأنّ هذه الأمور العظيمة ما يقدم عليها بمجرد فهمه أو فراسته؛ لا بدّ فيها من وحيٍ. الله أكبر. الله المستعان. . .[2] قتل الغلام.

• س: هل له ولايةٌ ـ عفا الله عنك ـ إقدامه على قتل الغلام ما يخشى العاقبة هل هو حاكمٌ أو والٍ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

المقصود: ما دام نبيًّا فالنّاس تبعٌ له، أقول: ما دام نبيًّا، وهذا هو الصّواب فالنّاس تبع له.

(السّائل): هذا مما يؤيد نبوّته؟

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث علي بن أبي طالب (١/ ٩٣، ١٤٠).

(٢) لعلها أوحى له.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ما فيه شكٌّ نعم، العلم بأنّه كافرٌ، وأنّه يخشى على والديه، وأنّ الله يعوّضهما عنه، كلّ هذا ما هو يعلم بالرأي والفراسة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

راجع: كلامه على قوله: وقال: هل بأرضي من سلام؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٨/ ٤١٧)]: «قوله: **(فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ)**: في رواية أبي إسحاق عند مسلمٍ: فقال: السّلام عليكم؛ فكشف الثّوب عن وجهه وقال: وعليكم السّلام.

قوله: **(وَقَالَ: هَلْ بِأَرْضِي مِنْ سَلَامٍ)**: في رواية الكشميهنيّ بأرضٍ بالتّنوين، وفي رواية سفيان قال: **(وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ)** وهي بمعنى أين أو كيف وهو استفهام استبعادٍ؛ يدلّ على أنّ أهل تلك الأرض لم يكونوا إذ ذاك مسلمين، ويجمع بين الرّوايتين بأنّه استفهمه بعد أن ردّ عليه السّلام». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

الشّاهد من هذا أنّه ردّ عليه السّلام ثمّ قال.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ **[الكهف: ٦١]**(١).

مذهبًا، يسرب: يسلك، ومنه: ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠].

حدّثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف أنّ ابن جريجٍ أخبرهم قال: أخبرني يعلى بن مسلمٍ، وعمرو بن دينارٍ، عن سعيد بن جبيرٍ يزيد أحدهما على صاحبه وغيرهما قد سمعته يحدّثه، عن سعيدٍ بن

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

جبير قال: إنّا لعند ابن عبّاسٍ في بيته، إذ قال: سلوني، قلت: أي أبا عبّاسٍ، جعلني الله فداءك، بالكوفة رجلٌ قاصٌّ يقال له: نوفٌ، يزعم أنّه ليس بموسى بني إسرائيل، أمّا عمرٌو فقال لي: قال قد كذب عدوّ الله، وأمّا يعلى فقال لي: قال ابن عبّاسٍ: حدّثني أبيّ بن كعبٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مُوسَى رَسُولُ اللهِ** ﵇ **قال: ذَكَّرَ النَّاسَ يَوْمًا حَتَّى إِذَا فَاضَتِ الْعُيُونُ، وَرَقَّتِ الْقُلُوبُ، وَلَّى، فَأَدْرَكَهُ رَجُلٌ، فَقال: أَيْ رَسُولَ اللهِ، هَلْ فِي الأَرْضِ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْكَ؟ قال: لَا، فَعَتَبَ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَى اللهِ، قِيلَ: بَلَى، قال: أَيْ رَبِّ فَأَيْنَ؟ قال: بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، قال: أَيْ رَبِّ اجْعَلْ لِي عَلَمًا أَعْلَمُ ذَلِكَ مِنهُ، فَقال لِي عَمْرٌو: قال: حَيْثُ يُفَارِقُكَ الْحُوتُ، وَقال لِي يَعْلَى: قال: خُذْ نُونًا مَيِّتًا حَيْثُ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ، فَقال لِفَتَاهُ: لَا أُكَلِّفُكَ إِلَّا أَنْ تُخبِرَنِي بِحَيْثُ يُفَارِقُكَ الْحُوتُ، قال: مَا كَلَّفْتَ كَثِيرًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ [٦٠] يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، لَيسَتْ عَنْ سَعِيدٍ، قال: فَبَيْنَمَا هُوَ فِي ظِلِّ صَخْرَةٍ فِي مَكَانٍ ثَرْيَانَ، إِذْ تَضَرَّبَ الْحُوتُ، وَمُوسَى نَائِمٌ، فَقال فَتَاهُ: لَا أُوقِظُهُ حَتَّى إِذَا اسْتَيْقَظَ نَسِيَ أَنْ يُخْبِرَهُ، وَتَضَرَّبَ الْحُوتُ حَتَّى دَخَلَ الْبَحْرَ، فَأَمْسَكَ اللهُ عَنْهُ جِرْيَةَ الْبَحْرِ حَتَّى كَأَنَّ أَثَرَهُ فِي حَجَرٍ، قال لِي عَمْرٌو: هَكَذَا كَانَ أَثَرُهُ فِي حَجَرٍ، وَحَلَّقَ بَيْنَ إِبْهَامَيْهِ وَاللَّتَيْنِ تَلِيانِهِمَا،** ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ **قال: قَدْ قَطَعَ اللهُ عَنْكَ النَّصَبَ، لَيْسَتْ هَذِهِ، عَنْ سَعِيدٍ، أَخْبَرَهُ فَرَجَعَا، فَوَجَدَا خَضِرًا، قال لِي عُثْمَانُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ: عَلَى طِنْفِسَةٍ خَضْرَاءَ عَلَى كَبِدِ الْبَحْرِ، قال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: مُسَجًّى بِثَوْبِهِ قَدْ جَعَلَ طَرَفَهُ تَحْتَ رِجْلَيْهِ، وَطَرَفَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ وَقال: هَلْ بِأَرْضِي مِنْ سَلَامٍ؟ مَنْ أَنْتَ؟ قال: أَنَا مُوسَى، قال: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قال: نَعَمْ، قال: فَمَا شَأْنُكَ؟ قال:**

جِئْتُ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا، قال: أَمَا يَكْفِيكَ أَنَّ التَّوْرَاةَ بِيَدَيْكَ، وَأَنَّ الْوَحْيَ يَأْتِيكَ؟ يَا مُوسَى، إِنَّ لِي عِلْمًا لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَهُ، وَإِنَّ لَكَ عِلْمًا لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَعْلَمَهُ، فَأَخَذَ طَائِرٌ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ، فَقَالَ: وَاللهِ مَا عِلْمِي وَمَا عِلْمُكَ فِي جَنْبِ عِلْمِ اللهِ إِلَّا كَمَا أَخَذَ هَذَا الطَّائِرُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ، حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ وَجَدَا مَعَابِرَ صِغَارًا تَحْمِلُ أَهْلَ هَذَا السَّاحِلِ إِلَى أَهْلِ هَذَا السَّاحِلِ الآخَرِ، عَرَفُوهُ، فَقَالُوا: عَبْدُ اللهِ الصَّالِحُ، قال: قُلْنَا لِسَعِيدٍ: خَضِرٌ؟ قال: نَعَمْ، لَا نَحْمِلُهُ بِأَجْرٍ، فَخَرَقَهَا، وَوَتَدَ فِيهَا وَتِدًا، قال مُوسَى: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾، قال مُجَاهِدٌ: مُنْكَرًا، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ كَانَتِ الأُولَى نِسْيَانًا، وَالْوُسْطَى شَرْطًا، وَالثَّالِثَةُ عَمْدًا، ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾، لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ، قال يَعْلَى: قال سَعِيدٌ: وَجَدَ غِلْمَانًا يَلْعَبُونَ، فَأَخَذَ غُلَامًا كَافِرًا ظَرِيفًا، فَأَضْجَعَهُ ثُمَّ ذَبَحَهُ بِالسِّكِّينِ، ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: ٧٤] لَمْ تَعْمَلْ بِالْحِنْثِ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَرَأَهَا: زَكِيَّةً زَاكِيَةً مُسْلِمَةً، كَقَوْلِكَ غُلَامًا زَكِيًّا، فَانْطَلَقَا، فَوَجَدَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ، قال سَعِيدٌ بِيَدِهِ هَكَذَا، وَرَفَعَ يَدَهُ فَاسْتَقَامَ، قال يَعْلَى: حَسِبْتُ أَنَّ سَعِيدًا قال: فَمَسَحَهُ بِيَدِهِ فَاسْتَقَامَ، ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾، قال سَعِيدٌ: أَجْرًا نَأْكُلُهُ، وَكَانَ وَرَاءَهُمْ، وَكَانَ أَمَامَهُمْ، قَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ أَمَامَهُمْ، مَلِكٌ، يَزْعُمُونَ عَنْ غَيْرِ سَعِيدٍ أَنَّهُ هُدَدُ بْنُ بُدَدٍ، وَالْغُلَامُ الْمَقْتُولُ اسْمُهُ يَزْعُمُونَ حَيْسُورٌ، مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا، فَأَرَدْتُ إِذَا هِيَ مَرَّتْ بِهِ أَنْ يَدَعَهَا لِعَيْبِهَا، فَإِذَا جَاوَزُوا أَصْلَحُوهَا فَانْتَفَعُوا بِهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: سَدُّوهَا بِقَارُورَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ بِالْقَارِ. كَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ، وَكَانَ كَافِرًا، فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا: أَنْ يَحْمِلَهُمَا حُبُّهُ عَلَى أَنْ يُتَابِعَاهُ عَلَى دِينِهِ، فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وأَقْرَبَ

رُحْمًا؛ لِقَوْلِهِ: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً، وَأَقْرَبَ رُحْمًا: هُمَا بِهِ أَرْحَمُ مِنْهُمَا بِالأَوَّلِ الَّذِي قَتَلَ خَضِرٌ، وَزَعَمَ غَيْرُ سَعِيدٍ أَنَّهُمَا أُبْدِلَا جَارِيَةً، وَأَمَّا دَاوُدُ بْنُ أَبِي عَاصِمٍ فَقَال عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ: إِنَّهَا جَارِيَةٌ»(١).

قالَ سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: (حتى كَأَنَّ أثره فِي حَجَر)؛ يعني: مسك الماء ـ الله أكبر ـ حتّى لا يسد الثّغرة إذا دخل معها. كذا ضبطه «حجر». الشّارح تكلّم عليه؟ معلوم أنّ في الحجر ما يتغير، الخرق الّذي في الحجر يبقى على حاله. الله أمسك عنه جرية الماء حتّى صار كأنّه خرقٌ في حجرٍ؛ يعني: جحر في حجر، علامة موضع دخوله الماء، الله أكبر.

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٤١٦)]: «قوله: (فَأَمْسَكَ اللهُ عَنْهُ جِرْيَةَ الْبَحْرِ؛ حَتَّى كَأَنَ أَثَرُهُ فِي حَجَرٍ): كذا فيه بفتح الحاء المهملة والجيم، وفي روايةٍ: جحرٍ بضمّ الجيم وسكون المهملة، وهو واضح.

قوله: (قال لي عَمْرو): القائل هو ابن جريجٍ، كأنّ أثره في حجرٍ وحلّق بين إبهاميه، والّتي في رواية الكشميهنيّ: واللّتين تليانهما يعني السّبّابتين». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: هكذا، صار مدخله في جحر الحوت في البحر.

[قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «وفي رواية سفيان عن عمروٍ: فصار عليه مثل الطّاق، وهو يفسّر ما أشار إليه من الصّفة. وفي رواية أبي إسحاق عند مسلمٍ: فاضطرب الحوت في الماء فجعل لا يلتئم عليه صار مثل الكوّة». [انتهى كلامه].

---

(١) متفق عليه من حديث سعيد بن جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾... إلخ برقم (٤٧٢٦)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ برقم (٢٣٨٠).

• **س: مجمع البحرين اليوم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: جهة المنطقة الشّرقيّة.

(**من الشّيخ**): تكلّم على (كبد الحوت) الحافظ أو العيني؟

(**القارئ**): [قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ اللهُ في «عمدة القاريّ» (١٩/ ٤٥)]: «قوله: (على كبد الْبَحْر)؛ أي: على وسطه، وهذه الرّواية القائلة بأنّه كان في وسط البحر، غريبةٌ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

المعروف أنّه في روضةٍ حول البحر.

• **س: الخضر نبيٌّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: الصّحيح أنّه نبيٌّ.

• **س: أحسن الله إليك: دليلٌ على أن الخضر اطّلع على أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بيده التّوراة وهو لم يخصّص بها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لا بدّ جاءته الأخبار قبل ذلك، لا بدّ؛ لأنّ نبأ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ معروفٌ، نبيٌّ عظيمٌ، وله أمّةٌ عظيمةٌ، وأخباره قريبةٌ في الشّام، قريبٌ...[(١)].

قوله: (وَزَعَمَ غَيْر سَعِيدٍ: أَنَّهُمَا أُبْدِلَا جارِيَةً، وَأَمَّا دَاوُدُ بْنُ أَبِي عَاصِمٍ فَقال: عَنْ غَيْر وَاحِدٍ: أَنَّهَا جَارِيَةٌ).

كونهم أبدلا جاريةً أو أبدلا غلامًا، الله أعلم.

• **س: الغلام مستثنى من حديث: «كلّ مولودٍ يولد على الفطرة»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذا خاصٌّ لا شكّ، أقول: هذا شيءٌ خاصٌّ أمر به الخضر من جهة الله جَلَّ وَعَلَا، الله أكبر.

---

(١) عبارة غير واضحة، ولعلها: (والمعنى ما يخص).

• **س: أحسن الله إليك: قوله: (فأردنا) وقوله: (فأَرَادَ ربُّك) الفرق بينهما مرةً ردّ الإرادة إلى الله، ومرةً إلى نفسه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بأمر الله «أراد الله»؛ يعني: أمر بهذا، «أردنا»؛ يعني: بأمر الله.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ **إِلَى قَوْلِهِ:** ﴿قَصَصًا﴾ **[الكهف: ٦٢ ـ ٦٤]**[1].

﴿صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]: عملًا، ﴿حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨]: تحوّلًا، ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]، ﴿إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١]، و﴿نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤]: داهيةً، ﴿يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧]: ينقاض كما تنقاض السّنّ، ﴿لَتَّخَذْتَ﴾ [الكهف: ٧٧]: واتّخذت واحدٌ، ﴿رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١]: من الرّحم، وهي أشدّ مبالغةً من الرّحمة، ويظنّ أنّه من الرّحيم، وتدعى مكّة أمّ رحمٍ؛ أي: الرّحمة تنزل بها.

حدّثني قتيبة بن سعيدٍ، حدّثني سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينارٍ، عن سعيد بن جبيرٍ، قال: قلت لابن عبّاسٍ: إنّ نوفًا البكاليّ يزعم أنّ موسى بني إسرائيل ليس بموسى الخضرِ، فقال: كذب عدوّ الله، حدّثنا أبيّ بن كعبٍ عن رسول الله ﷺ قال: «**قَامَ مُوسَى خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقِيلَ لَهُ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ قال: أَنَا، فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ: بَلَى، عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قال: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَيْهِ؟ قال: تَأْخُذُ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَاتَّبِعْهُ، قال: فَخَرَجَ مُوسَى وَمَعَهُ فَتَاهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ،**

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

وَمَعَهُمَا الْحُوتُ، حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَنَزَلَا عِنْدَهَا، قال: فَوَضَعَ مُوسَى رَأْسَهُ فَنَامَ، قال سُفْيَانُ: وَفِي حَدِيثِ غَيْرِ عَمْرٍو قال: وَفِي أَصْلِ الصَّخْرَةِ عَيْنٌ يُقَالُ لَهَا الْحَيَاةُ، لَا يُصِيبُ مِنْ مَائِهَا شَيْءٌ إِلَّا حَيِيَ، فَأَصَابَ الْحُوتَ مِنْ مَاءِ تِلْكَ الْعَيْنِ، قال: فَتَحَرَّكَ وَانْسَلَّ مِنَ الْمِكْتَلِ فَدَخَلَ الْبَحْرَ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ مُوسَى ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ الآيَةَ، قال: وَلَمْ يَجِدِ النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ مَا أُمِرَ بِهِ، قال لَهُ فَتَاهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ الآيَةَ، قال: فَرَجَعَا يَقُصَّانِ فِي آثَارِهِمَا، فَوَجَدَا فِي الْبَحْرِ كَالطَّاقِ مَمَرَّ الْحُوتِ، فَكَانَ لِفَتَاهُ عَجَبًا، وَلِلْحُوتِ سَرَبًا، قال: فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، إِذْ هُمَا بِرَجُلٍ مُسَجًّى بِثَوْبٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، قال: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ؟ فقال: أَنَا مُوسَى، قال: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قال: نَعَمْ، قال: هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا؟ قال لَهُ الْخَضِرُ: يَا مُوسَى، إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَكَهُ اللهُ لَا أَعْلَمُهُ، وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ اللهُ لَا تَعْلَمُهُ، قال: بَلْ أَتَّبِعُكَ، قال: فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَعُرِفَ الْخَضِرُ، فَحَمَلُوهُمْ فِي سَفِينَتِهِمْ بِغَيْرِ نَوْلٍ - يَقُولُ بِغَيْرِ أَجْرٍ - فَرَكِبَا السَّفِينَةَ، قال: وَوَقَعَ عُصْفُورٌ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَغَمَسَ مِنْقَارَهُ في الْبَحْرِ، فَقال الْخَضِرُ لِمُوسَى: مَا عِلْمُكَ وَعِلْمِي وَعِلْمُ الْخَلَائِقِ فِي عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِقْدَارُ مَا غَمَسَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْقَارَهُ، قال: فَلَمْ يَفْجَأْ مُوسَى إِذْ عَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى قَدُومٍ فَخَرَقَ السَّفِينَةَ، فقال لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ﴾ الآيَةَ [٧١]، فَانْطَلَقَا، إِذَا هُمَا بِغُلَامٍ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ فَقَطَعَهُ، قال لَهُ مُوسَى: ﴿...أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٤ - ٧٧] فقال بِيَدِهِ هَكَذَا فَأَقَامَهُ، فقال لَهُ مُوسَى: إِنَّا دَخَلْنَا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَلَمْ يُضَيِّفُونَا، وَلَمْ يُطْعِمُونَا، لَوْ

شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا، قال: هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ، سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا، فَقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا»، قال: وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ: وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا، وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا»[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من الأمور العظيمة الّتي لا شبهة فيها؛ فإنّ علم الله لا حدّ له؛ ولهذا قال له الخضر: «**ما علمِي وعلمُك بِالنِّسْبَةِ لعلم الله إِلَّا كَمَا أخذ هَذَا العُصْفُورُ من هَذَا البحرِ**». فالله ﷻ هو العالم بكلّ شيءٍ ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

وفي هذا: أنّه ينبغي للعالم أن يتأدّب، وألا يدّعي أنّه أعلم النّاس؛ بل يقول: لا أعلم. إذا سئل عمّا يجهل يقول: (الله أعلم) أو (لا أدري) ولا يدّعي أنّه أعلم النّاس، أو أعلم أهل الأرض أو ما أشبه ذلك، والله سبحانه هو العالم بأحوال عباده، وإنّما على طالب العلم أن يتحرّى الحقّ بدليله، وأن يتواضع، وأن يحذر الكبر والتّعاظم، وأن يدّعي ما لا يعلم؛ هذا هو طريق أهل العلم والاستقامة وطريق الخائفين من الله.

وموسى ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ ظنّ أن هذا هو الّذي يجب عليه، أو أن هذا هو الأنسب؛ فقاله ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ؛ لأنّه لا يعلم نبيًّا أعلم منه أو شخصًا أعلم منه، فقال ما قال، فنبّهه الله. عليه الصّلاة والسّلام.

وقوله: (عدو الله) من باب التّشديد في الإنكار، نوفٌ البكالي ليس بكذابٍ، كان تابعيًّا لا بأس به، لكن من باب الإنكار والتّشديد، مثل ما قال النّبيّ ﷺ: «**كذَبَ أبو السَّنَابِلِ**». وقول عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كذب أبو

---

(١) متفق عليه من حديث سعيد بن جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ برقم (٤٧٢٧)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ برقم (٢٣٨٠).

محمّد» من باب الإنكار الشّديد؛ لأنّ موسى بني إسرائيل هو موسى الخضر ـ عليهما السّلام ـ.

وقوله: (وَكَانَ أمامهم ملك يَأْخُذ كُلّ سفينة): لأنّ «وراء» مشتركةٌ تأتي بمعنى أمام، وتأتي بمعنى خلف، والمراد: أنّها أمامهم سيمرّون عليها، فإذا رآها فيها خراب ما بغاها، كأنّه قد أعلن أنّ كلّ سفينةٍ يكون فيها خرابٌ ما يأخذها، إنّما يأخذ الصّالحة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التقريب» راجع نوفًا البكالي.

(القارئ): [قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التّقريب» (٧٢١٣)]: «نوفٌ ـ بفتح النون وسكون الواو ـ ابن فضالة ـ بفتح الفاء والمعجمة ـ البكالي ـ بكسر الموحدة وتخفيف الكاف ـ ابن امرأة كعب، شاميٌّ مستورٌ، وإنّما كذّب ابن عبّاسٍ ما رواه عن أهل الكتاب، من الثانية، مات بعد التسعين خ م».

● **س: أحسن الله إليك: من فضّل الخضر على موسى** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، ما يلزم من كونه علم شيئًا ما يلزم تفضيله على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، موسى أفضل بلا شكّ؛ كليم الرّحمن، ومن أولي العزم من الرّسل الخمسة: نوحٌ وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدٌ ـ عليهم الصّلاة والسّلام ـ، هم أولو العزم.

● **س: أحسن الله إليك سماحة الشيخ: الخضر هل يعدّ من الأنبياء؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا هو الصّواب أنّه يعد من الأنبياء؛ لأنّه قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ﴾.

● **س: قول البخاريّ ـ عفا الله عنك: وفي حديث غير عمرٍو قال: (وفي أصل الصخرة عينٌ يُقَال لها: الحياة) هذا مرفوعٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الله أعلم ما هو بظاهرٍ.

• **س: أحسن الله إليك: هو حي أم ميت؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الّذين يدّعون حياته مخطؤون، قد مات قبل النّبيّ ﷺ.

• **س: أحسن الله إليك: في رواية مسلمٍ: «ما نقصَ علمِي وعلمُك» هل النقص مرادٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني علمنا ليس بشيءٍ بالنّسبة إلى علم الله، علم الله كاملٌ ما ينقصه شيءٌ.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف: ٧٩ ـ ٨٢](١).

• **ورد في سورة الكهف على لسان الرجل الصالح في قصته مع موسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ **في قوله تعالى:** ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾، **لاحظت أنه عند السفينة قال:** ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ **وعند ذكر الأبوين المؤمنين:** ﴿فَأَرَدْنَآ أَن

(١) الموقع إملاءات.

﴿يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ وعند ذكر قصة اليتيمين صاحبي الجدار: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾، فما الفرق بين التعابير الثلاثة؟ وهل ذلك يعني: إن للرجل الصالح إرادة في الأمر مع إرادة الله.

○ **الجواب**: الصحيح أن هذا الرجل هو الخضر صاحب موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وأنه نبي، هذا هو الصحيح فيه، وليس مجرد رجل صالح، بل الصحيح فيه أنه نبي، ولهذا قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾؛ أي: على أمر الله ﷻ، وجاء في القصة نفسها في الصحيح أنه قال لموسى: إنك على علم من علم الله علَّمك الله إياه لا أعلمه أنا، وأنا على علم من علم الله علَّمنيه لا تعلمه أنت[١].

فهو من الأنبياء، ولهذا قال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾، وقال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾، والرسول هو الذي يعلم إرادة الله تجاه الوحي بذلك، وفي قصة السفينة نسب الأمر: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ هذا والله أعلم؛ لأن الرب ينسب إليه الشيء الطيب، والعيب ظاهره ليس من الشيء الطيب، فنسبه إلى نفسه، ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، وهذا عيب يُراد منه الإصلاح، يراد منه أن تسلم السفينة حتى لا يأخذها المَلك؛ لأنه كان يأخذ كل سفينة صالحة، سليمة، فأراد الخضر أن يعيبها؛ لتسلم من هذا الملك؛ ليراها معيبة خاربة تسلم من شرّه وظلمه، فلما كان ظاهره، ظاهر الأمر لا يناسب ولا يليق بإضافته لله نسبه لنفسه فقال: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾.

---

(١) متفق عليه من حديث أُبَي بن كعب ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سُئل: أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله برقم (١٢٢)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر ﵇ برقم (٢٣٨٠)، والترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة الكهف برقم (٣١٤٩)، وأحمد (٥/ ١١٨).

• **س: عند ذكر الأبوين المؤمنين** ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾.

○ **الجواب**: كذلك لما كان أمرًا طيبًا نسبه إلى نفسه؛ لأنه مأمور من جهة الله ﷻ (أردنا) وذكر نون الجمع؛ لأنه نبي، والنبي رجل عظيم فالأنسب أن يقال: (أردنا)؛ ولأنه عن أمر الله وعن توجيه الله فالأنسب أن يقال فيه: (أردنا)، ولأنه عمل طيب فالأنسب أن يقال فيه: (أردنا)؛ لأنه كان شيئًا طيبًا ومناسبًا فيه مصلحة. ولما كان أمر اليتيمين فيه خير عظيم، وصلاح لهما ومنفعة لهما، قال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾، فنسب الخير إليه، عليه الصلاة والسلام، . . . ﷻ، وهذا من جنس قول الجن في سورة الجن حيث قال ﷻ عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، فالشر لم يضفه إليه ﷻ، الشر الذي أُريد بمن في الأرض لم يضفه إلى الله، ولما جاء الرشد قال: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾، فنسبه إلى الله ﷻ؛ لأن الرشد خير. . . . . . . ، فنُسِب إلى الله، والشر لا يُنْسَب إليه، ولهذا في الحديث: «**والشر ليس إليك**»، فهذا من الأدب الصالح، من آداب الجن في هذا المؤمنين، ومن آداب الخضر ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال في العيب: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، وفي اليتيمين قال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾، فهذا من الأدب المناسب مع الله سبحانه.

*

❐ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ **[الكهف: ٨٣ ـ ٨٥]**[(١)].

• **يسأل عن تفسير قول الحق تباك وتعالى**: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى

---

(١) من فتاوى نور على الدرب.

ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾[١].

هذا الرجل ذكر العلماء أنه رجل صالح، ملك الدنيا، وهو أحد الذين ملكوا الدنيا مسلمان وكافران، مسلمان: سليمان بن داود وذو القرنين، وكافران: بختنصر والنمرود، وذكر العلماء في التفسير وعلماء التاريخ أنه رجل صالح، وقال بعضهم: إنه نبي، والمشهور أنه رجل صالح، طاف الدنيا، ويسَّر الله له الطرق، والسبب هو الطريق، وقصَّ الله نبأه في كتابه العظيم في سورة الكهف.

*

القول الصحيح في حال الخضر عليه السلام:

• س: سمعت عن قصة الخضر مع موسى عليه السلام، أرجو أن تتفضلوا بذكر السورة التي وردت فيها تلكم القصة، وخاصة ما حدث من بناء الخضر للجدار لأهل القرية رغم أنهم لم يحسنوا الضيافة[٢]؟

○ **الجواب**: قصة الخضر ثابتة في كتاب الله العظيم في سورة الكهف، فاقرأ سورة الكهف لتجدها، والخضر على الصحيح نبي من الأنبياء، هذا هو الصحيح، ولهذا علَّمه الله أشياء، ما علمها موسى - عليه الصلاة والسلام -، ولهذا رغب موسى في صحبته؛ ليتعلم منه، كما أخبره الله عنه؛ لأنه أخبره ﷻ بأن لنا في مجمع البحرين عبدًا، فطلب موسى لقياه؛ ليتعلم منه، فأذن الله له في ذلك، فاجتمع به في مجمع البحرين، وقصَّ الله علينا قصتهم في سورة الكهف، وهي قصة واضحة بيِّنة، لا تحتاج إلى شرح.

---

(١) فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٥٣) طبعة رئاسة البحوث العلمية والإفتاء ١٤٣٤هـ.
(٢) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٥٢).

● **س: يسأل عن ذي القرنين وهل هو نبي[١]؟**

○ **الجواب:** الأرجح في ذي القرنين أنه نبي، هذا هو الأرجح، وقال بعضهم: إنه رجل صالح، ولكن ظاهر القرآن الكريم أنه نبي، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ إلى آخر القصة، فالظاهر من سياق القرآن أنه نبي، يتلقَّى الأوامر عن الله ﷻ.

● **س: يقول السائل: هل ذو القرنين نبي؟ وهل تتفضَّلون بإيراد شيء من قصته إذا أمكن[٢]؟**

○ **الجواب:** ذو القرنين ملك عظيم، صاحب خير وإحسان وإصلاح، واختلف الناس في نبوَّته، والمشهور أنه ملك صالح، وقصته معروفة في القرآن العظيم ما يحتاج أن نقرأها، من أرادها وجدها في سورة الكهف، وهي قصة مبينة في كتاب الله ﷻ، وفيما بيَّنه الله سبحانه الكفاية عن هذا الرجل الكريم العظيم.

● **س: السائل م.ف.، من مصر، يقول: من ذو القرنين؟ وما قصته[٣]؟**

○ **الجواب:** قصته في القرآن، ذكرها الله في القرآن، ويكفي ما في القرآن فهو واضح، ذكرها الله في آخر سورة الكهف، اقرأ سورة الكهف وتعرفها.

بيان وقت خروج يأجوج ومأجوج:

● **س: سمعنا عن قوم يأجوج ومأجوج في القرآن الكريم، فما**

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٥٤).
(٢) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٥٤).
(٣) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٥٥).

موقعهم الحالي في عالمنا المعاصر وما دورهم فيه[(١)]؟

○ **الجواب**: هم من بني آدم، ويخرجون في آخر الزمان، وهم من جهة الشرق، وكان الترك منهم فتُرِكوا دون السد، وبقي يأجوج ومأجوج من وراء السد، والأتراك كانوا خارج السد، فالمقصود: أن يأجوج ومأجوج هم من شعوب الجهات الشرقية، الشرق الأقصى، والظاهر والله أعلم: أنهم في آخر الزمان يخرجون من الصين الشعبية وما حولها؛ لأنهم تركوا هناك حين بنى ذو القرنين السد، صاروا من ورائه بالداخل، وصار الأتراك والتتر من الخارج، فهم من وراء السد، والله ﷻ إذا شاء خروجهم على الناس، خرجوا من محلهم إلى الناس، وانتشروا في الأرض، وعاثوا فيها فسادًا، ثم يرسل الله عليهم نغفًا في رقابهم فيموتون موتة حيوان واحد في الحال إذا أراد الله، بعدما ينتشرون في الأرض يرسل الله عليهم جندًا من عنده، مرضًا في رقابهم فيموتون به، ويتحصَّن منهم ـ عيسى عليه الصلاة والسلام ـ والمسلمون؛ لأن خروجهم في وقت عيسى، بعد خروج الدجال، وبعد قتل الدجال، وبعد نزول عيسى عليه السلام.

بيان كيفية الجمع بين الآيات التي تدل على دخول الجنة بسبب الأعمال وبين حديث: «لا يَدْخُل أحد الجنة بعمله...»:

● **س: يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨]. ويقول سبحانه: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٩] إلى غير ذلك من الآيات التي توضِّح ثواب الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والتي وردت في القرآن الكريم، وقد سمعت حديثًا عن رسول الله ﷺ يقول فيه: «لن يَدْخُلَ أحد منكم**

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٥٥).

الجنة بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمَّدني الله برحمته». والسؤال: كيف نوفّق بين مفهوم الحديث الشريف وبين مفهوم الآيات الكريمة، وفّقكم الله[(١)]؟

○ **الجواب**: ليس ـ بحمد الله ـ بين الآيات وبين الأحاديث اختلاف، الله ﷻ بيَّن أن من أسباب دخول أهل الجنة أعمالهم الصالحة كما قال: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾، والآيات في هذا المعنى كثيرة، تبيِّن أن الأعمال الصالحة هي أسباب دخول الجنة، كما أن الأعمال الخبيثة هي أسباب دخول النار، والحديث يبيِّن أن دخولهم الجنة ليس بمجرد العمل، بل لا بد من عفو الله ورحمته، ﷻ فهم دخلوها بأسباب أعمالهم، لكن الذي أوجب ذلك رحمته ﷻ وعفوه ومغفرته، ولهذا يقول ﷺ: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ**»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «**لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**»[(٢)].

فالباء هنا باء السبب، هي ليست باء عوض العمل، ولكنه مجرد رحمته وعفوه ﷻ، حصل ذلك قَبول العمل، ودخول الجنة والنجاة من النار، فهو الذي تفضّل بالقوة على العمل، ويسَّر العمل، وأعان عليه، وكل خيرٍ منه ﷻ، ثم تفضَّل بإدخال العبد الجنة، وإنجائه من النار، بأسباب أعماله الصالحة، فالمعوّل على عفوه ورحمته، لا على عمل العبد، فعمل العبد لو شاء الله ﷻ لما كان هذا العمل، ولما وفَّق له،

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٥٧).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل برقم (٦٤٦٧)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لم يدخل أحد الجنة بعمله. . . برقم (٢٨١٨).

فهو الذي وَفَّق وهدى سبحانه وتعالى، فله الشكر وله الحمد جل وعلا، فدخولهم الجنة برحمته وفضله ومغفرته لا بمجرد أعمالهم، بل أعمالهم أسباب هو الذي يسَّرها وأوجب دخول الجنة ومنَّ بذلك هو الله وحده سبحانه وتعالى.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾ [الكهف: ١٠٣](١).

حدّثني محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا محمّد بن جعفرٍ، حدّثنا شعبة، عن عمرٍو، عن مصعبٍ، قال: سألت أبي ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾ هم الحروريّة؟ قال: «**لَا، هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، أَمَّا الْيَهُودُ فَكَذَّبُوا مُحَمَّدًا ﷺ، وَأَمَّا النَّصَارَى كَفَرُوا بِالْجَنَّةِ، وَقَالُوا: لَا طَعَامَ فِيهَا، وَلَا شَرَابَ، وَالْحَرُورِيَّةُ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ، وَكَانَ سَعْدٌ يُسَمِّيهِمُ الْفَاسِقِينَ**»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

سعد بن أبي وقّاصٍ ـ رحمة الله عليه ـ. ووجه كونهم الأخسرين؛ يعني: اليهود، ومع أنّهم عرفوا وكفروا عن بصيرةٍ، وعن علمٍ، وجحدوا الحقّ؛ إيثارًا للهوى، وحسدًا وبغيًا، لعلّ وجه ذلك؛ لأنّ بعضهم قد يفعل هذا وهو يرى أنّه مصيبٌ، وأنّه بهذا يعني سلك المسلك الّذي ينبغي لأمثاله أن يسلكه، لا من أجل السّعادة ونحو ذلك، ولكن سلكه لأجل البقاء على رياسته ومأكله، وحظوظه العاجلة، ورأى أن هذا أولى له من إجابة محمّدٍ ﷺ، وأن هذا الحظّ العاجل أولى به، وأن يكون

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ برقم (٤٧٢٨).

متبوعًا لا تابعًا، وأن يكون معظّمًا لما هو عليه، ومعظّمًا من العامّة، فيرى أن هذا وإن كان فيه خسارةٌ أخرويةٌ فإنّ هذا أولى به.

أما النّصارى فالأمر فيهم واضحٌ، يحسبون أنّهم مهتدون؛ لأجل جهلهم وضلالهم يحسبون أنّهم مهتدون، ويزعمون أنّهم على هدًى كالمبتدعة، فالوصف لهم ظاهرٌ، فإنّهم تعبّدوا على جهالةٍ، وأشركوا بالله على جهالة، ولم ينيبوا لداعي الحقّ، ولم يستجيبوا لداعي الهدى؛ فصاروا بهذا المتصفين بهذا الوصف أمرًا واضحًا، وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعًا.

وأما اليهود فمن حيثية أنّهم آثروا العاجلة، وزعموا أنّهم بهذا يعني: من زعم منهم ذلك على رأي سعدٍ رضي الله عنه أنّهم قد أحسنوا في هذا الشّيء عظّموا ما هم عليه، وقدّسوا أسلافهم، ورأوا أن يبقوا على ذلك، وألا يذعنوا لداعي الحقّ الّذي جاء بعد موسى ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ كما كذّبوا عيسى عليه السلام أيضًا.

ولكن الآية أظهر في الّذين يتعبّدون على جهلٍ لا عن حقدٍ ولا عن حسدٍ؛ بل عن جهلٍ كالنّصارى وأشباههم وجهلة اليهود، وجهلة عبّاد الأوثان وما أشبههم ممّن تعبّد على جهالةٍ، ويحسب أنّه محسنٌ، وكأهل البدع، هم في هذا الباب يشابهون هؤلاء، نسأل الله السّلامة.

ولهذا قال فيهم مصعبٌ رضي الله عنه هم الخوارج ـ لأبيه ـ قال: لا. كان يسمّيهم الفاسقين.

والخوارج لهم حظٌّ من هذا الوصف، وإن قال سعدٌ رضي الله عنه في حقّهم أنّهم ليسوا كذلك، لكن لهم حظٌّ في هذا الوصف؛ لأنّهم تعبّدوا على جهالةٍ، وظنّوا أنّهم بتكفير المسلمين أنّهم مصيبون، فكفّروا أهل الذّنوب، وكفّروا عليًّا رضي الله عنه، وكفّروا غير عليٍّ رضي الله عنه؛ بسبب جهلهم وضلالهم، فلهم نصيبٌ من الآية الكريمة؛ لأنّهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعًا.

وإن توقّف الكثير من النّاس في تكفيرهم وقالوا: إنّهم فساقٌ وليسوا بكفارٍ كما قال عليٌّ رضي الله عنه: «من الكفر فرّوا». والجمهور على أنّهم فساقٌ ومبتدعةٌ وضلّالٌ، وليسوا بكفارٍ.

ولكن ذهب جمعٌ من أهل العلم من أهل الحديث وغيرهم إلى تكفيرهم؛ لأنّ الرّسول ﷺ قال في حقّهم: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَام ثُمَّ لا يعودُون إليْهِ**»[1]؛ فالقول بتكفيرهم قولٌ قويٌّ، وأمر بقتلهم أينما وجدوا، فذلك يدلّ على قوّة قول من قال بتكفيرهم من أهل الإسلام من أئمّة الحديث وغيرهم.

• **س: عفا الله عنك: الأتباع أتباع العلماء من اليهود العامّة والأمراء يكون أظهر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يصدق عليهم هذا الوصف، لكن علماؤهم لا، إلّا من جهة أنّهم استحسنوا إيثار العاجلة. نسأل الله العافية. لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

• **س: أحسن الله إليك:** ﴿بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾ **هذه خاصّةٌ باليهود والنّصارى؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

كلّ الكفرة، مثالٌ من الكفرة، كلّ الكفرة قد خسروا الأعمال، نسأل الله العافية، لكن نزلت في النّصارى واليهود؛ لخبثهم وكونهم عادوا الرّسول على بصيرة وهم يعلمون الحقّ، نسأل الله العافية.

• **س: أحسن الله إليك: من كان سعد** رضي الله عنه **يسمّيهم الفاسقين المراد دون الكفر؟**

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام برقم (٣٦١٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم برقم (١٠٦٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: ما كفروا، مثل ما قال عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: من الكفر فرّوا، الجمهور على أنّهم فساقٌ، ليسوا بكفارٍ، وذهب بعض السّلف إلى كفرهم؛ لقوله ﷺ: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ ثُمَّ لا يعودون إليه**»، نسأل الله العافية.

● **س: الصّواب يا شيخ لكم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ظاهر الأدلّة كفرهم.

● **س: أحسن الله إليك: تدلّ الآية على أن المرء يكفر بدون ما يشعر يا شيخ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قد يكفر وهو ما يدري، قد يكفر وهو لا يدري؛ يحسب أنّه على الهدى مثل ما قال الله عن هؤلاء: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٤]. اليهود والنّصارى. نسأل الله العافية.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ **الآيَةَ** [الكهف: ١٠٥][1].

حدّثنا محمّد بن عبد الله، حدّثنا سعيد بن أبي مريم، أخبرنا المغيرة، قال: حدّثني أبو الزّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّه لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَال: اقْرَؤُوا** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]»، وعن يحيى بن بكيرٍ، عن المغيرة بن عبد الرّحمن، عن أبي الزّناد مثله[2].

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ برقم (٤٧٢٩)، ومسلم في =

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا واضحٌ؛ لأنّ العبرة بالعمل، وهذا ليس عنده عملٌ صالحٌ، ولهذا استدلّ العلماء بهذا وأشباهه على أن الأعمال توزن، والصحائف توزن، والأشخاص يوزنون، كلّها توزن كذلك، والاعتبار في هذا كلّه بالعمل؛ فالصّحيفة لا قيمة لها والشّخص لا قيمة له، وإنّما القيمة للعمل.

فأعمالهم موزونةٌ، وأشخاصهم موزونةٌ، وإذا كانت أشخاصهم فقدت العلم والإيمان واليقين فلا قيمة لها وإن عظمت، نسأل الله السّلامة.

لأنّ الاعتبار بالأعمال، لا قيمة للأبدان؛ فالوزن والرّجحان والثّقل وكذا الخفّة كلّه بسبب الأعمال .الله المستعان.

وفي الآية الكريمة: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ [الكهف: ١٠٣] الحذر من التساهل من متابعة الجاهلين، والغلوّ في الدّين؛ فإنّ الإنسان قد يقع في أسباب الهلاك والخسران وهو لا يشعر؛ لجهله وغلوّه أو تقليده لغيره، فالواجب الحذر أن يكون المؤمن على بيّنةٍ، وعلى بصيرةٍ، وألا يخضع لمتابعة الغير وتقليد الغير، والله المستعان.

● **س: قوله: (وعن يحيى بن بكيرٍ) هل هذا معلّقٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لعلّ محمّدًا رواه عن يحيى بن بكيرٍ، ابن بكيرٍ شيخٌ للمؤلّف، لكن كأنّه ما سمع هذا منه، رواه عنه بواسطة محمّدٍ، يكون عطفًا على سعيد بن أبي مريم، مثل ما قال الشّارح. يكون ما هو معلقًا، متّصلٌ من رواية محمّدٍ عن سعيدٍ وعن يحيى.

● **س: من باب الاختصار، عفا الله عنك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لعلّه؛ لظهور المعنى عند أهل الصّنعة يعني.

= كتاب صفة القيامة والجنة والنار برقم (٢٧٨٥).

• **س: شيخٌ له؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يحيى بن بكير شيخٌ للمؤلّف وشيخٌ لمحمد بن عبد الله؛ كأنّه ابن نميرٍ، محمّد بن عبد الله بن نمير. ما نبّه عليه الشّارح؟

(من القارئ): يقول:[1] هو الذهلي، نسبة إلى جد أبيه، محمّد بن عبد الله هو الذهلي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عجيبٌ. نسبة إلى جدّ أبيه. ذكر غيره. ذكر قولًا آخر؟

(من القارئ): قال في (الفتح ٨/٢٦): «وقوله: (حدثنا سعيد بن أبي مريم)، هو شيخ البخاريّ، وقد أكثر عنه في هذا الكتاب، وربّما حدّث عنه بواسطة كما هنا».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مثل ما حدّث بواسطةٍ عن يحيى.

هذا في الحقيقة: فيه خفاءٌ إلّا لمن: عرف طريقة المؤلّف، أنّه قد ينسبه إلى جدّه، إذا روى عن فلانٍ أو فلانٍ بالتّتبّع؛ يعني: جدّ أبيه، الله المستعان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العينيّ ما ذكر شيئًا؟

(القارئ): قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عمدة القاريّ» (١٩/٤٩): «عن يحيى معطوفٌ على سعيد بن أبي مريم، وعن يحيى بن بكير، وبهذا جزم أبو مسعود، وقال المزنيّ[2]: أخرجه البخاريّ عن محمّد بن عبد الله عن سعيد بن أبي مريم عنه به، وقال في عقبه: وعن يحيى بن بكير عنه

---

(١) أي: الحافظ في الشرح.

(٢) قال سماحته: لعله المزي، يعني: في «التهذيب»، قصده في «التهذيب». (المزي: في الموضعين).

به، ولم يقل: حدثنا يحيى بن بكيرٍ، وهو يحيى بن عبد الله بن بكيرٍ نسبه إلى جدّه، وهو أيضًا من شيوخ البخاريّ، روى عنه هنا بواسطةٍ، وكذا روى هنا عن سعيد بن أبي مريم وهو شيخه بواسطةٍ. قلت: على قول المزنيّ: هذا معلّقٌ، ووصله مسلمٌ عن محمّد بن إسحاق الصّنعانيّ عنه». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: عن يحيى ما تكلّم عن محمّد؟

(من الطّالب): في الأول قال والعيني: «ومحمد بن عبد الله هو محمّد بن يحيى بن عبد الله الذهلي فنسبه إلى جدّه».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

جدّه أو لجدّ أبيه؟! عندك جدّ أبيه «في الفتح».

(محمد بن عبد الله بن يحيى)؛ كأنّه أبو يحيى (محمد بن يحيى بن فلان بن عبد الله)؛ راجع: (محمد بن يحيى الذهلي) في «التقريب».



تفسير آيات من سورة مريم(١)

قال ابن عبّاسٍ: أبصر بهم وأسمع، الله يقوله، وهم اليوم لا يسمعون، ولا يبصرون، ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [مريم: ٣٨]؛ يعني: قوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم: ٣٨] الكفّار يومئذٍ أسمع شيءٍ وأبصره، ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم: ٤٦]: لأشتمنّك، ﴿وَرِءْيًا﴾ [مريم: ٧٤]: منظرًا، وقال ابن عيينة: ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣]: تزعجهم إلى المعاصي إزعاجًا، وقال مجاهدٌ: ﴿إِدًّا﴾ [مريم: ٨٩]: عوجًا، قال ابن عبّاسٍ: ﴿وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦]: عطاشًا، ﴿أَثَٰثًا﴾ [مريم: ٧٤]: مالًا، ﴿إِدًّا﴾ [مريم: ٨٩]: قولًا عظيمًا، ﴿رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨]: صوتًا، ﴿غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]: خسرانًا، ﴿وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]: جماعة باكٍ، ﴿صِلِيًّا﴾ [مريم: ٧٠]: صلي يصلى، ﴿نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣]: والنّادي واحد: مجلسًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

● **س: أحسن الله إليك: عندنا قال ابن عبّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**أبصر بهم وأسمع**»؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

غلطٌ، ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ الآية ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾.

قوله: (**الكفّار يومئذ أسمع شيء وأبصره**): بمعنى: ما أسمعهم! وما أبصرهم في الدنيا! لكن في الآخرة ما عاد ينفعهم؛ ذهب العمل: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [السجدة: ١٢]، ما ينفع، انتهى.

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

يقال: «أسمع بفلان وأبصر»؛ يعني: ما أسمعه! وما أبصره! لكن في الآخرة ما عاد ينفع، ذهب العمل، نسأل الله العافية.

(من الطّالب): أحسن الله إليك: عندنا في العيني يقول مجاهد: (لدًّا) وعنده (إدًّا) وأشار إليه الشّارح بقوله: أشار به بقوله تعالى: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الآية موجودةٌ هذا وهذا ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ [مريم: ٨٩].

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رحمه الله في «الفتح» (٨/ ٤٢٧)]: «قوله: (وقال مجاهدٌ: ﴿إِدًّا ۝٨٩﴾: عوجًا): سقط هذا من رواية أبي ذرٍّ، وقد وصله الفريابيّ من طريق ابن أبي نجيحٍ عن مجاهدٍ مثله». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا على معنى «إدًّا»، أمّا «اللّد»: المعارضون والمخاصمون: «**إن أبغضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الألَدُّ الخَصِمُ**».

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ۝١٩﴾ [مريم: ١٩][(١)].

هذا يقوله جبرائيل ـ عليه الصلاة والسلام ـ، يقوله لمريم، والغلام الزكي هو عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وهذا بأمر الله جل جلاله، أمره أن ينفخ فيها فحملت بأسباب النفخ، وأتت بهذا المولود الكريم، وهو عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وهو عبد الله ورسوله، خلقه الله من

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٥٩).

أنثى، وهي مريم الصدِّيقة بدون أب، قال الله له: كن، فكان، كما قال تعالى في قصة: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

فالمقصود: أن عيسى خُلق من أنثى بلا ذكر، وليس له أبٌ؛ بل قال الله له: كن، فكان، بالنفخة التي نفخها جبرائيل في مريم حتى حملت بذلك، كما قال ﷻ: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]. وهي مريم رضي الله عنها.

فالمقصود: أن النفخة هي نفخة من جبرائيل، وهو رسول الله إليها.

* *

❏ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ [مريم: ٢٤][1].

○ **الجواب**: الصواب: أنه عيسى، الله أنطقه وتكلم، ولهذا لما سألوها عن أمرها، أشارت إليه، فقال: ﴿كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا﴾ [مريم: ٢٩]، فتكلم وقال: إني عبد الله، فدلّ أنها علمت أنه يتكلم وهو في المهد؛ لكلامه لها سابقًا، قوله: ﴿أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤﴾، فالمقصود: أن الصواب في الآية: أن المتكلم من تحتها هو عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

❏ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨﴾ [مريم: ٢٨].

أرجو من سماحة الشيخ أن يبيِّن لي قوله تعالى في سورة مريم:

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٦٠).

﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ **وعندما أرسل موسى إلى فرعون في قوله تعالى:** ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾ [القصص: ٣٤] **فهل هارون أخو مريم وأخو عيسى**(١)؟

○ **الجواب**: الصواب: أن هارون أخو مريم ليس هو هارون أخا موسى؛ لأن موسى وهارون بينهما وبين زمن مريم مدة طويلة، فهارون هذا اسم لأخٍ لمريم، غير هارون أخي موسى.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩](٢)

حدّثنا عمر بن حفص بن غياثٍ، حدّثنا أبي، حدّثنا الأعمش، حدّثنا أبو صالح، عن أبي سعيدٍ الخدريّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُول: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُول: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُول: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ:** ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾، **وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا** ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]»(٣).

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٦١).

(٢) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٣) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ برقم (٤٧٣٠)، ومسلم في كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٤٩).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله أكبر. تكلّم عليه الشّارح (يؤتى بالموت)؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٤٢٨)]:

«ذكر فيه حديث أبي سعيدٍ في ذبح الموت، وسيأتي في الرّقاق مشروحًا.

وقوله فيه: (فَيَشْرَئِبُّونَ): بمعجمةٍ وراء مفتوحةٍ، ثمّ همزةٍ مكسورةٍ، ثمّ موحّدةٍ ثقيلةٍ مضمومةٍ؛ أي: يمدّون أعناقهم ينظرون.

وقوله: «أملح» قال القرطبيّ: الحكمة في ذلك أن يجمع بين صفتي أهل الجنّة والنّار السّواد والبياض». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: العيني تكلّم بشيءٍ على الموت؟

(القارئ) [قال الإمام العيني رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمدة القاري» (١٩/ ٥٢)]:

«قوله: (يُؤْتى بِالْمَوْتِ كَهَيئَةِ كَبْش أَمْلَح): والأملح الّذي فيه بياض كثير سواد، قاله الكسائي، وقال ابن الأعرابي: هو الأبيض الخالص، والحكمة في كونه على هيئة كبش أبيض؛ لأنّه جاء: أن ملك الموت أتى آدم ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ في صورة كبش أملح، قد نشر من أجنحته أربعة آلاف جناح، والحكمة في كون الكبش أملح أبيض وأسود، أن البياض من جهة الجنّة والسواد من جهة النّار، قاله عليّ بن حمزة.

قوله: (فَيَشْرَئِبُّونَ): من الإشريباب، يقال: اشرأب إذا مد عنقه لينظر، وقال الأصمعي: إذا رفع رأسه.

قوله: (فَيَقُولُونَ: نعم): فإن قلت: من أين عرفوا ذلك حتّى يقولوا: نعم؟ قلت: لأنّهم يعاينون ملك الموت في هذه الصّورة عند قبض أرواحهم.

قوله: (فَيُذْبَح)؛ أي: بين الجنّة والنّار، فيذبح... الحديث. وقيل: يذبح على الصّراط على ما رواه ابن ماجه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

محتملٌ أنّهم يرونه كذلك عند قبض الرّوح، ويحتمل أنّ الله عرّفهم

به قبل أن يؤتى به، أنّ الموت هذه صفته، ثمّ يؤتى به بعد ذلك، محتملٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الرقاق موجودٌ في «الفتح»؟ راجع كلامه على: يؤتى بالموت.

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (١١/ ٤٢٠)]: «قوله: (جِيءَ بِالْمَوْتِ): تقدّم في تفسير سورة مريم من حديث أبي سعيدٍ: (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ)، وذكر مقاتلٌ والكلبيّ في تفسيرهما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢] قال: خلق الموت في صورة كبشٍ لا يمرّ على أحدٍ إلّا مات، وخلق الحياة على صورة فرسٍ لا يمرّ على شيءٍ إلا حيي.

قال القرطبيّ: الحكمة في الإتيان بالموت هكذا الإشارة إلى أنّهم حصل لهم الفداء له كما فدي ولد إبراهيم بالكبش، وفي الأملح إشارةٌ إلى صفتي أهل الجنّة والنّار؛ لأنّ الأملح ما فيه بياضٌ وسوادٌ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما هو بواضحٍ هذا، المقصود أن الله عرّفهم به، عرّفهم به حتّى عرفوه، فلمّا جيء به قال: هذا الموت فعرفوه؛ لأنّه قد عرّفهم به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

● **س: قوله: «أنه عند الموت يشاهد المَلَك على هذه الصورة صورة كبش أملح»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لعلّه يحتمل هذا، أنّهم يعاينونه عند قبض أرواحهم بصورة الكبش عند إقباله عليهم، وقد عرفوه، ويحتمل أنّ الله عرّفهم به يوم القيامة أنّه سوف يذبح الموت، وأنّه صورته كذا وكذا، ثمّ يؤتى به.

والموت معنًى في يد الملك، في يد ملك الموت يقبض به الأرواح، شيءٌ في يد الملك يقبض به الأرواح لم يبيّن في النّصوص، ولكنه في يد

الملك شيءٌ ـ من ـ سواءٌ من مادّة كذا، أو مادّة كذا يحصل به قبض الأرواح، فيوم القيامة يجعل في صورة كبشٍ؛ ثمّ يذبح حتّى يزداد أهل الجنّة نعيمًا، ويعلمون أنّه لا موت بعد ذلك، ويزداد أهل النّار حسرةً؛ لأنّه لا موت بعد ذلك، نسأل الله العافية، لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

• **س: هل يا شيخ: الذّبح يقع على ملك الموت أم على الموت؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

على الموت نفسه يصوّر صورة كبشٍ، ملك الموت سليم لا دخل له في هذا، مأمورٌ.

• **س: أحسن الله إليك: وهذا يكون بعد خروج المؤمنين، أصحاب الكبائر؟**

○ **الجواب**: نعم، لا يبقى في النّار إلّا الكفرة.

• **س: «فينادي منادٍ» من المنادي؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

من عند الله جَلَّ وَعَلَا، أمره ينادي بأمر الله؛ حتّى يزداد أهل النّعيم نعيمًا، ويزداد أهل الكفر شقاءً وشرًّا، وأهل النّعيم يزدادون نعيمًا.

• **س: أحسن الله إليك: الموت يرى عند قبض روح الإنسان؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله أعلم، الموت بيد الملك ـ ملك الموت ـ الموت شيءٌ الله أعلم بصفته وحقيقته، يمثّل يوم القيامة في صورة كبشٍ أملح، والّذي يتولاه الملك هو الّذي يأخذه وهو الّذي يتصرّف به في قبض الأرواح.

• **س: أحسن الله إليك: قول المؤلف: وكلّهم قد رآه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: الله قد أراهم إيّاه، إمّا ذاك الوقت قبل أن يذبح، أو أراهم

إيّاه سابقًا، كون هذا الموت؛ أي: صورته، أو كلّهم قد رآه في تلك السّاعة؛ يعني: حين رفع لهم ونصب لهم يذبح كلّهم لما اشرأبّوا وبرزوا كلّهم رأوه، وجعل الله في قوّة أبصارهم ما مكّنهم من هذا على كثرتهم ـ الله أكبر ـ حتّى لا يقولوا: ما رأينا، كلّهم رأوه .الله أكبر.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ
قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي
قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ
الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ
الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ
تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ
بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ
بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا
﴿٥٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ
الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَاذْكُرْ فِي
الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾
وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ
حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ
الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ
فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا
يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾

لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٤١ ـ ٦٥][(١)].

في هذه الآيات ذكر قصة إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع أبيه، وقصة موسى وهارون وإسماعيل وإدريس، والثناء على الجميع بالخير العظيم، وأنهم من العُبّاد والبكّائين من خشية الله ﷻ، وذكر من خَلَفَ بعدهم من الخلُوف التي أضاعت أمر الله، وركبت محارم الله ﷻ، ثم ذكر من تاب من أعماله السيئة وأناب إلى ربه، وأن الله ﷻ قد وعده الجنة والكرامة والعاقبة الحميدة.

يقول ﷻ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾، فإبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان صدِّيقًا مع النبوة، والصِّدِّيق: هو الذي بلغ في الصِّدِّيقية إلى النهاية، وتصديق أخباره ﷻ، وتصديق من مضى من رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، فكان مع رسالته ونبوته وخُلَّته صدِّيقًا أيضًا، فهو رسول، ونبي، وصدِّيق، وخليل الرحمٰن ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وهو أفضل الأنبياء وأكملهم بعد نبينا محمد ﷺ.

ثم ذكر قصته مع أبيه قال: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ هذا فيه أن الله ﷻ يسمع ويُبصر، وأن الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ليست أهلًا لأن تُعبد من دون الله، وفي هذا رد على الجهمية والمعتزلة وأشباههم ممن أنكر صفات السمع والبصر، فالله ﷻ موصوف بالسمع والبصر فهو سميع بصير ﷻ.

ولهذا بيَّن ﷻ على لسان نبيه إبراهيم وخليله، بطلان عبادة غير الله،

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية، لفضيلة الشيخ عبد السلام السليمان حفظه الله (٤/٣٧٦).

وأن هذه الأصنام التي تعبدها يا آزرُ ليست صالحة لذلك؛ لأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تغني شيئًا عن عابديها، بخلاف الرب ﷻ، فإنه يسمع ويبصر، يسمع دعاء الداعين، ويبصر أحوالهم، وهو قادر على كل شيء، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو الذي يصلح للعبادة؛ لغناه وقدرته العظيمة، وعلمِه بأحوال عباده، وسمعه وبصره وسائر صفاته ﷻ.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ﴾ يبيِّن أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان عنده من العلوم التي جاءته عن الله ﷻ ما ليس عند أبيه، وأن الواجب على الجاهل أن يتبع العالم، وأن يستفيد من علم العالم، فهذا نبي الله تأتيه العلوم من ربه ﷻ فالواجب على أبيه آزر، وعلى غيره من أمته أن يتَّبعوه وينقادوا له؛ لأنه عنده من العلم والهدى والبصيرة ما ليس عندهم، ولهذا قال: ﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾، يعني: أرشدك إلى صراط واضح سوي ليس فيه اعوجاج ولا خفاء، وهو صراط مستقيم، وهو عبادة الله وحده، وطاعة أوامره وترك نواهيه، والوقوف عند حدوده، هذا هو صراط الله المستقيم في حق كل نبي من عهد آدم إلى آخر الدهر.

وصراط الله المستقيم: هو الإخلاص لله واتِّباع ما جاءت به الأنبياء في كل زمان ومكان، وآخرُ الأنبياء وخاتمهم هو نبيّنا محمد ﷺ. وصراط الله المستقيم بعد بعثة محمد ﷺ: هو الإيمان بما جاء به محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ، واتِّباعه والاستقامة عليه، وهذا هو الصراط المستقيم المذكور في قوله ﷻ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧].

﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾ يبيِّن له أن الواجب عليه: عبادة الله وحده، والحذر من عبادة عدو الله الشيطان، بطاعة أوامره وركوب ما نهت عنه الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، فعبادة الشيطان مصير أهلها النار، وعبادة الله مصير أهلها الجنة والكرامة، فإبراهيم يحذِّر أباه من طاعة الشيطان في عصيان الرسل،

وعدم طاعة ابنه إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، والرضاء بعبادة الأصنام والأوثان، وأن هذه هي عبادة الشيطان، فالذي يدعو إلى عبادة غير الله، ويدعو إلى الشرك بالله هو عدو الله وعدو أوليائه.

﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا﴾ فإنَّ من خذله الله وأبعده عن طاعته وعن ولايته صار وليًّا للشيطان نعوذ بالله، فإن هناك ولايتين، إما ولاية الله بطاعته واتباع ما جاء به أولياؤه، وإما ولاية الشيطان بعصيان الرسل وطاعة الشيطان، نعوذ بالله، وفي هذا الحث والتحريض على طاعة الله ورسوله، والحذر مما نهى الله عنه ورسوله.

ثم ذكر امتناع أبيه آزر وعدم إجابته للحق، وأمره لابنه أن يهجره، وأن يتركه وما عليه، واستنكاره عليه رغبته عن آلهته، وكل هذا يبين لنا ما جرى بين إبراهيم وبين أبيه من النزاع والخصومة في طاعة الله وتوحيده، وأن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد أبلغ في البيان لأبيه ولقومه، ولكن الهداية بيد الله ﷻ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. هكذا موسى وهارون أبلغا وبيَّنا، وهكذا إسماعيل، وهكذا إدريس، وهكذا الأنبياء كلهم، كلهم بلغوا رسالاتِ الله، وكلهم بلّغوا أمر الله ونهيه، وبلغوا ما بعثهم به من الحق والهدى، فمن الناس من آمن وهم القليل، ومن الناس من كفر وهم الأكثرون، فأكثر الخلق عصَوا الرسل وخالفوا ما جاؤوا به ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

حتى إن بعض الرسل يأتي يوم القيامة وليس معه أحد؛ لأنه ما أجابه أحد، بل يأتي يوم القيامة وقد قتله قومه، كما في الحديث الصحيح عن ابن عباس وغيره قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ. قِيلَ:**

انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ. فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلأُ الأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلأَ الأُفُقَ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ»، ثمّ دخل ولم يبيّن لهم فأفاض القوم وقالوا: نحن الّذين آمنّا بالله، واتّبعنا رسوله، فنحن هم أو أولادنا الّذين ولدوا في الإسلام فإنّا ولدنا في الجاهليّة. فبلغ النّبيّ ﷺ فخرج فقال: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**». فقال عكّاشة بن محصنٍ: أمنهم أنا يا رسول الله؟ قال: «**نَعَمْ**». فقام آخر فقال: أمنهم أنا؟ قال: «**سَبَقَكَ عُكَّاشَةُ**»(١). فهذا يوجب للإنسان الحذر من طاعة الشيطان والهوى، وأن الإنسان على خطر في هذه الحياة إن لم يُوفَّق من قِبل الله ﷻ؛ فالذي ابتُلي به الأكثرون من اتِّباع الهوى وعصيان الرسل هو داء الأولين وداء الآخرين، فيجب عليك أن تحذره؛ لئلا يُصيبك ما أصاب أولئك، وعليك أن تسأل ربك دائمًا أن يهديك صراطه المستقيم، وأن يُعيذك من طاعة الشيطان، وعدم الانقياد لأمر الله ورسوله؛ فأنت على خطر ما دمت على قيد الحياة.

ويبيِّن بعد هذا ﷻ أنه خَلَفَ بعد الرسل واتِّباعهم خَلْفٌ؛ والخَلْف بالتسكين هو خَلْفُ السّوء؛ أي: جاء بعدهم أُناس منحرفون عن الهدى، قد أطاعوا الشيطانَ، وضيَّعوا الصلوات ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ في هذا الحذرُ: من طريقة الخلوفِ، والدعوةُ إلى اتباع الرُّسل، والاستقامة على ما جاؤوا به من الهدى، وأن

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس، أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتوِ برقم (٥٧٠٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب برقم (٢٢٠).

في طاعة الرُّسل النَّجاة والسَّعادة والعاقبة الحميدة، كما أنَّ في طاعة الخلوفِ واتباعهم الهلاكَ والعذابَ والعاقبةَ الوخيمةَ، نعوذ بالله. ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾، فُسِّر الغيُّ بأنه الخسارُ والدمارُ، وفُسِّر بأنه وادٍ في جهنم، خبيثٌ طعمُه، بعيد قَعرُه.

فالحاصل: أنَّ مَن تابع الشَّهواتِ وضيَّع الصلوات فقد أضاع الدين، فالصلاة هي عمود الإسلام، فعبَّرَ بإضاعة الصلوات واتِّباع الشهوات بأنهم قد تركوا الحق وانحرفوا عنه إلى طاعة الشيطان والهوى.

ثم بيَّن لهم بعد ذلك أنَّ لهم طريقًا للخلاص، ولهم سبيلًا للنَّجاة، وذلك بالتوبة إلى الله ﷻ، فمن تاب إلى الله وأناب إليه نجا وسَلِمَ ممّا توعَّد الله به الذين ضيَّعوا الصلوات واتبعوا الشهوات، فقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾. هذا فيه تبشير للمسلم بأنه على طريق نجاة، إذا تاب إلى الله وأناب، وإن الأبواب مفتوحة له، فما دام على قيد الحياة فليبادر بالتوبة، وليُسارع إليها، وإن فعل ما فعل من الشُّرور والمعاصي والبلايا والمحنِ.

فالله ﷻ فتح باب التوبة، فليُبادر وليسارع بالتوبة إلى الله، والإنابة إليه بترك الذنوب والمعاصي والكفر بالله ﷻ، والندم على ما مضى منها، والعزم الصادق على أن لا يعود فيها، وبهذا يَقبل الله توبته، ويُنجزُه ما وعده، ويحسن له العاقبة. ثم عليه بعد ذلك أن يُتبع التوبة بالايمان الصادق، وبالعمل الصالح ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾﴾، أي يتوب عما مضى من الذنوب ثم يتبع التوبة بالاستقامة على أمر الله، والسَّيرِ على طريقه، والحذر مما نهى الله عنه ورسوله، وهذا هو الدليل على صحة التوبة وسلامتها، حين تاب وأتبع التوبة بالإيمان والعمل الصالح؛ فله الجنة والكرامة والعاقبة الحميدة، وهذا يوجب للإنسان **أمرين**:

الأول: أن يحاسب نفسه، وأن ينظر ما قدم، حتى يبادر بالإصلاح والتوبة.

الثاني: البدار بالتوبة، قبل أن يحلَّ به من أمر الله ما لا قِبلَ له به، فإن الأجل لا يدري الإنسان متى يهجم عليه.

فالواجب أن يبادر بالتوبة والإصلاح قبل أن يُحال بينه وبين ذلك، فالإنسان خطّاءٌ، وهو محل الذنوب، فالواجب أن يحاسب نفسه، وأن يجاهدها لله، ويبادر بالتوبة قبل أن يُحال بينه وبين ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم: ٥٩، ٦٠](١).

هذه الآية تدل على عِظَم جريمة من أضاع الصلاة، يقول سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ وخلْف بالتسكين هو خلف السوء؛ يعني: الذي يأتي بعد الصالح وهو على غير هدى، يقال له: خلْف. ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾؛ يعني: قومًا جاؤوا بعدهم، ليسوا على استقامة، بل على إضاعة للصلوات وركوب للمحارم، ولهذا قال: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾؛ يعني: المحرمة كالزنى وشرب المسكرات واللواط، وأكل الربا وغير ذلك مما حرَّم الله. ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾؛ يعني: خسارًا ودمارًا وعاقبةً سيئة، وقال بعض المفسرين: (غيًّا)؛ يعني: واديًا في جهنم، خبيثًا طعمه، بعيدًا

(١) برنامج نور على الدرب السؤال السادس من الشريط رقم (٢٠٠).

قعره، نسأل الله العافية، وبكل حال فالّذي يضيِّع الصلوات، ويتركها قد أتى منكرًا عظيمًا، وهو كافر عند جمع من أهل العلم، وإن لم يجحد الوجوب، أمّا إذا جحد الوجوب، قال: إنها لا تجب صار كافرًا عند الجميع، نسأل الله العافية، لكن لو تركها تهاونًا وهو يعلم أنها واجبة عليه، لكن تساهل، فهذا هو محل الخلاف بين أهل العلم، والصواب: أنه يكفر بذلك؛ لقوله ﷺ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»(١)، ولم يقل إذا جحد وجوبها، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**»(٢). خرَّجه مسلم في «صحيحه»، فيه أدلّة أخرى غير هذين الحديثين، فيجب على كل مؤمن ومؤمنة العناية بالصلاة، والمحافظة عليها: طاعةً لله وتعظيمًا له، كما قال سبحانه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقال: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، كذلك يحذر الشهوات التي حرَّم الله عليه، من سائر المعاصي، يجب الحذر منها أينما كان في السفر والإقامة، في الغيبة والشهادة، في جميع الأحوال؛ كالزنى والمآكل المحرمة والمشارب المحرمة؛ كالخمر وغير هذه مما حرَّم الله ﷻ، لكن من تاب تاب الله عليه في ذلك، فالكفر أعظم الذنوب إذا تاب صاحبه، تاب الله عليه، ولهذا قال سبحانه: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [الفرقان: ٧٠] فإذا ندم على ما مضى منه وأقلع وعزم أن لا يعود واستقام على الصلاة وغيرها مما أوجب الله، وعلى ترك ما حرَّم الله، فله الجنة والكرامة، كما قال في آية الفرقان ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ٣٥٦).
(٢) سبق تخريجه في (١/ ٣٥٦).

ﱡٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًاﱠ [الفرقان: ٦٨، ٦٩]، هذا وعيدهم إذا ماتوا على الشرك، أو على قتل النفس بغير حق، أو على الزنى، هذا وعيدهم نسأل الله العافية، ثم قال: ﱡإِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًاﱠ [الفرقان: ٧٠] فإذا تاب من الشرك والقتل والزنى، أبدل الله سيئاته حسنات، إذا صحَّت التوبة وأتبعها بالعمل الصالح، بدَّل الله سيئاته حسنات، وغفر له ﷻ، كما قال ﷻ في الآية الأخرى: ﱡوَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰﱠ [طه: ٨٢]، وقال سبحانه في آية الزمر: ﱡقُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ﱠ ﷻ، والمعنى: للتائبين، أجمع العلماء على أن المراد بذلك: التائبون، من تاب تاب الله عليه وغفر له جميع ذنوبه، فالواجب التوبة والبدار بها، ولا يقنط ولا ييأس، بل يحسن ظنه بربه ويبادر بالتوبة، ويتبعها بالعمل الصالح، بصلوات التطوع، بالصدقات، وعيادة المريض، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، إلى غير هذا من وجوه الخير، التي تكون تارة واجبة كالأمر بالمعروف، وتكون تارة مستحبة، فالمقصود: أنه يتبع توبته بالأعمال الصالحات، من واجب ومستحب، فيحافظ على الصلوات الخمس، ويؤدي الزكاة، ويصوم رمضان، ويحج البيت، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويدعو إلى الله، ويتعاطى ما يسَّر الله له من النوافل وغيرها من الطاعات، التي أوجبها على عباده ﷻ، وذلك من الدلائل على صدق التوبة، كونه يتبعها بالعمل الصالح، من الدلائل على صدق التوبة، واستقامة صاحبها عليها.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩][١].

هذه الآية الكريمة فيها الدلالة على أنه ينبغي لأهل الإيمان الصبر على ما قد يقع من الجوع وخشونة العيش، وأن تكون همتهم عالية فوق ذلك في طلب الآخرة، والإعداد لها، والصبر على الشدائد، كما صبرت الرسل وصبر أولياء الله في كل زمان، فالدنيا طُبِعت على الكدر، وتأتي بالمشاق والشدائد، لأسباب كثيرة، فلا بد من الصبر، كما صبر النبي الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وصبر غيره، وفي ذلك أيضًا الحذر من الركون إلى الدنيا وشهواتها وزينتها، والاشتغال بها عن الآخرة والإعداد لها؛ ولهذا يقول ﷻ في كتابه العظيم: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ يعني: خسارة ودمارًا، والغي: وادٍ في جهنم بعيد قعره، خبيث طعمه، نسأل الله السلامة.

والمقصد من هذا: أنهم ضيعوا حق الله، وتابعوا الشهوات الحلال والحرام، ساروا وراء الشهوات حلالها وحرامها، وأضاعوا أمر الله ﷻ فصارت العاقبة وخيمة، وهي النار، نعوذ بالله من ذلك، فالواجب الحذر، وأن يُعنَى المؤمن بما أوجب الله، والمحافظة على ذلك، ويتقي الله فيما أعطاه الله من الدنيا، ويستغني بالحلال عن الحرام، ويحذر التوسع فيها والتوسع في التنعم الذي يصدّه عن الآخرة، ويشغله عن الآخرة، ولهذا كان عمر ؓ يكتب إلى عماله، ويقول: «إِيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمِ وَزِيِ الْمُشْرِكِينَ»[٢].

---

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (٢/٢٥٨).

(٢) أورده القرطبي في الجامع لأحكام القرآن عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وشيخ الإسلام =

يعني: أولهم بالتنعم والتلذذ بالدنيا والميل إليها ومشابهة أهل الشرك، فالمؤمن هكذا يرضى بالقليل ويُعدُّ للآخرة، ويحذر من شر الدنيا وفتنتها، ولا تميله إلى ما حرَّم الله، ولا إلى التوسع الذي يصده عن سبيل الله، لكن لا بأس أن يأكل الطيبات، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨]. فالمقصود: أن المؤمن مأمور بأن يأخذ من الطيبات ويستعين بنعم الله على طاعة الله، وهكذا الرسل، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، فالمحذور أن يشتغل بها عن الآخرة أو تصده عما أوجب الله، أما أن يأخذ منها نصيبه من غير إسراف ولا تبذير، ولا يشتغل بها عن الآخرة، فهذا لا حرج فيه، ولكن ينبغي له إذا بُلي بالفقر والحاجة التصبُّر والتحمُّل حتى يفتح الله، حتى يفرِّج الله كما صبر نبينا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأصحابه ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ.

تقول عائشة رضي الله عنها: «**مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ**» يعني: في بعض الأحيان، وبعض الأحيان «**مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ المَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا**»؛ وذلك من شدة الأمر عندهم لما أصابهم شدة في المدينة وحاجة شديدة بعد الهجرة، حتى وسَّع الله بعد ذلك ويسَّر، فينبغي للمؤمن التأسي برسول الله ﷺ في الصبر والتحمل، فالنبي ﷺ تارة يكتفي بالتمر، وتارة بالشعير، وتارة بالبُر، وتارة باللبن، وتارة يأتيه طعام طيب من اللحوم

= ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم في الوجه الثاني من دلائل الإجماع ص(٢٨٩)، وابن عبد البر في الاستذكار (٦/ ٧٠)، انظر: كشف الخفاء (١/ ٣١٧)، وابن الجوزي (١/ ٦٣).

والبر تارة وتارة، فالمؤمن هكذا يتحمل، وإذا وسَّع الله عليه، أخذ من الطيبات، وأكل من الطيبات، كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥١] وليأكل من الطيبات، وليعمل صالحًا، ويشكر الله ﷿، ويجب ألّا تشغله الدنيا عما أوجب الله عليه، يجب ألّا يصد بها عن الإعداد للآخرة، يجب الحذر من الإسراف والتبذير.

وهكذا ذمَّ القوم الذين اغتروا بما حصل لقارون لما خرج على قومه في زينته ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩] لما رأوا زينة الدنيا وما أعطاه الله من المراكب والخدم والدنيا، أحبوا أن يكون لهم مثل ذلك، ولكن ماذا صار لما بطر وتعدّى حدود الله واستكبر على الحق؟ خسف الله به وبداره الأرض، وصارت العاقبة الخسف في الدنيا والعذاب في الآخرة، نسأل الله العافية، فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بهذه الدنيا وزينتها، وليحذر، قال ﷻ: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠].

وقال ﷻ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨]، فليس عبرة ولا دليلًا على صلاح العبد ونجاته، بل يعطي الله الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، فالواجب الحذر؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يعني: الدنيا ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨] ما كل من أرادها تحصل له، قد يريدها ولا تحصل له، ولكنه لحكمة الله وتقديره ﷻ يعطيها من يشاء، ويحرمها من يشاء ﷻ، فهو يعطيها المؤمن والكافر، يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولكنه إنما يعطي الإيمان والخير والاستقامة من أحبَّ ﷻ، فينبغي للعاقل ألّا يغتر بزينتها وما أُعطيَ أهلها من متاعها العاجل، ومراكبها وملابسها وطعامها وشرابها وسكنها، بل يرضى بما

يسَّر الله له، ويقنع بما يسَّره الله له، كما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«قَدْ أَفْلَحَ مَنْ هُدِيَ إِلَى الإِسْلَامِ، وَرُزِقَ الكَفَافَ وَقَنِعَ بِهِ»**(١).

هكذا يكون المؤمن قنوعًا بما آتاه الله طالبًا للرزق الحلال مستعينًا بالله على ذلك، لا تغرُّه الدنيا وزهرتها وما فيها من المتاع العاجل الذي ينقضي عن قرب، وربما ذهب عنه، وربما مات وتركه، وهو على كل حال بين أمرين: إما يسلبه منه في الدنيا، وإما يسلب هو منه، يموت ويدعه لغيره، عليه تبعاته، ولغيره انتفاعه، فيجب الحذر من زينتها ومن فتنتها، وليستعن بها على طاعة الله، ولا يغتر بها، بل يعتبرها زادًا وطريقًا للآخرة ومعملًا للآخرة ومزرعةً للآخرة.

وحديث عائشة ﵂ تقول: **«لابْن أُخْتِها عُرْوَةَ بن الزبير: إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الهِلَالِ ثُمَّ الهِلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَارٌ. فَقُلْتُ: يَا خَالَةُ مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قالتِ: الأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهِمْ، فَيَسْقِينَا»**(٢).

هذا يدل على أنه ﷺ يصبر، وأهله كذلك على شظف الدنيا وشدتها، حتى ربما مَرَّ عليهم الشهران ما أوقدوا نارًا للحم أو خبز ونحو ذلك، وإنما كان يعيشهم الأسودان: التمر والماء، وربما جاءتهم هدية اللبن، فإذا كان أفضل الخلق وسيد ولدِ آدم تصيبه هذه الشدائد في الدنيا ويصبر، وهكذا أزواجه أمهات المؤمنين، هكذا ينبغي للمؤمنين أن يتحمَّلوا ويصبروا كما صبر أُولئك الأخيار، ويتأسوا بهم فلا تحملهم

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ في كتاب الزهد، باب القناعة برقم (٤١٣٨).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة ﵂، أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب فضل الهبة برقم (٢٥٦٧)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، برقم (٢٩٧٢).

الحاجة إلى ما حرَّم الله، وإلى تعاطي المعاصي والمخالفات، بل عليهم بالصبر والثبات حتى يفتح الله، وحتى يأتي بالرزق من الطريق الحلال ويستغني بها عما حرم الله، وهذه سُنَّته ﷺ وطريقه وطريق أصحابه، الصبر على شدائد الأمور والرضى بالقليل حتى يأتي الفرج من الله سبحانه.

* * *

❏ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [٦٤][١]

حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا عمر بن ذرٍّ قال: سمعت أبي، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «**مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا، فَنَزَلَتْ**: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾[٢]».

❏ تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١، ٧٢][٣].

هذه الآية الكريمة فسَّرها النبي ﷺ، وهي قوله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؛ يعني: النار، ﴿...كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾. فسَّرها النبي بأن الورود هو المرور والعرض على النار، هذا هو الورود؛ يعني: مرور المسلمين عليها إلى

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾... إلخ برقم (٤٧٣١).

(٣) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/٢٦٨).

الجنة، ولا يضرهم ذلك، وإنما من يمرون كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل والرِّكاب. تجري بهم أعمالهم، ولا يدخلون النار، المؤمن لا يدخل النار، بل يمر مرور لا يضره ذلك، فالصراط جسر على متن جهنم يمر عليه الناس، وقد يسقط بعض الناس؛ لشدة معاصيه وكثرة معاصيه، فيعاقب بقدر معاصيه، ثم يخرجه الله من النار إذا كان موحدًا مؤمنًا، وأما الكفار فلا يمرون، بل يساقون إلى النار، ويحشرون إليها نعوذ بالله من ذلك، لكن بعض العصاة الذين لم يعفُ الله عنهم قد يسقط بمعاصيه التي مات عليها، ولم يتب؛ كالزنا، وشرب المسكر، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، وأشباه ذلك من المعاصي الكبيرة، صاحبها تحت مشيئة الله، كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]. وهو سبحانه لا يغفر الشرك لمن مات عليه، ولكنه يغفر ما دون ذلك من المعاصي لمن يشاء ﷻ. وبعض أهل المعاصي لا يغفر لهم يدخل النار.

كما تواترت في ذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ، فقد صحَّ عن رسول الله ﷺ من أحاديث كثيرة أن بعض العصاة يدخلون النار ويقيم فيها ما شاء الله، فقد تطول إقامته؛ لكثرة معاصيه التي لم يتب منها، وقد تقل ويشفع النبي ﷺ للعصاة عدة شفاعات يحدّ الله له حدًّا، فيخرجهم من النار فضلًا منه ﷻ عليهم؛ لأنهم ماتوا على التوحيد والإسلام، لكن لهم معاصٍ لم يتوبوا منها، وهكذا تشفع الملائكة، يشفع المؤمنون، يشفع الأفراط، ويبقى أناس في النار من العصاة لا يخرجون بالشفاعة، فيخرجهم الله ﷻ فضلًا منه ﷻ، يخرجهم الله من النار بفضله؛ لأنهم ماتوا على التوحيد، وماتوا على الإسلام، لكن لهم معاصٍ ماتوا عليها لم يتوبوا فعُذِّبوا من أجلها، ثم بعد مضي المدة التي كتبها الله عليهم وبعد تطهيرهم بالنار يخرجهم الله من النار إلى الجنة فضلًا منه ﷻ، وبما

ذكرنا يتضح معنى الورود، وأن قوله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؛ يعني: المرور فقط لأهل الإيمان، وأن بعض العصاة قد يسقط في النار، ولهذا في الحديث: «**فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**»(١). حتى يمر آخرهم يُسحب سحبًا.

فالمؤمن السليم ينجو، وبعض العصاة كذلك، وبعض العصاة قد يخر، ويسقط.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ [مريم: ٧٧](٢).

حدّثنا الحميديّ، حدّثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضّحى، عن مسروقٍ قال: سمعت خبّابًا قال: جئت العاصي بن وائلٍ السّهميّ أتقاضاه حقًّا لي عنده، فقال: لا أعطيك حتّى تكفر بمحمّدٍ ﷺ، فقلت: لا، حتّى تموت ثمّ تبعث، قال: وإنّي لميّتٌ ثمّ مبعوثٌ؟ قلت: نعم، قال: إنّ لي هناك مالًا وولدًا فأقضيك، فنزلت هذه الآية: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾، رواه الثّوريّ، وشعبة، وحفصٌ، وأبو معاوية، ووكيعٌ، عن الأعمش(٣).

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] برقم (٧٤٣٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية برقم (٣٠٢).

(٢) من شرح سماحته رحمه الله لكتاب لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٣) متفق عليه من حديث خباب رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾... إلخ برقم (٤٧٣١)، ومسلم في كتاب الجنة والنار، باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح.... برقم (٢٧٩٥).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا والد عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو العاص بن وائلٍ السّهميّ، كان من أشدّ النّاس كفرًا، ومات على كفره، نعوذ بالله. نسأل الله العافية.

● **س: قوله ـ أحسن الله إليك ـ لا أكفر بمحمّدٍ حتّى يميتك الله ثمّ يحييك، جعلها غايةً (حتى)؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: ما أكفر أبدًا، بعد البعث والنّشور ما فيه كفرٌ، المؤمن يفرح بإيمانه، والكافر يندم على ما فعل؛ يعني: لا أكفر به أبدًا هذا مراده.

(السّائل): الغاية هنا غير مقصودةٍ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: إي وليس المراد شيئًا بعدها.

(السّائل): لأنّ يوم القيامة ما فيه إيمان ولا كفر؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، ما فيه إلّا ما سبق في الدّنيا.

*

❏ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٧٨﴾ [مريم: ٧٨][١].

قال: موثقًا.

حدّثنا محمّد بن كثيرٍ، أخبرنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضّحى، عن مسروقٍ عن خبّابٍ قال: كنت قينًا بمكّة، فعملت للعاصي بن وائل السّهميّ سيفًا، فجئت أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتّى تكفر بمحمّدٍ ﷺ، قلت: لا أكفر بمحمّدٍ ﷺ حتّى يميتك الله ثمّ يحييك،

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

قال: إذا أماتني الله ثمّ بعثني ولي مالٌ وولدٌ، فأنزل الله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ قال: موثقًا، لم يقل الأشجعيّ: عن سفيان (سيفًا)، ولا (موثقًا)(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله أكبر، وهذا من شدّة إنكاره للبعث؛ لأنّهم غلب عليهم إنكار البعث؛ ولهذا اجترؤوا على ما اجترؤوا عليه، وإنّما أقرّ بالبعث منهم القليل.

و«القين»: هو الحدّاد، وكان خبّابٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حدادًا في الجاهليّة، يصنع الأسلحة، فصنع للعاص والد عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا العاص مات على حاله وكفره. نسأل الله العافية.

● **س: ما فيه انتقاصٌ، كلمة القين يا شيخ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما فيه شيءٌ، لا، هي صنعةٌ مثل ما يقال: نجّارٌ وخرّازٌ وخياطٌ، عُرف بهذا الوصف.

* * *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾ [مريم: ٧٩].

حدّثنا بشر بن خالدٍ، حدّثنا محمّد بن جعفرٍ، عن شعبة، عن سليمان، سمعت أبا الضّحى يحدّث، عن مسروقٍ عن خبّابٍ قال: كنت

(١) متفق عليه من حديث خباب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ برقم (٤٧٣٣)، ومسلم في كتاب الجنة والنار باب سؤال اليهود... إلخ برقم (٢٧٩٥).

قينًا في الجاهليّة، وكان لي دَينٌ على العاصي بن وائلٍ، قال: فأتاه يتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتّى تكفر بمحمّدٍ ﷺ، فقال: والله لا أكفر حتّى يميتك الله، ثمّ تُبعث، قال: فذرني حتّى أموت ثمّ أبعث، فسوف أوتى مالًا وولدًا فأقضيك، فنزلت هذه الآية: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧][(١)].

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾ [مريم: ٨٠].

وقال ابن عبّاسٍ: ﴿ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٩٠]: هدمًا.

حدّثنا يحيى، حدّثنا وكيعٌ، عن الأعمش، عن أبي الضّحى، عن مسروقٍ، عن خبّابٍ قال: كنت رجلًا قينًا، وكان لي على العاصي بن وائلٍ دينٌ، فأتيته أتقاضاه، فقال لي: لا أقضيك حتّى تكفر بمحمّدٍ، قال: قلت: لن أكفر به حتّى تموت، ثمّ تبعث، قال: وإنّي لمبعوثٌ من بعد الموت؟ فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مالٍ وولدٍ، قال: فنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾[(٢)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نسأل الله العافية، نسأل الله العافية، لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

---

(١) متفق عليه من حديث خباب رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾ برقم (٤٧٣٤)، ومسلم في كتاب الجنة والنار، باب سؤال اليهود النبي ﷺ... إلخ برقم (٢٧٩٥)

(٢) متفق عليه من حديث خباب رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ برقم (٤٧٣٥)، ومسلم في كتاب الجنة والنار المصدر السابق برقم (٢٧٩٥).

• **س: أحسن الله إليك: التّراجم الأربعة هذه ترجم بها على هذه الآية؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الظّاهر لأجل محبّة أن يكرّر الأسانيد الّتي عنده ـ رحمة الله عليه ـ، والتّنبيه كالشّرح لكلّ كلمةٍ، الله يغفر له، على عادته وطريقته، كلّ كلمةٍ يجعل لها ترجمةً كالشّرح لها .الله المستعان.

• **س: أحسن الله إليك: قول البخاريّ: لم يقل الأشجعيّ عن سفيان: سيفًا ولا موثقًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: في روايته عن سفيان، سقطت في روايته لفظة: السيف وكلمة: موثقًا.

• **س: من صنع له سيفًا هذا قبل استقرار الشّريعة حين باعه السّيف؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما هناك جهادٌ ولا هناك شيءٌ.

• **س: أحسن الله إليك: أهل الفترة يوم القيامة متى يرسل إليهم رسولٌ؟ قبل الحساب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الله أعلم، تراجع الأدلّة؛ تحتاج إلى تأملٍ، تراجع الأدلّة.

• **س: أحسن الله إليك: بعض عمّال المسالخ يعلّقون عليهم التّمائم، فهل مثل هذا يجوز ذبحه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يُعلّم أن هذا لا يجوز، يعلّم أن هذه من الشّرك الأصغر، الذّبح التحلية، إذا كان ما عنده وثنيةٌ أخرى، شركٌ آخر.

• **س: أحسن الله إليك: صلاة جريجٍ ركعتين عندما هدمت صومعته هل هي صلاة حاجةٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

صلّى ليسأل ربّه، يسأل ربّه ويستنصره على أعدائه. من جنس صلاة التّوبة، ومن جنس صلاة الاستخارة.

● **س: من صاد بغير محدد ناسيًا أنّه لا يجوز هل يحلّ صيده؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا أدركه وهو حيٌّ وذبحه فلا بأس، أمّا إن مات وصاده بغير محددٌ فهذا يكون ميتةً، مثل ما قال ﷺ: «**إن أدركتَه حيًّا فاذبَحه**»[(١)]، وإن كان قد مات فلا يحلّ.

● **س: ناسيًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولو ناسيًا إذا صاده بغير محددٍ ما يحلّ إذا مات.

● **س: أحسن الله إليك يا شيخ: حديث أسماء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **في صلاة التّوبة بعض الرّوايات أنّها الصّلاة المكتوبة وبعض الرّوايات أنّها ركعتان؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

جاء في حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «مسند أحمد» بسندٍ جيدٍ: «**ما من عبدٍ يذنبُ ذنبًا ثُمَّ يتوضَّأ، ثُمَّ يصلِّي رَكْعَتَيْنِ فيستغفرُ اللهَ إِلّا غفرَ اللهُ لَهُ**». رواه أحمد بإسنادٍ جيدٍ. عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٢)].



(١) أخرجه مسلم من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الصيد والذبائح، باب الصيد بالكلاب المعلمة برقم (١٩٢٩).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الصلاة، باب في الاستغفار برقم (١٥٢١).

تفسير آيات من سورة طه(١)

قال ابن جبيرٍ بالنّبطيّة: ﴿طه﴾ [طه: ١]: يا رجل، يقال: كلّ ما لم ينطق بحرفٍ، أو فيه تمتمةٌ، أو فأفأةٌ فهي عقدة، ﴿أَزْرِى﴾ [طه: ٣١]: ظَهْرِي، ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ [طه: ٦١]: يُهْلِكَكُمْ، ﴿ٱلْمُثْلَىٰ﴾ [طه: ٦٣]: تأنيث الأمثل، يقول: بدينكم، يقال: خذ المثلى، خذ الأمثل، ﴿ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾ [طه: ٦٤]: يقال: هل أتيت الصّفّ اليوم؟ يعني: المصلّى الّذي يصلّى فيه، ﴿فَأَوْجَسَ﴾ [طه: ٦٧]: أضمر خوفًا فذهبت الواو من ﴿خِيفَةً﴾ [طه: ٦٧]، لكسرة الخاء، ﴿فِى جُذُوعِ﴾ [طه: ٧١]: أي: على جذوع النخل، ﴿خَطْبُكَ﴾ [طه: ٩٥]: بالك، ﴿مِسَاسَ﴾ [طه: ٩٧]: مصدر ماسّه مساسًا، ﴿لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ [طه: ٩٧]: لَنَذْرِيَنَّهُ، ﴿قَاعًا﴾ [طه: ١٠٦]: يعلوه الماء، والصّفصف: المستوي من الأرض، وقال مجاهدٌ: ﴿أَوْزَارًا﴾ [طه: ٨٧]: أثقالًا، ﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ [طه: ٨٧]: الحليّ الّذي استعاروا من آل فرعون، فقذفتها: فألقيتها، ﴿أَلْقَى﴾ [طه: ٨٧]: صنع، ﴿فَنَسِىَ﴾ [طه: ٨٨] موسى، هم يقولونه: أخطأ الرّبّ، ﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [طه: ٨٩]: العجل، ﴿هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]: حسّ الأقدام، ﴿حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٥]: عن حجّتي، ﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ [طه: ١٢٥]: في الدّنيا، قال ابن عبّاسٍ: ﴿بِقَبَسٍ﴾ [طه: ١٠]: ضلوا الطريق، وكانوا شاتين، فقال: إن لم أجد عليها من يهدي الطريق آتكم بنار توقدون، قال ابن عيينة: ﴿أَمْثَلُهُمْ

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

طَرِيقَةً﴾ [طه: ١٠٤]: أعدلهم، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿هَضۡمًا﴾ [طه: ١١٢]: لا يظلم فيهضم من حسناته، ﴿عِوَجًا﴾ [طه: ١٠٧]: واديًا، ﴿وَلَآ أَمۡتًا﴾ [طه: ١٠٧]: رابيةً، ﴿سِيرَتَهَا﴾ [طه: ٢١]: حالتها ﴿سَنُعِيدُهَا﴾ [طه: ٢١]، ﴿ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤]: التّقى، ﴿ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]: الشّقاء، ﴿هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١]: شقي، ﴿بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ [طه: ١٢]: المبارك، ﴿طُوًى﴾ [طه: ١٢]: اسم الوادي، ﴿بِمَلۡكِنَا﴾ [طه: ٨٧]: بأمرنا، ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ [طه: ٥٨]: منصفٌ بينهم، ﴿يَبَسًا﴾ [طه: ٧٧]: يابسًا، ﴿عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ [طه: ٤٠]: على موعدٍ، ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ [طه: ٤٢]: لا تضعفا، ﴿يَفۡرُطَ﴾ [طه: ٤٥]: عقوبة.

• **قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **تكلّم على «همسًا» الشّارح؟**

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٤٣٣)]: «قوله: **(همسًا)**: حسّ الأقدام». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ظاهر السّياق ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسًا﴾ [طه: ١٠٨]، الشّيء الضّعيف، الكلام الضّعيف الّذي بينهم السّرّي. فصرفه للأقدام محلّ نظرٍ.

(القارئ): [قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ]: «وصله الطّبريّ من طريق بن أبي نجيحٍ عن مجاهدٍ، وعن قتادة قال: صوت الأقدام. أخرجه عبد الرّزّاق. وعن عكرمة قال: وطء الأقدام. أخرجه عبد بن حميدٍ. وقال أبو عبيدة في قوله: «همسًا» قال: صوتًا خفيًّا». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وقول أبي عبيدة)[1]: هذا هو أقرب، وصف الأصوات همسًا، تهامس القوم، يتهامسون يتكلّمون كلامًا خفيفًا ليس بواضحٍ.

---

(١) في كلام الشارح.

• **س: ﴿أَلْقَىٰ ۝٦٥﴾: صنع، وقال مجاهدٌ: ﴿أَلْقَىٰ﴾ صنع. ألقى تأتي بمعنى صنع؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ألقى عصاه يعني، ما هو بواضحٍ، لعل قصده السّامري وهكذا صنع السامريّ.

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣﴾ [طه: ١ ـ ٣][(١)].

على ظاهرها ﴿طه ۝١﴾، هذه من الحروف المقطعة، مثل: الم، عسق، مثل ص، ق، هذه الحروف المقطعة، الأكثر من أهل العلم أنهم يقولون فيها: الله أعلم بمعانيها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله جعلها فواتح لكثير من السور؛ للدلالة على أنها قرآن مؤلف من هذه الحروف التي يعرفها الناس، أما قوله: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣﴾، هذا واضح، الله ما أنزل القرآن ليشقى الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويتعب، ولكن أنزله للتذكرة والعمل والاستفادة، فالله أنزل كتابه العظيم تذكرة للمؤمنين ولنبيِّه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يعملوا به، ويستقيموا عليه، وفيه الراحة والطمأنينة، وفيه السعادة العاجلة والآجلة، وليس فيه شقاء، بل فيه الراحة والطمأنينة، وفيه التقرب إلى الله، والأنس بمناجاته وذكره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فليس منزلًا ليشقى به النبي أو العبد لا، بل يستريح به، وليتنعم به، وليستفيد منه، وليعمل به، وليفوز بالجنة والسعادة بعمله به واستقامته عليه.

*

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٧٢).

تفسير قوله تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١ - ٢][(١)].

فهذه الآيات في الحث على طرق الخير والمنافسة في أعمال الطاعة، وفي هذه الآية الدلالة على الحث على الاقتصاد وعدم المشقة على النفس، حتى تمضي في الخير، وحتى لا تنقطع، فالإنسان يتوسع في الخير ويكثر من الطاعات، لكن مع المراعاة والقدرة وعدم المشقة التي قد تبعده عن العمل، وقد تمنعه من العمل وقد تملـله عن العمل يقول ﷻ: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾، الله ﷻ يخاطب نبيه بقوله: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾؛ يعني: ما أنزلناه عليك من أجل إشقائك وتكليفك ما لا تطيق، ولكنه نزل لتعليم الناس وتفقيههم وتوجيههم إلى الخير مع مراعاة الطاقة.

كما قال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ويقول ﷻ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾ [الحج: ٧٨]، الله ﷻ شرع لعباده الطاعات التي يطيقونها ولم يُحملهم ما لا يُطيقون ولم يُكلفهم ما لا يطيقون، بل شرع لهم أن ينافسوا في الخير، ويسارعوا إلى الطاعات مع مراعاة الطاقة وعدم المشقة التي قد تبعد عن العمل، وقد تمنع من العمل، وهكذا قوله ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ هذا من شرعه سبحانه هذه الإرادة الشرعية؛ لأن الله ﷻ شرع لكم تعاطي اليسر وعدم التكلف والتنطع، وما لا ينبغي للمؤمن من إشقائه نفسه فيما يشرع الله له ﷻ؛ بل يعمل ما يطيق ويدع ما لا يطيق.

قال الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (١/ ٣٠١).

قال الله: «**قد فعلت**» ﷻ، وفي هذه الأحاديث دلالة على ذلك، منها المرأة التي دخلت على عائشة ﵂ فلما جاء النبي ﷺ: قال: «**مَنْ هذِهِ؟**» قالت: فلانة تذكر من صلاتها؛ يعني: أنها كانت تقيم الصلاة بالليل وتتكلف في ذلك، فقال النبي: «**مهْ**» كلمة زجرٍ «**عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَواللهِ لَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا**»(١)، **وكَانَ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ صَاحِبُهُ عَلَيهِ**».

والمقصود من هذا الحث على الاستقامة في الطريق وعدم التكلف الذي قد يعوق الإنسان عن العمل، ويُبعده عن العمل، ثم قال: «**وَإِنَّ أَحَبَّ العَمَلِ إِلَى اللهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ**»؛ يعني: «**وَإِنْ قَلَّ**».

كما في الرواية الأخرى: وإن كان قليلًا كونه يتهجد ثلاث ركعات أو بخمس ركعات في الليل، ويداوم أحسن من كونه تارة يصلي في الليل وتارة ما يصلي في الليل، فالمداومة ولو على قليل خير من الترك في بعض الأحيان وعدم المداومة، ثم كونه يصلي بقدر طاقته لا يطول حتى يشق على نفسه ويمل، ولكن يصلي قدر طاقته، ويقرأ قدر طاقته، ويركع قدر طاقته، ويسجد قدر طاقته حتى لا يمل العبادة، وحتى لا يدعها، قول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إن الله لا يمل حتى تملوا**» هذا وصف يليق بالله لا يُشابَه بخلقه، الملل الذي يُنسَب إلى الله ليس كالملل الذي يُنسَب إلى عباده، وهكذا جميع الصفات من المحبة والرضى والغضب وغير ذلك، كلها صفات تليق بالله لا يشابه فيها خلقه ﷻ؛ والمعنى: استقيموا على العمل، استمروا في الخير حتى يحصل لكم من فضل الله وثوابه الخير الدائم والأجر الدائم.

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة ﵂، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله ﷿ أدومه برقم (٤٣)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب أمر من نعس في صلاته... إلخ برقم (٧٨٥).

وهكذا قصة الثلاثة الذين جاؤوا ودخلوا على بيوت النبي ﷺ وسألوا أزواج النبي ﷺ عن عمل النبي في السر، فأخبرهم أزواج النبي ﷺ بعمله، وكأنهم تقالُّوا ذلك، وقالوا: (أين نحن من رسول الله، من منَّا مِثْلَهْ لسنا مثله، هو مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإنّا لسنا كذلك، فقال بعضهم: أما أنا فأصلي ولا أنام أبدًا، وقال الآخر: وأما أنا فأصوم ولا أفطر أبدًا، وقال الآخر: وأما أنا فأعتزل النساء فلا أتزوج)، في لفظ آخر: (أما أنا فلا أنام على فراش، والآخر قال: أما أنا فلا آكل اللحم)، إلى غير هذا من التكلف، فلما بلغ النبي ﷺ ذلك خطب الناس حمد الله وأثنى عليه وقال «**أَمَا واللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**»، يحلف ﷺ وهو الصادق أنه أخشى الناس لله، وأتقاهم لله، ولكنه لا يتكلف ولا يعمل ما لا يطيق، ـ عليه الصلاة والسلام ـ، أما والله إني أخشاكم لله وأتقاكم له، في اللفظ الآخر: «**أَمَا واللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّساءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[(١)]، «**وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّساءَ**»، في اللفظ الآخر: «**وآكل اللحم، وأنام على الفراش، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني**».

هذا فيه التيسير والتسهيل، الإنسان يصلي إذا تيسر، وينام حتى يستطيع العمل في نهاره، في أوقاته الأخرى يصوم ويفطر لا يستمر، يصوم يومًا ويفطر يومًا، يصوم الاثنين والخميس، يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، أما أن يصوم دائمًا دائمًا فلا؛ نهى النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ عنه؛ لما فيه من المشقة وقال: «**أفضل الصيام صيام داود**»؛

(١) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح برقم (٥٠٦٣)، ومسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه برقم (١٤٠١).

يعني: التطوع كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وكان النبي يصوم يوم الاثنين والخميس، ـ عليه الصلاة والسلام ـ فإذا شُغل عنهما تركهما وأفطر ثم صام في الأيام الأُخرى التي فيها سعة له، ـ عليه الصلاة والسلام ـ هكذا المؤمن يتحرى أوقات الخير يصوم الاثنين والخميس إذا تيسَّر ذلك، وإذا شُغل وأفطر فلا بأس يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، وإذا صام الأيام البيض كان أفضل، وإذا شُغل عن ذلك ترك، ولا حرج؛ لأنها نافلة من النوافل، قال: «**وَأَتَزَوَّجُ النِّساءَ**» كذلك يتزوج مأمور بالزواج، الله ﷻ قال: ﴿فَأَنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣]، وقال: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [النور: ٣٢].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»[١]، فالله ﷻ ورسوله أمر بالزواج، فالتبتل وعدم الزواج أمر منكر لا يجوز، ووسيلة إلى الشر والفساد وقلة النسل وفساد المجتمع.

فالواجب على من قدر أن يتزوج، وأن يعفَّ نفسه، ويغض بصره، ويتسبب في وجود الأولاد وتكثير الأُمة؛ ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث يقول ﷺ: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**»، «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**»، «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**» المتنطع المتشدد المبتدع الزائد الذي لا يرضى بما شرع الله له، بل يزيد ويتكلف ويتنطع في شيء ما شرعه الله له، ﷻ، فالمبتدعون والمتشددون وصفهم النبي أنهم هالكون؛ لكونهم جاوزوا الحدود، وتعدُّوا الحدود، ولم يقفوا عند الشرع المطهر؛ فلهذا قال فيهم

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم برقم (٥٠٦٦)، ومسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤونة واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم برقم (١٤٠٠).

النبي: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**»، «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**»، «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**»(١). فدلَّ ذلك على أن الواجب الاقتصاد في العبادة والتقيد بالشرع وعدم الزيادة على الشرع، كما قال ﷻ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١] هذا ذم لهم، وعيب لهم، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(٢).

يعني: فهو مردود عليه، فعلى المسلمين جميعًا أن يتقيدوا بشرع الله، وأن يقفوا عند شرع الله، وأن يعملوا به من دون زيادة ولا نقص.

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥](٣).

الآية الكريمة معناها واضح عند أهل السُّنَّة والجماعة، فقد أخبر الله سبحانه في سبعة مواضع من القرآن أنه استوى على العرش، منها هذه الآية، ومنها قوله سبحانه في سورة الأعراف وفي سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]. ومعنى: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: ارتفع وعلا، وهو استواء يليق بجلال الله، لا يشابه خلقه في استوائهم على الدابة أو على السفينة أو السيارة أو الطائرة لا، بل استواء يليق به، لا يماثل خلقه ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال ﷻ: ﴿فَلَا

---

(١) أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه في كتاب العلم، باب هلك المتنطعون برقم (٢٦٧٠).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور برقم (١٧١٨).

(٣) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٧٣).

﴿تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، والله ﷻ فوق العرش، ومن قال: إنه في كل مكان فقد غلط وضلَّ عن سواء السبيل، وهو كافر عند جمع من أهل العلم من أهل السُّنَّة والجماعة؛ لأن الله فوق العرش، وعلمه في كل مكان ﷻ، فالقول: إنه في كل مكان من قول أهل البدع والضلال والإلحاد، أما أهل السُّنَّة والجماعة فيقولون: إنه فوق العرش قد استوى عليه استواءً يليق بجلاله وعظمته، وعلمه في كل مكان لا يخفى عليه خافية ﷻ، والعرش هو سقف المخلوقات وأعلاها، والله فوقه ﷻ، يعلم أحوال عباده لا تخفى عليه خافية ﷻ. فالواجب على كل مسلم أن يعتقد ذلك، وأن يؤمن بذلك، على الوجه اللائق بالله ﷻ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل؛ كما قال ربنا ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﷻ. هذا قول أهل السُّنَّة والجماعة من أصحاب النبي ﷺ، وأتباعهم بإحسان.

* *

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه: ٤١][1]

حدّثنا الصّلت بن محمّدٍ، حدّثنا مهديّ بن ميمونٍ، حدّثنا محمّد بن سيرين، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**الْتَقَى آدَمُ وَمُوسَى، فَقَال مُوسَى لآدَمَ: آنتَ الَّذِي أَشْقَيْتَ النَّاسَ، وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ؟ قال لَهُ آدَمُ: آنتَ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ، وَاصْطَفَاكَ لِنَفْسِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْك التَّوْرَاةَ؟ قال: نَعَمْ، قال: فَوَجَدْتَهَا كُتِبَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي؟ قال: نَعَمْ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**»، ﴿ٱلْيَمِّ﴾ [طه: ٣٩]: البحر: اليمّ[2].

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ =

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا حجّ آدم موسى ـ عليهما الصلاة والسلام ـ؛ لأنّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لامه على أمر قد تاب منه، وندم منه، وتاب الله عليه، فلا يجوز أن يلام التّائب على ما سبق، التّوبة تجبّ ما قبلها؛ ولهذا قال: (فحجّ آدم موسى) يعني: خصم آدم موسى ـ عليهما الصلاة والسلام ـ، وغلبه بالحجّة حين قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: (أنت الّذي أخرجتنا ونفسك من الجنّة) يلومه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فقال له آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: أنت أنزل الله عليك التوراة، أوجدت فيها أنّ الله كتب ذلك عليّ قبل أن يخلقني، أتلومني على أمرٍ قد كتبه الله عليّ؟! فحجّ آدم موسى؛ لأنّه لامه على أمر قد كتب عليه، وليس له فيه فعلٌ، إنّما فعله في أكله من الشّجرة، لا في خروجه من الجنّة إلى الأرض.

وهذا معنًى آخر، وهو أنّه لامه على المصيبة، والمصيبة ليست بيديه، أمر الله قضاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فالمقصود: أن آدم حجّ موسى ـ عليهما الصلاة والسلام ـ من جهتين:

* من جهة أن الأمر قد حصل منه التّوبة، والتّائب لا يلام.

* ومنها أن خروجهم إلى الدّنيا ونزوله إلى الدّنيا ليس من ذنبه، الذّنب أكله من الشّجرة والنزول إلى الأرض هذا من المصائب الّتي ترتبت، والإنسان لا يلام على المصيبة، إنّما يلام على الذّنب قبل أن يتوب، أمّا المصيبة فلا، قد يصاب الإنسان بشيءٍ ما هو من عمله، مثلًا قد يذنب فيستحقّ العقوبة، لكن قد يصيبه مرضٌ، قد يصيبه أشياء، قد يتحوّل من بلدٍ إلى بلدٍ، ليس هذا من ذنبه، ولهذا قال النّبيّ ﷺ: «**فحجَّ آدمُ موسَى**»؛ يعني: غلبه بالحجّة، وصار العذر قائمًا لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في ردّه على موسى ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

= برقم (٤٧٣٦)، ومسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ برقم (٢٦٥٢).

وكلّ إنسانٍ قد تاب لا يلام، والمصائب الّتي تقع ليست من فعله، إنّما فعله الذّنب فقط، والذّنب يلام عليه قبل التّوبة.

في الحديث يروى عنه ﷺ أنّه قال: «**من عيَّر أخاه بذنبٍ لَمْ يمتْ حَتَّى يعمَله**»؛ لِأَنَّهُ قَدْ تَابَ منه(١).

وقال سماحته في القراءة الأولى: ووجه حجَّ آدم موسى سبق له العلم من جهتين: من جهة أن موسى عليه السلام لامه على الخروج من الجنة وخروج الذرية، وهذا ليس إليه، إلى الله عز وجل. إنما الذي وقع منه هو الذنب، والذنب تاب منه، وليس من شأنه الخروج.

والثاني: أنه لامه على شيءٍ قد وقعت منه التوبة وانتهى، وما كان قد تِيب منه وانتهى لا يُلام عليه، إنما يُلام من أصرَّ على السيئة وأقام عليها.

فهو محجوجٌ من الجهتين: من جهة أنه تاب من هذا الشَّيء. ومن جهة أن هذا الأمر الذي وقع ليس هو الذنب، شيء آخر، والإنسان إنما يُلام على الذنب لا على شيء آخر كُتب عليه، رتَّبه الله عليه من غير فعل الفاعل.

• **س: اللوم على الذّنب أو على المصيبة الّتي نشأت عن الذّنب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هو حجّه؛ لأنّه لامه على المصيبة، والمصيبة ليست إليه، والإنسان إنّما يلام على الذّنب وموسى عليه السلام ما لامه على الذّنب؛ لامه على ما نتج عنه، على المصيبة الّتي أصابته.

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه في كتاب صفة القيامة والرقائق عن رسول الله ﷺ، باب برقم (٢٥٠٥) وحسَّنه.

(السّائل): والأمر الثّاني؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

التّوبة، كونه لامه بعدما حصلت التّوبة، التّائب لا يوبّخ ولا يقال له شيء بعدما تاب لا يلام ولا يوبّخ؛ بل يثنى عليه؛ لأنّه منّ الله عليه بالتّوبة، ويبشّر بالخير ويشكر على توبته، إنّما يلام أهل المعاصي في إصرارهم يلامون ويوبّخون حتّى يتوبوا.

• **س: (طه) يا شيخ من قال: إنّها اسم من أسماء النّبيّ ﷺ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، الصّواب أنّها من الحروف المقطّعة (طه ـ وآلم ـ وكهيعص) كلّها حروف مقطعة ليست مرادًا بها أسماء أحد.

• **س: حديث صحيح ـ عفا الله عنك ـ هذا: «من عيّر أخاه بذنبٍ»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، فيه انقطاعٌ كما قال الحافظ في «البلوغ» يقال: يروى، ما يجزم به.

• **س: أحسن الله إليك: لقيا آدم موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ هل كانت بعد وفاة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الظّاهر في السّماء، حين لقيه في السّماء، آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، في السّماء الدّنيا وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في السّماء السّادسة فالتقيا.

• **س: قوله: «كُلُّ مَا لَمْ يَنْطِقْ بِحَرْفٍ أَوْ فِيهِ تَمْتَمَةٌ أَوْ فَأْفَأَةٌ فَهِيَ عُقْدَةٌ»(١)، ما مناسبته هنا؟**

---

(١) أورده البخاري في كتاب التفسير في مطلع تفسير سورة طه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا معناه: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾ [طه: ٢٧]؛ يعني: أن في لسانه شيئًا من العقدة تمنعه من بعض الكلام ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ؛ فحلّ الله عقدته، أطلق الله لسانه وأعطاه سؤله قال: ﴿قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٦] والحمد الله.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ [طه: ٧٧ ـ ٧٩].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا شكّ أنّه أضلّهم، أوقعهم في السّعير، أوقعهم في الغرق، ثمّ في النّار، نعوذ بالله، نسأل الله العافية.

هكذا دعاة الضّلالة، دعاة الضّلالة هكذا، إهلاكٌ لأقوامهم في الدّنيا والآخرة.

حدّثني يعقوب بن إبراهيم، حدّثنا روحٌ، حدّثنا شعبة، حدّثنا أبو بشرٍ، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة، واليهود تصوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هذا اليوم الّذي ظهر فيه موسى على فرعون، فقال النّبيّ ﷺ: «**نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْهُمْ، فَصُومُوهُ**»(١).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي﴾ إلى قوله: ﴿وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ برقم (٤٧٣٧)، ومسلم في كتاب الصيام، باب صيام عاشوراء برقم (١١٣٠).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

صامه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وبنو إسرائيل شكرًا لله على أن أنجاهم من الغرق؛ فصامه عامّة قريشٍ وصامه النّبيّ ﷺ في الجاهليّة، ثمّ أمر بصيامه في الإسلام، وأكّد ذلك قبل نزول رمضان ثمّ قال: «**من شَاء صَامَ وَمَنْ شَاءَ أفطرَ**»، بعد نزول رمضان، وكان يصومه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ؛ صيام عاشوراء يكفّر الله به السّنة الّتي قبله.

● **س: إفراد يوم عاشوراء بالصّوم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

تركه أولى، الأفضل يصوم معه يومًا قبله أو يومًا بعده؛ لأنّ النّبيّ ﷺ قال: «**خالفوا اليَهُود صومُوا يومًا قبله أو يومًا بعدَه**»[1]، أفضلُ.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ [طه: ٨٩][2].

والمعنى: أين ذهبت عقول هؤلاء حتى عبدوا صورة عجل، لا يرد إليهم قولًا، ولا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا ولا يكلمهم ولا يهديهم سبيلًا. فعلم بذلك أن الله سبحانه هو الضار والنافع الذي يسمع الدعاء ويجيب المضطر إذا دعاه ويتكلم إذا شاء، وأن هذه الصفات من صفات الكمال التي يجب أن يكون المعبود بحق موصوفًا بها، وبخلاف الأصنام ونحوها، فإنها لا تسمع، ولا تنفع، ولا تضر، ولا تجيب من دعاها ولا ترجع إليه قولًا، ولا تهديه سبيلًا.

---

(١) رواه الإمام أحمد من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (١/ ٢٤١)، وابن خزيمة برقم (٢٠٩٥).

(٢) كتاب أركان الإسلام (ص١٤).

فكيف يجوز أن تعبد مع الملك الحق السميع المجيب، النافع الضار، العالم بكل شيء، والقادر على كل شيء، ولا إله غيره ولا رب سواه؟

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾﴾ [طه: ١١٧].

حدّثنا قتيبة، حدّثنا أيّوب بن النّجّار، عن يحيى بن أبي كثيرٍ، عن أبي سلمة بن عبد الرّحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: «**حَاجَّ مُوسَى آدَمَ، فَقال لَهُ: أَنْتَ الَّذِي أَخْرَجْتَ النَّاسَ مِنَ الْجَنَّةِ بِذَنْبِك، وَأَشْقَيْتَهُمْ، قال: قال آدَمُ: يَا مُوسَى، أَنْتَ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ، وَبِكَلَامِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي، أَوْ قَدَّرَهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي؟**» قال رسول الله ﷺ: «**فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

(أيوب بن النجار)؟ ماذا قال عليه الشّارح؟

(**من القارئ**): قال الحافظ: «سيأتي في القدر إن شاء الله».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: تكلّم عليه العيني؟

(**من الطّالب**): قال العيني: «وأيوب بن النّجار ـ بفتح النون وتشديد الجيم وبالراء ـ أبو إسماعيل الحنفيّ اليمامي».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ما أذكر أنّه روى لهذا الرجل؛ كأنّه ليس له إلّا هذا الحديث؛ كأنّه قليل الرّواية، أو البخاريّ رحمه الله روى عنه يسيرًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: راجع: «التقريب».

(القارئ) [قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «التّقريب» (٦٢٧)]: «أيوب بن النجار بن زياد الحنفيّ، أبو إسماعيل، قاضي اليمامة ويقال: اسم النجار يحيى، ثقةٌ مدلسٌ من الثامنة خ م س».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ويحيى بن أبي كثير أيضًا كذلك يماميٌّ، شيخه يماميٌّ أيضًا، يحيى.

- **س: كيف يا شيخ ثقةٌ وهو مدلّس؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: صدوقٌ جيدٌ صاحب عبادةٍ وعدالةٍ، لكن قد يدلّس؛ يعني: قد يروي لا يصرّح بالسماع، قد يروي عن أناسٍ ولا يبيّنهم، يرى أنّهم جيدون أو يرى أنّه لا حاجة إلى التّصريح بهم، المدلّسون موجودون، كثيرون في الرّواة.

قوله: (**حَاجَّ مُوسَى آدَمَ، فَقَال لَهُ: أَنْتَ الَّذِي أَخْرَجْتَ النَّاس مِنَ الجَنَّة بِذَنْبِكَ وَأَشْقَيْتَهُمْ**): اللّهمّ صلّ عليهما وسلم جميعًا من طبيعة موسى القوة ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

القدر ليس فيه حجةٌ للنّاس على المعصية، ولا يحتجّ بالقدر على المعاصي، كما في الحديث: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزَنّ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا؛ لكان كَذَا وَكَذَا، وَلَكِن قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ**».

المقصود: أنّ القدر يُحتجّ به عند المصيبة وبعد التّوبة، أمّا على الذّنب فلا، يجب الحذر من الذّنوب، وألا يحتج بالقدر، وعلى العبد البدار بالتّوبة، وآدم ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ احتجّ على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأمرٍ قد كتبه الله عليه بعد ما تاب الله عليه.

- **س: كأنّه ظاهر الحديث أنّه لامه على الذّنب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

[ولكن] مثل ما قال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ في «شفاء العليل»: بعض الرّوايات يرويها الرّواة بالمعنى لا بالألفاظ؛ فقد يكون في بعض ألفاظ الحديث أشياء قد لا يكون قالها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولكن تصرّف فيها الرّواة رووها بالمعنى، والحقيقة أنّه لامه على المصيبة لا على الذّنب.

• **س: أحسن الله إليك: المقصود بقوله:** ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [طه: ١٠٤]؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: اخترتك؛ يعني: اصطفاه جَلَّ وَعَلَا.

(السَّائِل): اصطفاك برسالاته واصطفاك لنفسه؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: اصطناعًا خاصًّا، اختيارًا خاصًّا؛ يعني: اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

* * *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢا بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤][1].

قد ذكر علماء التفسير عند هذه الآية ما يشرح معناها ويوضح معناها، قال الله جَلَّ وَعَلَا في كتابه العظيم في سورة طه: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢا بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾. قال ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ في الآية:

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٧٥).

تكفَّل الله لمن اتبع هدى الله أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، والمعنى: أن من اتبع الهدى واستقام على الحق الذي بعث الله به نبيَّه محمدًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ فإنه لا يضل في الدنيا، بل يكون مهتديًا مستقيمًا ولا يشقى في الآخرة بل له الجنة والكرامة، وهُدى الله هو ما دل عليه كتابه العظيم ـ القرآن ـ وسُنَّة نبيِّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ مِن فِعل الأوامر وترك النواهي وتصديق الأخبار التي أخبر الله بها ورسوله، والإقامة عند حدود الله وعدم تجاوزها. هذا هو الهدى، فاتباع الهدى هو تصديق الأخبار وطاعة الأوامر وترك النواهي والوقوف عند حدود الله، فلا يتعدَّ ما حدَّ الله له ولا يقع في محارم الله ﷻ، فمن استقام على هذا طاعةً لله وإخلاصًا له ومحبة له وتعظيمًا له وإيمانًا به وبرسله فإنه لا يضل في الدنيا بل هو على الهدى، ولا يشقى في الآخرة، بل هو سعيد في الدنيا والآخرة، ومن أعرض عن ذكر الله؛ يعني: عن كتاب الله وسُنَّة نبيِّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولم يتبع الهدى فإن له معيشة ضنكًا، والله ﷻ يبتليه بالمعيشة الضنك وهي ما يقع في قلبه من القلق والضيق والحرج ولو أوتي الدنيا كلها، فإن ما يقع في قلبه من الضيق والحرج والشك والريب هو العيشة الضنك، وهذا من العقاب المعجل وله يوم القيامة العذاب الأليم في دار الهوان في دار الجحيم، ومع هذا يحشره الله أعمى يوم القيامة.

فعلى العبد أن يحذر معصية الله، وأن ينقاد لشرع الله، وأن يستقيم على هداه الذي جاء به كتابه الكريم وسُنَّة رسوله الأمين، وأن يستقيم على الحق أينما كان، فهذا هو اتباع الهدى، والله سبحانه هو الموفق لعباده، فعلى المسلم والمسلمة أن يتضرع إلى الله، يسأله سبحانه التوفيق والهداية يجتهد في التفقه في الدين والتعلم والتبصر فيتدبر كتاب الله، ويكثر من تلاوته؛ حتى يستقيم على الأوامر، وينتهي عن النواهي وحتى يصدق أخبار الله عما كان وما يكون.

وهكذا يعتني بالسُّنَّة سُنَّة الرسول ﷺ حفظًا ودراسة ومذاكرة مع العلماء وطلبة العلم حتى يستقيم على الحق، ويسأل عما أشكل عليه، فالذي لا يعلم يسأل أهل العلم ويتبصَّر ويتفقَّه حتى يستقيم على هدى، وحتى يكون سيره إلى الله عن علم بما قاله الله ورسوله، إما بطلبه العلم واجتهاده في الخير وإما بسؤاله أهل العلم كما قال الله سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

ومن صدق في الطلب والضراعة إلى الله واجتهد في ذلك وأخلص لله قصده وابتعد عن مساخط الله، وجالس العلماء، وسألهم عما يجهله من دينه، فالله سبحانه يعينه ويوفقه، كما قال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]. ، وقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال: ٢٩]. والفرقان هو الهدى والنور، فمن اتقى الله، واجتهد في طلب العلم، وسأل عما أشكل عليه، وأخلص لله في ذلك فالله سبحانه يجعل له الفرقان، يعطيه العلم ويوفقه، ويهديه سبحانه فضلًا منه وإحسانًا ﷻ. هذا شأنه ﷻ مع أوليائه وأهل طاعته الصادقين في محبته واتباع ما يرضيه سبحانه، هم أهل البر والفضل يهديهم ويعينهم ويوفقهم.

* * *

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ **[طه: ١٢٤، ١٢٦]**[(١)].

هذا وعيد شديد لمن أعرض عن ذكر الله وعن طاعته فلم يؤدِّ

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٧٩).

حق الله، هذا جزاؤه، أن تكون له معيشة ضنكًا وإن كان في مال كثير وسعة، ولكن جعل في عيشته ضنكًا، لما يقع في قلبه من الضيق والحرج والمشقة فلا ينفعه وجود المال، يكون فيه حرج وفيه مشقة؛ بسبب إعراضه عن ذكر الله وعن طاعة الله ﷻ، ثم يحشر يوم القيامة أعمى.

فالمقصود: أن هذا فيمن أعرض عن طاعة الله وعن حقه ﷻ، ولم يبالِ بأمر الله، بل ارتكب محارمه، وترك طاعته ﷻ، فهذا جزاؤه، نسأل الله العافية.

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢][١].

هذه الآية الكريمة تتعلق بوجوب قيام الرجل على أهل بيته من زوجة وأولاد وخدم وأيتام يوجِّههم إلى الخير، ويأمرهم بطاعة الله وينهاهم عن معاصي الله؛ لأنه راعٍ عليهم **(وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)**. قال الله ﷻ يخاطب نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ هو رسول الله يأمر أهله والأهل يدخل فيه الزوجة والبنات والأخوات وجميع من في البيت من أقاربه، ويدخل فيهم أيضًا تبعًا لهم العمال والخدم؛ لأنهم تبع أهل البيت.

فالواجب على صاحب البيت أن يقوم على الجميع بما أوجب الله كأمرهم بالصلاة وتحذيرهم من معاصي الله، وكما في الحديث: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ**»[٢]، ويقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

---

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (١/ ٥٦٨).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده في كتاب الصلاة، باب يؤمر الغلام بالصلاة برقم (٤٩٥).

فأمر المؤمنين جميعًا أن يقوا أنفسهم وأهليهم عذاب الله، وذلك بالتوجيه والتأديب والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق، كل هذا من أسباب الوقاية، ومن يستحق الأدب يؤدب تارة بالتوبيخ، تارة بالضرب، تارة بالسجن إلى غير هذا من وجوه التأديب، ويقول النبي ﷺ للحسن لما أخذ تمرة من الصدقة: «**كَخْ كَخْ، إرْمِ بِهَا، أمَا عَلِمْتَ أنَّا لا نَأكُلُ الصَّدَقَةَ!؟**» هو صغير حين مات النبي ﷺ وهو ابن سبع؛ ولهذا أمره قال: دعها؛ لأن الله حرَّم الزكاة على بني هاشم قال: «**وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لآلِ مُحَمَّدٍ**»[1]، فهذا التعليم منه ﷺ للصبي الصغير حتى ينشأ على العلم الشرعي والأحكام الشرعية.

وكان عمر بن أبي سلمة المخزومي رضي الله عنه ربيب النبي ﷺ أمه أم سلمة تزوَّجها النبي بعد أبي سلمة لما تُوفِّي أبو سلمة في السنة الرابعة من الهجرة بجرح انتقض عليه يوم أُحد، تزوّجها النبي بعد ذلك كان عندها أولاد من أبي سلمة، منهم عمر، وكانت تطيش يده في الصَّحْفَةِ عند الطعام مرة يأكل من هنا ومن هنا، صغير، يمد إلى هنا وهاهنا فعلَّمه النبي ﷺ: «**يَا غُلامُ، سَمِّ الله تَعَالَى، وَكُلْ بيَمِينكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**» حتى يعتاد الآداب الشرعية، «**يَا غُلامُ، سَمِّ الله**»؛ يعني: قل: بسم الله عند الأكل، «**وَكُلْ بيَمِينكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**». هذا هو الأدب الشرعي في الأكل يُسمِّي الله أولًا، ثم يأكل بيمينه، ثم يأكل مما يليه، لا يأكل من جهة الناس الذين معه، يأكل مما يليه إلا إذا كان هناك أنواع لا بأس أن يتناول النوع الثاني في أنواع بعضها حوله، لا بأس من أن يأكل من النوع الآخر، وهذا كله من باب التأديب الشرعي والتعليم والتوجيه إلى ما فيه الخير للمُعلَّم.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث الفضل بن عباس في كتاب الزكاة، باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة، برقم (١٠٧٢).

وفي الحديث: يقول ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئوولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ رَاعٍ في أَهْلِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ في بيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ في مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»، ثم يقول ﷺ: «**أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»[1].

فالواجب على الرجل أن يحسن الرعاية لأهل بيته والمرأة كذلك، وهكذا العبد في مال سيده، وهكذا أمير البلد أمير العشيرة، رئيس العشيرة، كبير البيت، يعتني بمن تحت يده «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»، كلمة جامعة عظيمة من جوامع الكلم، وهكذا المرأة التي تحتها أولاد أو تحتها أيتام هي المسؤولة عنهم، هي راعية عليهم، أو تحتها أخوات صغيرات وما أشبه ذلك أو خادمات هي راعية، عليها أن تقوم عليه بما يلزم، هكذا لو كانت جدة أو كانت أختًا كبيرة، أو كانت عمة كبيرة، أو خالة تحتها أيتام تحتها صغار، هي المسؤولة حسب الطاقة تعلمهم، توجِّههم، تأمرهم، تنهاهم، تؤدبهم، مسؤولة.



(١) سبق تخريجه في (٣/ ٥٥٦).

تفسير آيات من سورة الأنبياء[(١)]

حدّثنا محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا غندرٌ، حدّثنا شعبة، عن أبي إسحاق قال: سمعت عبد الرّحمن بن يزيد، عن عبد الله، قال: «بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: هنّ من العتاق الأول، وهنّ من تلادي»[(٢)].

وقال قتادة: ﴿جُذَٰذًا﴾ [الأنبياء: ٥٨]: قطّعهنّ، وقال الحسن: ﴿فِي فَلَكٍ﴾ [الأنبياء: ٣٣]: مثل فلكة المغزل، ﴿يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]: يدورون، قال ابن عبّاسٍ: ﴿نَفَشَتْ﴾ [الأنبياء: ٧٨]: رعت ليلًا، ﴿يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٣]: يمنعون، ﴿أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢]: قال: دينكم دينٌ واحدٌ، وقال عكرمة: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: حطب بالحبشة، وقال غيره: ﴿أَحَسُّوا﴾ [الأنبياء: ١٢]: توقّعوا، من أحسست، ﴿خَامِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٥]: هامدين، حصيدٌ: مستأصلٌ، يقع على الواحد، والاثنين، والجميع، (لَا يَسْتَحْسِرُونَ) [الأنبياء: ١٩]: لا يعيون، ومنه حسيرٌ، وحسرت بعيري، ﴿عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧]: بعيدٌ، ﴿نُكِسُوا﴾ [الأنبياء: ٦٥]: ردّوا، ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ [الأنبياء: ٨٠]: الدّروع، (تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ) [الأنبياء: ٩٣]: اختلفوا، الحسيس والحسّ والجرس والهمس واحدٌ، وهو من الصّوت الخفيّ، ﴿ءَاذَنَّاكَ﴾ [فصلت: ٤٧]: أعلمناك، ﴿ءَاذَنتُكُمْ﴾

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة الأنبياء برقم (٤٧٣٩).

[١٠٩]: إذا أعلمته، فأنت وهو على سواءٍ لم تغدر، وقال مجاهدٌ: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٣]: تفهمون، ﴿ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]: رضي، ﴿ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ [الأنبياء: ٥٢]: الأصنام، ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]: الصّحيفة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: (هنَّ منَ العِتَاقِ الأُوَل): يعني: مما حفظها قديمًا في مكّة رضي الله عنه ورحمه.

وقوله: (لا يَعيَون)؛ يعني: لا يتعبون؛ يعني: ولم يعي من باب فعل.

﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾: لا يَعْيَون[١].

(**مِنَ القَارِئِ**): شكلها بالضم (يُعْيُون).

(**من الشّيخ**): ماذا قال عليه الشّارح؟ يعني: لا يتعبون، يسبحون الله بنشاطٍ وقوةٍ لا يفترون كما في الآية الأخرى.

○ **الجواب**: [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٤٣٦)]: «قوله: (**وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ لَا يَعِيبُونَ**): ومنه حسيرٌ وحسرت بعيري، هو قول أبي عبيدة أيضًا، وكذا روى الطّبريّ من طريق سعيدٍ عن قتادة في قوله: ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ قال: لَا يَعِيبُونَ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقال: (عَيَّا يَعْيَا) ويقال: (أَعْيَا يُعْيِي) عَيَّا يَعْيَا من الثلاثيّ، يَعْيَون؛ يعني: لا يتعبون ولا يفترون، أمَّا (يُعْيُون) فما لها محلٌّ هنا، الشكل غلطٌ.

(**القارئ**): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٤٣٦)]: «تنبيهٌ: وقع في رواية أبي ذرٍّ: يعيون بفتح أوله. ووهاه ابن التين وقال: هو من أعيي؛ أي: الصّواب بضم أوله». [انتهى كلامه].

---

(١) قرأها الطالب من نسخته: (يُعْيُون).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ليس بجيدٍ، لا، الصّواب الفتح.

(القارئ): [قال الإمام العيني رَحِمَهُ اللَّهُ في عمدة القارئ (١٩/ ٦٤)]: «(لا يعيون) بفتح الياء كذا وقع في رواية أبي ذرٍّ، ورد عليه ابن التّين، وقال: الصّواب الضّم من الإعياء. قلت: لا وجه للرّدّ عليه؛ بل الصّواب الفتح؛ لأنّ معنى: لا يعيون، بالفتح لا يعجزون، وقيل: لا ينقطعون».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما فيه شكٌّ، هذا ظاهر مثل «لا يفترون» سواء سواء، أمّا «يعيون» إذا أعياه غيره، «يعيون»؛ يعني: إذا أتعبه غيره وأعياه غيره، أمّا هم «لا يعيون»؛ يعني: لا يتعبون ولا يفترون؛ بل يسبحون بنشاطٍ وقوةٍ - عليهم الصّلاة والسّلام -.

● **س: أحسن الله إليك: في نسخةٍ:** ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾: **قال: لا يعيبون؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، (لا يَعْيَون) يعيبون ما لها محلٌّ، غلطٌ.

* *

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ **[الأنبياء: ٣٧]**[(١)].

على ظاهرها، خلق الله آدم، خلقه الله من تراب، تراب لما عجن بالماء صار طينًا، ثم صار طينًا لازبًا، ثم حمأً، ثم صلصالًا كالفخار،

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٨٠).

وجاء في الحديث: أنه لما نفخت فيه الروح أراد أن يقوم قبل أن يستكمل، أن تسلم الروح بدنه عجلته، ولهذا قال تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ﴾، وقال ﷻ: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١].

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ **[الأنبياء: ٤٤]**(١).

ذكر جمع من أهل العلم أن نقصان الأرض هو موت العلماء، وأن العلماء يموتون شيئًا فشيئًا وتشتد غربة الإسلام، كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ**»(٢)، ومن غربته قلة العلماء.

□ تفسير قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ﴾ **[الأنبياء: ١٠٤]**(٣)

حدّثنا سليمان بن حربٍ، حدّثنا شعبة، عن المغيرة بن النّعمان: شيخٍ من النّخع، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: خطب

(١) من برنامج نور على الدرب، رقم الحلقة (١١/٥٦١).
(٢) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، في كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا وإنه يأرز بين المسجدين برقم (١٤٦).
(٣) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح كتاب التفسير.

النّبيّ ﷺ فقال: «**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾، **ثُمَّ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ:** ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ **إِلَى قَوْلِهِ:** ﴿شَهِيدًا﴾ [المائدة: ١١٧]، **فَيُقَالُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ**»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمعنى: أن الله ﷻ يبعث النّاس كما بدأ، حفاةً ما عليهم نعالٌ، عراة ما عليهم ملابس، رجالهم ونساؤهم، غرلًا؛ أي: غير مختونين، ثمّ أوّل من يكسى إبراهيم ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ خليل الرّحمن، قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، الرّجال والنّساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «**يا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدّ من ذَلِكَ**»؛ ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾، الله أكبر، سبحان الله! ما أعظم شأنه!!.

هذه الأمم العظيمة الّتي لا يحصيها إلّا الله يعيدهم كما بدأهم، خرجوا من بطون أمهاتهم عراة حفاة غرلًا، هكذا يعيدهم يوم القيامة بين يديه ﷻ، حفاةً عراةً غرلًا، ثمّ يكسو أهل الإيمان، ويحشر أهل النّار إلى النّار، وأهل الإيمان يكسون الملابس العظيمة، والنّعيم المقيم، لكنّ الله ﷻ أعادهم كما بدأهم لحكمةٍ بالغةٍ، سبحانه وتعالى، الله أكبر.

وقوله: (لم يزالوا مرتدّين عَلَى أعْقَابِهِم منذ فارقتَهُم): هذه مصيبةٌ عظيمةٌ ـ نسأل الله العافية ـ الّذين ارتدّوا بعد موت النّبيّ ﷺ وغيرهم ممّن

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] برقم (٤٧٤٠)، ومسلم في كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٦٠).

ارتدّ يؤخذ بهم ذات الشّمال إلى النّار ـ نسأل الله العافية ـ فيقول: (أصحابي)، فيقال: (**إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، لَمْ يزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُذْ فَارَقْتَهُمْ**)، ويمنعون من حوضه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

وفي هذا الحذر من أسباب الرّدّة، وأن أهلها يحالون بين السّعادة والنّجاة.

والرّدّة: هي الكفر بعد الإسلام؛ يعني: تعاطي ما يجعله مرتدًّا، كافرًا بعد إسلامه، من سبٍّ للدّين، أو استهزاءٍ بالدّين، أو جحدٍ لما أوجب الله، أو استحلال ما حرّم الله.

ومن أراد أن يعرف هذا يراجع: باب حكم المرتدِّ، يجد أنواع الرّدّة، ومن ذلك ترك الصّلاة في أصح قولي العلماء، ترك الصّلاة ردةٌ، وجحد وجوبها ردّةٌ، وجحد وجوب الزّكاة ردّةٌ، وجحد وجوب صوم رمضان ردّةٌ، وجحد وجوب الحجّ لمن استطاع إليه سبيلًا ردّةٌ، إلى غير هذا، كذلك استحلال الزّنا، واستحلال اللّواط، واستحلال الخمر، استحلال عقوق الوالدين ردّةٌ، بعد أن يبيّن لمن جحد ذلك، إذا كان مثله يخفى عليه، نسأل الله العافية.

(**من الطّالب**): عندنا «ألا وإنّه يجاء برجالٍ من أمّتي»؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ماذا قال الشّارح عليه؟ لعلها رواية.

(**من الطّالب**): ما رأيت شيئًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

المعنى واحد، ما يخالف، ماشي.

وهذا يفيد الحذر، وأنّ الواجب على المؤمن أن يسأل ربّه الثّبات، وأن يجتهد في الاستقامة والمحافظة على دينه؛ لئلّا يرتدّ وهو لا يشعر، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

فيجب على المؤمن أن يتمسّك بالحقّ، ويتفقّه في الدّين ويلزم الطّريق السّويّ في أقواله وأعماله، ويسأل ربّه الثّبات هؤلاء أصحابه ﵃، رآهم النّبيّ ﷺ وآمنوا به في الظّاهر وصدّقوه؛ ثمّ انحرفوا لما مات ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

وهكذا وقع ذلك يوم الرّدّة، كثيرٌ من العرب الّذين عرفهم انحرفوا وماتوا على الدّين الباطل؛ قتلهم الصّحابة ﵃، وبعضهم مات على كفره وضلاله.

فهذا يفيد الحذر، إذا كان من قد رأى النّبيّ ﷺ وسمع منه آمن به ثمّ ارتدّ بسبب شبهةٍ رآها، مثل موت النّبيّ ﷺ فكيف بحال من هو في القرن الخامس عشر؟! فالأمر عليه أخطر؛ لعظم الجهل؛ وقلّة العلم وطول المدّة، وبعد العهد النّبويّ فهذا يوجب الحذر.

وفيه أنّه ﷺ لا يعلم الغيب، الغيب لله ﷻ، ولهذا يقول: **(أصحَابِي. فيُقَال: إنَّك لا تدرِي مَا أحدَثُوا بَعْدَكَ)**. **(لا تَدْرِي)** ما حدث بعده لا يدري عنه ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

فقال: **(فَأَقُولُ كَمَا قال العَبْد الصَّالِحُ:** ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المَائِدَة: ١١٧]». في اللّفظ الآخر: **«فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي»**(١).

وفي هذا فضل إبراهيم خليل الرّحمن، وأنّه أوّل من يكسى يوم القيامة؛ هذه منقبةٌ عظيمةٌ، وفضلٌ كبيرٌ للخليل ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، وهو والد الأنبياء، وهو أفضل الأنبياء وخيرهم بعد نبيّنا محمّدٍ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، فإنّ أفضلهم محمّد ﷺ، ثمّ إبراهيم ـ عليهم الصّلاة والسّلام ـ.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب القدر، باب في الحوض برقم (٦٥٨٤)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب إتيان حوض نبينا وصفاته برقم (٢٢٩١).

وهذه منقبةٌ له في هذا الموقف العظيم أنّه أوّل من يكسى ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ماذا قال الشّارح على المغيرة بن النعمان؟ تعرّض له العيني؟

(القارئ): [قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «عمدة القاريّ» (١٩/ ٦٥)]: «قوله: **(من النخع)**: بفتح الخاء والنّون المعجمة وبالعين المهملة: وهي قبيلةٌ كبيرة من مذحج، واسم النّخع: جسر بن عمرو بن علّة بن جلد بن أدد، وقيل له: النخع؛ لأنّه انتخع عن قومه؛ أي: بعد عنهم، ونزلوا في الإسلام الكوفة». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

راجع: «التقريب» «المغيرة بن النعمان».

(القارئ): [قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التّقريب» (٦٨٥٢)]: «المغيرة بن النّعمان النّخعي الكوفي ثقةٌ من السّادسة، خ م د ت س».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

غيره أحد، المغيرة بن النعمان؟

(من القارئ): لا.

• **س: عفا الله عنك، أهل الكبائر الّذين قضى الله أن يكونوا من المسلمين الّذين قضى الله أن يكونوا من أهل النّار، يأخذون كتابهم باليمين أو بالشّمال؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

باليمين، المسلمون كلّهم بأيمانهم، لكن يصيبهم ما كتب الله عليهم، كلّ مسلمٍ يأخذ كتابه بيمينه.

• **س: أحسن الله إليك، الّذين يقفون في ظلّ عرشه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه، هل يقفون مع الّذين تدنو منهم الشّمس يوم القيامة؟**

• **س: الله أعلم، كلّ مسلمٍ يقيه الله حرّ الشّمس، المسلم يقيه الله**

حرّ الشّمس، حرّ الشّمس على أعداء الله؛ لحديث: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاس»[١].

المسلمون في نعمةٍ وعافية، ﴿عَسِيرٌ ۝ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝﴾ عسره وشدّته على أعداء الله.

• **س: قول النّبيّ ﷺ: «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْم القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ»[٢]، ما يدلّ على أن النّبيّ ﷺ يعرف من كان مسلمًا، وأن هؤلاء غير مسلمين؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

قد يكون لها أسبابٌ، أصحابي أصحابي، قد يكون أسباب هناك جعلته يقول هذا الكلام، وإلّا كلّ كافرٍ ما يأتي غرلًا محجلًا، إنّما هذه علامة المؤمنين السعداء.

• **س: المقصود بالإحداث بارك الله فيك؛ يعني: الإحداث عامٌّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

الرّدّة يعني، ولهذا فسّرها بقوله: «لم يزالوا مرتدِّينَ منذ فارقتهم»، أمّا حدث المعاصي، فتحت مشيئة الله.

* *

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ١٠٧][٣].

الآية على ظاهرها، الله سبحانه أرسل نبيَّه محمد ﷺ رحمة

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه (٤/ ١٤٧).

(٢) متفق عليه من حديث نعيم بن المجمر رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب فضل الوضوء والغر المحجَّلين من آثار الوضوء برقم (١٣٦)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء برقم (٢٤٦).

(٣) من برنامج نور على الدرب، رقم الحلقة (٦١١/ ٤).

للعالمين، فهو رسول الله إلى الجن والإنس إلى الجميع، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، فهو رسول الله إلى الجميع وهو رحمة الله إلى العالمين، بأسباب رسالته وطاعة أوامره ينزل الغيث، وينتفع العالم كله الدواب والشجر والجن والإنس والحيوانات، وتقوم الحجة على الكافر، ويُبلَّغ الرسالة، فهو رحمة للعالمين جميعًا، فمن دخل في رسالته كانت الرحمة كاملة في حقه، ودخل الجنة، ونجا من النار، ومن لم يدخل قامت عليه الحجة، وانتفت المعذرة، وصار بذلك قد رحم من جهة بلاغه ومن جهة إنذاره حتى لا يقول: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩]، فهي نوع من الرحمة، ثم ما يحصل من الخير من الغيث الذي ينتفع به الكافر والمسلم، وما يحصل من الأمن في العهود والمواثيق يحصل به الرحمة والخير للمسلم والكافر، إلى ما أشبه ذلك من الخيرات التي تقع بأسباب هذه الرسالة، حتى للكافر، حتى للدواب! فهو ﷺ رحمة للعالمين جميعًا، لكن من دخل في الإسلام واستقام على الدين صارت الرحمة في حقه أكثر وأكمل، ومن لم يدخل في دين الله نال من الرحمة بقدر ما حصل له من الخير من غيث وأمنٍ ورزق واسع بأسباب هذه الرسالة، ومن أمنه في بلاده بالعهود والمواثيق التي بينه وبين المسلمين إلى غير ذلك من أنواع الرحمة.



تفسير آيات من سورة الحج(١)

وقال ابن عيينة: ﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]: المطمئنّين، وقال ابن عبّاسٍ في ﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]: إذا حدّث ألقى الشّيطان في حديثه، فيبطل الله ما يلقي الشّيطان، ويحكم آياته، ويقال: ﴿أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]: قراءته، ﴿إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ [البقرة: ٧٨]: يقرؤون، ولا يكتبون، وقال مجاهدٌ: ﴿مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]: بالقصّة: جصّ، وقال غيره: ﴿يَسْطُونَ﴾ [الحج: ٧٢]: يفرطون، من السّطوة، ويقال: يسطون: يبطشون، ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤]: ألهموا إلى القرآن، ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤]: الإسلام، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿بِسَبَبٍ﴾ [الحج: ١٥]: بحبلٍ إلى سقف البيت، ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ [الحج: ٩]: مستكبر، ﴿تَذْهَلُ﴾ [الحج: ٢]: تشغل.

❒ تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: ٢].

حدّثنا عمر بن حفصٍ، حدّثنا أبي، حدّثنا الأعمش، حدّثنا أبو صالحٍ، عن أبي سعيدٍ الخدريّ قال: قال النّبيّ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ، قال: يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قال: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ ـ أُرَاهُ قال ـ تِسْعَمِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ**

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

الْحَامِلُ حَمْلَهَا وَيَشِيبُ الْوَلِيدُ، ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾، **فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ، فَقال النَّبِيُّ ﷺ: مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَمِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ، ثُمَّ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الأَبْيَضِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قال: ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قال: شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا**». قال أبو أسامة، عن الأعمش: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾، قال: «**مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ**»، وقال جريرٌ، وعيسى بن يونس، وأبو معاوية: «سَكْرَى وَمَا هُمْ بِسَكْرَى»[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا يبيّن أن الخطب عظيمٌ جدًّا والهول شديدٌ، ولا سيّما عند الأمر بإخراج بعث النّار، وأن بعث النّار من كلّ ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعون، وهذا يدلّ على كثرة الهالكين، نسأل الله العافية.

وأنّ النّاجي من الألف واحدٌ يوم القيامة، وهم ألفٌ إلّا واحدًا كلّهم في النّار، وأن معظم ذلك من يأجوج ومأجوج وبقية الكفرة.

وهذا يدلّ على أن يأجوج ومأجوج من جملة ذرّية آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهم من ذرّية آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بلا شكّ عند أهل العلم، ولهذا قال: «**أخرج من ذريتك**» وذكر منهم يأجوج ومأجوج وهم من ذريته.

وما ذاك إلّا لانحرافهم من قديم الزّمان عن الرّسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، وعدم استجابتهم للرّسل مع كثرتهم. وذلك أيضًا معلومٌ من جهة الأدلّة الكثيرة

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: ٢] برقم (٤٧٤١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب قوله: «يقول الله لآدم: أخرج بعث النار، من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين» برقم (٣٧٩، ٢٢٢)

في قصّة ذي القرنين، وما جرى له هناك في الشّرق مع يأجوج ومع التّرك، وهم في النّاحية الشّرقية في أقصى الشّرق، ويغلب على ظني - والله أعلم - أنّهم من جنس الصّين الشّرقية، وأن الصّين الشّرقيّة وما حولها فيهم هذه الطائفة. نسأل الله السّلامة.

وهذا يدلّ على عظم الهول يوم القيامة، وأن أهوال يوم القيامة عظيمةٌ وشديدةٌ، وأن طريق الأمن والسّلامة هو الاستقامة على أمر الله هنا في هذه الدار.

فالاستقامة هنا والثبات على الحقّ هو طريق الأمن، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وفي هذا الدّلالة على أن أكثر الخلق، أكثر النّاس إلى النّار، وما ينجو إلّا القليل، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقال ﷻ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠].

في هذا أن الأمر بإخراج بعث النّار يكون من أسباب شدّة الهول يوم القيامة، إذا قال الله لآدم عليه السلام: أخرج بعث النّار من كلّ ألفٍ تسعمائة وتسعةً وتسعين، وفي هذا دلالةٌ على أن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم عليه السلام، وأنّهم من بني آدم، وأن أكثر بعث النّار منهم، من كلّ مائة ألف تسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج، وواحدٌ من بقية النّاس.

وفي هذا إثبات الكلام، وأنّ الله يتكلّم إذا شاء بصوتٍ يسمعه المكلَّم، وكما سمعه موسى عليه السلام لما كلمه، وكما سمعه محمّدٌ ﷺ لما كلّمه في المعراج، وكما يسمعه النّاس يوم القيامة: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا**

سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ»، ويسمعه آدم عليه السلام يوم القيامة، ويسمعه أهل الموقف، ويسمعه أهل الجنّة، كلامٌ يليق بالله، وصوتٌ يليق به سبحانه، لا يشابه صوت خلقه ولا كلام خلقه سبحانه وتعالى.

وفيه تأييد ما قاله أهل السّنّة، أنّ الله يتكلّم بحرفٍ وصوتٍ مسموعٍ، كما بيّنه أبو العبّاس في «الواسطية»، وغيره من أهل العلم، خلافًا للمعتزلة والجهميّة، وأشباههم من نفاة الصّفات.

• **قال سماحة الشيخ ابن باز** رحمه الله:

ماذا قال على (ينادي وينادى) ضبطها عندك؟ المعروف فينادي؛ يعني: الرب عز وجل بصوتٍ، وهو من حجّة أهل السّنّة والجماعة أنّه جل وعلا يتكلّم بحرفٍ وصوتٍ كما تكلّم بالقرآن سبحانه وتعالى، ولكن من جهة الرّواية (ينادى، وينادي) فهو مبنيٌّ للمجهول، والمنادي معلوم. تكلّم عليه الشّارح؟

(من القارئ): قال: سيأتي شرحه في كتاب الرقاق.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: الصحابي أبو هريرة رضي الله عنه؟

• **س: من كلّ ألفٍ تسعمائةً على تقدير مفعولٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يعني: أخرج على حذف فعل الأمر.

• **س: قوله: (مشيدٌ) بأن... بالجص القصر المشيد؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لأنّ الشّيد يطلق على الجص، ويقال معنى مشيد: المشيّد المرفوع يعني.

• **س: يطلق على الجص ويطلق على الرفع على الأمرين يعني؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

على التشيد بمعنى الرفع نعم، مشتركٌ.

(من الطّالب): في «إرشاد الساري» ضبط فينادى قال: بفتح الدال.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: فقط وسكت؟

(القارئ): إي نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: والعيني؟

(القارئ) [قال الإمام العيني رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح العمدة (١٩/٦٨)]: «قوله: (**فينادي**)، على صيغة المعلوم». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: فقط؟

(القارئ): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

سبحان الله! هذا يجزم (فينادي) وهذا يجزم (فينادى) سبحان الله! هو جاء بهذا وهذا والرّواية الثانية (ينادي) تفسّر (ينادى)، وأن المنادي هو الله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هو الّذي يأمره؛ لأنّ في الحديث أن الله يأمره.

ثم هذا أمر معلومٌ؛ لأنّ الله جَلَّ وَعَلَا يكلّم أنبياءه ورسله بصوتٍ يسمعونه كما كلّم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وكلّم محمّدًا ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، وأنزل القرآن على جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسمعه جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ من الله عَزَّ وَجَلَّ.

في حكايةٍ مناظرةٍ ذكرها ابن القيم وغيره بين سنّيٍّ وبدعيٍّ ينكر الكلام المسموع ويقول: الكلام معنًى قائمٌ بالله، كما تقوله الأشاعرةُ والكلّابيّة وأشباههم؛ فيقول هذا الكلام الّذي هو القرآن: حكاية وعبارة ولهذا قالوا: إنه مخلوقٌ، وضلّوا به عن سواء السّبيل.

فقال الأشعريّ والكلّابيّ وأشباههم ممّن قال: إنّ الكلام معنًى قائمٌ بالله: ما حجّتك إذا قال لك يوم القيامة: من أين قلت: إن كلامي بحرفٍ وصوتٍ؟

فقال السّنّي: أقول: يا ربّ ها أنا أسمع كلامك بحرفٍ وصوتٍ.

قال: فبهت المبتدع وانقطع. الله المستعان.

• س: عفا الله عنك: وحينئذٍ تضع الحامل، يدلّ على أن الحامل يوم القيامة تأتي بحملها؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: ظاهر الآية هكذا.

• س: الّتي تضع حملها خاصٌّ بعد إخراج بعث النّار؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: ظاهر النصّ هكذا.

• س: المراد ببعث النّار هل هم أهل الخلود أم فيهم عصاة الموحدين؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ظاهر الحديث أنّهم أهلها الّذين هم يقيمون فيها، نسأل الله العافية.

• س: هذا بعد الحساب؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لا، ظاهره قبل ذلك الشدة، بعد الحساب تنتهي المشكلات.

• س: أحسن الله إليك؛ يعني: آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ **يجعل له علامة يعرف بعث النّار؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

كأنّ الظّاهر هذا، أقول: ظاهر السّياق أن الله قد أعطاه علامةً، وأن أمره منفّذ.

وفي هذا أيضًا من الفوائد، التكبير عند البشارة بالخير، وعند سماع البشارة بالخير، لما قال: **(إني لأرجو أن تَكُوْنوا ربعَ أَهْل الجَنَّة)**؛ كبّروا، ما صفقوا، كبّروا، **(إِنِّي لأَرْجُو أن تَكُوْنُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ)** كبّروا، **(نصفَ أَهْلِ الجَنَّةِ)** كبّروا، وكان إذا رأى شيئًا يعجبه كبّر، أو قال: سبحان الله، وإذا رأى شيئًا ينكره كبّر، وقال: «سبحان الله»، هكذا السّنّة، أمّا التّصفيق فهو للنّساء ليس للرّجال.

وفيه أنّ المراد بذلك؛ يعني: المؤمنين، ما هو الصّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

خاصّة؛ يعني: المؤمنين بمحمدٍ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ هم نصف أهل الجنّة، وفي بعض الأحاديث أنّ أهل الجنّة مائةٌ وعشرون صفًّا، وأن هذه الأمة ثمانون صفًّا؛ يعني: الثّلثين.

● **س: صحيحٌ هذا أحسن الله إليك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: يحتاج إلى تأمّلٍ في طرقه.

● **س: أحسن الله إليك، التكبير الجماعي؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: بدعةٌ.

● **س: أحسن الله إليك، هل ثبت عن النّبيّ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ أنّه إذا أجاب أحدًا من الصّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لبيك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لبّيك مستعملةٌ، للنبيّ ﷺ ولغير النّبيّ ﷺ، أقول: لبّيك كلمةٌ يجاب بها، لبّيك: نعم؛ يعني: ما أعرف؛ يعني: شيئًا خاصًّا.

● **س: أحسن الله إليك: حديث: «إِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَر أَهْل النَّارِ»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: يعني: النّساء نعم.

● **س: ما فيه تعارضٌ مع هذا الحديث؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: لا، ما يتعارض.

● **س: أحسن الله إليك يا شيخ، بعض النّاس في التّكبير الجماعيّ في أيّام العيد يقولون من باب التعليم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لا، ما يصير جماعيًّا، كلٌّ يكبّر على حاله، الكلّ يكبّر على حاله يوم العيد وغيره.

● **س: النّساء إذا كنّ مجتمعين والنّساء تصفّق؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

المعروف أنّه مثل ما قال ﷺ: **«التَّسْبِيحُ لِلرِّجَالِ، وَالتَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ»** زاد مسلمٌ: **«في الصَّلَاة»**، أمّا في الصّلاة فلا شكّ، أمّا في غير الصّلاة

فالأمر في هذا أوسع، ما فيه شيءٍ يدلّ على النّهيّ عنه، وقد يقال: تركه أولى؛ لقوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥].

المكاء الصّفير، والتّصدية الصّفيق، قد يقال: إن هذا يعمّهنّ، لكن ظاهر إطلاق الأحاديث الصّحيحة التصفيق للنساء، أنهن إذا نابهنّ شيءٌ صفقن؛ لأنّ أصواتهن قد تفتن، إذا نابهنّ شيءٌ، استأذن أحدٌ، طرق الباب صفّقت أو دعت الحاجة إلى تصفيقها، فلا بأس إن شاء الله.

• س: أحسن الله إليك، الأمم السّابقة ما لهم ذكرٌ في الحديث، لما قال: يأخذ من كلّ ألف تسعمائة وتسعةً وتسعين، ومنكم واحدٌ الأمة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

من بقية الأمة، من بقية النّاس، من بقية بني آدم، كلّهم بنو آدم.

• س: أحسن الله إليك، قوله: «إني رأيتكن أَكْثَر أَهْل النَّار»؛ يعني: من هذه الأمة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

النّساء عمومًا، ظاهر الحديث النّساء عمومًا؛ لأنهنّ يكثرن اللّعن، ويكفرن العشير، هذا وصفٌ لهنّ قديمًا وحديثًا.

• س: لكن أحسن الله إليك، ما يدلّ هذا الحديث على أن أكثر أهل النّار من يأجوج ومأجوج، وقوله: «إني رأيتكن أَكْثَر أَهْل النَّار»؛ يعني: من هذه الأمة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ظاهر الإطلاق العموم.

• س: يأجوج ومأجوج ما فيهم نساء؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

فيهم نساءٌ ورجالٌ، يأجوج ومأجوج من جنس بني آدم.

• س: أحسن الله إليك، التكبير عند الحريق هل يرفع الصّوت فيه؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما فيه أحاديث صحيحةٌ، التكبير عند الحريق ما فيه أحاديث صحيحة، لكن إذا كبّر فلا بأس، من باب تعظيم الله ورجاء إطفائه الحريق، كما قال بعض السّلف يروى فيه أحاديث، لكن لا أعرف فيه حديثًا صحيحًا، التكبير عند الحريق، لكنّه من أسباب إطفائه، مع أخذ الأسباب الحسّيّة، مع الأسباب الحسّيّة.

● **س: أحسن الله إليك: الحديث عن النّبيّ ﷺ: «عُرضت علي النَّار فرأيت أَكْثَر أهلها النِّسَاء»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: في «الصّحيحين».

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [١١][١]

شكٌّ، ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١، ١٢]، ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾ [المؤمنون: ٣٣]: وَسَّعْنَاهُم.

حدّثني إبراهيم بن الحارث، حدّثنا يحيى بن أبي بكيرٍ، حدّثنا إسرائيل، عن أبي حصينٍ، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ قال: «كَانَ الرَّجُلُ يَقْدَمُ الْمَدِينَةَ، فَإِنْ وَلَدَتِ امْرَأَتُهُ غُلَامًا، وَنُتِجَتْ خَيْلُهُ قال: هَذَا دِينٌ صَالِحٌ، وَإِنْ لَمْ تَلِدِ امْرَأَتُهُ، وَلَمْ تُنْتَجْ خَيْلُهُ قال: هَذَا دِينُ سُوءٍ»[٢].

---

(١) شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾... إلخ برقم (٤٧٤٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من ضعف الإيمان، وقلة البصيرة، وعدم اليقين، كما قال ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾؛ يعني: على طرف، ليس عنده اليقين الكامل والبصيرة الكاملة ﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦ﴾ يعني: عاش أولاده وطاب رزقه من الدّنيا اطمأنّ. ﴿وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ﴾ فقرٌ وحاجةٌ أو موتُ ولدٍ أو ما أشبه ذلك، ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾.

أمّا المؤمن فلا، المؤمن بصيرٌ، إن أصابته ضرّاء صبر؛ فكان خيرًا له، وإن أصابته سراء شكر؛ فكان خيرًا له. هكذا المؤمن البصير.

أمّا ضعيف الإيمان ومن كان على شكٍّ ليس عنده اليقين؛ فينحرف عند أقلّ شيءٍ ـ نسأل الله العافية ـ ومعلومٌ أن الإيمان ما يستقيم مع الشّكّ.

فالمقصود هنا: ﴿حَرۡفٖ﴾ الأقرب ـ والله أعلم ـ: هو ضعف البصيرة، وعدم اليقين الكامل؛ يعني: عدم قوّة الإيمان.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ [الحج: ١١]؛ يعني: ما تمكّن الإيمان من قلبه ﴿عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾؛ يعني: على طرفٍ ليس عنده تمكّنٌ في الدّين؛ فإن وجد ما يعجبه رغب وإلّا انحرف، نسأل الله العافية، لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

تكلّم على إبراهيم بن الحارث الحافظ أو العيني؟

(القارئ): [قال الإمام العيني رَحِمَهُ اللَّهُ في عمدة القارئ (١٩/ ٦٩)]: «وإبراهيم بن الحارث الكرماني سكن بغداد، روى عنه البخاريّ حديثين أحدهما هنا والآخر في الوصايا».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

غريبٌ، حكمٌ غريبٌ. ماذا قال في «التّقريب» عليه؟

(**القارئ**): [قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التّقريب» (١٥٩)]: «إبراهيم بن الحارث بن إسماعيل البغدادي، أبو إسحاق، نزيل نيسابور، صدوقٌ من الحادية عشرة، مات سنة خمس وستين خ د».

قال ابن بازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من صغار شيوخه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو يروي عن شيخه يحيى بن أبي بكير، يحيى أيضًا شيخ له رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

• **س: هو يحيى بن بكير؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم ذاك الآخر يحيى بن عبد الله بن بكير غير هذا.

• **س: أحسن الله إليك: قصّة الغرانيق ثابتةٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فيها اختلافٌ بين أهل العلم، فيها أحاديث مرسلةٌ كثيرةٌ، منهم من أثبتها، ومنهم من لم يثبتها، ومن أثبتها احتجّ بقوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢] تمنّى؛ يعني: تلا وقرأ. فهذا من إلقاء الشّيطان ثمّ ينسخ الله ما ألقاه الشّيطان ويحكم الله آياته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

(**السّائل**): ويكون إلقاء الشّيطان على...؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

في التلاوة؛ يعني: يظنّونها من كلام النّبيّ ﷺ، وليست من كلام النّبيّ ﷺ، وليست من قراءته ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ.

• **س: ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾؛ يعني: ارتدّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم، نسأل الله العافية.

• **س: أحسن الله إليك، قوله: كان الرّجل يقدم المدينة هذا يدلّ على أنّهم كانوا يأتون من خارج المدينة من الأعراب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يسلمون يأتون مسلمين إلى النّبيّ ﷺ، يأتون المسلمين.

❊

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩].

حدّثنا حجّاج بن منهالٍ، حدّثنا هشيمٌ، أخبرنا أبو هاشمٍ، عن أبي مجلزٍ عن قيس بن عبادٍ، عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أنّه كان يقسم فيها قسمًا: إنّ هذه الآية: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ نزلت في حمزة، وصاحبيه، وعتبة، وصاحبيه يوم برزوا في يوم بدرٍ»، رواه سفيان، عن أبي هاشمٍ، وقال عثمان: عن جريرٍ، عن منصورٍ، عن أبي هاشمٍ، عن أبي مجلزٍ قوله[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهؤلاء لا شكّ أنّهم خصمان، ولكن الآية أعمّ من ذلك، وهذا كالمثال ﴿خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾، المسلمون والكفّار خصومٌ، ومن ذلك عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصاحباه، وعتبة بن ربيعة وأخوه وابنه، يوم بدرٍ، فإنّهم لما التقى الصفّان؛ برز عتبة بن ربيعة بن عبد شمسٍ، وأخوه شيبة بن ربيعة بن عبد شمسٍ، والوليد بن عتبة بين الصّفّين، وقالوا: من يبارز؟ فقام إليهم ثلاثة من الأنصار للمبارزة، فسألوهم: من أنتم؟ قالوا: من الأنصار، فقالوا: ثلاثةٌ أكفْاء كرامٌ، نريد من قومنا؛ يعني: من قريشٍ، فقال النّبيّ ﷺ لعليٍّ، ولحمزة ولعبيدة بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم: **«قوموا إليهم»**،

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ برقم (٤٧٤٣)، ومسلم في كتاب التفسير، باب في قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ برقم (٣٠٣٣).

فقاموا إليهم وبارزوهم؛ ونصر الله حزبه عليهم، فقُتل عتبة، وقتل شيبة، وقتل الوليد، كلّهم قتلوا؛ حمزة رضي الله عنه قتل شيبة، وعليٌّ رضي الله عنه قتل الوليد بن عتبة، وعبيدة بن الحارث اختلف مع عتبة ضربتين، كلّ واحدٍ ضرب الآخر، فدفّف حمزة وعليٌّ رضي الله عنهما ذفّف على عتبة حتّى قضيا عليه، وقتلاه، ونقل عبيدة جريحًا إلى النّبيّ ﷺ، ثمّ توفّي شهيدًا رضي الله عنه بعد ثلاثة أيامٍ.

فهذان خصمان، وهكذا بقية المؤمنين خصومٌ مع أعداء الله، هؤلاء دعاةٌ إلى ربّهم، دعاةٌ إلى الإيمان، وأولئك دعاة الكفر والضّلال.

قوله: (**يقسم فِيْهَا قسمًا أنَّ**)؛ يعني: يحلف تأكيدًا، من الحلف؛ يعني: أن هذه الآية نزلت في كذا.

• **س: أحسن الله إليك؛ يعني: بفتح الهمزة أم بكسر الهمزة «يقسم قسمًا إن هذه الآية»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الظّاهر أنّ الفتح أحسن على تقدير على.

* *

حدّثنا حجّاج بن منهالٍ، حدّثنا معتمر بن سليمان قال: سمعت أبي قال: حدّثنا أبو مجلزٍ، عن قيس بن عبادٍ عن عليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه قال: «أنا أوّل من يجثو بين يدي الرّحمن للخصومة يوم القيامة»، قال قيسٌ: وفيهم نزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ﴾ قال: هم الّذين بارزوا يوم بدرٍ: عليٌّ وحمزة وعبيدة، وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

• **س: أحسن الله إليك: تخصيص علي رضي الله عنه أنّه هو أوّل من يجثو بين يدي الرّحمن؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كأنّه سمع هذا من النّبيّ ﷺ؛ يعني: هو وصاحباه؛ يعني: هو وحمزة، وعبيدة بن الحارث بن المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، يأتون يوم القيامة لإظهار ما هم عليه من الحقّ، وبطلان ما عليه عتبة وصاحباه من الباطل، وأنّهم خاصموهم فخصموهم، وأظهرهم الله عليهم.

والمقصود ـ والله أعلم ـ: إظهار هذا الأمر للنّاس يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، وأن هؤلاء محقّون وهؤلاء مبطلون، هؤلاء ظالمون وهؤلاء مظلومون: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣١]، إنّ الأمر لعظيمٌ، الله أكبر.

● **س: أحسن الله إليك: تخصيص الأوّلية؛ يعني: هذا أوّل مشهدٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كأنّه ـ والله أعلم ـ عندما تعرض القضايا على الله يوم القيامة، عندما يؤذن للنّاس في الخصومة، عندما يؤذن للنّاس يأذن الله للقضاء بين عباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

● **س: الحافظ في أوّل السّورة أورد لقصة الغرانيق طرقًا كثيرة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا اعتنى بها، وممن أثبتها الشّيخ محمّد بن عبد الوهّاب رَحِمَهُ اللَّهُ وجماعةٌ أثبتوها؛ لأنّ لها طرقًا كثيرةً، وجماعةٌ آخرون من المتأخّرين شدّدوا في إنكارها، والأمر في هذا عندي واسعٌ، الأمر في هذا سهلٌ؛ لأنّ نصّ القرآن واضحٌ في هذا الأمر أن الشّيطان يلقي، والله ينسخ الباطل ويحكم الحقّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

● **س: أحسن الله إليك: الخصومة يوم القيامة أو يقضى عليه عند الموت؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

القضاء حاصلٌ، لكن إظهار باطل المبطل وإظهار حقّ المحقّ الخصومة لإظهار الحقّ وإبطال الباطل على رؤوس الأشهاد يوم القيامة.

● **س: أحسن الله إليك: بالنّسبة «اختصموا» جمعهم وهم فريقان؟ «اختصموا» جمعٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إيه؛ لأنّ كلّ خصمٍ معناه جماعةٌ: ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ إذا صار مفرد المثنى جماعةً، ثمّ أيضًا يجوز أن يخبّر عن المثنّى بالجمع لكنّه قليلٌ.

وهذا فيه إخبارٌ عن المثنّى بالجمع؛ رعاية لأنّ الخصوم جماعة ما هم اثنان فقط، ستة، خصم الباطل ثلاثة، وخصم الحقّ ثلاثة. الله أكبر.

وهذا من جنس قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل: ٤٥]، كلّ فريقٍ جماعةٌ.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ **[الحج: ٢٧، ٢٨]**(١).

لقد ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هذه المنافع في قوله جَلَّ وَعَلَا في سورة الحج بعد ما أمر نبيَّه وخليله إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ببناء البيت الحرام:

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة المجلد السابع عشر. (ص١٦١) ط٢ ـ ١٤٢٣هـ طبع دار المؤيد للنشر والتوزيع الرياض.

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾.

ومن هذا ذكر بعض المفسرين ـ رحمهم الله تعالى ـ المنافع التي تحصل للحجاج: دنيوية وأخروية مما يشاهده ويحس به الفرد المسلم في نفسه وفي أمته. فمن المنافع الدنيوية التي يلمسها الناس البيع والشراء، ومكاسب أصحاب الحِرَف التي تتعلق بالحجاج والحركة المستمرة في وسائل النقل المختلفة، وفائدة الفقراء مما يُدفَع لهم من صدقات أو يُقدَّم من ذبائح الهدي والضحايا والكفارات عن كل محظور يرتكبه المحرم، وتسويق البضائع والأنعام إلى غير ذلك مما يلمسه كل مسلم يشارك في الحج، ومن المشاهد أن الله سبحانه يسهل النفقة والبذل فيه على الإنسان حتى تجود يده بما لم يَجُد به من قبل في حياته العادية، علاوة على ما في الحج من التعارف فيما بين المسلمين والتعاون على مصالحهم.

أما المنافع الدينية التي تعود على الحجيج بالخير الجزيل من أعمال الآخرة فمنها: التفقه في الدين، والاهتمام بشؤون المسلمين عمومًا، والتعاون على البر والتقوى، والدعوة إلى الله سبحانه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والاستكثار من الصلاة والطواف وذكر الله ﷻ، والصلاة والسلام على نبيِّه ﷺ، والفوز بما وعد الله به الحجَّاج والعمَّار، من تكفير السيئات، والفوز بالجنة، وتنزُّل الرحمة على عباد الله في هذه المشاعر العظيمة. وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ**». رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها[(١)]. وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا**

---

(١) في كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة برقم (١٣٤٨).

بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ» متفق عليه[١]. وفي «صحيح البخاري» عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»[٢]، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

• **أرجو من سماحتكم توضيح الآية:** ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ **هل الأحسن للمقيم بمكة الطواف بالبيت أم الصلاة أثابكم الله**[٣]**؟**

الله جل وعلا أمر أن يُطهَّر البيت للطائفين والعاكفين وهم القائمون المقيمون في هذا البلد، تطهيره يكون بإبعاد ما يؤذي الطائفين والمُقيمين من جميع ما يؤذيهم من أعمال أو أقوال، أو نجاسة، أو قذر أو غير ذلك يجب تطهير البيت للطائفين والراكعين والقائمين والركع السجود، يكون ما حول البيت كله مطهرًا ليس فيه أذى للعاكف ولا الطائف ولا المصلي، يجب أن يُطهَّر ويُنزَّه من كل ما يؤذي المصلين ويشق عليهم أو يحول بينه وبين عبادة ربهم جل وعلا.

أما تفضيل الطواف على الصلاة والصلاة على الطواف فهذا محل نظر، ذكر جمع من أهل العلم أن الغريب الأفضل له أن يكثر من الطواف؛ لأنه ليس بمقيم، ولا يحصل له الطواف إلا بمكة، أما المقيم بمكة الذي هو مقيم فهذا الصلاة أفضل، جنس الصلاة أفضل من جنس الطواف، فإذا أكثر من الصلاة كان أفضل، أما الغريب الذي ليس بمقيم فهذا يُستحب له الإكثار من الطواف أكثر؛ لأنه ليس بمقيم، بل سوف

---

(١) رواه البخاري في كتاب الحج، باب وجوب العمرة وفضلها برقم (١٧٧٣)، ومسلم في كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة برقم (١٣٤٩).
(٢) سبق تخريجه في (٣/ ١١١).
(٣) من ضمن أسئلة موجهة لسماحته رحمه الله في المسجد الحرام في حج عام ١٤١٨هـ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة الجزء السادس عشر (ص٣٦٦) ط٢ - ١٤٢٣هـ طبع دار المؤيد للنشر والتوزيع.

ينزح ويخرج ويباعد من البلد، واغتنامه الطواف أولى؛ لأن الصلاة يمكنه إتيانها في كل مكان؛ يعني: النافلة كل هذا في النافلة، طواف النافلة، وصلاة النافلة.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، **وقال تعالى:** ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢][(١)].

فهذه الآيات الكريمات تدلُّ على وجوب احترام المسلمين، والعناية بحقوقهم، والحذر من ظلمهم وأذاهم؛ فالمسلم له حق على أخيه عظيم، ووجب عليه أن يحذر إيذاءه وظلمه، ووجب عليه أن يحترمه حتى يؤدي حقه ويدع أذاه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠] وحرمة المؤمن من حرمات الله، وعدم إيذائه مما يحبه الله، وإيذاؤه مما يغضب الله. قال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ وتعظيم ما عظَّمه الله واحترام ما احترمه الله من الشعائر.

ولا ريب أن المؤمن حُرمته عند الله عظيمة، الواجب على كل مؤمن أن يحترم أخاه، وأن يحذر ظلمه في نفس أو مال أو عرض طاعة لله ورسوله، وحذرًا من غضبه سبحانه وتعالى، وهكذا قوله جل وعلا: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، فالمؤمن يلاحظ حق إخوانه أينما كان، في مال وفي عرض وفي نفس، من جيران ومن أقارب ومن غيرهم، حتى يكون

---

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (١/ ٤٦٠).

نافعًا لإخوانه تاركًا لأذاهم، ومن هذا قوله ﷻ: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، فأمر الله نبيَّه أن يخفض الجناح للمؤمنين في الآية الأُخرى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، خفض الجناح لين الجانب والتواضع وعدم التكبر.

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الصحيح: «**المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وشبَّكَ بَيْنَ أصَابِعِهِ**». فكما أن البنيان يمسك بعضه بعضًا لبِنة مع لبنة وهكذا، فهكذا المؤمنون يتماسكون ويتعاضدون ويتعاونون لا يضر بعضهم بعضًا، ولا يؤذي بعضهم بعضًا، بل يشُدُّ بعضهم بعضًا، ويحترم بعضهم بعضًا، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢]، قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَنْ مَرَّ في شَيْءٍ مِنْ مَسَاجِدِنا، أَوْ أَسْوَاقِنَا، وَمَعَهُ نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ، أَوْ لِيَقْبِضْ عَلَى نِصَالِهَا بكَفِّه؛ أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ المُسْلِمِينَ مِنْهَا بِشَيْءٍ**»(١)؛ يعني: لِئلا يصيبه بأذى؛ لأن النبل لها سهام لها أطراف قد تؤذي، قد تجرح، فيمسك بها حتى لا يجرح أحدًا، وهكذا من مرَّ في الأسواق بحطب أو أبواب أو مواسير أو غير هذا مما قد يجرح، يجب عليه أن يحذر، وأن يرفق، وأن يتحرى الطريق السليم البعيد عن الأذى، حتى لا يخدش أحدًا بحطب أو عود أو ماسورة أو باب أو غير هذا مما قد يؤذي الناس، ليمشي بهون ورفق في أسواق الناس؛ حتى لا يؤذيهم بما يحمل.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب يأخذ بنصول النبل إذا مر في المسجد برقم (٤٥٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب أمر من مر بسلاح في مسجد أو سوق أو غيرها برقم (٢٦١٥).

وهكذا قوله ﷺ: «**مَثَلُ المُؤْمِنينَ في تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمهمْ وتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ والحُمَّى**»(١). فالمؤمن هكذا كأنه جسد واحد يتأذى بعضهم ببعض، ويُسرُّ بعضهم ببعض، وكما أن الجسد إذا أُصيب في رأسه أو في يده أو في رجله تأذَّى كله، فهكذا المؤمنون يجب أن يتألموا لألم إخوانهم، ويُسَروا لسرور إخوانهم حتى يحملهم هذا على المواساة والمساعدة والإعانة والدفع عن إخوانهم فيما يضرهم، وإيصال الخير إليهم أينما كانوا حسب الطاقة، كما قال ﷻ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. فإذا علم المؤمن وتحقَّق المؤمن أن حق أخيه مثل حق الجسد فيما بين أطرافه، إذا تألم هذا تألم هذا، وكما أنه يعالج ما أصابه حتى يزول الأذى، فليحرص على علاج ما يصيب إخوانه من الأذى، حتى تعم النعمة، وتعم العافية.

❊

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج: ٣٠](٢).

هذه الآية الكريمة تحذر من شهادة الزور، فإن شرها عظيم وعواقبها وخيمة؛ لأنه يترتب عليها ظلم الناس وإعطاء الحقوق إلى غير أهلها، وذلك بلاء كبير وشر عظيم، والله أوجب على عباده الإنصاف وإيصال الحق إلى مستحقه، وحرَّم عليهم الظلم في القول والعمل، وشهادة الزور من أقبح الظلم، ومن أسباب شر كثير؛ ولهذا حرَّم الله ذلك، قال ﷻ: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾

---

(١) سبق تخريجه في (٢/ ٤٦).

(٢) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (٤/ ٢٩٢).

[الحج: ٣٠] فجُعل قرين الشرك ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٣٠، ٣١]. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢] فُسِّرت الآية بمعنى لا يشهدون شهادة الزور وفسِّرت بأنهم لا يحضرون الزور؛ يعني: المحرَّم لا يحضرون المعاصي ومجالس الشر، ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]. قال ﷻ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] فليحذر المؤمن أن يتلفظ بشهادة باطلة، فالله ﷻ قد وكل به من يحفظها عليه، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، والله يقول ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤] لا يغيب عنه شيء؛ بل كل شيء محفوظ، كل شيء يطَّلع عليه ويعلمه، ولا تخفى عليه خافية ﷻ؛ فالعاقل يحذر مغبة ظلمه بشهادة الزور، والله ﷻ أوجب العدل بين المسلمين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥] يقبل بالعدل، قال ﷻ في الآية الأخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]. قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وفي الصحيحين من حديث أبي بكرة الثقفي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» ثَلَاثًا «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ**، (فبدأ به؛ لأن الشرك هو أعظم الذنوب وأخطرها على الإطلاق)، **وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**، وَشَهَادَةُ الزُّورِ - أَوْ **قَوْلُ الزُّورِ** -» وكان مُتَّكِئًا، فَجَلَسَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: (لَيْتَهُ سَكَتَ) رفقًا عليه؛ لكثرة ما كرر؛ يعني: رفقًا به وشفقة عليه مما كرر التحذير من شهادة الزور، فشهادة الزور والأيمان الفاجرة كلها شر عظيم وفساد كبير فيجب الحذر من ذلك.

كذلك الأحاديث في تحريم لعن المؤمن، فلا يجوز لعنه بغير حق،

السب شر عظيم؛ ولهذا قال ﷺ: **«سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»**[(١)]، السباب فسوق مسابة وقال: **«وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ»**[(٢)]، قال ﷺ: **«إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ، وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[(٣)].

وقال: **«لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا»**[(٤)]، وقال: **«لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ، وَمَنِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا، وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ»**[(٥)]، وقال ﷺ: **«الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِئِ، مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ»**[(٦)].

فهذا اللسان شره عظيم؛ فالواجب الحذر، الواجب إمساكه وصيانته حتى لا تقول إلا خيرًا، كما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»**[(٧)].

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر برقم (٤٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ: **«سبابُ المسلِم فسوق وقتاله كفر»** برقم (٦٤).

(٢) متفق عليه من حديث ثابت بن الضحاك، أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب من حلف بملة سوى ملة الإسلام إلخ برقم (٦٦٥٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه... إلخ رقم (١١٠)

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه في كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها برقم (٢٥٩٨).

(٤) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق برقم (٢٥٩٧).

(٥) متفق عليه من حديث أبي ذر رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب برقم (٣٥٠٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم برقم (٦١).

(٦) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن السباب برقم (٢٥٨٧).

(٧) سبق تخريجه في (ص٦).

نسأل الله للجميع التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠][1].

هذه الآية الكريمة في تحمُّل الأذى والصبر عليه؛ طلبًا لمرضاة الله، وحرصًا على أجر العفو، وفيما يتعلق بالغضب لله إذا انتُهكت محارمه، ينبغي لأهل العلم والإيمان والغيرة لله ولكل مؤمن أن يغضب لله عند انتهاك محارمه، وأن ينصح لله ولعباده حتى لا تُنتَهك محارم الله.

وقال أيضًا في الغضب لله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠]، ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، فالمؤمن يتحمَّل في ذات الله، ويصبر في ذات الله، ويغضب لله عند انتهاك محارمه، يرجو ثوابه وحسن جزائه ﷻ.

يقول النبي ﷺ لما اشتكى إليه بعض الصحابة، قال: (**إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عَن صَلاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فلانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا! فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ؛ فَقَال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ؛ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ وَذَا الحَاجَةِ»**)[2]. فينبغي للمؤمن أن يتحرى الإيجاز ومراعاة الضعيف من

---

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (٢/ ٤٦١).

(٢) متفق عليه من حديث أبي مسعود الأنصاري، أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره برقم (٩٠)، وانظر: رقم (٧٠٢، ٧٠٤)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام برقم (٤٦٦).

كبير السن والمريض، كما يُراعي أصحاب الحاجات، فإن الطول قد يشقُّ عليه، فينبغي للإمام أن يراعي رعيته، ومن أجل هذا غضب النبي ﷺ، قال أبو مسعود: فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظةٍ قط أشد مما غضب يومئذٍ؛ لما اشتكى إليه بعض الناس أن فلانًا يطول تطويلًا يمنع بعض الناس من الصلاة خلفه، غضب في مثل ذلك، وقال: «**إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ**».

وهكذا لما رأى النبي ﷺ سترًا عند عائشة فيه تصاوير غضب وهتكه، وقال: «**يا عائشة إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[(١)]، في اللفظ الآخر: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ**»[(٢)] يعني: يشبهون بخلق الله، فلا يجوز تعليق الستور التي فيها الصور، صور الحيوانات ولا اتخاذ الصور أيضًا في البيوت والتماثيل، بل يجب طمسها والقضاء عليها وإتلافها؛ ولهذا أنكر النبي ﷺ على عائشة لمَّا علَّقت الستر الذي على باب بعض حُجرها، وقال: «**إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[(٣)] ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم، وقال: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ**»[(٤)]، وهم الذين يضاهون بخلق الله.

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب هل يرجع إذا رأى منكرًا في الدعوة؟ برقم (٥١٨١)، ومسلم في كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة بالفرش ونحوه برقم (٢١٠٧).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب ما وطئ من التصاوير برقم (٥٩٥٤)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه... إلخ برقم (٢١٠٧).

(٣) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء برقم (٢١٠٥)، ومسلم المصدر السابق برقم (٢١٠٧).

(٤) متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب اللباس، =

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ **[الحج: ٣٢]**[١].

هذه الآية الكريمة في الحث على السكينة والوقار والخشوع في العبادات، وسائر أعمال العبد التي يعملها مع الله ومع عباده، وأن يكون بعيدًا عن العجلة والطيش، بل يتحرى الرفق في أموره كلها، والرأفة والرحمة وفي العبادة والخشوع بين يدي الله، والتواضع وعدم التكلف، قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [الحج: ٣٠]. ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾. قال سبحانه: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾؛ يعني: متواضعين. ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢] هكذا المؤمنون عندهم التواضع والهدوء والرفق، وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»[٢].

(تقول عائشة رضي الله عنها: **مَا رَأَيْتُ رسول الله ﷺ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا حَتَّى تُرَى مِنهُ لَهَوَاتُهُ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ**)[٣]؛ يعني: هذا هو الغالب قد

= باب عذاب المصورين يوم القيامة برقم (٥٩٥٠)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم اتخاذ ما فيه صورة... إلخ برقم (٢١٠٩).

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (٣/ ٣٦).

(٢) أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق برقم (٢٥٩٤).

(٣) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٢٤﴾ برقم (٤٨٢٨)، ومسلم في كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند نهاية الريح والغيم والفرح بالمطر برقم (٨٩٩).

يضحك حتى تبدو أنيابه ﷺ في بعض الأحيان عندما يتحدث هو وأصحابه في بعض الأشياء التي تكون في الجاهلية؛ ولكن في الغالب أنه يكتفي بالتبسم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، كما قالت عائشة رضي الله عنها، وهذا يدل على أن الأَولى بالمؤمن عدم التوسُّع في الضحك، بل إذا حصل موجب لذلك يتبسم، وإذا ضحك فلا بأس، الضحك المعتاد إذا دعت الأسباب إلى ذلك، فقد ضحك النبي في مواضع كثيرة، قصة الذي جامع زوجته في رمضان وقال له النبي ﷺ: «**عليك أن تعتق**»، قال: لا أستطيع، قال: «**عليك أن تصوم**»، قال: لا أستطيع، قال: «**عليك أن تطعم ستين مسكينًا**»، قال: ما عندي شيء أطعم منه، فلما جيء إلى النبي ﷺ بمكتل فيه طعام أمره أن يتصدق به، فَقَال الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَوَاللهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا ـ يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ ـ أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قال: «**أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ**»[1]. وقد جاء هذا في عدة أحاديث، فالمقصود إذا وجد أسباب تقتضي ذلك فلا بأس، وإلا فالأولى التبسم وعدم التوسُّع في الضحك.

ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في هذا الحديث: «**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَونَ، وَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ، وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُم فَصَلُّوا، وَمَا فَاتكُمْ فَأَتِمُّوا**»[2]؛ يعني: الإنسان في خروجه إلى

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان برقم (١٩٣٦)، ومسلم في كتاب الصيام، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم ووجوب الكفارة الكبرى برقم (١١١١).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب المشي إلى الجمعة برقم (٩٠٨)، ومسلم في كتاب المساجد، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة والنهي عن إتيانها سعيًا برقم (٦٠٢).

الصلاة، في خروجه إلى الحج، في خروجه إلى عمل صالح، زيارة أخيه، عيادة مريض، طلب العلم يكون عنده الهدوء والتواضع وعدم العجلة، وعدم الضحك إلا لأسباب تقتضي ذلك، فما أدرك من الصلاة صلَّى، وما فات قضى، ولا يَعْجل، ولا يركض؛ ولهذا قال: «**فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ**»(١). ما دام يعمد إليها ويقصدها فهو في صلاة فليخشع، وليطمئن ولا يعجل، وهذا من أسباب أدائه العبادة على وجهها إذا اطمأن خشع استحضر عظمة الله، كان هذا من أسباب أن يؤدي العبادة على خير وجه.

كذلك **حديث ابن عباس** لما أفاض من عرفات - عليه الصلاة والسلام - وسمع الناس يضربون الإبل، والإبل لها رُغاء وشدة قال لهم: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بالسَّكِينَةِ، فَإِنَّ البِرَّ لَيْسَ بالإيضَاعِ**»(٢)؛ يعني: ليس بالإسراع، هكذا روى ابن عباس وجابر وغيرهما، لما أفاض من عرفة في حجة الوداع سمع عند الناس جلبة وحرصًا وعجلة وضربًا للإبل، فجعل يشير إليهم بسوطه ويقول: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بالسَّكِينَةِ، فَإِنَّ البِرَّ لَيْسَ بالإيضَاعِ**»؛ يعني: ليس بالإسراع، هذا هو السُّنَّة، إذا أفاض من عرفات، من مزدلفة، من منى، في أي مكان، الواجب السكينة والهدوء حتى لا يضر بعضهم بعضًا سواءٌ في السيارات، أو في الإبل، أو في الأقدام، الواجب الهدوء، والطمأنينة، وعدم العجلة حتى لا يضر بعضهم بعضًا بالزحمة.

* * *

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب المساجد، باب استحباب اتيان الصلاة بوقار وسكينة والنهى عن إتيانها سعيًا برقم (٦٠٢).

(٢) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب الحج، باب أمر النبي ﷺ بالسكينة عند الإفاضة وإشارته إليهم بالسوط برقم (١٦٧١).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [الحج: ٥٢].

● **ورد في تفسير الجلالين في سبب نزول الآية (٥٢) من سورة الحج: أن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو يقرأ:** ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠﴾ [النجم: ١٩، ٢٠] **أن الشيطان ألقى على لسانه: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى. فهل هناك ما يدل على صحة هذه القصة من أحاديث الرسول ﷺ أم هي من الإسرائيليات؟ أفيدونا أفادكم الله**(١).

ليس في إلقاء هذه الألفاظ في قراءته ﷺ حديث صحيح يُعتَمد عليه فيما أعلم، ولكنها رويت عن النبي ﷺ في أحاديث مرسلة، كما نبَّه على ذلك الحافظ ابن كثير في تفسير آية الحج، ولكن إلقاء الشيطان في قراءته ﷺ في آيات النجم وهي قوله: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩﴾ الآيات، شيء ثابت بنص الآية في سورة الحج، وهي قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾. فقوله سبحانه: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾؛ أي: تلا، وقوله سبحانه: ﴿أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾؛ أي: في تلاوته، ثم إن الله سبحانه ينسخ ذلك الذي ألقاه الشيطان ويوضح بطلانه في آيات أخرى، ويحكم آياته ابتلاءً وامتحانًا، كما قال سبحانه بعد هذا:

﴿لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ الآيات [الحج: ٥٣].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات (٨/ ٣٠٢).

فالواجب على كل مسلم أن يحذر ما يلقيه الشيطان من الشبه على ألسنة أهل الحق وغيرهم، وأن يلزم الحق الواضح الأدلة، وأن يفسر المشتبه بالمحكم حتى لا تبقى عليه شبهة، كما قال الله سبحانه في أول سورة آل عمران: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧] وصحَّ عن النبي ﷺ من حديث عائشة ﵂ أنه قال: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**» متفق على صحته(١)، والله ولي التوفيق.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ **[الحج: ٧٧]**(٢).

فهذه الآية الكريمة تدل على شرعية قضاءِ حوائج المسلمين، والعناية بمصالحهم، ومساعدتهم في الخير، وأن المسلم أخو المسلم كما تقدم، والمسلم يُعين أخاه، ويرشد أخاه، ويكون في حاجته، ويدفع عنه الشر، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ فكونه يفعل الخير يعم أنواعَ الخير، ومن جملة ذلك أن تساعد أخاك في مصالحه وحاجاته المباحة، وحاجاته الشرعية، هذا من فعل الخير، وهكذا قوله ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ برقم (٤٥٤٧)، ومسلم في كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن... برقم (٢٦٦٥).

(٢) انظر: شرح سماحته ﵀ لكتاب رياض الصالحين (١/ ٤٩٣).

إعانة أخيه على حاجته ومساعدته في ذلك والدفاع عنه هذا من البر والتقوى، فإذا أعنته على الزواج على قضاء الدين على سدِّ حاجته على الشفاعة له؛ ليدفع عنه الظلم، إلى غير هذا من وجوه الخير، هذا من التعاون على البر والتقوى ومن فعل الخير، والله لا يضيع عنده عمل عامل، يقول سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧]، ويقول ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] مثاقيل الذر وحب الخردل الذي هو أصغر شيء لا يضيع عند الله ﷻ، وهكذا قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]؛ يعني: إن تك الزنة التي هي مثقال الذر حسنة يضاعفها الرب، ﷻ: ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

فحاجة أخيك لها شأن عظيم، وهي تختلف وتتنوع، وكلما كان أشد حاجة صارت مساعدته أشدَّ تأكدًا، وإذا كانت في الدين صارت آكد وآكد؛ كمساعدته على الزواج ومساعدته على حفظ فرجه، وغض بصره، وترك الحرام، والاكتفاء بالحلال، إلى غير هذا من أنواع المساعدة التي بها حماية من المحرمات، وإعانته على الطيبات.

ويقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ». معنى لا يسلمه لا يخذله لا يظلمه في نفسه، ولا في مال، ولا في عرض، ومع ذلك لا يسلمه؛ يعني: لا يخذله ويتركه لمن يظلمه؛ يعني: ترى من يظلمه، ومع ذلك لا تبالي ولا تحميه من ظالمه، ولا تجتهد في صيانته وحمايته من الظلم؛ لأنه أخوك دينه دينك، ونبيه نبيك وكتابكما واحد، وهو القرآن وربكما واحد، وهو الله ﷻ، ولهذا يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ: **«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»**[(١)].

---

(١) سبق تخريجه في (٢/ ٣٤٤).

وفي هذا الحديث: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِم، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ**»، وفي اللفظ الآخر: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِم لَا يَخُونُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ**» وإن كان فقيرًا وأنت غني وإن كان عاميًّا وأنت عالم، وإن كان من عامة الناس وأنت أميرهم، أخوك هو أخوك على أي حال كنت وكان، ثم قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَنْ كَانَ في حَاجَة أخِيه، كَانَ اللهُ في حَاجَتِهِ**»، هذا لفظ عظيم ومن جوامع الكلم، وهذا من أصحِّ الألفاظ عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**مَنْ كَانَ في حَاجَة أخِيه، كَانَ اللهُ في حَاجَتِهِ**»؛ أيُّ حاجة، في حاجته لقضاء دينه، في حاجته لتيسير زواجه، في حاجته لحمايته من الفساد والشر، في حاجته لإعانته على أداء الصلاة في جماعة، في حاجته ليبرّ والديه، لصلة رحمه؛ ليكف شره عن جيرانه، إلى غير هذا من أنواع الحاجات.

«**وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كرَبِ يَومِ القِيَامَةِ**»، الجزاء من جنس العمل، «**وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله يَوم القِيَامَةِ**»، الجزاء من جنس العمل، في اللفظ الآخر: «**وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»(١).

وجاء في حديث أبي هريرة: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنيَا، نَفَّسَ الله عَنْهُ كُربَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّر عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عَلَيهِ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»(٢)، والستر كما تقدم في بعض الدروس الماضية نوعان: ستر

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه برقم (٢٤٤٢)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم برقم (٢٥٨٠).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر برقم (٢٦٩٩).

للعورة الحسية وهي ما بين السُّرةِ والركبة من الإنسان من الرجل، والمرأة كلها عورة إذا أعطى من الملابس ما يستر عورته فهذا عمل صالح، والله يستره في مقابل هذا الستر، ويجزيه من فضله ﷻ أحسن مما فعل.

والنوع الثاني ستر العورة الدينية ستر العورة التي هي المعاصي، فإذا رأيت أنه في معصية أسرَّ بها وأخفاها فلا تفشها عليه، ولا تفضحه، تنصحه وتوجِّهه للخير، وتدعو له بالهداية والاستقامة والصلاح ولا تُشيعها بين الناس؛ لأن الله يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩]، فلا تفرح بإشاعة الفاحشة لأخيك ولا في إخوانك، ولكن تستر وتحرص على النصيحة مهما استطعت، فإذا أظهر فاحشته أُقيم عليه حدُّها، وما دام مستورًا فلا تفضحه، ادعُ الله له بالهداية، وانصح له، ووجِّهه إلى الخير، لعل الله ينفع بك حتى يهديه الله بأسبابك؛ ولهذا قال بعده ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**والله في عَونِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ في عَونِ أخِيهِ**»، الله في عونك أنت يا عبد الله ما كنت في عون أخيك، الجزاء من جنس العمل، ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمٰن: ٦٠] فمتى كنت في حاجة أخيك كان الله في حاجتك التي تنزل بك جزاءً على عملك الطيب.

«**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ**»

هذا أيضًا فيه فضل طلب العلم، الإنسان يطلب العلم، يتفقَّه في الدين، يذهب إلى حلقات العلم، إلى عالم يسأله عما أشكل عليه في هذا الطريق يكون سببًا لسلوكه طريق الجنة، أو يسافر لأجل طلب العلم، ويدخل في ذلك مراجعة الكتب والاستفادة من كتب العلم إذا كان من أهلها، هذا من طرق العلم تقييده وكتابته والمذاكرة فيه؛ يعني: علم الشريعة علم الشرع، ماذا قال الله؟ ماذا أمر الله به؟ ماذا أحلَّ الله ماذا حرَّم الله؟

«وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيت مِنْ بُيُوتِ اللهِ تَعَالَى، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[(١)]. هذا في فضل تلاوة القرآن والمدارسة في القرآن، وفي اللفظ الآخر: **«وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ يذكرون الله»**[(٢)]؛ يعني: في أي مكان، لكن إذا كان في المسجد كان ذلك أفضل؛ لما في المسجد الإعانة على هذا الخير؛ لأن وجودهم في المسجد من أعظم الأسباب، في فراغهم وعنايتهم بالتلاوة وعدم تشاغلهم بشيء بخلاف البيوت، فإنها قد تشغل، قد يأتي فيها من يشغل عن التلاوة وعن متابعة التلاوة، لكن في المسجد حلقات العلم في المسجد قراءة القرآن في المسجد من أعظم الأسباب في جمع القلب على القراءة، والتعاون في ذلك، والبعد عن المشاغل التي قد تشغل القارئ، أو الجماعة عن دراستهم ومذاكرتهم، وبهذا الفضل العظيم **«إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»**.

هذا يدل على فضل عظيم في الاجتماع على تلاوة كتاب الله والمدارسة والتدبُّر والتعقُّل، ثم قال بعد: **«وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِع بِهِ نَسَبُهُ»** من بطأت به الأعمال وتأخرت به الأعمال، ما قدَّمه نسبه ولو كان من بني هاشم، من رهط النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ، أبو لهب من رهط النبي وهو في النار، وأبو طالب من رهط النبي وهو عمه وهو في النار؛ لأنهم تركوا الإسلام، وخرجوا عنه إلى غيره، المقصود أن

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر برقم (٢٦٩٩).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر بلفظ: «لا يقعد قوم يذكرون الله» برقم (٢٧٠٠).

الأنساب لا تنجي من عذاب الله، ولا تقدم إلى الجنة، وإنما الذي يقدِّم إلى الجنة ويُسبب دخولها برحمة الله وفضله أعمالك الصالحة، تقواك لله وقيامك بأمره، ومن ذلك نفع المسلمين وإعانتهم على ما ينفعهم، وسدُّ حاجاتهم ومواساتهم، من مالك ومن جاهك، هذا مما ينفعك في الدنيا والآخرة، ثم هذه التلاوة للقرآن المقصود منها الاستفادة والعلم والعمل، هذا المقصود من طلب العلم، وتدبّر القرآن أن تعمل بما علمت، وأن تتقي الله وأن تقف عند حدود الله، هذا المقصود من طلب العلم ومن قراءة القرآن، التدبّر والتعقّل والعمل.



تفسير آيات من سورة المؤمنون(١)

قال ابن عيينة: ﴿سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ [المؤمنون: ١٧]: سبع سمواتٍ، ﴿لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١]: سبقت لهم السّعادة، ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]: خائفين، قال ابن عبّاسٍ: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ [المؤمنون: ٣٦]: بعيدٌ بعيدٌ، ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ [المؤمنون: ١١٣]: الملائكة، ﴿لَنَٰكِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٤]: لعادلون، ﴿كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]: عابسون، وقال غيره: ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]: الولد، والنّطفة: السّلالة، والجنّة والجنون واحدٌ، والغثاء: الزّبد، وما ارتفع عن الماء، وما لا ينتفع به، ﴿يَجْـَٔرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٤]: يرفعون أصواتهم كما تجأر البقرة، ﴿عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [المؤمنون: ٦٦]: رجع على عقبيه، ﴿سَٰمِرًا﴾ [المؤمنون: ٦٧]: من السّمر، والجمع: السّمّار، والسّامر هاهنا في موضع الجمع، ﴿تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٩]: تعمون من السّحر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

- **س: (تَعْمَون)؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فأنى تعمون: يعني: فأنى تعمون؛ يعني: يذهب لبّكم وبصركم مع وضوح الحقّ.

(من الطّالب): عندنا زيادة: «تنقصون: تستأخرون».

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما يخالف.

• **س: أحسن الله إليك: إقسام الصحابيّ في حكم المرفوع؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، هو الظّاهر؛ لأنّه ما يقال من جهة الرأي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ **[المؤمنون: ١ ـ ٦]**[(١)].

هذه الآيات آيات عظيمات وصف بها سبحانه أهل الإيمان الموعودين بالفردوس أعلى الجنة، قال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ والفلاح هو الظفر والفوز بكل خير والسعادة، ووصفهم بالخشوع في الصلاة؛ يعني: الإقبال عليها، والطمأنينة فيها، وإحضار القلب. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾؛ يعني: أعرضوا عن كل ما لا ينبغي عن الشرك والمعاصي وكل شيء لا فائدة فيه، أعرضوا عنه واشتغلوا بما ينفعهم من الأعمال والأقوال. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾، زكاة المال وزكاة الجاه والنفس، فالمؤمن يزكّي نفسه بطاعة الله ورسوله، ويزكّي جاهه من الشفاعة في الخير والنفع للناس، ويزكّي ماله بأداء الحق الذي فيه من الزكوات ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾، المؤمن هكذا، والمؤمنة هكذا، فالمؤمن يحفظ

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٨٤).

فرجه إلا من زوجته أو ما ملكت يمينه، والمؤمنة كذلك تحفظ فرجها إلا من زوجها وسيدها، وهو الذي ملكها ملكًا شرعيًّا، هذا معنى الآية.

* *

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝﴾ [المؤمنون: ٢٩][(١)].

معناها عند أهل العلم: أن الله ﷻ حرَّم على الرجال الزنا كما حرَّم على النساء الزنا، فالرجل مُحرَّم عليه الزنا، والمرأة مُحرَّم عليها الزنا، إلا الرجل مع زوجته، والرجل مع سُرِّيته مِلك يمينه، وهي الجارية التي ملكها بالشراء أو بالإرث أو بالسبي من الكفار، مملوكة، فلا بأس أن يطأها كما يطأ زوجته. وهكذا المرأة تحفظ فرجها إلا من زوجها، أو سيدها الذي ملكها، زوجها معروف، سيِّدها الذي ملكها من إرث أو ملكها بالهبة أو بالسبي من الكفار فإنه لا حرج أن يطأها كما يطأها زوجها، هذا معنى الآية؛ فمن ابتغى وراء ذلك بأن تعاطى ما حرَّم الله من الزنا أو اللواط أو وطئ امرأة ليست زوجة له ولا سبية مملوكة أو مكّنت المرأة رجلًا ليس زوجها وليس سيدها فإنهم بهذا يكونون عادين؛ يعني: ظالمين، فلا يجوز لهم ذلك، يكونون قد أتوا منكرًا ومحرمًا، ويدخل في ذلك العادة السرية المعروفة، وهي الاستمناء، استعمالها عدوان؛ لأنه غير الزوجة، وغير ملك اليمين، فليس للرجل أن يستعمل العادة السرية، وهو استخراج المني بالشهوة؛ يعني: يعبث بمذاكيره حتى يستمني، وهكذا المرأة تعبث بفرجها حتى تستمني، كل هذا لا يجوز وهو من العدوان، داخل في قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٨٦).

ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٧]؛ أي: من الظالمين، المعتدين لحدود الله، فليس للولد للشاب ولا للشيبة أن يستمني، وأن يستخرج المني بالعبث بفرجه، وليس للمرأة كذلك أن تستخرج المني من فرجها بالعبث في فرجها.

□ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١].

الحمد لله، وصلّى الله وسلّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه، **أما بعد**[(١)]:

يقول الله ﷻ في كتابه المبين في صفة عباده المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾.

هذه صفة الأخيار من عباد الله هذه صفة أولياء الله المؤمنين أنهم من خشية ربهم مشفقون؛ يعني: أنهم دائمًا يخشون الله ﷿ ويراقبونه ويعظمونه ويخشون غضبه ومقته ﷻ، وما ذاك إلا لكمال علمهم بالله وكمال تعظيمهم له وعلمه بحقه ﷻ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ مع إشفاقهم وخشيتهم من الله ﷿ أنهم يؤمنون بآيات الله المتلوة والمشاهدة، يؤمنون بآياته المتلوة كالقرآن الكريم وما قبله من الكتب

(١) حديث المساء، (ص١٢٩) ط٣ ـ ١٤٣٧هـ.

النازلة من السماء، يؤمنون بأنها كلام الله، وأنه أنزلها رحمة لعباده وإحسانًا إليهم وتعليمًا لهم لما ينفعهم ولما يرضى الله عنهم ﷻ.

وأعظمها وأهمها هو القرآن العظيم وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، يقول فيه سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ويقول ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، ويقول ﷻ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

هكذا أهل الإيمان يؤمنون بآيات الله، ويعظِّمونها؛ ويتبعون كتابه، ويعظِّمون ما فيه من الأوامر والنواهي يرجون ثواب الله، ويخشون عقابه.

كما أنهم يؤمنون بآيات الله المشاهدة التي يشاهدونها من سماء وأرض وجبال وأنهار وبحار وأشجار وغيرها من المخلوقات.

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١] إن نفس الإنسان من آيات الله يتدبّرها ويتعقّلها وما أعطاه الله من عقل وسمع وبصر وأدوات يستعين بها على حاجاته وعلى طاعة ربه، إلى غير هذا مما في نفسه من الآيات، وكلها دلائل وكلها براهين على قدرة خالقها سبحانه، وأنه رب العالمين يستحق العبادة.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ من صفات أهل الإيمان كمال الإخلاص، يوحدون الله ومخلصون له لا يشركون معه أحدًا ﷻ في عبادته، بل هم أهل إخلاص وعناية بأعمالهم ليس فيها شرك لغيره ﷻ من صلاة، وصوم، ودعاء، وحج، وغير ذلك، كلها لله وحده ﷻ، وهكذا قراءتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ودعوتهم إلى الله، إلى غير هذا من وجوه الخير كله لله وحده لا للرياء والسمعة ولا لغرض آخر: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾.

هذه من أعمالهم يعملون ما يعملون ويعطون ما أعطوا من الطاعات والصدقات وهم مع ذلك خائفون وجلون مشفقون، يخشون أن تُرَد عليهم أعمالهم أو بعضها، يخشون من غضب الله بسبب تقصيرهم، يخشون من الوقوع فيما حرم الله وهم مع أعمالهم العظيمة واجتهادهم وطاعاتهم وإخلاصهم وصدقهم، هم على وجل وعلى خوف على خشية، يخشون من ربهم ﷻ أن ترد عليهم أعمالهم بما قد يقع من تقصير وعدم قيام بالواجب ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ إيمانًا منهم بأنهم إلى ربهم راجعون، وأنه مجازيهم بأعمالهم فإن خيرًا بخير، وإن شرًّا فشر، وهم وجلون مشفقون يخشون أن تُرَد عليهم هذه الأعمال أو يحصل عليهم فيها نقص وخلل يترتب عليه ما لا تُحمَد عقباه، فلهذا يشفقون ويحذرون ويراقبون أعمالهم ويجتهدون في إكمالها وفي إتقانها لعلها تُقبَل، لعلها لا تُرَد.

قال ﷻ في حقهم: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ أولئك الذين هذه أعمالهم وهذه صفاتهم ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾؛ يعني: من صفاتهم الحميدة أنهم مسارعون بالخيرات ليسوا أهل عجز وكسل، وليسوا أهل تثاقل عن طاعة الله، ولكنهم أهل مسارعة وأهل مسابقة، ولهذا سارعوا للخيرات وسبقوا إليها: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ من سارع إليها صادقًا سبق المتخلفين سبق غيرهم، ولكن المصيبة التخلف والتثاقل والتباطؤ وعدم المسارعة، هذه مصيبة الأكثرين تباطؤوا وتثاقلوا فسبقهم الأخيار، ونالوا الرتب العالية بحسب مسابقتهم ومسارعتهم، وسبقوا أولئك المتخلفين، وصار أولئك المتخلفون يعضون أسف الندم لما جرى من تقصير وتأخر.

فعليك يا عبد الله في دار المهلة في دار العمل في هذه الدار، دار الدنيا عليك أن تعمل، وأن تسارع، وأن تثابر، وأن تحاسب نفسك حتى تؤدي الأعمال كاملة موفرة كما شرعها الله.

تفسير آيات من سورة النور(١)

﴿مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [٤٣]: من بين أضعاف السّحاب، ﴿سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ [النور: ٤٣]: وهو الضّياء، ﴿مُذْعِنِينَ﴾ [النور: ٤٩]: يقال للمستخذي: مذعنٌ، ﴿أَشْتَاتًا﴾ [النور: ٦١]: وشتّى، وشتاتٌ، وشتٌّ واحدٌ، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾ [النور: ١]: بيّنّاها، وقال غيره: سمّي القرآن لجماعة السّور، وسمّيت السّورة لأنّها مقطوعةٌ من الأخرى، فلمّا قرن بعضها إلى بعضٍ سمي قرآنًا، وقال سعد بن عياضٍ الثّماليّ: المشكاة: الكوّة بلسان الحبشة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧]: تأليف بعضه إلى بعضٍ، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨]: فإذا جمعناه، وألّفناه، فاتّبع قرآنه؛ أي: ما جُمع فيه، فاعمل بما أمرك، وانته عمّا نهاك، ويقال: ليس لشعره قرآنٌ؛ أي: تأليفٌ، وسمّي الفرقان لأنّه يفرّق بين الحقّ والباطل، ويقال للمرأة: ما قرأت بسلًا قطّ؛ أي: لم تجمع في بطنها ولدًا، وقال: ﴿وَفَرَضْنَٰهَا﴾ [النور: ١]: أنزلنا فيها فرائض مختلفةً، ومن قرأ: (فَرَّضْنَاهَا) [النور: ١] يقول: فرضنا عليكم، وعلى من بعدكم، وقال مجاهدٌ: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟﴾ [النور: ٣١]: لم يدروا؛ لما بهم من الصّغر، وقال الشعبي: ﴿أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ﴾ [النور: ٣١]: من ليس له أرب، وقال مجاهدٌ: لا يهمّه إلا بطنه، ولا يخاف على النساء، وقال طاوسٌ: هو الأحمق الذي لا حاجة له في النساء.

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

(**من الشّيخ**): ماذا قال على (سعد بن عياض)؟

(**القارئ**) [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٤٤٧)]: (قَوْلُهُ: وَقال سَعْدُ بْنُ عِيَاضٍ الثُّمَالِيُّ): بضمّ المثلّثة وتخفيف الميم نسبة إلى ثمالة قبيلة من الأزد، وهو كوفيٌّ تابعيٌّ، ذكر مسلمٌ أنّ أبا إسحاق تفرّد بالرّواية عنه، وزعم بعضهم: أنّ له صحبةً ولم يثبت، وما له في البخاريّ إلّا هذا الموضع، وله حديثٌ عن ابن مسعودٍ عند أبي داود والنّسائيّ، قال ابن سعدٍ: كان قليل الحديث، وقال البخاريّ: مات غازيًا بأرض الرّوم». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: راجع: سعد بن عياضٍ؟

(**القارئ**): [قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «التّقريب» (٢٢٥٢)]: «سعد بن عياض الثّمالي ـ بضم المثلثة ـ الكوفي صدوقٌ من الثّانية، وله روايةٌ مرسلةٌ، مات بأرض الرّوم خت د تم س».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الكوة بفتح الكاف عندك، أم كوة، ضبطها؟

(**من القارئ**): قال في «عمدة القاري»: «بفتح الكاف وضمها».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لغتان، طيب.

(**من الطالب**): في نسخة البخاريّ: الكوة بضم الكاف.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: العيني يقول: لغتين.

(**من الطالب**): هو كذا بالفتح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الحافظ تكلّم؟

(**القارئ**): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٤٤٧)]: «قوله: (الْمِشْكَاةُ الْكُوَّةُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ): وصله ابن شاهينٍ من طريقه،

ووقع لنا بعلوٍّ في فوائد جعفرٍ السّرّاج، وقد روى الطّبريّ من طريق كعب الأحبار قال: المشكاة الكوّة، والكوّة بضمّ الكاف وبفتحها وتشديد الواو، وهي الطّاقة للضّوء».

(**من الشّيخ**): قوله: (فرَّضْناها)؛ أي: أنزلنا فيها فرائض، ضبطها عندك أم ما ضبط؟ يدلّ عليه الأخير، يدلّ عليه ما بعده.

(**القارئ**): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٨/ ٤٤٧)]: «قوله: وقال: (فَرَّضْنَاهَا أَنْزَلْنَا فِيهَا فَرَائِضَ مُخْتَلِفَةً)، ومن قرأ: «فرضناها» يقول: فرضنا عليكم وعلى من بعدكم فيها كذا، وقال الفرّاء: من قرأ: فرضناها يقول: فرضنا فيها فرائض مختلفةً، وإن شئت فرضناها عليكم وعلى من بعدكم إلى يوم القيامة. قال: فالتّشديد بهذين الوجهين حسنٌ.

وقال أبو عبيدة في قوله: (**فَرَضْنَاهَا**) حدّدنا فيها الحلال والحرام، وفرضنا من الفريضة، وفي روايةٍ له: ومن خفّفها جعلها من الفريضة». [انتهى كلامه].

• **س: الأولى بالتّشديد يعني؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

نعم قرئت (فرّضناها) و(فرضناها) هذا وجه التّشديد والتّخفيف يعني: نوّعنا فيها الفرائض، فرّضناها؛ يعني: نوّعنا فيها الفرائض، أو أكّدنا فيها الفرائض، ومن قال: فرضناها؛ يعني: جعلناها عليكم لازمةً.

(**من الطّالب**): عندنا زيادة قوله: (وَقَال طَاوُسٌ: «هُوَ الأَحْمَقُ الَّذِي لَا حَاجَةَ لَهُ فِي النِّسَاء»)[١].

---

(١) لم يقرأها القارئ في النسخة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

زيادةٌ. المراد هذا هو المراد بلا شكّ. الشّارح ما تعرّض؟ سقط. عندك شيءٌ؟

(من القارئ): ذكره في الشرح (٨/ ٤٤٧): (**قال طاوسٌ**: «**الأَحْمَقُ الَّذِي لَا حَاجَةَ لَهُ فِي النِّسَاءِ**»).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

صلّحها عندك؛ لأنّها زيادة لا بدّ منها.

❊

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾، **وقال تعالى في سورة النور أيضًا**: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور: ٣].

أود من فضيلتكم تفسير هاتين الآيتين الكريمتين[(١)]؟

فهاتان الآيتان الكريمتان استنبط منهما أهل العلم أنه لا ينبغي للمؤمن أن يتزوج الزانية حتى تتوب؛ لأن الزنى خبث، والزواني خبيثات، فينبغي للمؤمن أن يتحرى في زواجه النساء الطيبات المعروفات بالعفة والاستقامة في دينهن، ولهذا قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**»[(٢)].

---

(١) من برنامج نور على الدرب، رقم الحلقة (١/٢١١).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب =

فصاحبات الدين هن الطيبات، المعروفات بالعفة والاستقامة وحسن السيرة وحسن العقيدة، أما المعروفات بالانحراف والفسق والفساد فينبغي للمؤمن أن يتجنبهن؛ لأنهن خبيثات من جهة السيرة ومن جهة العمل، ولا ينبغي للمؤمنة أيضًا أن تنكح الخبيث المعروف بالفسق وعدم الاستقامة لتعاطيه المسكرات أو لكونه يرتكب الفواحش من الزنا واللواط؛ فينبغي للمؤمنة أن تتجنب هذا الصنف من الناس، وألا ترضى بالزواج عليه، وإذا وقع في هذا البلاء بأن كان طيبًا ثم وقع في الخبث، في شرب المسكرات، في الزنا، صار لها الفسخ، صار لها عذر أن تطلب الفسخ والمفارقة؛ لأنه صار خبيثًا بعدما كان طيبًا، والله يقول ﷻ: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾، ويقول: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾، ويقول: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾.

فالواجب على المسلمة أن تتقي الله، وأن تتوب إلى الله عما وقع منها من زنا أو غيره من الفساد والمعاصي حتى تكون طيبة، وعلى الزاني كذلك والعاصي والفاسق أو يتوب إلى الله حتى يكون من الطيبين، وحتى يزول عنه الخبث، فخبث المعاصي خبث شديد وخطير، وأعظم من ذلك خبث الكفر، نعوذ بالله والشرك، وأطيب الطيب طيب الإيمان والتقوى والاستقامة فالطاعات كلها طيب، والإيمان والتقوى كله طيب، والمؤمن هو الطيب؛ فالواجب على كل مسلم وكل مسلمة العناية بالأسباب التي تجعلهما من الطيبين، والحذر من المعاصي والسيئات التي تنقلهما إلى صفة الخبثاء، نسأل الله للجميع الهداية.

* * *

= الأكفاء في الدين، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤] برقم (٥٠٩٠)، ومسلم في كتاب النكاح، باب استحباب نكاح ذات الدين برقم (١٤٦٦).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦﴾ [النور: ٦][1].

حدّثنا إسحاق، حدّثنا محمّد بن يوسف الفريابي، حدّثنا الأوزاعيّ، قال: حدّثني الزّهريّ عن سهل بن سعدٍ أنّ عويمرًا أتى عاصم بن عديٍّ، وكان سيّد بني عجلان، فقال: كيف تقولون في رجلٍ وجد مع امرأته رجلًا، أيقتله فتقتلونه، أم كيف يصنع؟ سل لي رسول الله ﷺ عن ذلك، فأتى عاصمٌ النّبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، فكره رسول الله ﷺ المسائل، فسأله عويمرٌ، فقال: إنّ رسول الله ﷺ كره المسائل، وعابها، قال عويمرٌ: والله لا أنتهي حتّى أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك، فجاء عويمرٌ فقال: يا رسول الله، رجلٌ وجد مع امرأته رجلًا، أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: «**قَدْ أَنْزَلَ اللهُ الْقُرْآنَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ**»، فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْمُلَاعَنَةِ بِمَا سَمَّى اللهُ فِي كِتَابِهِ، فَلَاعَنَهَا ثُمَّ قال: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ حَبَسْتُهَا فَقَدْ ظَلَمْتُهَا فَطَلَّقَهَا، فَكَانَتْ سُنَّةً لِمَنْ كَانَ بَعْدَهُمَا فِي الْمُتَلَاعِنَيْنِ، ثُمَّ قال رَسُولُ الله ﷺ: «**انْظُرُوا، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَسْحَمَ، أَدْعَجَ الْعَيْنَيْنِ، عَظِيمَ الْأَلْيَتَيْنِ، خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ، فَلَا أَحْسِبُ عُوَيْمِرًا إِلَّا قَدْ صَدَقَ عَلَيْهَا، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أُحَيْمِرَ، كَأَنَّهُ وَحَرَةٌ، فَلَا أَحْسِبُ عُوَيْمِرًا إِلَّا قَدْ كَذَبَ عَلَيْهَا، فَجَاءَتْ بِهِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، مِنْ تَصْدِيقِ عُوَيْمِرٍ، فَكَانَ بَعْدُ يُنْسَبُ إِلَى أُمِّهِ**»[2].

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦﴾ برقم (٤٧٤٥)، ومسلم في كتاب اللعان برقم (١٤٩٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٧ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ﴾؛ يعني: الحد ﴿أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٨ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور: ٦ ـ ٩] هذا هو اللّعان، إذا رماها بالفاحشة، وليس عنده بيّنةٌ فإنّها تلاعنه، وليس لها نفيٌ إلّا باللّعان، فإن كان عنده أربع شهودٍ، فلا حاجة إلى اللّعان.

المقصود: أن اللّعان يبدأ بالرّجل فيقول: أشهد بالله لقد زنت زوجتي هذه، ويشير إليها، ويكرّر أربع مرّاتٍ، ويقول في الخامسة: أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين.

ثم هي تقول أربع مراتٍ: أشهد بالله أربع شهاداتٍ مكررة إنّه لمن الكاذبين، والخامسة: أن غضب الله عليها إن كان من الصّادقين؛ ويفرّق بينهما تفريقًا أبديًّا، فرقةً أبديةً، ويسقط الحدّ عنها، حد القذف.

واللّعان هو المسابّة بين الزّوجين عندما يرميها الزّوج بالفاحشة وتنكر ذلك؛ فإنّه يلاعنها ويتبرّأ من ولدها، وتكون فرقةً دائمةً مستمرّةً، لا تحلّ له أبدًا بعد هذا، ويشهد عليها أربع مراتٍ أنّه رآها زنت؛ ﴿وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [النور: ٧]، وهي تقول أربع مراتٍ: أشهد بالله لقد كذب فيما رماني به من الزّنا ﴿وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور: ٩]، ثم يتفرقان فرقةً أبديةً بسبب ما وقع بينهما من المصيبة العظيمة.

وهذا هو اللّعان من الملاعنة وهي المسابّة؛ لكونه يلعن نفسه، وهي تدعو على نفسها بغضب الله، واللعن هو السّبّ، سواءٌ بلفظ اللّعن، أو بلفظٍ آخر؛ ولهذا قال جَلَّ في القرآن: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾

[الإسراء: ٦٠]، والقرآن ليس فيه لعنٌ لها وإنّما هوَ ذمٌّ لها ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٤٥].

فالسابّ ملاعن، والشاتم له بأي معنًى كـ(أخزاك الله، وقاتلك الله) وأشباه ذلك فهو سابٌّ ولاعنٌ، نسأل الله العافية.

• **س: ....(١)؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا كان فيه ولدٌ فلا بدّ من اللّعان؛ لأجل البراءة منه، وإذا كان ما فيه ولد فالسّتر أفضل.

• **س: إذا شكّ يا شيخ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الشّك ما ينفع لا بدّ من اليقين.

• **س: عفا الله عنك، في هذا الحديث كأنّ النّبيّ ﷺ اعتبر الشّبه، وفي حديث الأعرابي الّذي سأله عن ابنه، كأنّه لم يعتبره؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا لا مانع، وهذا لا مانع، الشّبه معتبرٌ، لكن ما ينفي النّسب، مثل ما قال ﷺ: «**هل لك من إبلٍ**»؛ يعني: زوجات ثابتة ما عندك فيها إشكالٌ، ما لاعنها، إنّما قال: ولَدت غلامًا أسود؛ يعني: أشكل عليه، فقال: «**هل لك من إبلٍ؟**». فبيّن له أن هذه شبهةٌ، فلا ينبغي لك أن تتهمها من أجلها، أمّا ذاك فرأى رجلًا فعل، فشهد عليها.

• **س: قصّة عويمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أيهما الأفضل: الستر على المرأة، أم يلاعنها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا كان يعتقد أنّ الحمل ما هو له يلاعنها، أمّا إذا كان ما هناك

(١) لعل السائل يسأل عن أيهما أولى الستر أو اللعان؟

حملٌ، فالسّتر أفضل، والحمد لله، ينصحها ويوصيها، أو يفارقها.

• **س: الحكم عام إلى قيام السّاعة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: إلى قيام السّاعة.

• **س: إذا كان الإنسان رأى من غيره هذا الشّيء، يستره أفضل، أم يبلغه الجهة المعنية؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

السّتر أفضل؛ للحديث: «**من ستر مسلمًا ستره الله في الدّنيا والآخرة**».

• **س: لو قاتله؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا فيه تفصيلٌ، يرجع إلى ولاة الأمور، في المدافعة وعدم المدافعة، والمكابرة وعدم المكابرة، فيه التفصيل.

• **س: أحسن الله إليك، من أطلق اسم الملاعنة على المباهلة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هي تسمّى ملاعنةً، المباهلة تسمّى ملاعنةً.

• **س: ترون عدم القتل أولى يا شيخ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا عند القضاة.

* *

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ٧﴾ **[النور: ٧]**.

حدّثني سليمان بن داود أبو الرّبيع، حدّثنا فليحٌ، عن الزّهريّ، عن سهل بن سعدٍ أنّ رجلًا أتى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله، أرأيت رجلًا رأى مع امرأته رجلًا، أيقتله فتقتلونه؟ أم كيف يفعل؟ فأنزل الله

فيهما ما ذكر في القرآن من التّلاعن، فقال له رسول الله ﷺ: «**قَدْ قُضِيَ فِيكَ وَفِي امْرَأَتِكَ» قال: فَتَلَاعَنَا، وَأَنَا شَاهِدٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَفَارَقَهَا، فَكَانَتْ سُنَّةً أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَ الْمُتَلَاعِنَيْنِ، وَكَانَتْ حَامِلًا، فَأَنْكَرَ حَمْلَهَا، وَكَانَ ابْنُهَا يُدْعَى إِلَيْهَا، ثُمَّ جَرَتِ السُّنَّةُ فِي الْمِيرَاثِ أَنْ يَرِثَهَا، وَتَرِثَ مِنْهُ مَا فَرَضَ اللهُ لَهَا**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا كلّه يبيّن أنّه لا يقتله، ولكن أن يلاعن، أمّا كونه ينكر عليه ويتكلّم عليه، ويخرجه ويخاصمه، هذا لا بدّ من هذا، لكن دعواه أنّه وجده يقتله، لا، لا بدّ من بيّنةٍ أنّه وجده، أو الحاكم الّذي يحكم بالقتل.

وكونها ترث ما فرض الله لها هذا أمرٌ معلومٌ؛ يعني: إذا كان له ورثةٌ آخرون، أمّا إذا لم يكن له ورثةٌ فإنّها ترث كلّه فرضًا وردًّا، إن لم يكن لها ورثة فإنّ ابنها المنسوب إليها ترثه فرضًا وردًّا؛ كما حكم النّبيّ ﷺ في المرأة الّتي أعطت أمّها جاريةً، ثمّ ماتت وليس لها وارثٌ إلّا ابنتها؛ فقال النّبيّ ﷺ: «**وجب أجرُكِ على اللهِ وردَّ عليك الميراث**»[(١)]. هكذا إذا ماتت المرأة ولها ولدٌ.

فإذا مات الولد وله أمّه وليس له عصبةٌ؛ فإنّها ترثه فرضًا وردًّا إذا كان ليس له عصبةٌ ولا أصحاب فروضٍ، فإن كان له من يرثه سواها أخذت فرضها الّذي كتبه الله لها من سدسٍ أو ثلثٍ.

• س: شيخ عفا الله عنك، عندما وصف الرّسول ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ الولد بأنّه أسحم، أدعج العينين هل يعرف أباه؟

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه في كتاب الصدقات، باب من تصدق بصدقة ثم ورثها برقم (٢٣٩٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا؛ يعني: هو سمّى الّذي رماها به، شريك بن سحماء هو من سمّى به، لكن ما ذكر في بعض الرّوايات.

• **س: أليس هو الزّوج عويمرٌ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سمى الّذي رماها به، سمَّاه عويمرٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نعم، قال النّبيّ ﷺ: «**إن كَانَتْ جَاءَ شبه كَذَا فَهُوَ الَّذِي سمَّى**»؛ يعني: الزّاني، في الحديث الآخر: «**لولا مَا مضى من الإِيْمَان لكان لي ولها فيها أمرٌ**».

(**السّائل**): يعني: الزّوج نفسه سمى الّذي وقع منه؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم.

• **س: أحسن الله إليك: كيف الجمع بينه وبين حديث: «لعلّه نزعه عرقٍ»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا تعريض ما قال: زنت؛ إنّما هو تعريضٌ، استنكر كونه أسود. التّعريض ما ينفع، لا بدّ أن يكون تصريحٌ بالزّنا.

• **س: أحسن الله إليك: إذا وجدت المرأة امرأةً غيرها مع زوجها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تنكر عليه، هذا من باب الإنكار، ومن باب النّصيحة وإنكار المنكر، ما فيه لعانٌ.

• **س: أحسن الله إليك: الولد يكون ناحية الأمّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ينسب إلى أمّه نعم، يقال: فلان ابن فلانة، والورثة إخوته من أمّه أو أولاده، إذا كبر وولد له أو إخوته من أمّه هم الّذين يرثونه.

• **س: أحسن الله إليك: جريجٌ لما قال للغلام: من أبوك؟ فنطق وقال: الرّاعي؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا في شرع من قبلنا، من باب يعني بيان براءة الغير، وأن الّذي جامعها واتّصل بها هو، وإن كان ليس أبًا شرعيًّا في شرعنا؛ لأنّه قد يكون في شرع التّوراة يسمّى أبًا.

(السّائل): يعني: للبيان؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود: لبيان الحقيقة، هذا المقصود.

• **س: زواج المتعة ينسب إلى أمه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

زواج المتعة باطلٌ، لكن إذا كان له شبهةٌ وما عرف الحقّ ينسب إلى أبيه، إذا كان له شبهةٌ ينسب إلى أبيه، وإن كان عرفوا أنّه زنا وأنّه نكاحٌ باطلٌ ينسب إلى أمّه.

• **س: عفا الله عنك: الورثة المنسوبون للأب الّذي نفاه كلهم لا يرثونه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، ما يرثه إلّا أولاد أمه فقط، إن كان له إخوةٌ من أمٍّ.

(السّائل): الأم وأقاربها فقط؟

○ **الجواب**: نعم.

• **س: قول سعد: «لو رأيته لضربته غير مصفحٍ»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قاله: «**أَنَا أَغْيَرُ مِنْ سَعْدٍ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي**»(١)، ما أقرّه على أنّه

---

(١) رواه الدارمي في «سننه» (٢٢٨٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٩٨١) برقم =

يقتل، مع أن هذه من الغيرة، لكن لو قتله يرجع إلى الحكم الشّرعيّ.

• **س: الملاعنة يا شيخ، هل هذا خاص بالزوج مع زوجته، أم عام في كلّ الخصماء؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: الزّوج مع زوجته، خاصٌّ بهما.

• **س: لو رجل آخر ظلمه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لا، «**الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ**»(١)، ما فيه إلّا بيناتٌ والأيمان.

• **س: إذا أكذب؛ يعني: نفسه بعد الحلف؛ يعني: الزّوج بعدما حلف خمس مرات أكذب نفسه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لا، حرمت عليه، انتهى، بانت منه، حرمت عليه.

• **س: الملاعنة لفظها، هل تجوز بغير اللفظ الّذي ذكرتم أحسن الله إليك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

مثل ما في القرآن: أن يشهد أربع شهاداتٍ؛ أشهد بالله لقد زنت زوجتي هذه، ويكرّرها أربع مراتٍ، ثمّ يكرّر الخامسة: أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين.

وهي تقول: أشهد بالله إنّه كاذبٌ، أشهد بالله إنّه كاذبٌ، أشهد بالله إنّه كاذبٌ فيما رماني به، وتكرّرها أربع مراتٍ، ثمّ تقول في الخامسة: وأنّ غضب الله عليّ إن كان من الصّادقين.

= (٨٠٦٠) قال الذهبي في التلخيص: صحيح.

(١) أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في كتاب الأحكام عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه برقم (١٣٤٢)، ومالك في الموطأ في باب القسامة برقم (٦٧٩).

• **س: المقصود بهذا اللفظ أحسن الله إليك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾﴾ [النور: ٨].

حدّثني محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا ابن أبي عديٍّ، عن هشام بن حسّان، حدّثنا عكرمة، عن ابن عبّاسٍ أنّ هلال بن أميّة قذف امرأته عند النّبيّ ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النّبيّ ﷺ: «الْبَيِّنَةَ، أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ»، فقال: يا رسول اللّه، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلًا ينطلق يلتمس البيّنة؟ فجعل النّبيّ ﷺ يقول: «**الْبَيِّنَةَ، وَإِلَّا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ**»، فقال هلالٌ: والّذي بعثك بالحقّ، إنّي لصادقٌ، فلينزلنّ الله ما يبرّئ ظهري من الحدّ، فنزل جبريل، وأنزل عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ [٦] فقرأ حتّى بلغ: ﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾﴾، فانصرف النّبيّ ﷺ، فأرسل إليها، فجاء هلالٌ فشهد، والنّبيّ ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ؟**»، ثمّ قامت فشهدت، فلمّا كانت عند الخامسة وقّفوها، وقالوا: إنّها موجبةٌ، قال ابن عبّاسٍ: فتلكّأت، ونكصت حتّى ظننّا أنّها ترجع، ثمّ قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم، فمضت، فقال النّبيّ ﷺ: «**أَبْصِرُوهَا، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ، سَابِغَ الأَلْيَتَيْنِ، خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ، فَهْوَ لِشَرِيكِ بْنِ سَحْمَاءَ**»، **فَجَاءَتْ بِهِ كَذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ** ﷺ: «**لَوْلَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ**»[١].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾﴾ برقم (٤٧٤٦).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

معنى: (**وإلا الحدّ في ظهرك**)؛ يعني: حدّ القذف.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩﴾ [النور].

حدّثنا مقدّم بن محمّد بن يحيى، حدّثنا عمّي القاسم بن يحيى، عن عبيد الله، وقد سمع منه عن نافعٍ، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أنّ رجلًا رمى امرأته، فانتفى من ولدها في زمان رسول الله ﷺ، فأمر بهما رسول الله ﷺ فتلاعنا كما قال الله، ثمّ قضى بالولد للمرأة، وفرّق بين المتلاعنين»[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه السّنّة فيهما، أن يتفرّقان، تحريمًا أبديًّا بعد اللّعان، تكون محرمةً عليه تحريمًا أبديًّا لا يحلها نكاحٌ آخر، ويكون الولد منسوبًا إليها، يدعى لأمه.

(**من الشّيخ**): تكلّم عليهم[(٢)]؟

○ **الجواب**: [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٤٥١)]: «قوله: (**حدثنا مقدم**): هو بوزن محمّد، وهو ابن محمّد بن يحيى بن عطاء بن مقدّم الهلاليّ المقدّميّ الواسطيّ، وليس له في البخاريّ سوى هذا الحديث وآخر في التّوحيد، وكلاهما في المتابعات.

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩﴾ برقم (٤٧٤٨)، ومسلم في كتاب اللعان برقم (١٤٩٤).

(٢) يعني: (مقدَّم بن محمد، وعمه).

قوله: (حدّثني عمّي القاسم بن يحيى): هو ثقة، وهو ابن عمّ أبي بكر بن عليٍّ المقدّميّ، والد محمّدٍ شيخ البخاريّ أيضًا، وليس للقاسم عند البخاريّ سوى الحديثين المذكورين.

قوله: (عن عبيد الله وقد سمع منه) هو كلام البخاريّ». [انتهى كلامه].

● **س: قوله: «عن عبيد الله وقد سمع منه»؛ لأنّه شك في السماع؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: سمع منه القاسم، من باب الإيضاح؛ يعني: من باب الإيضاح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

راجع: مقدم بن محمّد في «التقريب»؟

(القارئ): [قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «التّقريب» (٦٨٧٢)]: «مقدم - بوزن محمّد - بن محمّد بن يحيى بن عطاء بن مقدم الهلالي المقدمي الواسطي، صدوقٌ ربّما وهم من العاشرة خ».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: فقط؟ ما فيه (مقدّم) آخر؟

(من الطّالب): لا ما فيه غيره.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما ذكر غيره؟

(الطالب): لا ما فيه غيره.

● **س: الآية ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يأتي هذا، نعم.

● **س: معنى «خدلّج السّاقين»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الظّاهر؛ يعني: مملوءةٌ من اللّحم، ما هي يعني بنحيفةٍ.

● **س: (خدلّج) أم (خدلّج)؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: خدلّج.

• س: **يا شيخ، الّذي يقتل دفاعًا عن عرضه هل يقام عليه الحد؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يقام عليه الحدّ، لو يتساهل في هذا لقتل النّاس بعضهم بعضًا، إذا قتله وقال: إني وجدته في بيتي، أو أنّه تعدّى عليّ ما يطاع إلّا ببيّنةٍ.

• س: **أحسن الله إليك، هل له أن يطلّقها أو يفرّق بينهما قبل الطّلاق؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ما يحتاج طلاقًا، اللّعان طلاقٌ، فرقةٌ عظيمةٌ أبديةٌ، ما يحتاج طلاقًا.

في الحديث أنّه طلّقها يحسب أنّ له طلاقًا، ما له طلاقٌ، انتهى، الفرقة كافيةٌ.

• س: **وإن كان عنده بينة فهل يقتل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

إذا كان بينة أربعة شهودٍ، فما يحتاج لعانًا، أربعة.

• س: **لو نكصت ـ يا شيخ ـ عن اللّعان يقام عليها حدّ الرّجم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

إي، ﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ يدرأ عنها العذاب؛ يعني: الرّجم، فإذا نكلت يقام عليها الحدّ، هذا الصّواب.

• س: **بارك الله فيك يا شيخ، قول النّبيّ ﷺ: «من اطَّلع عَلَى عوراتِ النَّاسِ حُقَّ لَهُم أن يفقؤوا عينه»؛ يعني: هل يدخل في هذا الباب؟**

○ **الجواب**: حديثٌ صحيحٌ: «**لَو أَنَّ امْرَأً اطَّلَعَ عَلَيْك بِغَيْرِ إِذْنٍ**

فَحَذَفْتَهُ بِعَصَاةٍ فَفَقَأْتَ عَيْنَهُ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْك جُنَاحٌ»(١)، هذا في «الصّحيحين».

ما يجوز النّظر في بيوت النّاس مع شقّ الباب أو مع الفرج أو ما أشبه ذلك؛ لأنّ النّاس عوراتٌ ما يجوز لأحدٍ أن يكشف عليهم.

• **س: ولو ضربه وشجّه، أو فعل فيه شيء؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما يجوز، لكن ينذره، فإذا لم يرجع له هذا، فله أن يطعنه، وله أن يرميه بحجرٍ أو نحوه.

• **س: يا شيخ عفا الله عنك، قذف هلال بن أمية شريك بن سحماء؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تلاعن.

• **س: لكن القذف هذا ألا يطالب بالبينة، يطالب قذف شريك بن سحماء؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا عن شيءٍ آخر بحثه، لو طالب المقذوف فله حقّ، النّبيّ ﷺ ما في هذا ذكرٌ له، ما فيه أن شريكًا طالب أو ما طالب، لكن على القاعدة: لو طالب وقال: أنا أبرأ إلى الله مما قال، وأنّه كذبٌ عليّ، وأنا أبغي حقّي؛ القذف؛ له حدّ القذف، على القاعدة.

• **س: يلزم أن يرى الميل في المُكحلة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الشهود لا بدّ أن يشهدوا بهذا.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب من اطلع في بيت قوم ففقأوا عينه فلا دية له برقم (٦٩٠٢)، ومسلم في كتاب الآداب، باب تحريم النظر في بيت غيره برقم (٢١٥٨).

• **س: كونه يلاعن زوجته بسبب هذا الفعل ما يعفيه من حدّ القذف؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذا من جهة الزّوجة انتهى، لكن من جهة المقذوف، إذا طالب بحدّ القذف له الحقّ، فما له هنا شيءٌ، يسقط حقّه، لكن من جهة المرأة سقط حقّها.

• **س: إذا ظهرت بيِّنة يا شيخ، الولد الذي طلع على نفس صفة الزاني؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

انتهى، اللّعان كافٍ، ينسب لأمّه، ما يحتاج إلى بيناتٍ، القاتل يقتل، إلّا أن يعفو أولياء المقتول، ما يطاع، قوله: إني وجدته عند امرأتي ويقتله، صار الكلّ يقتل، إن كان له شيءٌ قال: وجدته عند امرأتي ويقتله ما ينفع، «**لَوْ يُعْطَى النَّاس بِدَعْوَاهُمْ، لَادَّعَى نَاسٌ دِمَاءَ رِجَالٍ وَأَمْوَالَهُمْ**»[(١)].

• **س: ولا بدّ من بينةٍ أربع شهداء؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: نعم.

• **س: قول النّبيّ ﷺ ـ أحسن الله إليك ـ: «لَوْلَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعني: اللّعان أنهى الموضوع، الشّبه ما عاد له معنًى.

• **س: الحاكم ما يحكم بعلمه؟**

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ﴾ برقم (٤٥٥٢)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب اليمين على المدعى عليه برقم (١٧١١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور: ١١].

﴿أَفَّاكٍ﴾: كَذَّابٌ.

حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا سفيان، عن معمرٍ، عن الزّهريّ، عن عروة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ قالت: «عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول»(١).

• **س: أحسن الله إليك، عبد الله بن أبي ابن سلول؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما يضر، نسب إلى أمه.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور: ١٦] ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النور: ١٣].

حدّثنا يحيى بن بكيرٍ، حدّثنا اللّيث عن يونس، عن ابن شهابٍ قال: أخبرني عروة بن الزّبير، وسعيد بن المسيّب، وعلقمة بن وقّاصٍ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعودٍ عن حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوج النّبيّ ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرّأها الله ممّا قالوا، وكلٌّ حدّثني طائفةً من الحديث، وبعض حديثهم يصدّق بعضًا، وإن كان

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ﴾... إلخ برقم (٤٧٤٩).

بعضهم أوعى له من بعضٍ، الّذي حدّثني عروة، عن عائشة رضي الله عنها أنّ عائشة رضي الله عنها زوج النّبيّ ﷺ قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأيّتهنّ خرج سهمها، خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوةٍ غزاها، فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعد ما نزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي، وأنزل فيه، فسرنا حتّى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، وقفل، ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلةً بالرّحيل، فقمت حين آذنوا بالرّحيل، فمشيت حتّى جاوزت الجيش، فلمّا قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فإذا عقدٌ لي من جزع أظفار قد انقطع، فالتمست عقدي، وحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرّهط الّذين كانوا يرحلون لي، فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الّذي كنت ركبت، وهم يحسبون أنّي فيه، وكان النّساء إذ ذاك خفافًا، لم يثقلهنّ اللّحم، إنّما تأكل العلقة من الطّعام، فلم يستنكر القوم خفّة الهودج حين رفعوه، وكنت جاريةً حديثة السّنّ، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعد ما استمرّ الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داعٍ، ولا مجيبٌ، فأممت منزلي الّذي كنت به، وظننت أنّهم سيفقدوني فيرجعون إليّ، فبينا أنا جالسةٌ في منزلي، غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطّل السّلميّ، ثمّ الذّكوانيّ من وراء الجيش، فأدلج، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسانٍ نائمٍ، فأتاني فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمّرت وجهي بجلبابي، والله ما كلّمني كلمةً، ولا سمعت منه كلمةً غير استرجاعه، حتّى أناخ راحلته، فوطئ على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الرّاحلة، حتّى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظّهيرة، فهلك من هلك، وكان الّذي تولّى الإفك عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمت شهرًا، والنّاس يفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيءٍ من ذلك، وهو يريبني في وجعي أنّي لا أعرف

من رسول الله ﷺ اللّطف الّذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنّما يدخل عليّ رسول الله ﷺ فيسلّم، ثمّ يقول: «**كَيْفَ تِيكُمْ؟**» ثمّ ينصرف، فذاك الّذي يريبني، ولا أشعر بالشّرّ، حتّى خرجت بعد ما نقهت، فخرجت معي أمّ مسطحٍ قبل المناصع، وهو متبرّزنا، وكنّا لا نخرج إلّا ليلًا إلى ليلٍ، وذلك قبل أن نتّخذ الكُنف قريبًا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التّبرّز قبل الغائط، فكنّا نتأذّى بالكنف أن نتّخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأمّ مسطحٍ، وهي ابنة أبي رهم بن عبد منافٍ، وأمّها بنت صخر بن عامرٍ: خالة أبي بكرٍ الصّدّيق، وابنها مسطح بن أثاثة، فأقبلت أنا وأمّ مسطحٍ قبل بيتي، وقد فرغنا من شأننا، فعثرت أمّ مسطحٍ في مرطها، فقالت: تعس مسطحٌ، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبّين رجلًا شهد بدرًا؟ قالت: أي: هنتاه، أولم تسمعي ما قال؟ قالت: قلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضًا على مرضي، فلمّا رجعت إلى بيتي، ودخل عليّ رسول الله ﷺ، تعني سلّم ثمّ قال: «**كَيْفَ تِيكُمْ؟**» فقلت: أتأذن لي أن آتي أبويّ؟ قالت: وأنا حينئذٍ أريد أن أستيقن الخبر من قِبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ، فجئت أبويّ، فقلت لأمّي: يا أمّتاه، ما يتحدّث النّاس؟ قالت: يا بنيّة، هوّني عليك، فوالله لقلّما كانت امرأةٌ قطّ وضيئةً عند رجلٍ يحبّها، ولها ضرائر، إلّا أكثرن عليها، قالت: فقلت: سبحان الله، أو لقد تحدّث النّاس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك اللّيلة حتّى أصبحت لا يرقأ لي دمعٌ، ولا أكتحل بنومٍ حتّى أصبحت أبكي، فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالبٍ، وأسامة بن زيدٍ رضي الله عنهما حين استلبث الوحي يستأمرهما في فراق أهله، قالت: فأمّا أسامة بن زيدٍ، فأشار على رسول الله ﷺ بالّذي يعلم من براءة أهله، وبالّذي يعلم لهم في نفسه من الودّ، فقال: يا رسول الله، أهلك، وما نعلم إلّا خيرًا، وأمّا عليّ بن أبي طالبٍ فقال: يا رسول الله، لم يضيّق الله عليك، والنّساء سواها كثيرٌ، وإن تسأل الجارية تصدقك، قالت: فدعا

رسول الله ﷺ بريرة، فقال: «**أَيْ بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ؟**» قالت بريرة: لا، والّذي بعثك بالحقّ، إن رأيت عليها أمرًا أغمصه عليها أكثر من أنّها جاريةٌ حديثة السّنّ، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الدّاجن فتأكله، فقام رسول الله ﷺ، فاستعذر يومئذٍ من عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول، فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «**يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي؟ فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي**»، فقام سعد بن معاذٍ الأنصاريّ فقال: يا رسول الله، أنا أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام سعد بن عبادة، وهو سيّد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلًا صالحًا، ولكن احتملته الحميّة فقال لسعدٍ: كذبت لعمر الله، لا تقتله، ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضيرٍ، وهو ابن عمّ سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عبادة: كذبت، لعمر الله لنقتلنّه، فإنّك منافقٌ تجادل عن المنافقين، فتثاورالحيّان: الأوس والخزرج، حتّى همّوا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائمٌ على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفّضهم حتّى سكتوا، وسكت، قالت: فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمعٌ، ولا أكتحل بنومٍ، قالت: فأصبح أبواي عندي، وقد بكيت ليلتين ويومًا لا أكتحل بنومٍ، ولا يرقأ لي دمعٌ، يظنّان أنّ البكاء فالقٌ كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي، وأنا أبكي، فاستأذنت عليّ امرأةٌ من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي، قالت: فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلّم، ثمّ جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه في شأني، قالت: فتشهّد رسول الله ﷺ حين جلس، ثمّ قال: «**أَمَّا بَعْدُ، يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ، وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ**

بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ إِلَى اللهِ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ»، قالت: فلمّا قضى رسول الله ﷺ مقالته، قلص دمعي حتّى ما أحسّ منه قطرةً، فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمّي: أجيبي رسول الله ﷺ، قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، قالت: فقلت، وأنا جاريةٌ حديثة السّنّ، لا أقرأ كثيرًا من القرآن: إنّي والله لقد علمت، لقد سمعتم هذا الحديث حتّى استقرّ في أنفسكم، وصدّقتم به، فلئن قلت لكم: إنّي بريئةٌ، والله يعلم أنّي بريئةٌ، لا تصدّقونني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمرٍ، والله يعلم أنّي منه بريئةٌ، لتصدّقنّي، والله ما أجد لكم مثلًا إلّا قول أبي يوسف قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، قالت: ثمّ تحوّلت فاضطجعت على فراشي، قالت: وأنا حينئذٍ أعلم أنّي بريئةٌ، وأنّ الله مبرّئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظنّ أنّ الله منزلٌ في شأني وحيًا يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلّم الله فيّ بأمرٍ يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النّوم رؤيا يبرّئني الله بها، قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ، ولا خرج أحدٌ من أهل البيت حتّى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتّى إنّه ليتحدّر منه مثل الجمان من العرق وهو في يومٍ شاتٍ من ثقل القول الّذي ينزل عليه، قالت: فلمّا سرّي عن رسول الله ﷺ سرّي عنه وهو يضحك، فكانت أوّل كلمةٍ تكلّم بها: «**يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللهُ** ﷻ، **فَقَدْ بَرَّأَكِ**»، فقالت أمّي: قومي إليه، قالت: فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلّا الله ﷻ، وأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ﴾ العشر الآيات كلّها، فلمّا أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكرٍ الصّدّيق ﵁، وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه، وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الّذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ

وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، قال أبو بكرٍ: بلى والله، إنّي أحبّ أن يغفر الله لي، فرجع إلى النّفقة الّتي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا، قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب ابنة جحشٍ عن أمري، فقال: يا زينب ماذا علمت، أو رأيت؟ فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلّا خيرًا، قالت: وهي الّتي كانت تساميني من أزواج رسول الله ﷺ، فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه القصّة قصّةٌ عظيمةٌ، يبيّن الله فيها سبحانه أنّه يبتلي أولياءه، ويبتلي عباده بالسّرّاء والضّرّاء، ثمّ تكون العاقبة لأهل الإيمان والتّقوى، كما ابتلى الأنبياء بالبلايا العظيمة، وابتلى أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وابتلى داود وغيرهم، ثمّ تكون العاقبة الحميدة، كما في الحديث: «**أشد النَّاس بلاءً الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأمثلُ فالأمثَلُ**».

هذه البلية وقعت على عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وهي الصّدّيقة بنت الصّديق، بسبب العقد، بسبب ذهابها لقضاء حاجتها، ثمّ رجوعها للعقد تلتمسه، حتّى ارتحل الجيش، وجاءت إلى محلّها، فلم تجد أحدًا، فنامت في مكانها حتّى جاء صفوان بن المعطّل ورآها، واسترجع، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما سمعت منه إلّا هذا الكلام، وكان قد رآها قبل الحجاب، وعرفها، فلمّا سمعت الاسترجاع استيقظت، ووضعت جلبابها على وجهها فتحجّبت، ثمّ أناخ النّاقة، قال: اركبي، ثمّ جعل يقود بها حتّى وصل إلى الجيش.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾... إلخ برقم (٤٧٥٠).

فوقعت هذه البلية وهذه المحنة؛ ليعلم الله براءة البرآء، وصدق الصّادقين، وليعلم الله من يتساهل في الأمور، ويلقي الأمور جزافًا، فوقع في ذلك من وقع، وهلك في هذا من هلك، وأشدّهم عبد الله بن أبيّ ابن سلولٍ، وهو رأس المنافقين ورأس المُشِيعين لهذا الأمر، فصدّقه في ذلك من صدقه: حمنة وحسان رضي الله عنهما، فبقيت المسألة نحو شهرٍ ـ شهرًا كاملًا ـ لم ينزل فيها شيءٌ، وأخبرت عائشة رضي الله عنها عن حالها، فأصابها من المرض، ثمّ خروجها إلى البراز، حتّى أخبرتها أم مسطحٍ بما وقع، فأصابها مرضٌ على مرضٍ، حتّى قال لها النّبيّ ﷺ ما قال: «**إِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فتوبي إِلَى اللهِ؛ فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ إِلَى اللهِ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**»، فقالت لأبويها: أجيباه، فلم يستطيعا أن يجيبا رسول الله ﷺ، ثمّ قالت: والله لو قلت لكم: إنّي بريئةٌ، والله يعلم أنّي بريئةٌ لا تصدّقوني، وإن قلت: إني وقعت فيه صدقتموني وقد وقع هذا الأمر، وكثر بين النّاس، والله يعلم أنّي بريئةٌ، ولا أجد لي ولكم مثلًا إلّا كما قال يعقوب ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ أبو يوسف عليه السلام، قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾.

وهذا بعد مضيّ شهرٍ، فلم يقم النّبيّ ﷺ من مجلسه حتّى أنزل الله براءتها، وأخذه ما كان يأخذه عند الوحي، فلمّا سرّي عنه، قال: يا عائشة أبشري، ضحك وقال: «**أبشري، إنّ اللهَ قَدْ برأَكِ**».

فهذا يدلّ على أنّ أهل التّقوى والإيمان، وإن أصابتهم الشّدائد، فالعاقبة للمتقين، كما قال جل وعلا: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

فلمّا أنزل الله براءتها أقام الحدّ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ على حمنة وعلى حسّان رضي الله عنهما، وعرف النّاس هذا الأمر العظيم وبراءتها منه، وافتضح عبد الله بن أبي ابن سلولٍ، وجرى بسبب هذا ما سمعتم في قول النّبيّ ﷺ: من يعذرني، وتنازع طائفتان ـ الأوس والخزرج ـ في هذا

الأمر، وظهر قوة إيمان سعد بن معاذٍ وشرفه رضي الله عنه، وكلمته العظيمة.

فهذا يبيّن للمؤمن أنّه يتأسّى بالأخيار، ولا يجزع، وإذا بلي يصبر ويحتسب ويسأل ربّه الفرج والبيان، ولا يجزع، فقد ابتلي من هو خيرٌ منه وأفضل منه، فعليه أن يتوقّى الشّرّ، ويتوقّى البلاء، ويحذر، ومتى وقع في شيءٍ من ذلك فليصبر وليحتسب، ويسأل ربّه الفرج والبراءة، والله يقول سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، ويقول: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦]، والله المستعان.

وفي قولها: (خمَّرتُ وجْهِي) دلالةٌ على أنّهم قبل الحجاب كانت المرأة تكشف وجهها، فلمّا نزل الحجاب أمر بتخمير الوجوه، وهذا صريحٌ في أن حجاب الوجه داخلٌ في الحجاب الّذي نزل؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، لما سمعت صوته قالت: «فخمّرت وجهي، وكان قد رآني فعرفني، وكان قد رآني قبل الحجاب»؛ فدلّ ذلك على أنه بعد الحجاب لا يرى ولا يعرف وجهها.

وهكذا روى مسلمٌ هذه اللفظة وهي في «الصّحيحين» من حديث عائشة رضي الله عنها.

قوله: (المناصعُ، وَهُوَ متبرزُنَا): بالرفع، محلّ قضاء الحاجة، في ضواحي المدينة، ما كانوا يتخذون الكنف في البيوت.

• **س: هذا صريحٌ في تغطية الوجه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ما فيه شكٌّ، صريحٌ في دخوله في الحجاب، بعضهم يجيب بأنّه خاصٌّ بأمهات المؤمنين، وهذا غلطٌ ليس الحجاب خاصًا بأمهات

المؤمنين، الحجاب للأمة كلّها والآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، ليس الحجاب خاصًّا بأمهات المؤمنين.

● **س: تقول: إنّما كان يأتي (البلقة) ما معنى (البلقة)؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العلقة العلقة: الشّيء القليل.

● **س: وهو متبرزنا. مبتدأ وخبر هنا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم، متبرزنا مبتدأ وخبر، هو متبرزنا.

قوله: (يا رسول الله أهلك وما نعلم إلّا خيرًا):

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أهلك) كذا بالرفع عندك؟

(**من الطّالب**): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما قال عليها شيئًا الشّارح؟ يحتمل: هم أهلك، ويحتمل النصب يعني الزم أهلك، أو أبق أهلك.

(**من الطّالب**): العيني تعرّض قال (١٩/ ٨٤): «بالنصب، ولأبي ذر أهلك بالرفع؛ أي: هي أهلك».

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٤٦٨)]: «قوله: أهلك بالرّفع، فإنّ في رواية معمرٍ: هم أهلك ولو لم تقع هذه الرّواية لجاز النصب؛ أي: أمسك، ومعناه: هم أهلك؛ أي: العفيفة اللائقة بك». [انتهى كلامه].

قوله: (إن رأيت عليها أمرًا أغمصه عليها): «إن رأيت»؛ يعني: ما رأيت «إن» نافيةٌ، إن رأيت؛ يعني: ما رأيت، مثل قوله ﷻ: ﴿إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ﴾ [يونس: ٦٨]؛ يعني: ما عندهم من سلطانٍ بهذا.

قولها: (وأنا حينئذٍ أعلم أنّي بريئةٌ، وأنّ الله مبرّئي ببراءتي): وهذا فيه بيان هذه الفائدة العظيمة، وهي أن أمور الغيب إلى الله ﷻ، لا يعلمها أحدٌ، فلو كان أحدٌ يعلم الغيب لكان الرّسول ﷺ أولى النّاس بهذا، ثمّ الصّدّيق أفضل الأولياء بعد رسول الله، بعد الأنبياء، ثمّ الصّدّيق رضي الله عنه، وابنته الصّدّيقة وزوجته رضي الله عنها كلّهم لا يعلمون الغيب، ومن جملتهم عليٌّ رضي الله عنه أيضًا، من أولياء الله عليٌّ رضي الله عنه وأسامة بن زيدٍ رضي الله عنهما وغيرهم من الصّحابة رضي الله عنهم، كلّهم من أولياء الله، ومع هذا لا يعلمون الغيب.

وهؤلاء الفجرة من غلاة الصّوفية وأشباههم يدّعون علم الغيب، وأنّ الأولياء يعلمون علم الغيب، وأنّ أئمّة الشّيعة يعلمون الغيب! وهذا من الكفر البواح، ومن الجهل العظيم، كيف يخفى علم الغيب على رسول الله ﷺ، ولا يدري عن عائشة رضي الله عنها هل ما قيل في هذا صحيحٌ أو ليس بصحيحٍ؟!

والصدِّيق رضي الله عنه لا يعلم ذلك، وزوجته أمّها لا تعلم ذلك، وأسامة رضي الله عنه لا يعلم ذلك، وعليٌّ رضي الله عنه لا يعلم ذلك، وسعد بن معاذٍ رضي الله عنه لا يعلم ذلك؛ فكيف بغيرهم؟!

فكيف يجوز لمن له عقلٌ أن يدّعي علم الغيب، أو يدّعيه في أحدٍ من النّاس بعد هذا وما جاء في معناه، والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]؟!.

فالأولياء كلّهم من باب أولى، إذا كان الرّسل عليهم السلام لا يعلمون فالأولياء من باب أولى.

وفي هذا أنّ الإنسان يبتلى، ولو كان من الأفاضل، ولو كان من خيرة الأولياء كعائشة رضي الله عنها، وكذلك الرّسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، الرّسل يبتلون؛ فإنّ النّبيّ ﷺ ابتلي في أهله ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ،

وابتلي في نفسه يوم أحدٍ، وابتلي الصّحابة ﵃ في أنفسهم، وهم خيرة أولياء الله، وأفضل أولياء الله بعد الأنبياء ﵈.

فالابتلاء والامتحان يقع على الأخيار وعلى غيرهم، ولكنّ الأخيار أشدّ كما في الحديث: «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلاَءً الأَنْبِيَاء، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ**». الله المستعان.

الله أكبر، حديثٌ عظيمٌ جليلٌ، حديث الإفك يستحقّ مؤلّفًا، ولعلّ ألّف فيه أحدٌ، يستحقّ أن يؤلّف فيه مؤلّفٌ؛ لعظم فوائده، وكثرة فوائده.

• **س: يقول في «الفتح»: «وفيه شؤم الحرص على المال؛ لأنّها لو لم تُطل في التّفتيش لرجعت بسرعةٍ؛ فلمّا زاد على قدر الحاجة أثّر ما جرى»، هل يليق هذا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀:

ما هي مناسبةٌ؛ لأنّ الإنسان إذا ضاع له شيءٌ فلا مانع أن يلتمسه، وينظر فيه، ولّا ظنّت أن أمرها يخفى، وأنّهم يرحلون أنّ هودجها يرحلونه، ما ظنّت هذا الأمر، ولا حرج على الإنسان إذا ضاع منه شيءٌ أن يلتمسه، وليس هذا من الحرص على المال، هذه كلمةٌ ليست جيدةً، أساء فيها الحافظ ﵀.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [النور: ١٤].

وقال مجاهدٌ: ﴿تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ [١٥]: يرويه بعضكم عن بعضٍ، ﴿تُفِيضُونَ﴾ [الأحقاف: ٨]: تقولون.

حدّثنا محمّد بن كثيرٍ، أخبرنا سليمان عن حصينٍ، عن أبي وائلٍ،

عن مسروقٍ عن أمّ رومان أمّ عائشة أنّها قالت: «لمّا رميت عائشة خرّت مغشيًّا عليها»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعني: لما أخبرت، ما يستغرب هذا؛ لأنّ الأمر عظيم.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور].

حدّثنا إبراهيم بن موسى، حدّثنا هشامٌ أنّ ابن جريج أخبرهم قال ابن أبي مليكة: سمعت عائشة تقرأ: (إِذْ تَلِقُوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ)(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعني: تكذّبونه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: تكلّم عليه؟ على القراءة؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٨/ ٤٨٣)]: «قوله: (**وقال مجاهدٌ: تلقّونه يرويه بعضكم عن بعضٍ**): وصله الفريابيّ من طريقه، وقال: معناه من التلقّي للشّيء، وهو أخذه وقبوله، وهو على القراءة المشهورة، وبذلك جزم أبو عبيدة وغيره.

وتلقّونه بحذف إحدى التّاءين، وقرأ ابن مسعودٍ بإثباتها، وقراءة عائشة ويحيى بن يعمر «تلقونه» بكسر اللّام وتخفيف القاف من الولق

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ برقم (٤٧٥١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ برقم (٤٧٥٢).

بسكون اللّام، وهو الكذب. وقال الفرّاء: الولق الاستمرار في السّير وفي الكذب، ويقال: الّذي أدمن الكذب الألق بسكون اللّام وبفتحها أيضًا.

وقال الخليل: أصل الولق الإسراع، ومنه جاءت الإبل تلق، وقد تقدّم في غزوة المريسيع التّصريح بأن عائشة قرأته كذلك، وأن ابن أبي مليكة قال: هي أعلم من غيرها بذلك؛ لكونه نزل فيها، وقد تقدّم فيه أيضًا الكلام على إسناد حديث أمّ رومان المذكور في هذا الباب، والمذكور هنا طرفٌ من حديثها، وقد تقدّم بتمامه هناك وتقدّم شرحه مستوفًى في الباب الّذي قبله في أثناء حديث عائشة.

وقال الإسماعيليّ: هذا الّذي ذكره من حديث أمّ رومان لا يتعلّق بالتّرجمة. وهو كما قال. إلّا أنّ الجامع بينهما قصّة الإفك في الجملة.

وقوله في هذه الرّواية: حدّثنا محمّد بن كثيرٍ، حدّثنا سليمان عن حصينٍ: كذا للأكثر، وسليمان هو ابن كثيرٍ أخو محمّدٍ الرّاوي عنه. وللأصيليّ عن الجرجانيّ سفيان بدل سليمان. قال أبو عليّ الجيّانيّ: هو خطأٌ، والصّواب سليمان. وهو كما قال». [انتهى كلامه].

قال ابن بازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا منافاة بين قراءة عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وقراءة الجمهور؛ فإنّ الجمهور تلقّوه عن النّبيّ ﷺ، وهو أعلم بما نزل عليه.

﴿تَلَقَّوْنَهُۥ﴾؛ يعني: يتلقّاه بعضهم عن بعضٍ؛ فيسمع هذا عن هذا، وينقله هذا عن هذا بلسانه، وهو الواقع، أنّه أخذه المنافقون ونشروه في النّاس، وتلقّاه النّاس عن عبد الله بن أبيٍّ وأشباهه، ونقلوه بالألسنة حتّى فشا؛ ولهذا قال: ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ ولو كان التلقّي بغير اللّسان، لو كان التلقي بالقلوب والصمت لم ينتشر، وإنّما التّلقّي باللّسان.

أما «تَلِقُونَه» بمعنى: تكذبونه، (ولَقَه يَلِقُه) فهو له وجهه، ولكن المقصود الأول؛ لأنّ كثيرًا من النّاس ما كذب، إنّما تلقاه ولم يكذبه،

تلقّاه عن غيره ونقله عن غيره ظنًّا أنّه صحيحٌ؛ لعدم بصيرته في الواقع؛ ولهذا قراءة الجمهور هي المعتمدة.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ **[النور]**.

حدّثنا محمّد بن المثنّى، حدّثنا يحيى، عن عمر بن سعيد بن أبي حسينٍ، قال: حدّثني ابن أبي مليكة قال: استأذن ابن عبّاسٍ قبيل موتها على عائشة وهي مغلوبةٌ، قالت: «أخشى أن يثنى عليّ» فقيل: ابن عمّ رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين، قالت: «ائذنوا له»، فقال: كيف تجدينك؟ قالت: «بخيرٍ إن اتّقيت»، قال: فأنت بخيرٍ، إن شاء الله، زوجة رسول الله ﷺ، ولم ينكح بكرًا غيرك، ونزل عذرك من السّماء، ودخل ابن الزّبير خلافه فقالت: «دخل ابن عبّاسٍ فأثنى عليّ، ووددت أنّي كنت نسيًا منسيًّا»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من شدّة التّواضع ـ الله المستعان ـ وهذا تبعت فيه مريم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت فيه هذا مثل ما قالت مريم ـ الله المستعان ـ لعظم الخطب، فإنّ مريم جاءت بالولد من غير أبٍ؛ فعظم عليها الأمر حتّى قالت ما قالت مع تقواها لله، ومع إيمانها وشهادة الله لها بأنّها أحصنت فرجها.

وعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قال فيها أهل الإفك ما قالوا، وبرّأها الله وهي بريئةٌ،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ برقم (٤٧٥٧).

ونشرت العلم بين الأمّة، وأحسنت إلى النّاس بالتّعليم والتّوجيه والإرشاد والنصائح، وأنفقت الأموال الكثيرة في طاعة الله، ومات عنها الرّسول وهو راضٍ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، ومع هذا تخاف وتخشى. الله المستعان.

وهذا مصداق ما قاله بعض السّلف: «من كان بالله أعرف كان منه أخوف، ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرّحمن: ٤٦]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧]».

كلّما قوي العلم بالله، والإيمان بالله صار الخوف أشدّ والحذر.

• س: يا شيخ: عندما أثنى عليها ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما فأجابت بعد ما خرج أنّها لو كانت نسيًا منسيًّا لماذا ما فرحت يعني؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لأنّ ما في قلبها من الخوف منعها من ذلك، الخوف من الله، وأنّها قصّرت في الواجب؛ هذا من كمال إيمانها خافت؛ لأنّها خرجت بعد مقتل عثمان رضي الله عنه وجرى ما جرى، وخافت أن يكون لحقها من ذلك ما يضرّها، مع أنّها ما خرجت إلّا للإصلاح وقصد الخير.

*

حدّثنا محمّد بن المثنّى، حدّثنا عبد الوهّاب بن عبد المجيد، حدّثنا ابن عونٍ، عن القاسم أنّ ابن عبّاسٍ رضي الله عنه استأذن على عائشة نحوه، ولم يذكر: «نسيًا منسيًّا».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

مثل ما قالت مريم: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣]؛ لأنّ الأمر عظيمٌ، لكن الحمد لله لما أظهر الله البراءة زال كلّ شيءٍ والحمد لله.

*

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا﴾ الآية [النور: ١٧].

حدّثنا محمّد بن يوسف، حدّثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضّحى، عن مسروقٍ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء حسّان بن ثابتٍ يستأذن عليها، قلت: أتأذنين لهذا؟ قالت: «أوليس قد أصابه عذابٌ عظيمٌ؟»[1] قال سفيان: تعني ذهاب بصره، فقال:

حصانٌ رزانٌ ما تزنّ بريبةٍ وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

قالت: «لكن أنت».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

• س: ما ترن بالراء ما في زاي؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لا، بالزاي، ما تزن، ترمى يعني، الزّنّ الرمي.

وهذا من حسان يعتذر رضي الله عنه يقول: إنه مكذوبٌ عليه أنّه رماها، يقول: إنّه مكذوبٌ عليه، ما قال فيها شيئًا والنّبيّ ﷺ أقام عليه الحدّ؛ لأنّه شهد عليه بذلك؛ وهو يكذّب الشّهود ويقول: إنّهم كذبوا عليه، ولهذا يقول:

(حصانٌ رزانٌ ما تزنّ بريبةٍ)؛ يعني: ما ترمى بريبةٍ. (وتصبح غرثى من لحوم الغوافل).

لئن كان ما قد قيل عنّي قلته فلا رفعت يدي إليّ أناملي

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا﴾ برقم (٤٧٥٥)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل حسان بن ثابت برقم (٢٤٨٨).

فلا رفعت يدي إليّ أناملي.

يعني: ما قلت فيها إلّا الخير رضي الله عنه.

وهو ممّن التبس عليه الأمر وتبرّأ مما قال ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ .الله المستعان:

لئن كان ما قد قيل عنّي قلته فلا رفعت يدي إليّ أناملي

الله المستعان، الله أكبر، يتبرّأ ممّا قال. كذب عليه من كذب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ما تكلّم على (**حصانٌ رزانٌ**)؟

(**القارئ**): [قال الحافظ ابن حجرٍ رحمه الله في «الفتح» (٨/ ٤٨٦)]: «قوله: (**حصانٌ**): بفتح المهملة، قال السّهيليّ: هذا الوزن يكثر في أوصاف المؤنّث وفي الأعلام منها، كأنّهم قصدوا بتوالي الفتحات مشاكلة خفّة اللّفظ لخفّة المعنى، حصانٌ من الحصين والتّحصين يراد به الامتناع على الرّجال ومن نظرهم إليها.

وقوله: (**رزانٌ**): من الرّزانة، يراد قلّة الحركة وتزنّ بضمّ أوّله ثمّ زايٌ ثمّ نونٌ ثقيلةٌ؛ أي: ترمى. وقوله: (**غرثى**) بفتح المعجمة وسكون الرّاء ثمّ مثلّثةٍ؛ أي: خميصة البطن؛ أي: لا تغتاب أحدًا، وهي استعارةٌ فيها تلميحٌ بقوله تعالى في المغتاب: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾.

والغوافل: جمع: غافلةٍ، وهي العفيفة الغافلة عن الشّرّ، والمراد تبرئتها من اغتياب النّاس بأكل لحومهم من الغيبة، ومناسبة تسمية الغيبة بأكل اللّحم أنّ اللّحم سترٌ على العظم؛ فكأنّ المغتاب يكشف ما على من اغتابه من سترٍ.

وزاد ابن هشامٍ في السّيرة في هذا الشّعر على أبي زيدٍ الأنصاريّ:

عقيلة حيٍّ من لؤيّ بن غالبٍ كرام المساعي مجدهم غير زائل

مهذّبةٌ قد طيّب اللّه خيمها وطهّرها من كل سوء وباطل

وفيه عن ابن إسحاق:

فإن كنت قد قلت الّذي زعموا لكم فلا رفعت سوطي إليّ أناملي
فكيف وودّي ما حييت ونصرتي لآل رسول اللّه زين المحافل».

[انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: رضي الله عنها وأرضاها.

● **س: أحسن الله إليك، قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، تستشهد عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قد أصابه عذابٌ أليمٌ، أورد في «الصارم المسلول» شيخ الإسلام أورد أقوال من قال: إنّ هذا خاصٌّ بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أصابه العذاب الأليم فهل هذا متّجه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما هو بظاهرٍ، الوعيد يعمّ.

● **س: أحسن الله إليك: من المنافقين الشهود، الشهود الّذين شهدوا عليه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا بدّ؛ النّبيّ ﷺ ما نفذ بهم إلّا أنّهم عدولُ الظّاهر، ولكن قد يغلط الإنسان، قد يغلط الشّاهد وإن كان عدلًا.

● **س: الله يحفظك: كيف الجمع بين قول النّبيّ ﷺ: «فإنّ العبد إذا اعترف بذنبه ثمّ تاب إلى الله تاب الله عليه»، وقوله ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ في الحديث الآخر: «ثم أصبح..»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا حقٌّ، نصّ القرآن، إذا تاب تاب الله عليه، هذا أمرٌ معلومٌ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ

أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦]. نصّ القرآن، والنّبيّ يقول ﷺ: «**التَّوْبَةُ تجبُّ مَا قَبْلَهَا**»(١) إذا تاب العبد تاب الله عليه.

• **س: أي نعم؟ لكن باقي الحديث يا شيخ الله يحفظك: «كُلّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ»(٢)؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا جاهروا فهم ليسوا من أهل العافية، وإذا تابوا تاب الله عليهم.

• **س: ولو مجاهرًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولو مجاهرًا، المشرك مجاهرٌ وإن تاب تاب الله عليه.

• **س: أحسن الله إليك: من قال: إن النّبيّ ﷺ لم يحز رأس المنافقين؛ لأنّه منافقٌ ولا يطهّره الحدّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا لأجل مسألة التّأليف ودرء الفتنة؛ لأنّ عبد الله بن أبيٍّ رئيس في قومه، وكان النّبيّ ﷺ يتلطّف به وبقومه، ويدرأ أسباب الفتنة من باب التّأليف ودرء الفتن.

• **س: أحسن الله إليك، هل ترد شهادة من أقيم عليه الحد بعد أن يشهد؟**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج برقم (١٢١). بلفظ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟**».

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه برقم (٦٠٦٩)، ومسلم في كتاب الزهد والرقاق، باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه برقم (٢٩٩٠).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، إذا تاب الحمد لله.

• **س: عبد الله بن أبي ابن سلولٍ كان يصرح بالقذف أم كان يبطن؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

عبد الله بن أبي ابن سلولٍ نعم معروفٌ عنه هذا، هو الّذي أشاعه، ولكن الرّسول ﷺ درأ عنه أشياء كثيرةً؛ رجاء أن يهديه الله، ولكنه مات على نفاقه ـ نسأل الله العافية ـ؛ لأنه رئيسٌ في قومه، لو أقيم عليه الحدّ لربّما جرّ شرًّا عظيمًا.

• **س: أحسن الله إليك: وقول النّبيّ ﷺ لعائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **اعترفي؛ فيه بيان أن من سرق أو قتل...؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا عامٌّ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ولغيرها، مَن ألمَّ بذنبٍ ثمّ تاب تاب الله عليه، سواء عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أو غير عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، هذا عامٌّ.

• **س: يقصد الاعتراف الخاصّ، ساعة الاعتراف أمام النّبيّ ﷺ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما فيه بأسٌ، إذا اعترف الإنسان وتاب تاب الله عليه، أمام السّلطان أو غير السّلطان.

* *

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النور: ١٨].

حدّثنا محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا ابن أبي عديٍّ أنبأنا شعبة، عن الأعمش، عن أبي الضّحى، عن مسروقٍ قال: دخل حسّان بن ثابتٍ على عائشة فشبّب وقال:

حَصانٌ رزانٌ ما تُزنّ بريبةٍ وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

قالت عائشة: «لست كذاك»، قلت: تدعين مثل هذا يدخل عليك، وقد أنزل الله: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [١١] فقالت: «وأيّ عذابٍ أشدّ من العمى؟»، وقالت: «وقد كان يردّ عن رسول الله ﷺ»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: على ما بلغها عنه، وله البيت الثّاني بعده:

لئن كان ما قد قيل عنّي قلته فلا رفعت يدي إليّ أناملي

«فلا رفعت يدي إليّ أناملي»؛ يعني: أنّه كذبٌ عليّ.

قوله: «وقد كان يرد عن رسول الله ﷺ»: يعني: ينافح عن رسول الله بأشعاره الطّيّبة؛ ولهذا سمحت له، والمشهور في الآية أن الّذي تولّى كبره هو عبد الله بن أبيّ.

والمشهور أن الّذي تولّى كبره هو عبد الله بن أبي ابن سلولٍ، وإنّما حسّان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قيل عنه ما قيل، وكُذب عليه؛ حتّى صار ممّن أقيم عليه الحدّ هو وحمنة وامرأةٌ أخرى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، الله المستعان، أو هو حسان ومسطحٌ، رجلان وامرأةٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

• **س: كيف يجمع بين إقامة الحدّ على حسّان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وبين البيت(٢)؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الظّاهر أنّه يعني: كُذب عليه، أنّهم شهدوا عليه، يمكن كذبوا عليه أو لبّس عليه فيه.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٨﴾ برقم (٤٧٥٦)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت برقم (٢٤٨٨). انظر (ص٣٢٨).

(٢) يعني قولَ حسانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (حصان رزان...) إلخ؛ يعني: كونه ممن اتُّهم بذلك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، مع أنه صرَّح في هذه الأبيات بعفَّةِ عائشةَ وطهارتها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

لئن كان ما قد قيل عنّي قلته   فلا رفعت يدي إليّ أناملي

في لفظٍ: «.... سوطي إلي أناملي».

(السّائل): يعني: شهدوا عليه وهو بريء؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كأنّه، ظاهر ما قاله، وهو صادقٌ ليس من أهل الكذب، أعماله في ذبّه عن رسول الله ﷺ وأشعاره في ذلك أمرٌ معلومٌ... [1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وما يبعد أن يكون بعض النّاس غلط وأخذ ما أشيع، وشهد أو ظنّ شيئًا لم يقتض ذلك؛ فشهد به وكان لم يقله عن نفسه، وإنّما نقله عن آخرين، وفي الفتنة يقع فيها أشياء.

● **س: ... عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **ما يدلّ على..؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كأنّه شيء ثبت لديها، ولهذا أقيم الحدّ.

● **س: أحسن الله إليك: قول حسّان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **فلا رفعت يدي إلي أناملي؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يؤكّد صدقه، وأنّه لم يتكلّم فيها، وأنّ الشّهود كذبوا عليه أو وهموا.

● **س: يعني: هل يجوز للإنسان لتأكيد خبره أن يقول: أفقد ذريتي أو أفقد أموالي كلّها إذا كنت كاذبًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

من باب التّأكيد للمقام، ما أعلم؛ يعني: شيئًا واضحًا في هذا، لكن دعا على نفسه ليظهر براءته مما نسب إليه، ما أعلم في هذا شيئًا واضحًا.

---

(١) كلمة غير واضحة.

• **س: أحسن الله إليك: قول النّبيّ ﷺ: «لا تدعوا عَلَى أنفسكم ولا أموالِكُم»، لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا العموم، لكن قد يكون مستثنًى منه هذا، إذا أراد تأكيد براءة ساحته، الله أعلم، محلّ نظرٍ.

• **س: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

المعروف: عبد الله بن أبي ابن سلولٍ.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾، ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ١٩، ٢٠، ٢٢][(١)].

وقال أبو أسامة عن هشام بن عروة قال: أخبرني أبي، عن عائشة قالت: «لمّا ذكر من شأني الّذي ذكر، وما علمت به، قام رسول الله ﷺ فيّ خطيبًا، فتشهّد فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثمّ قال: **«أَمَّا بَعْدُ، أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي أُنَاسٍ أَبَنُوا أَهْلِي، وَايْمُ اللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي مِنْ سُوءٍ، وَأَبَنُوهُمْ بِمَنْ وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَطُّ، وَلَا يَدْخُلُ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا وَأَنَا حَاضِرٌ، وَلَا غِبْتُ فِي سَفَرٍ إِلَّا غَابَ مَعِي»**، فقام سعد بن معاذٍ

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري رحمه الله كتاب التفسير.

فقال: ائذن لي يا رسول الله أن نضرب أعناقهم، وقام رجلٌ من بني الخزرج، وكانت أمّ حسّان بن ثابتٍ من رهط ذلك الرّجل فقال: كذبت، أما والله أن لو كانوا من الأوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم حتّى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج شرٌّ في المسجد، وما علمت، فلمّا كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتي، ومعي أمّ مسطحٍ، فعثرت وقالت: تعس مسطحٌ، فقلت: أي أمّ، تسبّين ابنك؟ وسكتت، ثمّ عثرت الثّانية فقالت: تعس مسطحٌ، فقلت لها: تسبّين ابنك؟ ثمّ عثرت الثّالثة، فقالت: تعس مسطحٌ، فانتهرتها، فقالت: والله ما أسبّه إلّا فيك، فقلت: في أيّ شأني؟ قالت: فبقرت لي الحديث، فقلت: وقد كان هذا؟ قالت: نعم والله، فرجعت إلى بيتي كأنّ الّذي خرجت له لا أجد منه قليلًا، ولا كثيرًا، ووعكت، فقلت لرسول الله ﷺ: أرسلني إلى بيت أبي، فأرسل معي الغلام، فدخلت الدّار فوجدت أمّ رومان في السّفل، وأبا بكرٍ فوق البيت يقرأ، فقالت أمّي: ما جاء بك يا بنيّة؟ فأخبرتها، وذكرت لها الحديث، وإذا هو لم يبلغ منها مثل ما بلغ منّي، فقالت: يا بنيّة، خفّضي عليك الشّأن، فإنّه والله لقلّما كانت امرأةٌ قطّ حسناء عند رجلٍ يحبّها لها ضرائر إلّا حسدنها، وقيل فيها، وإذا هو لم يبلغ منها ما بلغ منّي، قلت: وقد علم به أبي؟ قالت: نعم، قلت: ورسول الله ﷺ؟ قالت: نعم، ورسول الله ﷺ، واستعبرت وبكيت، فسمع أبو بكرٍ صوتي وهو فوق البيت يقرأ، فنزل فقال لأمّي: ما شأنها؟ قالت: بلغها الّذي ذكر من شأنها، ففاضت عيناه، قال: أقسمت عليك أي بنيّة، إلّا رجعت إلى بيتك، فرجعت، ولقد جاء رسول الله ﷺ بيتي، فسأل عنّي خادمتي، فقالت: لا والله ما علمت عليها عيبًا، إلّا أنّها كانت ترقد حتّى تدخل الشّاة، فتأكل خميرها، أو عجينها، فانتهرها بعض أصحابه فقال: اصدقي رسول الله ﷺ، حتّى أسقطوا لها به، فقالت: سبحان الله، والله ما علمت عليها إلّا ما يعلم الصّائغ على تبر الذّهب الأحمر، وبلغ الأمر إلى ذلك الرّجل الّذي قيل له، فقال: سبحان الله، والله ما كشفت كنف

أنثى قطّ، قالت عائشة: فقتل شهيدًا في سبيل الله، قالت: وأصبح أبواي عندي، فلم يزالا حتّى دخل رسول الله ﷺ وقد صلّى العصر، ثمّ دخل وقد اكتنفني أبواي عن يميني وعن شمالي، فحمد الله، وأثنى عليه، ثمّ قال: «أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، إِنْ كُنْتِ قَارَفْتِ سُوءًا، أَوْ ظَلَمْتِ فَتُوبِي إِلَى اللهِ، فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ عِبَادِهِ»، قالت: وقد جاءت امرأةٌ من الأنصار فهي جالسةٌ بالباب، فقلت: ألا تستحي من هذه المرأة أن تذكر شيئًا، فوعظ رسول الله ﷺ، فالتفتّ إلى أبي فقلت: أجبه، قال: فماذا أقول؟ فالتفتّ إلى أمّي، فقلت: أجيبيه، فقالت: أقول ماذا؟ فلمّا لم يجيباه، تشهّدت، فحمدت الله، وأثنيت عليه بما هو أهله، ثمّ قلت: أمّا بعد، فوالله لئن قلت لكم إنّي لم أفعل، والله ﷻ يشهد إنّي لصادقةٌ، ما ذاك بنافعي عندكم، لقد تكلّمتم به، وأشربته قلوبكم، وإن قلت إنّي فعلت، والله يعلم أنّي لم أفعل، لتقولنّ: قد باءت به على نفسها، وإنّي والله ما أجد لي ولكم مثلًا، والتمست اسم يعقوب، فلم أقدر عليه، إلّا أبا يوسف حين قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، وأنزل على رسول الله ﷺ من ساعته، فسكتنا، فرُفع عنه، وإنّي لأتبيّن السّرور في وجهه وهو يمسح جبينه، ويقول: «أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ بَرَاءَتَكِ»، قالت: وكنت أشدّ ما كنت غضبًا، فقال لي أبواي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمده، ولا أحمدكما، ولكن أحمد الله الّذي أنزل براءتي، لقد سمعتموه فما أنكرتموه، ولا غيّرتموه، وكانت عائشة تقول: أمّا زينب ابنة جحشٍ فعصمها الله بدينها، فلم تقل إلّا خيرًا، وأمّا أختها حمنة فهلكت فيمن هلك، وكان الّذي يتكلّم فيه مسطحٌ، وحسّان بن ثابتٍ، والمنافق عبد الله بن أبيٍّ، وهو الّذي كان يستوشيه، ويجمعه، وهو الّذي تولّى كبره منهم، هو وحمنة، قالت: فحلف أبو بكرٍ أن لا ينفع مسطحًا بنافعةٍ أبدًا، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ إلى آخر الآية؛ يعني: أبا بكرٍ ﴿وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾؛ يعني: مسطحًا إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾، حتّى قال أبو بكرٍ: بلى والله يا ربّنا، إنّا لنحبّ أن تغفر لنا، وعاد له بما كان يصنع»[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اللّهمّ ارض عنها، يبتلى العبد: «**أشدُّ النَّاس بلاءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأمثلُ فالأَمْثَلُ**» هذا من الابتلاء والامتحان: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣] رضي الله عنها.

قولها: (**فبقرت**)؛ يعني: قطعته ما أتت به كاملًا من شدّة الخجل، أعطتها قطعةً ولم تكمل لها الحديث.

«وأبنوا»: اتّهموا. الله المستعان.

وهذا يدلّ على كبر عقل عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وفهمها على صغر سنّها، فإنّها كانت حين الواقعة بنت خمس عشرة سنةً أو ستّ عشرة سنةً تقريبًا؛ ومع هذا هذا العقل العظيم، والثبات العظيم، ثمّ خطبتها أمام النّبيّ ﷺ وكلامها الكلام العظيم، واستشهادها بقصّة يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ كلّ هذا يدلّ على علمٍ عظيمٍ على صغر السّنّ، وفهمٍ ورجاحة عقلٍ وثباتٍ، سبحان الله، ما أعظم شأنه! الله أكبر.

● **س**: ...؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نصّ القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ سمّاه إفكًا.

● **س: أحسن الله إليكم: يا شيخ الرّواية هذه أنّ عبد الله بن أبي هو الّذي تولّى كبره؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مثل ما قال العلماء، وقالت هنا هو الّذي تولّى كبره.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ...﴾ إلخ برقم (٤٧٥٧).

• **س: أحسن الله إليك: تسمية الطفلة رزان ما رأيكم فيه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

رزانٌ ما فيه شيءٌ، رزان يعني: جيدة، جيدة العقل، ثقيلة العقل، رزانٌ مثل ما قيل في عائشة: حصانٌ رزانٌ.

• **س: قولها: وكان الّذي تكلّم في مسطحٍ وحسّان؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

اتبعوا عبد الله بن أبيٍّ، أسرّوا بكلام عبد الله بن أبي وجماعته.

• **س: تكلّم حسّان أحسن الله إليك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

اغتروا بهذا والله يعفو عنّا وعنهما، وقد أقيم عليهما الحدّ؛ والحدّ كفارةٌ.

• **س: أحسن الله إليك كم عمر عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **في ذلك الوقت سنّها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

حوالي خمسة عشر، مات النّبيّ وهي بنت ثمانية عشر، تزوجها ودخل بها بنت تسعٍ، ومات عنها وهي بنت ثمانية عشر، والحادثة يمكن أنّها بنت خمسة عشرٍ أو قبل وفاة النّبيّ بثلاث سنين أو أربع سنين.

هذا يدلّ على عظم عقلها على صغر سنّها، عظم عقلها ودينها، أمرها عظيمٌ على صغر سنّها ـ رضي الله عنها ورحمها ـ.

غاب عنها اسم يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، نسيت اسم يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ فقالت: ما لي ولكم مثلٌ إلّا ما قال أبو يوسف؛ يعني: يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [النور: ٢٧][(١)].

فالسُّنَّة أن يستأذن قبل أن يدخل، يقول السلام عليكم، ويكررها ثلاثًا، حتى يؤذن له أو يسكت، أو يقال له: لا نأذن لك؛ لأن الناس لهم حاجات، وقد يكون عندهم موانع، فيستأذن ويقول: السلام عليكم، أأدخل؟ السلام عليكم، السلام عليكم، فإن أذن له وإلا فلينصرف، هكذا شرع الله ﷻ.

وما يتعلق باستئذان أهل البيت على بعضهم لو تكرمتم[(٢)]؟

السُّنَّة هي أن يستأذن بعضهم على بعض، هذا مشروع حتى الزوج يستأذن على زوجته؛ لأنه قد يراها على حالة لا تناسب، فينبغي له أن يستأذن على أهله، حتى يعلموا وصوله، إن كان هناك شيء يحتاج إلى ستر ستروه، حتى لا يتكدر بشيء.

المقصود: أن الاستئذان مطلوب من الزوج والعبد والأخ والعم ونحو ذلك.

يقول الله تعالى، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٨].

هذا واجب، فهو واجب على المؤمن مثل ما بيَّن الله ﷻ أن

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٩٠).

(٢) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٩٣).

المؤمن يستأذن في هذه الأوقات الثلاثة؛ لأنه قد يرى أهله على حالة غير مناسبة، فينبغي له أن يستأذن في هذه الحال وما بعدها ليس عليه بأس في ذلك؛ لأن الأحوال ظاهرة وبارزة بخلاف الأوقات الثلاثة.

*

❑ **قوله تعالى:** ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [النور: ٢٩].

● **تفسير قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:** ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾. **وهل المقصود الدخول فقط أم الدخول والإقامة[(١)]؟**

هذا نص الآية، ليس عليهم بأس الدخول لأخذ متاعهم، إذا صار فيها متاع لهم، سيارة يأخذها، أثاث يأخذه، لا بأس؛ لأن هذا الشيء لا يضر السكن، يفرغه لأهله. أما أن يقيم بها فهذا فيه تفصيل إن كانت مسموحًا بها للناس يسكنون فيها فلا بأس أن يسكن بها صاحبها طالبًا الأجر كالمساكن التي توقف على عابر السبيل.

أما إذا كان صاحب السكن لم يأذن به للناس ولم يجعله سبيلًا للناس بل ترك سكنه لعارض من العوارض فلا يسكن إلا بأذنه؛ لكن إذا كان فيه متاع لك تدخل وتأخذه لا بأس، تأخذ متاعك من سيارة، أو فراش، أو غير ذلك، وأما السكن فيه فلا بد من الاستئذان إلا أن يكون قد أعد لحاجة الناس وتبرَّع به صاحبه لحاجة الناس وقفًا فلا بأس.

*

---

(١) من برنامج نور على الدرب، رقم الحلقة (٣٨٧/ ١٣).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١](١).

وقال أحمد بن شبيبٍ، حدّثنا أبي عن يونس، عن ابن شهابٍ، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لمّا أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شقّقن مروطهنّ فاختمرن بها».

حدّثنا أبو نعيمٍ، حدّثنا إبراهيم بن نافعٍ، عن الحسن بن مسلمٍ، عن صفيّة بنت شيبة أنّ عائشة رضي الله عنها كانت تقول لمّا نزلت هذه الآية: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾: «أَخَذْنَ أُزُرَهُنَّ فَشَقَّقْنَهَا مِنْ قِبَلِ الْحَوَاشِي، فَاخْتَمَرْنَ بِهَا»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: تكلّم على إبراهيم بن نافع؟

(**القارئ**): [قال الحافظ رحمه الله في «التّقريب» (٢٦٥)]: «إبراهيم بن نافعٍ المخزوميّ المكي، ثقةٌ حافظٌ من السّابعة ع».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: فيه غيره أحد (إبراهيم بن نافع)؟

(**القارئ**): لا، ما فيه غيره.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

تكلّم على قوله: (**فاختمرن**) الشّارح؟

(**القارئ**): [قال الحافظ ابن حجرٍ رحمه الله في «الفتح» (٨/ ٤٩٠)]: «قوله: (**فاختمرن**): أي: غطّين وجوههنّ، وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر، وهو التّقنّع. قال الفرّاء: كانوا في الجاهليّة تسدل المرأة خمارها من ورائها وتكشف ما قدّامها فأمرن بالاستتار، والخمار للمرأة كالعمامة للرّجل.

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري رحمه الله كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ برقم (٤٧٥٩).

... قوله: (**لمّا نزلت هذه الآية**: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ **أَخَذْنَ أُزُرَهُنَّ**): هكذا وقع عند البخاريّ الفاعل ضميرًا، وأخرجه النّسائيّ من رواية ابن المبارك عن إبراهيم بن نافعٍ بلفظ: أخذ النّساء. وأخرجه الحاكم من طريق زيد بن الحباب عن إبراهيم بن نافعٍ بلفظ: أخذ نساء الأنصار.

ولابن أبي حاتمٍ من طريق عبد الله بن عثمان بن خثيم عن صفيّة ما يوضّح ذلك ولفظه: ذكرنا عند عائشة نساء قريشٍ وفضلهنّ؛ فقالت: إنّ نساء قريشٍ لفضلاء؛ ولكنّي والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشدّ تصديقًا بكتاب الله ولا إيمانًا بالتّنزيل؛ لقد أنزلت سورة النّور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ فانقلب رجالهنّ إليهنّ يتلون عليهنّ ما أنزل فيها، ما منهنّ امرأةٌ إلّا قامت إلى مرطها فأصبحن يصلّين الصّبح معتجراتٍ كأنّ على رؤوسهن الغربان. ويمكن الجمع بين الرّوايتين بأنّ نساء الأنصار بادرن إلى ذلك». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا منافاة، تبعهنّ نساء المهاجرات كلّهن ـ رضي الله عنهن وأرضاهن ـ.

❊

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ **[النور: ٣٢]**[(١)].

على ظاهرها، الرب جَلَّ وَعَلَا يأمر عباده أن ينكحوا الأيامى، وهن

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/٢٩٧).

اللاتي لا أزواج لهن، وكذلك الصالحين من عبادهم وإمائهم يزوِّجوهم، حتى لا يتعطل المؤمن والمؤمنة؛ لأن العزوبة فيها خطر عظيم، فينبغي إنكاح الرجال والنساء، فيُنكح الأيامى، ويُنكح الصالحين من العباد والإماء، فينكح الأيامى يزوجهن على الأكفاء إذا خطبن، ولا يترك الإماء والعباد عبده يزوجه وأمته يزوجها، حتى لا تقع الفاحشة وتقع الكارثة، وإذا تسرَّى ـ أمته جعلها سُرِّية له وأحصنها فلا بأس، إذا كانت مملوكة له، أو يزوجها حتى لا تتعطل، وهكذا العبد يزوِّجه ولا يعطِّله؛ لأنه مثل الحر يحتاج إلى ما يعفه، وهي تحتاج إلى ما يعفها.

﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾، والمتزوج إذا كان عنده قدرة يتزوج يغنيه الله من فضله، من جهة النفقة، لا يتعطل، بل إذا كان عنده قدرة على الزواج يتزوج، ثم يتعاطى الأسباب التي تعينه على النفقة في المستقبل، أما إذا كان عاجزًا ما عنده قدرة مثلما قال الله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٣]، فالذي لا يجد المهر؛ يعني: يستعفف حتى يغنيه الله من فضله، وهذا معنى قوله سبحانه: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾، الذين لا يجدون الطَّول؛ يعني: المهور للنساء، فإنه يتعفف ويصبر حتى يغنيه الله فيجد الطَّول الذي يقدِّمه للمرأة، ومن قدر فإنه يتزوج ثم يفعل الأسباب التي تعينه على النفقة، كما في الآيات السابقة: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾؛ يعني: إذا استطاعوا الزواج يتزوَّجون، والله يغنيهم بعد ذلك فيما يعينهم على النفقة، ويحتمل أيضًا من عبادكم وإمائكم أن المراد؛ يعني: جنس بني آدم؛ لأن كلهم عبيد، وكلهم إماء لله، ولهذا قال: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ﴾، فهذا يقتضي أن المراد به الأحرار، سُمُّوا عبادًا وإماءً؛ لأنهم عباد الله، وإماء الله، وسُمُّوا عبادكم وإماءكم؛ يعني: الذين هم موجودون لديكم بينكم من أولاد وإخوة وأشبه ذلك، فإن الآية تشمل هذا وهذا.

فالسيد يزوِّج أمته، التي لا يتسراها، يزوِّج عبده الذي هو مملوك

لا يهملهما، ويزوِّج أيضًا بنيه وبناته، فهم عباد لله، فالإضافة عبادكم وإمائكم؛ يعني: العباد الذين هم من جنسكم، وإمائكم الذي بينكم؛ يعني: لأنهم كلهم إماء الله وعباد الله، وأضيفوا إلى المسلمين والمخاطبين؛ لأنهم بعضهم جزء منهم، فهم عبادهم وإماؤهم؛ يعني: الذين يوجدون بينكم من ذكور وإناث فهم عبيد الله وإماء الله، فينبغي أن تسعوا في تزويجهم سواء كانوا أبناء أو إخوة أو أصدقاء أو غيرهم، فالمسلم أخو المسلم يعينه على الزواج، يعينه على إعفاف فرجه، ويعين أخته في الله على إعفاف فرجها، ويكون من باب التعاون على البر والتقوى، ومن باب وتعاونوا على البر والتقوى، فأُمِروا بتزويج العباد ومن يليهم من عباد الله وإماء الله؛ لأنهم إخوتهم في الله، أو بنوهم أو إخوتهم من النسب، أو أعمامهم أو بنو إخوتهم، فيرشد إلى أن يزوِّجوهم ويعينوهم؛ لأنهم فيما بينهم إخوة وإن كان ليسوا أولادًا له ولا إخوة له، فالإسلام يجمعهم، والدين يجمعهم، فهم إخوة في الله ﷻ، ولهذا أُمروا بأن يتعاونوا على البر والتقوى، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ **«لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض. وكونوا عباد الله إخوانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه»** الحديث، وقال عليه الصلاة والسلام: **«وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ»** متفق عليه[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: **«وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»**[2].

فمساعدة الرجال والنساء في الزواج من إخوانهم في الله هذا شيء

(١) سبق تخريجه في (٣/ ٢٠٤).
(٢) سبق تخريجه في (٣/ ٢٠٤).

طيب، ومن التعاون على الخير، وكل مسلم مأمور بهذا، مأمور بأن يعين على الخير، يعين أخاه على الزواج، يعين أخته في الله على الزواج، حتى لا يبقى أعزب، لا رجال ولا نساء، وبهذا يحصل الخير العظيم للمسلمين والتناسل وكثرة الأمة، وإعفاف الفروج وغض الأبصار، كل هذا يحصل بهذا التعاون، هذا إذا حملنا الآية على جنس العباد جنس الإماء، وإن لم يكونوا مماليك؛ لأنهم عبيد الله وهم إخواننا.

فالواجب على المسلمين التعاون بينهم في تزويج الرجال والنساء، الأيامى اللاتي لا أزواج لهن سواء كن ثيبات أو أبكارًا، وجنس العباد وجنس النساء من حيث الإطلاق، في تزويجهن والعناية بإعفاف فروجهم وغض أبصارهم، في التعاون فيما بين المسلمين هذا يسلم ربع المهر، وهذا نصف المهر، وهذا جزءًا من المهر حتى يتزوج الناس، ولا يتعطلوا، والله المستعان.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾ **[النور: ٣٥].**

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾.

معنى الآية الكريمة عند العلماء: أن الله سبحانه منوِّرها؛ فجميع النور الذي في السمٰوات والأرض ويوم القيامة كله من نوره سبحانه. والنور نوران: نور مخلوق وهو ما يوجد في الدنيا والآخرة وفي الجنة وبين الناس الآن من نور القمر والشمس والنجوم، وهكذا نور الكهرباء والنار كله مخلوق، وهو من خلقه سبحانه وتعالى.

أما النور الثاني: فهو غير مخلوق، بل هو من صفاته سبحانه وتعالى، والله سبحانه وبحمده بجميع صفاته هو الخالق، وما سواه مخلوق، فنور وجهه عز وجل ونور ذاته سبحانه وتعالى كلاهما غير مخلوق، بل هما صفة من صفاته جل وعلا.

وهذا النور العظيم وصف له سبحانه وليس مخلوقًا، بل هو صفة من صفاته كسمعه وبصره ويده وقدمه وغير ذلك من صفاته العظيمة سبحانه وتعالى، وهذا هو الحق الذي درج عليه أهل السُّنَّة والجماعة.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النور: ٥٨][١].

فالمؤمن إذا كان عنده، معه مِلك يمين يستأذن عليهم؛ لأنه قد يكون في حالة لا ترضى، لا يرضون أن يُرَوا عليها، فيستأذن عليهم في هذه الأوقات، وهكذا أهل بيته يستأذن عليهم في الأوقات الثلاثة التي بيَّنها الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة، حتى لا يراهن على حال غير مناسب.

﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ﴾؛ يعني: آخر الليل، ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾؛ يعني: في القائلة، ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾؛ لأن هذه الأوقات قد يتساهل فيها أهل البيت في عدم التحرز من ستر العورة، وقد تكون ملك اليمين على حالة غير مناسبة، وقد ينكشف منها بعض الشيء.

المقصود: أنه في هذه الأحوال قد يتساهل أهل البيت في وقت

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٢٩٠).

الظهيرة، وقبل صلاة الفجر، وبعد صلاة العشاء كل هذه الأوقات فيها خلوة الإنسان بنفسه، فليستأذن إذا دخل عليهم يستأذن، سواء كان ملك يمين، أو صبيًّا لم يبلغ الحُلم، وإن كان صبيًّا؛ لأنهم قد لا يرضون أن يطلع على شيء من حالاتهم في هذه الأوقات الثلاثة، فالخادم سواء كان مملوكًا، كما نصت عليه الآية، أو غير مملوك من باب أولى، وهكذا من لم يبلغ الحلم من الصبيان يستأذن في هذه الأوقات الثلاثة، وغير الصبي من باب أولى، الكبير من باب أولى، والمقصود من هذا التحرز من كونه يرى أهل البيت على حالة غير مناسبة، فإذا استأذن استعدوا وحرصوا على أن يكونوا في حالةٍ حسنة.

* *

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [النور: ٦٠](١).

هذه الآية الكريمة يُراد منها العجائز اللاتي قد انتهت رغبتهن في النكاح فلا بأس أن يضعن ثيابهن، ولا يتحجبن تحجب الشابات إذا كن بهذه الصفة، كما قال الله: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ فهما شرطان: كونها من القواعد، وكونها غير متبرجة بالزينة التي تدعو الرجال إلى الميل إليها والرغبة فيها، ثم بيَّن سبحانه وتعالى أن استعفافهن وإن كن قواعد خير لهن وأبعد من الفتنة، وهذا يبيِّن لنا أمورًا منها: أن الشابة ليس لها أن تضع ثوبها؛ بل عليها أن تستتر به، وأن تحتجب كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٣٠٢).

لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. تستر بدنها وشعرها ووجهها وأطرافها.

وهكذا قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، والجلباب هو ما يطرح على المرأة من فوق رأسها تستر به بدنها علاوة على القميص الذي عليها، وهكذا قوله ﷻ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ الآية [النور: ٣١].

فعليها أن تستر زينتها، ولا تبدي زينتها إلا للمحارم كما بيَّنها الله ﷻ، والوجه من أعظم الزينة، والشعر من أعظم الزينة، تستر بدنها، تستر شعرها ووجهها وأطرافها إلا عن محرمها وهو أبوها وعمها ونحوهما، أما العجوز التي لا تريد النكاح، ولا تتبرج بزينة فلا حرج أن تطرح الثوب والجلباب الذي عليها فيبدو وجهها مثلًا، ويبدو أطراف يديها فلا بأس بذلك، وقال بعض أهل العلم: حتى الشعر الذي هو شعر الرأس إذا كانت لا تُشتهى وليست متزينة، ولا تريد النكاح، لكن مثلما قال الله ﷻ استعفافها خير لها ولو كانت كبيرة في السن، ولو كانت غير متزينة ولا متبرجة، ولو كانت لا تريد النكاح، فإن كل ساقطة لها لاقطة، فينبغي للعجوز التعفف ولو كانت كبيرة في السن، ولو كانت غير متبرجة، ولو كانت لا تريد النكاح كما قال ربنا ﷻ: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾، لكن لو كشفت وجهها، أو طرحت عنها الجلباب الذي عليها وهي غير متبرجة، ولا تريد النكاح، وليس فيها فتنة، بل كبيرة السن وظاهر عليها ذلك بحيث لا يميل إليها الرجال، جاز لها أن تفعل ذلك، بأن تكون مكشوفة الوجه ليس عليها الجلباب الذي تلبسه الشابات، ولكن كونها تلبس الجلباب وكونها تستر وجهها، وتستر نفسها هذا خير لها وأكبر وأعظم في حقها وأبعد عن الفتنة.

❑ ❑ ❑

تفسير آيات من سورة الفرقان(١)

قال ابن عبّاسٍ: ﴿هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]: ما تسفي به الرّيح، ﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥]: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس، ﴿سَاكِنًا﴾ [الفرقان: ٤٥]: دائمًا، ﴿عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٥]: طلوع الشّمس، ﴿خِلْفَةً﴾ [الفرقان: ٦٢]: من فاته من اللّيل عملٌ، أدركه بالنّهار، أو فاته بالنّهار، أدركه باللّيل، وقال الحسن: ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤]: في طاعة الله، وما شيءٌ أقرّ لعين المؤمن من أن يرى حبيبه في طاعة الله، وقال ابن عبّاسٍ ﴿ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]: ويلًا، وقال غيره: السّعير: مذكّرٌ، والتّسعير والاضطرام: التّوقّد الشّديد، ﴿تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ [الفرقان: ٥]: تقرأ عليه، من أمليت وأمللت، ﴿ٱلرَّسِّ﴾ [الفرقان: ٣٨]: المعدن، جمعه رساسٌ، ﴿مَا يَعْبَؤُا۟﴾ [الفرقان: ٧٧]: يقال: ما عبأت به شيئًا؛ لا يعتدّ به، ﴿غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]: هلاكًا، وقال مجاهدٌ: ﴿وَعَتَوْا۟﴾ [الأعراف: ٧٧]: طغوا، وقال ابن عيينة: ﴿عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦]: عتت على الخزّان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [الفرقان: ٦٢]: هذا يخلف هذا.

قوله: (قُرَّة أَعْيُنٍ...): يعني: قرّة العين أن ترى زوجتك وبنتك

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

وولدك في طاعة الله ﷻ، مستقيمًا، هذا من قرّة العين أن يرى الإنسان أولاده في طاعة الله، زوجته في طاعة الله، إخوته في طاعة الله، الله المستعان، الله أكبر.

قَولُهُ: (**مَنْ فَاتَهُ مِنَ اللَّيْل عَمَلٌ أَدْرَكَهُ بِالنَّهَارِ، أَوْ فَاتَهُ بِالنَّهَارِ أَدْرَكَهُ بِاللَّيْل**): يعني: من صلاةٍ وقراءةٍ وصدقةٍ وغير ذلك ـ الله أكبر ـ جعل الله هذا اللّيل والنّهار يتناوبان، والعباد لهم فيها الخير العظيم إذا حفظوا هذا الزّمان، فمن شغل بالنّهار عن طاعةٍ أدّاها باللّيل، ومن شغل باللّيل أدّاها بالنّهار؛ فجعلهم الله ﷻ ميدانًا للمسابقة .الله أكبر.

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟
مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا
وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ
يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ
عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ
فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ
لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ
مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا
وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٢١ ـ ٣١](١).

القرآن كله هدى، كله توجيه إلى الخير، ينبغي للمؤمن أن يعتني

(١) مجموع تفسير آيات من القرآن لفضيلة الشيخ يزيد الدرعان (ص١٨٨).

بالقرآن، وأن يكثر من تلاوته أينما كان؛ لأن القرآن هو كلام الله. يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ويقول ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]. والرب ﷻ إذا ذكر عن الكفار وعن المنافقين أخبارهم فينبغي التحذير منهم، قال ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾. فنحذر أن نقول مثل قولهم، أو نعمل مثل عملهم ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ بسبب عدم إيمانهم وعدم إخلاصهم لله، لا يرجون لقاء الله، وما عندهم إيمان بالآخرة ويقولون: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يعني: هلَّا نزل علينا من أمر ربنا ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ بهذا الطلب ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ يرون الملائكة وما أنزلت من العذاب ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم يبيِّن الله ﷻ أن أعمالهم باطلة؛ بسبب شركهم وكفرهم ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾؛ فالواجب على المؤمن أن يحذر صفات الكافرين والمنافقين وأعمالهم، وأن يحذر التأسي بهم في أقوالهم وأعمالهم، وأن يجتهد في إخلاصه لله، والعمل بطاعة الله والاستقامة على دين الله، والحذر من كل ما يغضبه سبحانه وتعالى، وهذا هو طريق النجاة، وهذا هو سبيل السعادة.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ونعوذ بالله من مخالفة أمره، وارتكاب نهيه، ونعوذ بالله من طاعة الهوى والشيطان، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على نبيِّنا محمد.

❊

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ [الفرقان: ٣٤](١).

حدّثنا عبد الله بن محمّدٍ، حدّثنا يونس بن محمّدٍ البغداديّ، حدّثنا شيبان، عن قتادة، حدّثنا أنس بن مالكٍ رضي الله عنه أنّ رجلًا قال: يا نبيّ الله، يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «**أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» قال قتادة: بلى وعزّة ربّنا(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وشاهده في الدّنيا، أقول: شاهده في الدّنيا، دوابّ كثيرة تمشي على وجهها في الدّنيا .الله أكبر، نسأل الله العافية.

ثمّ مع هذا والأشدّ من هذا أنّهم يسحبون سحبًا ـ نسأل الله العافية ـ على وجوههم، نسأل الله العافية.

*

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣].

● **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾(٣).

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾... إلخ برقم (٤٧٦٠)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبًا برقم (٢٨٠٦).

(٣) من برنامج نور على الدرب (٢٧/ ٣١٣).

أوضح العلماء ـ رحمة الله عليهم ـ في تفسيرها أن المعنى: أنهم يمشون على الأرض هونًا؛ يعني: متواضعين، ليسوا متكبرين، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا؛ المعنى: قالوا سلامًا طيبًا، لا يردون على الجاهل كلامًا قبيحًا، بل يردون عليه كلامًا طيبًا، إذا خاطبهم الجاهل بكلامٍ لا مناسب ردوا عليه بكلام طيب، مثل هداك الله، بارك الله فيك، أصلحك الله، الواجب كذا، المشروع كذا، يعلِّمونه ويرشدونه حتى يتوجه إلى الخير.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩][1].

هذه الآية العظيمة فيها التحذير من الشرك والقتل والزنا، والوعيد لأصحاب هذه الجرائم بما ذكره الله ﷻ في قوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾. قال بعض المفسرين: إنه جُبٌّ في جهنم، وقال آخرون معنى ذلك: إنه إثم كبير عظيم، فسَّره سبحانه بقوله: ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾، فهذا جزاء من اقترف هذه الجرائم الثلاث؛ أنه يُضاعف له العذاب يوم القيامة، ويُخلَّد فيه مُهانًا لا مُكرمًا، وهذه الجرائم الثلاثة مختلفة في المراتب، فجريمة الشرك: هي أعظم الجرائم وأعظم الذنوب، وصاحبه مخلد في النار أبد الآباد، لا يخرج

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٥٩)، ومجموع تفسير آيات من القرآن، جمع: يزيد الدرعان (ص١٩٠).

من النار أبدًا بإجماع أهل العلم، كما قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [التوبة: ١٧]، وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الفرقان: ٨٨]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال في حقهم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]، والآيات في هذا كثيرة؛ فالمشرك إذا مات على شركه ولم يتب، فإنه مخلد في النار، والجنة عليه حرام، والمغفرة عليه حرام بإجماع المسلمين، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ﴾ [النساء: ٤٨]، فجعل المغفرة حرامًا على المشرك إذا مات على الشرك، أما ما دون الشرك فهو تحت مشيئة الله.

والخلاصة: أن المشرك إذا مات على شركه، فهو مخلد في النار أبد الآباد بإجماع أهل العلم، وذلك مثل الذي يعبد الأصنام أو الأحجار أو الأشجار أو الكواكب أو الشمس أو القمر أو الأنبياء، أو يعبد الأموات ومن يسمونهم بالأولياء، أو يستغيث بهم ويطلب منهم المدد، أو العون عند قبورهم، أو بعيدًا منها، مثل قول بعضهم: يا سيدي فلان المدد المدد، يا سيدي البدوي المدد المدد، أو يا سيدي عبد القادر أو يا سيدي رسول الله المدد المدد، الغوث الغوث، أو يا سيدي الحسين أو يا فاطمة أو يا ست زينب أو غير ذلك ممن يدعوه المشركون، وهذا كله من الشرك الأكبر ـ والعياذ بالله ـ، فإذا مات عليه صاحبه صار من أهل النار ـ والعياذ بالله ـ والخلود فيها.

أما الجريمة الثانية وهي: القتل، والثالثة وهي: الزنا؛ فهاتان

الجريمتان دون الشرك، وهما أكبر المعاصي وأخطرها إذا كان من يتعاطاهما لم يستحلهما، بل يعلم أنهما محرَّمتان، ولكن حمله الغضب أو الهوى أو غير ذلك على الإقدام على القتل، وحمله الهوى والشيطان على الزنا، وهو يعلم أن القتل بغير حق محرم، وأن الزنا محرم، فأصحاب هاتين الجريمتين متوعدون بالعقوبة المذكورة، إلا أن يعفو الله عنهم، أو مَنَّ عليهم بالتوبة النصوح قبل الموت؛ ولعظم هاتين الجريمتين، وكثرة ما يحصل بهما من الفساد قرنهما الله بجريمة الشرك في هذه الآية، وتوعد أهل هذه الجرائم الثلاث بمضاعفة العذاب والخلود فيه؛ تنفيرًا منها، وتحذيرًا للعباد من عواقبها الوخيمة، ودلَّت النصوص الأخرى من الكتاب والسُّنَّة على أن القتل والزنا دون الشرك في حق من لم يستحلهما وأنهما داخلان في قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨]؛ أما من استحلهما فهو كافر حكمه حكم الكفرة وهو الخلود في العذاب يوم القيامة. نسأل الله العافية والسلامة.

أما من تاب من أهل هذه الجرائم الثلاث وغيرها توبة نصوحًا؛ فإن الله يغفر له، ويبدل سيئاته حسنات إذا أتبع التوبة بالإيمان والعمل الصالح، كما قال سبحانه بعدما ذكر هذه الجرائم الثلاث وعقوبة أصحابها: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

فالله سبحانه يغفر لأهل المعاصي التي دون الشرك إذا شاء ذلك، أو يعذبهم في النار على قدر معاصيهم، ثم يخرجهم منها بشفاعة الشفعاء؛ كشفاعة النبي ﷺ، وشفاعة الملائكة والأفراد والمؤمنين ويبقى في النار أقوام من أهل التوحيد، لا تنالهم الشفاعة من أحد؛ فيخرجهم الله ﷻ برحمته؛ لأنهم ماتوا على التوحيد والإيمان، ولكن لهم أعمال خبيثة ومعاص دخلوا بها النار، فإذا طهروا منها، ومضت المدة التي كتب الله عليهم، أخرجوا من النار برحمة من الله ﷻ، ويلقون

في نهر يقال له: (نهر الحياة) من أنهار الجنة، ينبتون فيه كما تنبت الحبة في حميل السيل، فإذا تم خلقهم أدخلهم الله الجنة، وبهذا يعلم أن العاصي كالقاتل والزاني لا يخلد في النار خلود الكفار، بل له خلود خاص على حسب جريمته لا خلود الكفار.

وخلود الشرك خلود دائم ليس له منه محيص، وليس له نهاية، كما قال تعالى في سورة البقرة في حق المشركين: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

وقال تعالى في سورة المائدة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٦، ٣٧]، أما من دخل النار من العصاة فإنهم يخرجون منها إذا تمت المدة التي كتب الله عليهم؛ إما بشفاعة الشفعاء، وإما برحمة الله سبحانه وتعالى من دون شفاعة أحد، كما جاء ذلك في أحاديث الشفاعة المتواترة عن رسول الله ﷺ، فإن فيها أنه يبقى في النار أقوام لم يخرجوا بشفاعة الشفعاء، فيخرجهم سبحانه منها بدون شفاعة أحد؛ لكونهم ماتوا على التوحيد، وخلود من يخلد من العصاة في النار خلود مؤقت له نهاية، والعرب تسمي الإقامة الطويلة خلود، كما قال بعض الشعراء يصف قومًا: «أقاموا فأخلدوا...»، أي: طولوا الإقامة، فلا يخلد في النار الخلود الدائم إلا أهلها وهم الكفرة، فتطبق عليهم، ولا يخرجون منها كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ [البلد: ١٩، ٢٠]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ [الهمزة: ٨، ٩].

ومن هذا يعلم أن العاصي كالقاتل والزاني لا يخلد في النار خلود الكفار، بل خلودًا خاصًا له نهاية؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾

[الفرقان: ٦٩]، وهذا خلود مؤقت ليس كخلود المشركين، ومثل ذلك ما ورد في وعيد القاتل لنفسه. نسأل الله السلامة من ذلك.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨﴾ **[الفرقان: ٦٨]**[١].

الْعُقُوبَةَ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بـلـى والله، إي والله ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا﴾ [الإسراء: ٩٧]. نسأل الله العافية.

* *

حدّثنا مسدّدٌ، حدّثنا يحيى، عن سفيان، قال: حدّثني منصورٌ وسليمان، عن أبي وائلٍ، عن أبي ميسرة عن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سألت، أو سئل رسول الله ﷺ: أيّ الذّنب عند الله أكبر؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهْوَ خَلَقَكَ**»، قلت: ثمّ أيٌّ؟ قال: «**ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**»، قلت: ثمّ أيٌّ؟ قال: «**أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ**»، قال: ونزلت هذه الآية تصديقًا لقول رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾»[٢].

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾... إلخ برقم (٤٧٦١)، ومسلم في كتاب الإيمان، كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده برقم (٨٦).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي هذا بيان أنّ الشّرك هو أعظم الذّنوب، الشّرك بالله اتخاذ الأنداد لله، يدعو مع الله إلٰهًا آخر: من شجرٍ أو حجرٍ أو صنمٍ، أو نجمٍ، أو ميّتٍ، أو غائبٍ أو غير هذا، هذا أعظم الذّنوب، ثمّ هنا القتل بغير حقٍّ، ثمّ الزّنا، هذا من أقبح الذّنوب.

وفي «الصّحيحين» عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» ثلاثًا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ** ـ وجلس وكان متّكئًا فقال ـ **أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ**»، قال: فما زال يكرّرها حتّى قلنا: ليته سكت[1].

وهذا يبيّن أن قتل النّفس بغير حقٍّ والعقوق والزّنا وشهادة الزّور من أكبر الكبائر بعد الشّرك ـ نسأل الله العافية ـ في الحديث الصّحيح: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**»، ـ يعني: المهلكات ـ قالوا: يا رسول الله، وما هنّ؟ قال: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيْمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ**». نسأل الله العافية.

وفي هذا بيان أنّ الشّرك هو أعظم الذّنوب وأشدّها وأخطرها، نسأل الله العافية، وما ذاك إلّا أنّه ينافي الحكمة الّتي خلق من أجلها الثّقلان؛ ولأنّه هضمٌ لجانب الربوبية وتنقّصٌ للإلٰهيّة، وسوء ظنٍّ بالله عَزَّ وَجَلَّ؛ فصار أعظم الذّنوب وأقبحها وأشدّ الجرائم، نسأل الله السّلامة.

وفي حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» ثلاثًا، يعيدها، ثمّ قال: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ**»، ثمّ ذكر العقوق وشهادة الزّور.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور برقم (٢٦٥٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها برقم (٨٧).

وفي كلّ مقام له ما يناسبه، لكن في المقامات كلّها الدّلالة على أنّ الشّرك هو أعظم الذّنوب وأكبرها؛ ولهذا أخبر عنه أنّه يحبط الأعمال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، نسأل الله العافية.

• **س: أحسن الله إليك: هذه القاعدة العظيمة وهي أن الشّرك أعظم الذّنوب كيف يستقيم قول بعض أهل العلم أنّ القول على الله بغير علمٍ أعظم من الشّرك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: الّذي ذكره في الآيات الكريمة من المحرّمات؛ لأنّ من القول على الله بغير علم الشّرك، داخلٌ في القول على الله بغير علم أيضًا؛ لأنّ القول على الله بغير علمٍ يدخل فيه الشّرك وغيره؛ يعني: شرّه عظيمٌ، قد يبيح الشّرك، وقد يبيح الزّنا، القائل على الله بغير علم شرّه عظيمٌ، ولهذا جعله الله فوق الشّرك؛ تحذيرًا منه؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]. من باب الترقّي في الآية.

ذكر العلماء أن الله جعل القول بغير علمٍ فوق الشّرك؛ تحذيرًا منه وتنبيهًا على أنّه قد يقع من صاحبه، الشّرك وغير الشّرك؛ فلهذا جعل هنا فوق الشّرك؛ لأنّ القول على الله بغير علم قد يتضمّن إباحة الشّرك وإباحة المعاصي، وإباحة أنواع الكفر؛ لجهله وضلاله.

• **س: أحسن الله إليك، أيهما أشدّ البدع أو المعاصي؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

البدع أكبر، الشّرك ثمّ البدعة، ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره ذكروا

المراتب، ستّ مراتب: المرتبة الأولى: الشّرك. الثّانية: البدعة. الثّالثة: الكبائر. الرابعة: الصّغائر. الخامسة: المكروهات. السّادسة: المفضولات؛ يعني: انشغالهم بالمفضولات دون الأفضل.

(من الطّالب): في نسختي يا شيخ زيادة إسنادٍ مع الإسناد، أسقط أبا ميسرة.

- **قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ: **السّند ماذا عندك؟**

(القارئ): حدّثنا مسدّدٌ، حدّثنا يحيى، عن سفيان، قال: حدّثني منصورٌ، وسليمان، عن أبي وائلٍ، عن أبي ميسرة، عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا عندكم؟

(من الطّالب): في تصحيح قراءةٍ سابقةٍ قال: حدثني واصلٌ. جعلها، يقول هو ابن حبّان الأسديّ الكوفيّ ثقةٌ، والقائل هو سفيان الثّوريّ؛ يعني: بين منصورٍ وسليمان، منصور وسليمان وأيضًا واصل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ماذا قال الشّارح؟ تعرّض لها الشّارح؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٤٩٣)]: «قوله: **(قال: وحدثني واصلٌ)**: هو ابن حبان الأسدي الكوفي، ثقةٌ من طبقة الأعمش، والقائل هو سفيان الثوري».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: أعد السند حدثنا من؟

(القارئ): حدثنا مسددٌ قال: حدثنا يحيى، عن سفيان قال: حدثني منصورٌ. هنا ساقطٌ هنا.

هناك في الشرح (٨/ ٤٩٣) قال: «**(وحدثني واصلٌ)**: هو ابن حبان الأسدي الكوفي، ثقةٌ من طبقة الأعمش، والقائل هو سفيان الثوري، وحاصله: أن الحديث عنده عن ثلاثة أنفسٍ، أمّا اثنان منهما فأدخلا فيه

بين أبي وائلٍ وابن مسعودٍ أبا ميسرة، وأمّا الثّالث ـ وهو واصل ـ فأسقطه، وقد رواه عبد الرّحمن بن مهديٍّ عن سفيان عن الثّلاثة عن أبي وائلٍ عن أبي ميسرة». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في الشّرح؛ يعني: المقصود الّذي عندكم يكفي.

* *

حدّثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف أنّ ابن جريجٍ أخبرهم قال: أخبرني القاسم بن أبي بزّة أنّه سأل سعيد بن جبيرٍ: هل لمن قتل مؤمنًا متعمّدًا من توبةٍ؟ فقرأت عليه: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾، فقال سعيدٌ: قرأتها على ابن عبّاسٍ كما قرأتها عليّ: «فقال هذه مكّيّةٌ نسختها آيةٌ مدنيّةٌ الّتي في سورة النّساء»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣]، نسأل الله العافية.

وهذا مروي عن ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومشهورٌ عنه، والّذي عليه الجمهور من أهل العلم أنّها غير منسوخةٍ، وأن هذه أخبار من الله جَلَّ وَعَلَا، والأخبار لا تنسخ، ولكن في آية النّساء أخبر بالزّجر، ولم يذكر التّوبة زجرًا وتحذيرًا، وفي آية الفرقان ذكر الزّجر، وذكر المخلص وهو التّوبة.

أجمع العلماء على أن جميع الذّنوب لها توبةٌ، إلّا هذا الّذي ورد عن ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في هذا المعنى في مسألة القتل.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾... إلخ برقم (٤٧٦٢).

وحمله بعضهم على أنّ المراد: أنّه لا توبة له تمنعه من القصاص وأداء الحقّ الّذي عليه، وليس المعنى: أنّه لا توبة فيما بينه وبين الله؛ لأنّه جاء عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما ما يدلّ على أن باب التّوبة بين العبد وبين ربّه مفتوحٌ في كلّ شيءٍ؛ حتّى الشّرك، الشّرك أعظم من القتل، وباب التّوبة مفتوحٌ حتّى في الشّرك؛ فكيف بالقتل الّذي دون ذلك؟!

فإذا حمل على هذا المعنى، وأن المراد لا توبة له تمنعه من القصاص، وتمنعه من الدّية وتمنعه من الكفّارة إذا كان خطأً أو شبه عمدٍ.

المقصود: أنّه إذا حمل على هذا المعنى أنّه لا توبة له تسقط الحقوق هذا صحيحٌ.

أمّا إذا كان لا توبة بالكلية، وأنّ الله لا يتوب عليه ولو تاب فهذا لا يريده ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما فيما يظهر؛ لأنّ مقالاته الأخرى تدلّ على هذا المعنى ويخالف النّصوص الأخرى، ويخالف ما قاله أهل العلم جميعًا من الصّحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم.

ولهذا الحقّ الّذي لا ريب فيه أن جميع الذّنوب لها توبةٌ من الشّرك فما دونه، باب التّوبة مفتوحٌ، ولكن بعض الذّنوب لا توبة لها في الحكم: مثل الزّنديق، مثل من سبّ الله وسبّ الرّسول ﷺ؛ جمعٌ من أهل العلم يقولون: لا توبة له، بمعنى: أنّه لا بدّ أن يقتل، أمّا فيما بينه وبين الله فله توبةٌ، إذا تاب الله عليه، لكن في الحكم الدّنيويّ هل يسقط عنه القتل أم لا؟ هذا هو محلّ البحث. وهذا مراد ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما في حكم الدّنيا؛ يعني: هل توبته ـ توبة القاتل ـ تمنعه من أن يقاد؟ تمنعه من أن يؤدّي الدّية؟ لا، ما تمنعه.

والصّواب: أنّها لم تنسخها، كلّه وعيدٌ، وآية الفرقان توضّح آية النّساء: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا

﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]؛ يعني: إلّا من تاب كما في آية الفرقان. الشّرك أعظم من القتل، ومن تاب تاب الله عليه، فهكذا القتل من تاب تاب الله عليه وأرضى عنه قتيله، الله المستعان.

هذه من الأشياء الّتي وهم فيها ابن عبّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، وخالف فيها أهل العلم، ويقال عنه في بعض الرّوايات: إنّه قالها من باب الزّجر، وأنّه ذكر أنّه له توبةٌ، ولكن ظاهر الرّوايات الكثيرة عنه أنّه تأوّلها أنّه لا توبة له.

والصّواب: أنّ له توبةً، وأنّه ليس فوق الشّرك، القتل دون الشّرك كما في سورة الفرقان، من تاب تاب الله عليه، يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾؛ يعني: بالمعاصي والذّنوب والشّرك ﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾. فالتّوبة بابها مفتوحٌ إلى أن تطلع الشّمس من مغربها في الشّرك وما دونه حتّى القتل.

• **س: لكن ثبت عن ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنّه تراجع؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما بلغني أنّه تراجع: إلّا في بعض الرّوايات، يدلّ على أنّه قال بعض أصحابه من باب التعظيم، من باب الزجر، أمّا إن ثبت التراجع: فيا حبّذا لعلّه رجع إن شاء الله.

إن كان وجدته دوّر وأرنا سنده، رواية التراجع: دوّرها وأرنا سنده.

(من الطّالب): في «الأدب المفرد» قرئ عليكم سابقًا في «الأدب المفرد».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله المستعان، أنا ذاكر الّذي مر عليّ في «الأدب المفرد» «**نُسِّيَ آدمُ فنُسِّيَتْ ذُرِّيَّتُهُ**». دوّروها جزاكم اللهُ خيرًا.

• **س: عفا الله عنك: الخلود خلود أبديٌّ مثل خلود الكفّار؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

الخلود في النّصوص خلودان عند أهل السّنّة والجماعة خلودان: خلودٌ مؤبّد هذا للكفّار، وهو المراد في آيات الكفر.

وخلودٌ مؤمّد: له أمدٌ، له نهايةٌ وهو المقام الطّويل، العرب تسمّي المقام الطّويل الإقامة الطويلة تسمِّيها خلودًا، مثل قول الشاعر:

.... أقاموا فأخلدوا

يعني: طوّلوا. هذا هو المراد في حقّ القاتل والزّاني، وحقّ من قتل نفسه وأشباههم يعني: خلودٌ طويلٌ؛ يعني: مدة طويلة ثمّ يخرجون، لا يكونون كالكفّار؛ ولهذا جاءت النّصوص المتواترة بأنّ الزّاني والقاتل يخرج من النّار بعد التّعذيب إذا دخلها.

وهذا هو الرّدّ على الخوارج وأشباههم كالمعتزلة.

الخوارج يقولون: الخلود خلودٌ واحدٌ، من دخلها يخلّد من أي جنسٍ من الكفرة والعصاة.

وأهل السّنّة والجماعة يقولون: لا، الخلود خلودان: خلود الكفرة لا ينتهي، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]، وقال في حقّهم سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، هؤلاء الكفرة.

وأما العصاة فأخبر النّبيّ ﷺ في النّصوص المتواترة أنّهم يخرجون، كما ثبت عنه في الحديث الصّحيح من حديث أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وغيره: أن الله يعطيه أربع شفاعاتٍ: يشفع في أناسٍ في النّار فيحدّ الله له حدًّا فيخرجهم من النّار، ثمّ يشفع، ثمّ يشفع، ثمّ يشفع فيحدّ له في كلّ مرةٍ حدٌّ، ويشفع المؤمنون ويشفع الأنبياء، ويشفع الأفراط؛ فيخرج من النّار أقوامًا

قد احترقوا، ويلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبّة في حميل السّيل.

وعلى هذا أجمع أهل السّنّة والجماعة خلافًا للخوارج، وخلافًا للمعتزلة القائلين بأنّ من دخلها لا يخرج، هذا تكذيبٌ للنّصوص، وردٌّ لها، نسأل الله العافية.

• **س: أحسن الله إليك: إذا أقيم الحد على المسلم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

كفارة، إقامة الحد كفارةٌ، والتّوبة كفارةٌ ما لم يعد، فإن عاد تجدّد الوعيد عليه، لكن إذا أقيم عليه الحدّ ولم يعد، وتاب ولم يعد سقط عنه.

• **س: القتل كفارةٌ أم لا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

كذلك القتل كفارةٌ له فيما يتعلّق بحقّ الورثة، أمّا القتيل فيبقى حقّه معلّقًا، لكن إذا تاب أرضاه الله عنه، إذا تاب توبةً صادقةً أرضى الله جَلَّ وَعَلَا القتيل عن التّائب.

• **س: أحسن الله إليك: آية الفرقان خبرٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

نعم، خبرٌ عن هؤلاء، عن المشركين، والقاتل والزّاني ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]، إلى أن قال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان: ٧٠]، من باب الإخبار.

• **س: خبرٌ بمعنى الأمر عفا الله عنك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لا، خبرٌ بمعنى الحقيقة الواقعة.

• **س: أليس أمرًا بالاختصاص بصفات عباد الرّحمن؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر عن صفات عباد الرّحمن، ومعناه: حثٌّ لهم على هذا الشّيء؛ فيكون الخبر للحثّ على التزام هذا الشّيء.

● **س: من تاب يقام عليه الحدّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم، يقام عليه الحدّ مثل أقيم على ماعزٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو تائبٌ، وعلى الجهنية وهي تائبةٌ.

● **س: عفا الله عنك: ما ورد عن ابن عبّاسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **أنّه جاءه رجل وسأله هل له من توبة؛ فقال: لا. وجاءه آخر فقال: نعم ونظر فيهما فوجد الأول جاء تائبًا نادمًا مقلعًا، والثّاني جاء متهيئًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما أتذكر هذا اللفظ، لكن أذكر أنّه جاء عنه ما يدلّ على قبول التّوبة، جاء عنه مروياتٌ أخرى ما يدلّ على قبول التّوبة من جهة الرّبّ عَزَّ وَجَلَّ.

● **س: ما يحمل على الزّجر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا من باب الزّجر.

*

حدّثني محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا غندرٌ، حدّثنا شعبة، عن المغيرة بن النّعمان، عن سعيد بن جبيرٍ قال: اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن، فدخلت فيه إلى ابن عبّاسٍ فقال: «نَزَلَتْ فِي آخِرِ مَا نَزَلَ، وَلَمْ يَنْسَخْهَا شَيْءٌ»[1].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري من حديث سعيد بن جبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في كتاب التفسير، باب ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾... إلخ برقم (٤٧٦٣)، ومسلم في كتاب التفسير برقم (٣٠٢٣).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

الله أكبر، رحمه الله، رحمه الله وعفا عنه.

*

حدّثنا آدم، حدّثنا شعبة، حدّثنا منصورٌ، عن سعيد بن جبيرٍ، قال: سألت ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن قوله تعالى: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ قال: «لَا تَوْبَةَ لَهُ»، وعن قوله ـ جلّ ذكره ـ: ﴿لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ قال: «كَانَتْ هَذِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله يعفو عنّا وعنه، في الجاهليّة؛ يعني: في مكّة قبل الهجرة يعني: مثل ما في...(٢).

• **قال سماحة الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ:

ماذا قال الشّارح على قول ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **(لا توبة له)**؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٤٩٤)]: «قوله: **(فدخلت فيه إلى ابن عبّاسٍ)**: في رواية الكشميهنيّ فرحلت ـ براءٍ وحاءٍ مهملتين ـ وهي أوجَه.

قوله: **(هذه مكّيّةٌ)**؛ يعني: نسخَتها آيةٌ مدنيّةٌ، كذا في هذه الرّواية، وروى ابن مردويه من طريق خارجة بن زيد بن ثابتٍ عن أبيه قال: نزلت سورة النّساء بعد سورة الفرقان بستّة أشهرٍ.

قوله: في رواية غندرٍ عن شعبة: **(اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن)** كذا وقع مختصرًا، وأخصر منه رواية آدم في تفسير النّساء، وقد

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الكتاب والباب السابقين. البخاري برقم (٤٧٦٤)، ومسلم برقم (٣٠٢٣).

(٢) عبارة غير واضحة.

أخرجه مسلمٌ وغيره من طرقٍ عن شعبة منه عن غندرٍ بلفظ: اختلف أهل الكوفة في هذه الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾.

قوله: (**نزلت في آخر ما نزل ولم ينسخها شيءٌ**): كذا في هذه الرّواية، ولا يظهر من سياقها تعيين الآية المذكورة، وقد بيّنها في رواية منصورٍ في الباب عن سعيد بن جبير: سألت ابن عبّاس عن قوله: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾؛ فقال: لا توبة له. وعن قوله: ﴿لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾؛ قال: كانت هذه في الجاهليّة.

ويأتي في الباب الّذي يلي الّذي يليه أوضح من ذلك». [انتهى كلامه].

❋

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٩].

حدّثنا سعد بن حفصٍ، حدّثنا شيبان عن منصورٍ، عن سعيد بن جبيرٍ قال: قال ابن أبزى: سل ابن عبّاسٍ عن قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣]، وقوله: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [٦٨] حتّى بلغ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ [٧٠] فسألته فقال: «لمّا نزلت قال أهل مكّة: فقد عدلنا بالله، وقتلنا النّفس الّتي حرّم الله إلّا بالحقّ، وأتينا الفواحش، فأنزل الله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾»(١).

---

(١) متفق عليه من حديث سعيد بن جبير في كتاب التفسير، باب ﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ برقم (٤٧٦٥)، ومسلم في كتاب التفسير برقم (٣٠٢٣).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: تكلّم على سعد بن حفصٍ؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٤٩٤)]: «قوله: (**حدثنا سعد بن حفص**) هو الطلحي». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: فقط. والعيني تكلّم؟

(القارئ): [قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمدة القاريّ» (٢٠/ ٥٩)]: «عن سعد بن حفص أبي محمّد الطلحي الكوفي يقال له: الضخم». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

راجع: سعد بن حفص من «التقريب».

(القارئ): [قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «التّقريب» (٢٢٣٤)]: «سعد بن حفص الطلحي مولاهم، أبو محمّد الكوفي المعروف بالضّخم، ثقةٌ من كبار العاشرة، خ سي».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

[النسائي] في «عمل اليوم واللّيلة»[١].

* *

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ **[الفرقان: ٧٠]**[٢].

حدّثنا عبدان، أخبرنا أبي، عن شعبة عن منصورٍ، عن سعيد بن جبيرٍ قال: أمرني عبد الرّحمن بن أبزى أن أسأل ابن عبّاسٍ عن هاتين

---

(١) في النسخة الهندية: (خ ق).

(٢) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

الآيتين: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ فسألته، فقال: «لم ينسخها شيءٌ»، وعن ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] قال: «نزلت في أهل الشّرك»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا لأهل الشّرك؛ يعني: أمّا المسلم إذا قتل فلا توبة له، أمّا الكافر إذا قتل فله توبةٌ كما يتوب من الشّرك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تكلّم عليه الشّارح؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٤٩٦)]: «هكذا أورده مختصرًا، وسياق مسلمٍ من هذا الوجه أتمّ، وأتمّ منهما ما تقدّم في المبعث من رواية جريرٍ بلفظ هاتين الآيتين ما أمرهما الّتي في سورة الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، والّتي في سورة النّساء: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾، قال: سألت ابن عبّاسٍ فقال: لمّا أنزلت الّتي في سورة الفرقان قال مشركو مكّة: قد قتلنا النّفس ودعونا مع الله إلهًا آخر، وأتينا الفواحش قال: فنزلت: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ الآية قال: فهذه لأولئك. قال: وأمّا الّتي في سورة النّساء فهو الّذي قد عرف الإسلام ثمّ قتل مؤمنًا متعمّدًا فجزاؤه جهنّم لا توبة له. قال: فذكرت ذلك لمجاهدٍ؛ فقال: إلّا من ندم.

وحاصل ما في هذه الرّوايات: أن ابن عبّاسٍ كان تارةً يجعل الآيتين في محلٍّ واحدٍ؛ فلذلك يجزم بنسخ إحداهما، وتارةً يجعل محلّهما مختلفًا.

ويمكن الجمع بين كلاميه بأنّ عموم الّتي في الفرقان خصّ منها

---

(١) متفق عليه من حديث سعيد بن جبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾... إلخ برقم (٤٧٦٦)، ومسلم في كتاب التفسير برقم (٣٠٢٣).

مباشرة المؤمن القتل متعمّدًا، وكثيرٌ من السّلف يطلقون النّسخ على التّخصيص، وهذا أولى من حمل كلامه على التّناقض، وأولى من دعوى أنّه قال بالنسخ ثمّ رجع عنه.

وقول ابن عبّاسٍ بأنّ المؤمن إذا قتل مؤمنًا متعمّدًا فلا توبة له مشهورٌ عنه، وقد جاء عنه في ذلك ما هو أصرح ممّا تقدّم، فروى أحمد والطّبريّ من طريق يحيى الجابر والنّسائيّ وابن ماجه من طريق عمّار الذّهبيّ...». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عمار الدّهني، الدهني بالدال والهاء والنون. عندك خطأ (الدُهني) بالدال والهاء والنون عمار بن رزيق الدهني ما فيه إلّا هذا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

راجع: عمار بن رزيق الدهني، ويحيى الجابر هذا(١).

(القارئ): [قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التّقريب» (٧٥١٨)]: «يحيى بن جابر بن حسان الطّائي أبو عمرو الحمصي القاضي، ثقةٌ من السادسة وأرسل كثيرًا، مات سنة ست وعشرين بخ م ٤».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما ذكر (يحيى الجاني) بعده ما قال يحيى الجاني؟

(من الطّالب): لا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: راجع: عمار بن رزيق؟

(القارئ): [قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التّقريب» (٤٨٣٣)]: «عمار بن معاوية الدّهني بضم أوله وسكون الهاء بعدها نون أبو معاوية البجلي الكوفي، صدوقٌ يتشيع من الخامسة مات سنة ثلاث وثلاثين م ٤».

---

(١) كلاهما ذُكر في كلام الحافظ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عمار بن رزيق قبله؟ قبله واحدٌ عمار بن رزيق في أوله؟

(القارئ): «عمار بن رزيق - بتقديم الراء مصغر - الضّبي أو التّميميّ أبو الأحوص الكوفي لا بأس به، من الثّامنة مات سنة تسعٍ وخمسين، م د س ق».

(القارئ): «عمار بن رزيق العامري مولاهم، مقبولٌ من السّادسة، يروي المراسيل. تمييز».

- **س: الأول الذّهبي يا شيخ أم الدّهني؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الدّهني: عمار بن معاوية الدّهني.

(القارئ): «والنّسائيّ وابن ماجه من طريق عمّار الذّهبيّ كلاهما عن سالم بن أبي الجعد قال: كنت عند ابن عبّاس بعد ما كفّ بصره، فأتاه رجلٌ فقال: ما ترى في رجلٍ قتل مؤمنًا متعمّدًا؟ قال: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ وَسَاقَ الْآيَةَ إِلَى ﴿عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]. قال: لقد نزلت في آخر ما نزل وما نسخها شيءٌ حتّى قبض رسول الله ﷺ، وما نزل وحيٌ بعد رسول الله ﷺ. قال: أفرأيت إن تاب وآمن وعمل عملًا صالحًا ثمّ اهتدى؟ قال: وأنّى له التّوبة والهدى. لفظ يحيى الجابر».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

السّائل قصده من هذا ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، الآية الثّالثة.

(القارئ): «والآخر نحوه، وجاء على وفق ما ذهب إليه ابن عبّاسٍ في ذلك أحاديث كثيرةٌ: منها ما أخرجه أحمد والنّسائيّ من طريق أبي إدريس الخولانيّ، عن معاوية سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كُلُّ ذَنْبٍ**

عَسَى اللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا الرَّجُلَ يَمُوتُ كَافِرًا، وَالرَّجُلُ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا»(١).

وقد حمل جمهور السّلف وجميع أهل السّنّة ما ورد من ذلك على التّغليظ، وصحّحوا توبة القاتل كغيره وقالوا: معنى قوله: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾؛ أي: إن شاء الله أن يجازيه؛ تمسّكًا بقوله تعالى في سورة النّساء أيضًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ومن الحجّة في ذلك: حديث الإسرائيليّ الّذي قتل تسعةً وتسعين نفسًا، ثمّ أتى تمام المائة؛ فقال له: لا توبة؛ فقتله فأكمل به مائةً، ثمّ جاء آخر فقال: ومن يحول بينك وبين التّوبة... الحديث، وهو مشهورٌ.

وسيأتي في الرّقاق واضحًا، وإذا ثبت ذلك لمن قبل من غير هذه الأمّة؛ فمثله لهم أولى؛ لما خفّف الله عنهم من الأثقال الّتي كانت على من قبلهم». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ثمّ ذكر النّبيّ ﷺ له مقررًا له وساكتًا يدلّ على ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: ماذا قال العينيّ؟

(**القارئ**): [قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ اللهُ في «عمدة القاريّ» (١٩/ ٩٦)]: «فإن قيل: كيف قال ابن عبّاسٍ: لا توبة للقاتل. وقال الله ﷻ: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النّور: ٣١]، وقال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [التّوبة: ١٠٤]، وأجمع الأئمّة على وجوب التّوبة؟ أجيب: بأن ذلك

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث أبا الدرداء في كتاب الفتن والملاحم، باب في تعظيم قتل المؤمن برقم (٤٢٧٠)، والنسائي في كتاب تحريم الدم برقم (٣٩٨٤)، والإمام أحمد (٤/ ٩٩).

محمول فيه على الاقتداء بسنّة الله في التّغليظ والتّشديد، وإلّا فكلّ ذنبٍ قابلٌ للتّوبة، وناهيك بمحو الشّرك دليلًا». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: كلامٌ طيبٌ.

● **س: عفا الله عنه: سكوت النّبيّ ﷺ على الإسرائيلي؟**(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما فيه شكٌّ يدلّ على الإقرار وأنّه لهذه الأمة من باب أولى.

● **س: أحسن الله إليك: هذا القاتل تسعةً وتسعين ثابت هذا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في «الصّحيحين» نعم ثابتٌ، قتل تسعةً وتسعين عمدًا ـ نعوذ بالله ـ وجاء يسأل تائبًا؛ فدلّوه على راهبٍ عابدٍ فقال: ما لك توبة؛ فقتله وتمّم به المائة، ثمّ جعل يسأل؛ فدلّوه على عالمٍ، فجاء إلى العالم وأخبره؛ قال: من يحول بينك وبين التّوبة؟ ولكن اذهب إلى قرية كذا؛ فإنّ فيها أناسًا صالحين فاعبد الله معهم، ودع أرضك؛ فإنّها أرض سوءٍ، لا ترجع إليها.

فذهب إلى الجهة الصّالحة ـ القرية الصّالحة ـ تائبًا؛ فلمّا نَصَف الطّريق أدركه الموت؛ فاختصمت فيه ملائكة الرّحمة وملائكة العذاب، ملائكة الرّحمة تقول: إنّه جاء تائبًا مقبلًا على الله؛ فنحن أولى به، وملائكة العذاب تقول: لا، نحن أولى به؛ لأنّه فعل وفعل؛ فأرسل الله إليهم ملكًا في صورة إنسانٍ فحكّموه؛ فقال: انظروا إلى ما بين القريتين، فهو إلى أيّهما أقرب؛ فقاسوا ما بينهما؛ فإذا هو إلى القرية الصّالحة أقرب بشبرٍ؛ فصار من أهلها فقبضته ملائكة الرّحمة.

---

(١) يقصد السّائل حديث الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا ثم تاب الله عليه، أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

• س: يا شيخ كيف نخرّج الحديث الّذي رواه الإمام أحمد: «كل ذنبٍ عصي الله به...»؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما فيه منافاةٌ إلّا الشّرك، إلّا رجل مشرك وإلّا رجل يموت قاتلًا؛ يعني: أن الشّرك لا يغفر، أمّا كونه قاتلًا فقد دلت النّصوص على أنّه إذا تاب غُفر له، أمّا الشّرك فبقي على حاله، إلّا إذا تاب، والكلام في التّوبة، لكن من غير التّوبة يرجى، الذي غير الشّرك يرجى لصاحبه أن يخرج من النّار بالتطهير، ويرجى له بالأعمال الصالحات الّتي يفعلها، لكن الشّرك لا حيلة فيه، إذا مات غير تائبٍ لا حيلة فيه، نسأل الله العافية.

• س: الشّفاعة في الخروج من النّار؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما في أهل الشّرك شفاعةٌ، أقول: ما فيهم شفاعةٌ أهل الشّرك، الشّفاعة في المعاصي فقط.

• س: عفا الله عنك، قول بعض أهل العلم: إنّ قول ابن عبّاسٍ هذا لا يلزم منه تكفير القاتل أليس صحيحًا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، لا يلزم منه، لا يلزم منه التّكفير، صريحٌ في أنّه لا توبة له؛ يعني: لا بدّ أن يعاقب.

• س: المسلم إذا قتل المسلم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يتوب، إذا تاب؛ تاب الله عليه.

• س: ألا يكون في معنى تفسير ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يجب عليه القصاص، وإذا عفا صاحب القصاص كذلك، وإذا اقتصّ فلا بأس كذلك، وإذا رضوا بالدّية فكذلك.

• **س: توبة القاتل لا تتمّ حتّى يسلّم نفسه يا شيخ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، لا بدّ أن يسلّم نفسه، وإذا ما سلّم نفسه يصير ذنبًا ثانيًا، إذا تاب منه يصير ذنبًا ثانيًا، إذا تاب منه أو التّوبة.

• **س: معنى قول ابن عبّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **- أحسن الله إليك - في أهل الشّرك، الآية؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: أنّ آية النّساء محكمةٌ، المسلم إذا قتل ما له توبةٌ لا بدّ أن يعذّب، أمّا تلك ففي أهل الشّرك الّذين قتلوا في الشّرك، أو زنوا في الشّرك يعني.

• **س: لكن إذا هرب من بلدةٍ إلى بلدةٍ أخرى - القاتل - ولم يسلم نفسه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

معناه: مات على غير توبةٍ؛ مستحقٌّ للنّار، إلّا أن يعفو الله، ألا تقرؤون: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] ماذا بعدها؟[(١)]

(الطلاب): ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

القتل والزّنا وغيره بعد ذلك ولا ما هو بعد ذلك؟

(الطلاب): بعده.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، الآية محكمةٌ، آيتان عظيمتان محكمتان.

• **س: أحسن الله إليك، قبل مبعث محمّد** ﷺ **كانوا أهل فترةٍ أو كانوا على ملةٍ؟**

---

(١) سؤال من باب التّقريرِ والتعليم من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ للطلاب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

فترة، بعث الله نبيّه على فترةٍ من الرّسل.

• **س: أحسن الله إليكم، كيف الجمع بين قول حسّان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لئن كان ما قد قيل عني قلته فلا رفعت يدي إليَّ أناملي

وبين قول عائشة أنّه تكلّم فيها؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

تكلّم على حسب ما قال الشّهود الّذين شهدوا عليه، قد يكونون وهموا.

• **س: هل كانوا قبل بعثة النّبيّ ﷺ بعض منهم [على] ملة إبراهيم** عَلَيْهِ السَّلَامُ**؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نادرٌ، مثل زيد بن عمرو بن نفيلٍ، من النّدّر، نادرٌ، قد قيل في زيد: إنّه مات على الإسلام، وأنّه بقي على ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنّه ما عبد الأصنام.

• **س: قول النّبيّ ﷺ: «أبي وأباك في النّار»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لعلّه بلغته الدّعوة، لعل أباه بلغته الدّعوة وأمّه.

• **س: شيخ أحسن الله إليك: بالنّسبة للاستدلال بالأحاديث الضّعيفة في «الترغيب والترهيب» هل يشترط أن يبيّن الضّعف الّذي فيه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، ما هو بلزومٍ، لكن إذا بيّن فهو أحسن، لكن ما هو بلازمٍ، عندهم ما هو بلازمٍ من باب التّحذير.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۝٧٧﴾ [الفرقان: ٧٧].

هلكة.

حدّثنا عمر بن حفص بن غياثٍ، حدّثنا أبي، حدّثنا الأعمش، حدّثنا مسلمٌ، عن مسروقٍ قال: قال عبد الله: «خمسٌ قد مضين: الدّخان، والقمر، والرّوم، والبطشة، واللّزام ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۝٧٧﴾»[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

نسأل الله العافية، هذا قول الدّخان في اعتقاد عبد الله رَحِمَهُ اللهُ ابن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، والصّواب: أنّ الدّخان لم يمض، الّذي أصاب قريشًا غير الدّخان الموعود به، كما جاء في حديث حذيفة بن أسيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يأتي في آخر الزّمان، نسأل الله السّلامة.

• **س: الرّوم؛ يعني: ظهور الروم على الفرس؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: هذا هو نعم.

• **س: والبطشة واللّزام؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

البطشة يوم بدرٍ، ما أصاب يوم بدرٍ من عذابٍ. نسأل الله العافية.

• **س: هل يلزم منه أنّه ما يعود الدّخان يكون مضى؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

الدّخان هذا شيءٌ خاصٌّ، الّذي مضى شيءٌ وقع لأهل مكّة شدّة الجدب والقحط؛ صاروا يخيّل إليهم أنّه يكون بينهم وبين السّماء مثل

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۝٧٧﴾ برقم (٤٧٦٧)، ومسلم في كتاب الجنة والنار، باب الدخان برقم (٢٧٩٨).

الدّخان، أمّا الدّخان الّذي في آخر الزّمان فهذا يعمّ النّاس، يصيب النّاس دخانٌ عظيمٌ، يصيب المسلم منه مثل الزّكام، ويضرّ الآخرين .الله أكبر.

• **س: يعني: ليس من جنس الأوّل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ليس من جنس الأوّل لا، فالأوّل خاصٌّ بأهل مكّة.

• **س: أحسن الله إليك: تفسيره اللّزام هنا يقول: جزاءٌ يلزم كلّ عاملٍ بما عمل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ليس بظاهرٍ، هذا ما مضى، كلّ عاملٍ يجزى في المستقبل.



تفسير آيات من سورة الشعراء(١)

وقال مجاهدٌ: ﴿تَعۡبَثُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٨]: تبنون، ﴿هَضِيمٞ﴾ [الشعراء: ١٤٨]: يتفتّت إذا مسّ، (مُسَحَّرِينَ): مسحورين، (اللَيْكَةُ) وَ(الأَيْكَةُ) [الشعراء: ١٧٦]: جمع: أيْكَةٍ، وهي جمع الشجرِ، ﴿يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ﴾ [الشعراء: ١٨٩]: إظلال العذاب إيّاهم، ﴿مَّوۡزُونٖ﴾ [الحجر: ١٩]: معلوم، ﴿كَٱلطَّوۡدِ﴾ [الشعراء: ٦٣]: كالجبل، وقال غيره: «الشرذمة»: الشّرذمة: طائفةٌ قليلةٌ، ﴿فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩]: المصلّين، قال ابن عبّاسٍ: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٩]: كأنّكم. (الرِّيعُ): الأيفاع من الأرض، وجمعه: ريعةٌ، وأرياعٌ، واحد الرّيعة، ﴿مَصَانِعَ﴾ [الشعراء: ١٢٩]: كلّ بناءٍ فهو مصنعةٌ، (فَرِهِينَ) [الشعراء: ١٤٩]: مرحين، ﴿فَٰرِهِينَ﴾: بمعناه، ويقال: فارهين: حاذقين، ﴿تَعۡثَوۡاْ﴾ [الشعراء: ١٨٣]: هو أشدّ الفساد، وعاث يعيث عيثًا، (الْجِبِلَّةُ) [الشعراء: ١٨٤]: الخلق، جبل: خلق، ومنه: جُبُلًّا، وجِبِلًا، وَجُبْلًا يعني: الخلق، قاله ابن عباس.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تبنون)؟

(من القارئ): نعم تكلّم عليها الشّارح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا قال؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٤٩٧)]: «قوله: (وقال مجاهدٌ: ﴿تَعۡبَثُونَ ١٢٨﴾: تَبْنُونَ). وصله الفريابيّ عن ورقاء

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

عن ابن أبي نجيح عنه في قوله: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ قال: بكل فج. آية ﴿تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ بنيانًا. وقيل: كانوا يهتدون في الأسفار بالنّجوم، ثمّ اتّخذوا أعلامًا في أماكن مرتفعةٍ؛ ليهتدوا بها، وكانوا في غنيةٍ عنها بالنّجوم؛ فاتّخذوا البنيان عبثًا».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني: بناياتٍ عبثًا تؤذي النّاس.

قوله: (جمع أيكةٍ):

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: جمعها الأيكُ؟

(**من القارئ**): جمع: أيكةٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أيكة جمع: أيكة) كذا جمع أيكة بالهاء؟

(**من القارئ**): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المفرد والجمع واحد! العبارة فيها بعض الخلل. ماذا قال الشّارح عليه؟

(**القارئ**): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٤٩٧)]: «قوله: (اللّيكة والأيكة جمع: أيكةٍ، وهي جمع الشّجر): كذا لأبي ذرٍّ ولغيره: جمع شجرٍ، وللبعض: جماعة الشّجر، وقد تقدّم في قصّة شعيبٍ من أحاديث الأنبياء اللّفظ الأوّل مع شرحه.

والكلام الأوّل من قول مجاهدٍ ومن قوله: (جمع: أيكةٍ...) إلخ هو من كلام أبي عبيدة، ووقع فيه سهوٌ، فإنّ الليكة والأيكة بمعنًى واحدٍ عند الأكثر والمسهّل الهمزة فقط، وقيل: ليكة اسم القرية، والأيكة الغيضة وهي الشّجر الملتفّ، وأمّا قوله: جمع شجرٍ يقال: جمعها ليكٌ وهو الشّجر الملتفّ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: العينيّ؟

(القارئ): [قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمدة القاري» (١٩/ ٩٨)]: «قوله: **(جمع: أيكة)** كذا في النّسخ وهو غير صحيحٍ، والصّواب أن يقال: والليكة والأيكة مفرد أيكٌ، ويقال: جمعها أيكٌ، والعجب من بعض الشّرّاح». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: وبعض الشراح؛ يعني: الحافظ.

[قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ]: «والعجب من بعض الشّرّاح حيث لم يذكر هنا شيئًا بل قال: الكلام الأول من قول مجاهدٍ، ومن جمع أيكة... إلخ من كلام أبي عبيدة، وحاشا من مجاهد ومن أبي عبيدة أن يقولا: الأيكة جمع أيكة».

قال ابن بازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: مثل ما قال الشّارح العينيّ؛ لأنّها شيءٌ واحدٌ، فالأيك هو الجمع والأيكة الفرد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

تكلّم بشيءٍ الشّارح على قول ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾؟ ما هو بظاهرٍ.

(القارئ): [قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمدة القاريّ» (١٩/ ٩٨)]: «أي: قال ابن عبّاسٍ في قوله تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشّعراء: ١٢٩] إن معنى: لعلّكم كأنّكم، وقرأ أبي بن كعب: كأنكم تخلدون، وقرأ ابن مسعود: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾، وعن الواحدي: كلّ ما في القرآن: لعلّ، فهو للتّعليل إلّا هذا الحرف؛ فإنّه للتشبيه، قيل: في الحصر نظرٌ؛ لأنّه قد قيل مثل ذلك في قوله: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الشّعراء: ٣]». [انتهى كلامه].

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٤٩٧)]: «(قال ابن عبّاسٍ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ كَأَنَّكُمْ) ليكةٌ، الأيكة وهي الغيضة موزونٌ معلومٌ، فأما قوله: «لعلّكم» فوصله ابن أبي طلحة عنه به،

وحكى البغويّ في «تفسيره» عن الواحديّ قال: كلّ ما في القرآن لعلّ فهو للتّعليل إلّا هذا الحرف؛ فإنّه للتّشبيه. كذا قال وفي الحصر نظرٌ؛ لأنّه قد قيل مثل ذلك في قوله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾، وقد قرأ أبيّ بن كعبٍ: (كَأَنَّكُمْ تَخْلُدُونَ)، وقرأ ابن مسعودٍ: (كَيْ تَخْلُدُوا) وكأنّ المراد أنّ ذلك بزعمهم؛ لأنّهم كانوا يستوثقون من البناء، ظنًّا منهم أنّها تحصنهم من أمر الله؛ فكأنّهم صنعوا الحجر صنيع من يعتقد أنّه يخلد.

وأمّا قوله: (ليكةٌ) فتقدّم بيانه في أحاديث الأنبياء». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الله المستعان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ماذا قال الشّارح على (الرّيع الأيفاع من الأرض)؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٤٩٧)]:

«قوله: (الرّيع الأيفاع من الأرض وجمعه ريعة وأرياع واحده ريعةٌ). كذا فيه، وريعة الأوّل بفتح التّحتانيّة، والثّاني بسكونها، وعند جماعةٍ من المفسّرين: ريعٌ واحدٌ جمعه أرياعٌ وريعةٌ بالتّحريك وريعٌ أيضًا واحده ريعةٌ بالسّكون كعهنٍ وعهنةٍ.

وقال أبو عبيدة في قوله: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾: الرّيع الارتفاع من الأرض، والجمع: أرياعٌ، وريعةٌ، والرّيعة واحدة أرياع. وقال عبد الرّزّاق عن معمرٍ عن قتادة في قوله تعالى: ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾؛ أي: بكلّ طريقٍ». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: فقط؟ ما تكلّم على أيفاع؟

(من الطّالب): ما تكلّم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: تكلّم العيني على أيفاع؟

(القارئ): [قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمدة القاريّ» (١٩/ ٩٩)]:

«الرّيع الأيفاع من الأرض، وجمعه ريعةٌ وأرياع واحد الرّيعة، أشار به إلى قوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ﴾ [الشّعراء: ١٢٨]. وقال: «الرّيع الأيفاع من الأرض»: الأيفاع بفتح الهمزة جمع يافعٍ، وهو المكان المرتفع من الأرض، ومنه يقال: غلامٌ يافعٌ من أيفع الغلام؛ أي: ارتفع.

والصّواب: اليفاع من الأرض بفتح الياء والفاء، وهو المرتفع منها، وقد فسر الرّيع بكسر الرّاء بقوله: الأيفاع واليفاع من الأرض. وقال الجوهري: يقال: غلام يافعٌ ويفع ويفعة وغلمانٌ أيفاعٌ ويفعة أيضًا، وقال: والرّيع بالكسر المرتفع من الأرض، وقال عمارة: هو الجبل، والرّيع أيضًا: الطّريق.

قلت: وكذا قال المفسّرون، وقيل: الفجّ بين الجبلين، وعن مجاهدٍ: الثّنية الصّغيرة، وعن عكرمة: وادٍ، وعن ابن عبّاسٍ: «بكل ريعٍ»؛ يعني: بكل شرفٍ، والريع بالفتح النّماء، ومنه ريع الأملاك». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يحتمل أنّه في المحلّات المرتفعة يبنون فيها محلاتٍ للبراز والظّهور، وتحصينها من السّيول؛ فإنّهم في جهة اليمن، الأحقاف قوم هودٍ، فالقول بالمرافع واضحٌ في الريع.

وكذلك عند النّاس اليوم في اللّغة: الشّجّ بين الجبلين، رأس الشّعب يقال له: ريعٌ؛ لأنّهم ينظرون في المحلّات المرتفعة عند أفواه الأودية، وعند ما يحصل من فجاج من بين الأودية يبنون فيها للاطّلاع ومعرفة أحوال تلك الجهات، وتحصينها من السّيول أيضًا .الله المستعان.

*

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ۝٨٧﴾ [الشعراء].**

وقال إبراهيم بن طهمان، عن ابن أبي ذئبٍ، عن سعيد بن أبي سعيدٍ المقبريّ، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: «**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ يرَى أَبَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ الْغَبَرَةُ وَالْقَتَرَةُ**» الغبرة هي القترة[1].

حدّثنا إسماعيل، حدّثنا أخي، عن ابن أبي ذئبٍ، عن سعيدٍ المقبريّ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: «**يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ فَيَقُول: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَيَقُولُ اللهُ: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ**»[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

في الرّواية الأخرى كما يأتي: أنّه يمسخ ينظر فإذا هو ذيخٌ في صورة الضّبع، فيؤخذ بقوائمه؛ فيلقى في النّار. نسأل الله العافية، لا حول ولا قوّة إلّا بالله؛ يعني: والده لكفره وضلاله وعناده، آزر .الله أكبر، نسأل الله العافية.

وهذا يبيّن لنا أنّ الكافر لا حيلة فيه، وأنّه لا تقبل فيه شفاعةٌ لا من الأنبياء ولا من غيرهم، ولو أنّ أحدًا تقبل شفاعته في الكافر لقبل إبراهيم عليه السلام، سيد الأنبياء وإمامهم وأبوهم وأفضلهم بعد محمّدٍ ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ، ومع هذا يقول الله له: «**إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّة عَلَى الكَافِرِيْنَ**».

فلا تكون الشّفاعة إلّا فيمن يرضى الله قوله وعلمه وهم أهل

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ۝٨٧﴾ برقم (٤٧٦٨).

(٢) أخرجه البخاري في الكتاب والباب السابق برقم (٤٧٦٩).

التّوحيد: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

وفي الرّواية الأخرى يقال له: «انظر؛ فإذا نظر إليه فإذا هو بذيخٍ متلطّخٍ» غيّر الله صورته، وجعله على صورة بهيمةٍ، صورة ذكر الضّباع؛ حتّى لا يتعلّق به بعد هذا عطفٌ ولا شفاعةٌ، ذهب عن صورة آزر إلى صورة ذيخٍ متلطّخٍ بعذرته، نسأل الله السّلامة.

فإنّ الكفرة تغيّر صورهم يوم القيامة، ويعظم خلقهم، ولا يكونون على حالتهم الأولى؛ بل تكون حالتهم في أقبح صورةٍ، وأشنع صورةٍ، نسأل الله العافية.

ثم يمدّ في أجسامهم وتعظّم أجسامهم حتّى تكون بمسافةٍ عظيمةٍ، في «الصّحيحين» أنّ الكافر يوم القيامة يعظّم؛ حتّى يكون ما بين كتفيه مسيرة ثلاثة أيّامٍ، وضرسه مثل أحدٍ، نسأل الله العافية.

فيعظّمون تعظيمًا عظيمًا؛ حتّى يسدون أركانًا من أركان النّار، نسأل الله العافية، نعوذ بالله.

(**من القارئ**): أحسن الله إليك: الحديث في الشّرح موجودٌ بتمامه؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعني نقص في المتن؟ ماذا قال؟ ثمّ يقال له انظر؟ قوله: أني حرمت الجنّة على الكافرين ماذا بعده عندك في الشّرح؟

○ **الجواب**: [قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في الفتح (٨/ ٤٩٩)]: «قوله: (**فَيَقُولُ اللهُ: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ**): في حديث أبي سعيدٍ: «**فَيُنَادَى: إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا مُشْرِكٌ**».

قوله: «ثمّ يقال يا إبراهيم ما تحت رجليك انظر فينظر فإذا هو بذيخٍ متلطّخٍ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النّار». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا يدلّ على أنّه متنٌ، ساقطٌ عندكم من المتن.

(القارئ): [قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «في رواية إبراهيم بن طهمان: «فيؤخذ منه فيقول: يا إبراهيم أين أبوك؟ قال: أنت أخذته منّي. قال: انظر أسفل. فينظر فإذا ذيخٌ يتمرّغ في نتنه». وفي رواية أيّوب: «فيمسخ الله أباه ضبعًا، فيأخذ بأنفه فيقول: يا عبدي أبوك هو فيقول لا وعزّتك». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لما كان ضبعًا ما صار أبًا، نسأل الله العافية .الله أكبر.

[قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «وفي حديث أبي سعيدٍ: فيحوّل في صورةٍ قبيحةٍ، وريحٍ منتنةٍ، في صورة ضبعان». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ضبعان ذكر الضّباع، نسأل الله العافية.

● **س: ضبعان لغة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في الضّبع في الذّكر الظّاهر أنّه يقال للذّكر: ضبعان.

[قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ]: «زاد ابن المنذر من هذا الوجه: فإذا رآه كذا تبرّأ منه، قال: لست أبي. والذّيخ ـ بكسر الذّال المعجمة بعدها تحتانيّةٍ ساكنةٍ، ثمّ خاءٍ معجمةٍ ـ ذكر الضّباع، وقيل: لا يقال له ذيخٌ إلّا إذا كان كثير الشّعر، والضّبعان لغةٌ في الضّبع.

وقوله: (**متلطّخٌ**) قال بعض الشّرّاح: أي: في رجيعٍ أو دمٍ أو طينٍ، وقد عيّنت الرّواية الأخرى المراد، وأنّه الاحتمال الأوّل حيث قال: فيتمرّغ في نتنه. قيل: الحكمة في مسخه لتنفر نفس إبراهيم منه؛ ولئلّا يبقى في النّار على صورته؛ فيكون فيه غضاضةٌ على إبراهيم.

وقيل: الحكمة في مسخه ضبعًا أنّ الضّبع من أحمق الحيوان، وآزر كان من أحمق البشر؛ لأنّه بعد أن ظهر له من ولده من الآيات البيّنات أصرّ على الكفر حتّى مات». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى الأوّل أظهر فإنّه إذا رآه إبراهيم على صورة الضّبع نفر منه وتبرأ منه، ولم يبق في قلبه له عطفٌ ولا رحمةٌ، نسأل الله السّلامة .الله أكبر، نسأل الله العافية، نعوذ بالله.

● **س: أحسن الله إليك: حكم القول بفناء النّار؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قولٌ باطلٌ، الّذي عليه جمهور أهل العلم وهو كالإجماع: أنّها باقيةٌ دائمةٌ، وأهلها كذلك لا يخرجون منها ولا تنتهي: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]، ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [الإسراء: ٩٧]، نسأل الله العافية. ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾، ﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠]، نسأل الله العافية.

[قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٠٠)]: «قوله: (**ثُمَّ يُقَال: يا إِبْرَاهِيْمُ مَا تحتَ رِجْلَيكَ: انظرْ، فَيَنْظُر، فَإِذَا هُوَ بذيخٍ مُتَلطِّخٍ؛ فيؤخذُ بِقَوائِمِهِ؛ فَيُلقَى فِي النَّارِ**)».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا في نسخة الشّرح؟

(الطالب): أي نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: والباقون عندهم كذلك؟

(الطلاب): نعم كذلك. ليس في الأصل، في الشّرح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: معروفٌ هكذا في الصّحيح.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الشعراء: ١٣٠][(١)].

هذه الآية ذمَّ الله بها عادًا قوم هود ذمَّهم الله بهذا، وأنهم ظلمة يبطشون بالناس بغير حق، ويظلمونهم بالضرب والقتل ونهب الأموال، هذا ذم لهم وعيب لهم، فلا يجوز ذلك، بل الواجب على المسلم أن لا يأخذ المال إلا بحقه، وأن لا يضرب أحدًا إلا بحقه، ليس له التعدي على الناس، ولا البطش بالناس، بل يطلب الحق بطريقه الشرعي، إن كان له حق يطلبه من طريق المحكمة، من طريق الإصلاح، من طريق الإمارة، لا يبطش بالناس بالظلم والعدوان والإيذاء، ولا يظلمهم لا بأموالهم بالمصادرة والبطش، بل الواجب عليه أن يأخذ حقه من الطريق الشرعي ومن بابه الشرعي، فهذا ذم وعيب لعاد الذين أهلكهم الله، فأرسل عليهم الريح العقيم، كانوا يظلمون الناس، ويتعدون على الناس.

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ [الشعراء: ٢١٤، ٢١٥][(٢)].

ألن جانبك.

حدّثنا عمر بن حفص بن غياثٍ، حدّثنا أبي، حدّثنا الأعمش، قال: حدّثني عمرو بن مرّة، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: «لمّا نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ صعد النّبيّ ﷺ على الصّفا، فجعل ينادي: **يا بني فهرٍ، يا بني عديٍّ، لبطون قريشٍ، حتّى اجتمعوا، فجعل الرّجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما**

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٣٢٠).

(٢) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

هو، فجاء أبو لهبٍ وقريشٌ، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أنّ خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدّقيّ؟ قالوا: نعم، ما جرّبنا عليك إلّا صدقًا، قال: فإنّي نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديدٍ، فقال أبو لهبٍ: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [المسد: ١، ٢]»[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا فيه البلية بهذا العمّ ـ نسأل الله العافية ـ يبتلي الله عباده ببعض الأقارب الأشرار مثل هذا ـ نسأل الله العافية ـ الرّسول ﷺ يدعوهم إلى نجاتهم، وإلى سعادتهم، وهم يعرفون صدقه وأمانته ويقول: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟

جمعكم للنّجاة، للسّعادة، للخير، مأمورٌ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾، ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ [إبراهيم: ٤٤]. ولكن من سبقت له الشّقاوة فلا حيلة فيه، أخزاه الله وأنزل فيه السّورة تتلى إلى يوم القيامة، نسأل الله العافية. ﴿تَبَّتْ يَدَآ﴾؛ يعني: خسرت.

*

حدّثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيبٌ، عن الزّهريّ، قال: أخبرني سعيد بن المسيّب، وأبو سلمة بن عبد الرّحمن أنّ أبا هريرة قال: «قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ قال: **يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ، لَا**

---

(١) متفق عليه من حديث سعيد بن جبير رضي الله عنه، عن ابن عباس أخرجه البخاري في كتاب التفسير، برقم (٤٩٧١ ـ ٤٩٧٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ برقم (٢٠٨).

أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ، سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا»، تابعه أصبغ، عن ابن وهبٍ عن يونس، عن ابن شهابٍ[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا الإنذار تخصيصٌ بعد تعميم، قد بعثه الله لينذر الأمّة جميعًا، ولم يزل ينذرهم عليه الصّلاة والسّلامُ ويحذّرهم مغبّة كفرهم وشركهم وضلالهم، وأنّهم إن لم يؤمنوا فلهم النّار، ثمّ أمره الله أن ينذرهم بصفةٍ خاصّةٍ؛ يعني: تخصيصًا بعد تعميم، ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ بعد ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ [إبراهيم: ٤٤]؛ فقد أمره الله بإنذار النّاس عمومًا، وبإنذار العشيرة بوجهٍ أخصّ؛ لإقامة الحجة على أكمل وجهٍ وأتمّه؛ ولأنّ العشيرة إذا بادروا بالاتّباع والقبول تبعهم النّاس، وإذا نفرت العشيرة ولم تقبل على الحقّ صار هذا من أسباب نفير النّاس؛ يقولون: لو كان صادقًا لتابعه قومه، لقبل منه قومه، لاهتدى به قومه كما قالوا، قاله كثيرٌ منهم عندما ينذرونهم.

فصارت مصيبة إعراض الأقربين كبيرةً على الرّسول والدّاعي، وإذا قبل منه الأقربون وأهل بلده؛ صار هذا من أسباب قبول النّاس.

وهذا يبيّن لنا أنّ الدّاعي إلى الله والعالم وطالب العلم ينبغي له أن يعنى بمن حوله من أقاربه وأهله وأهل بلده، وأن يحرص على هدايتهم؛ فإنّهم أولى النّاس بإنذاره ونصيحته؛ ولأنّ قبولهم من أسباب قبول النّاس وانتفاع النّاس أيضًا.

فلا ينبغي له أن يضعف، ولا ينبغي له أن يكسل أو يتساهل

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ برقم (٤٧٧١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ برقم (٢٠٦).

بأقاربه؛ بل يعتني بهم، وينذرهم، ويحذّرهم، ويدعوهم، ويكرّر، لعلّهم يهتدون، لعلّهم يجيبون، فيحصل له مثل أجورهم، ثمّ النّاس يتّبعونهم بعد ذلك. الله المستعان.

قوله: (يَا مَعْشَرَ قُرَيْش - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا)، وهذا فيه قطع التّعلّق بالأقارب، كما يفعل الجهّال اليوم ويقولون: إنّهم من أهل البيت، وإنّهم لا خطر عليهم، وهذا من الجهل، هو لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئًا - عليه الصّلاة والسّلام -.

قد أنذرهم، فمن اتّبع الحقّ فهو السّعيد، وإن كان بعيدًا، ومن خالف الحقّ فهو الهالك وإن كان قريبًا، فهذه مسائل لا تنفع فيها القرابة، لا بدّ من الإيمان والتّقوى.

وأمّا قصّة أبي لهبٍ فالّذي يظهر - والله أعلم - من الأدلّة لو أنّه أسلم قبل إسلامه هذا من باب الوعيد، سيصلى من باب الوعيد، مثل غيره ممّن توعّد بالنّار؛ فإن هداه الله وتاب سلم.

• س: أحسن الله إليك: حكم من قال: إنّ النّبيّ ﷺ أوّل ما بدأ دعوته بنى لتكوين دولةٍ، ثمّ دعا إلى التّوحيد وشرائع الإسلام لم يبدأ بالتّوحيد؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا جهلٌ، هذا من الجهل، بدأ بالنّذارة عن الشّرك والدّعوة إلى التّوحيد، ما هو بتكوين دولةٍ، ما هو مقام دعوةٍ، مقام إعلامٍ، ما هو يطلب دولةً، يطلب إخلاص العبادة لله وحده، هذا من الجهل الكبير، نسأل الله العافية.

• س: أحسن الله إليك: في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ هذا ما يدلّ على الإخبار بأنّه لن يؤمن بعد ذلك؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، ما هو بلازم، هذا وعيدٌ إخباره عن خسارته ذاك الوقت، قد يسلم وينجو مثل ما توعّد غيره من الكافرين بالنّار، ومن أسلم سلم.

• **س: ﴿تَبَّتْ﴾ بصيغة الماضي؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: خسرت. ما يلزم.

• **س: بارك الله فيك، من كان مؤمنًا وفيه من العمل الصّالح الظّاهر من أهل البيت هل له محبّةٌ زائدةٌ على غيره؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يجب حبّ أهل البيت، حبّ أهل البيت يحبّون؛ من حبّه ﷺ إذا كانوا مسلمين؛ محبّةً ليس فيها غلوٌّ؛ بل محبّة تقتضي الدّعاء لهم والتّرضّي عنهم، والإحسان إليهم إذا كانوا فقراء، ونحو ذلك، وليس فيها غلوٌّ، من محبّته محبّة أهل بيته المؤمنين.

* *



تفسير آيات من سورة النمل(١)

﴿ٱلۡخَبۡءَ﴾ [النمل: ٢٥]: ما خبأت، ﴿لَّا قِبَلَ﴾ [النمل: ٣٧]: لا طاقة، ﴿ٱلصَّرۡحَۖ﴾ [النمل: ٤٤]: كلّ ملاطٍ اتّخذ من القوارير، والصّرح: القصر، وجماعته: صروحٌ، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ﴾ [النمل: ٢٣]: سريرٌ، ﴿كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩]: حسن الصّنعة، وغلاء الثّمن، ﴿مُسۡلِمِينَ﴾ [النمل: ١]: طائعين، ﴿رَدِفَ﴾ [النمل: ٢]: اقترب، ﴿جَامِدَةً﴾ [النمل: ٨٨]: قائمةً، ﴿أَوۡزِعۡنِيٓ﴾ [١٩]: اجعلني، وقال مجاهدٌ: ﴿نَكِّرُواْ﴾ [٤١]: غيّروا، والقبس: ما اقتبست منه النار، ﴿وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ﴾ [النمل: ٤٢]: يقوله سليمان، ﴿ٱلصَّرۡحَۖ﴾ [النمل: ٤٤]: بركة ماءٍ ضرب عليها سليمان، ﴿قَوَارِيرَۗ﴾ [النمل: ٤٤]: ألبسها إيّاه.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةً وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤﴾ **[النمل: ٤٤]**(٢).

الآية ظاهرة ليس فيها خفاء، فهذا صرحٌ عند سليمان ممرد بالقوارير ظنته ماءً وكشفت عن ساقيها، تحسب أنه ماء يُخاض، وإذا هو

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

ليس بماء يُخاض، ثم ظهر لها صحت ما دعاها إليه سليمان من دين الله وتوحيده فأخبرت أنها ظلمت نفسها بالكفر، وأنها أسلمت مع سليمان لله رب العالمين بالدخول في الإسلام، وقبول دعوة سليمان لها إلى الإسلام، ثم تزوَّجها بعد ذلك ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

المقصود: أن الآية واضحة، وكان من كشف ساقيها أثر فيما ذكره المفسِّرون في تزوج سليمان لها، لما رأى قدميها، والخاطب والراغب في النكاح له أن ينظر إلى قدميها وإلى وجهها وإلى يديها لا حرج في ذلك، وصار هذا الكشف سببًا لرغبة سليمان فيها فيما ذكره المفسرون، أما كونه وضع الصرح على هذه الصفة، فهذا له أسباب اقتضت ذلك، وضع سليمان على هذه الصفة؛ لأسباب رآها ـ عليه الصلاة والسلام ـ. والله المستعان.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢][١].

● **يقول السائل: يقول الله تعالى:** ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ **ما تفسير هذه الآية الكريمة؟ جزاكم الله خيرًا**[٢].

جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنها دابة تخرج في آخر الزمان عند طلوع الشمس من مغربها؛ قبلها بقليل أو بعدها بقليل، والله أعلم بمكثها في الأرض، ولكنها تخرج في آخر الزمان، وتكلم

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٣٢٢).

(٢) من برنامج نور على الدرب، رقم الحلقة (٢١١/ ١٠).

الناس، كما قال الله ﷻ، وأما تفاصيل أخبارها فليس في تفاصيل أخبارها أحاديث صحيحة فيما أعلم.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل: ٨٨][1].

هذا يوم القيامة، تمر مر السحاب، يوم القيامة كما قال ﷻ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠]؛ يعني: يوم القيامة، ليس في الدنيا، هي في الدنيا الجبال راكدة هادئة ثابتة، فالله أرساها فجعلها أوتادًا للأرض ـ في حال الدنيا ـ، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥]، ﴿رَوَٰسِىَ﴾؛ يعني: جبال، ﴿أَن تَمِيدَ﴾؛ أي: لئلا تميد، لئلا تضطرب بكم، ويوم القيامة تسير فيه الجبال، تذهب وتضمحل كما قال ﷻ: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥ ـ ١٠٧].

□ □ □

---

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٣٢٣).

تفسير آيات من سورة القصص(١)

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]: إلّا ملكه، ويقال: إلّا ما أريد به وجه الله، وقال مجاهدٌ: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ [القصص: ٦٦]: الحجج.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ على ظاهرها، هو الباقي الدّائم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وما سواه هالكٌ كما قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٧]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] هو الباقي الدّائم جَلَّ وَعَلَا، له الحياة المطلقة الكاملة الأبديّة، ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، أمّا كلّ مخلوقٍ فهو تعتريه التّغيّرات والهلاك والموت.

- **س: تفسير ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: إلّا ملكه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما هو بظاهرٍ، نوعٌ من التأويل.

- **س: أحسن الله إليك، يدلّ على الوجه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم، إثبات الوجه، وإثبات الحياة الدّائمة والملك الدّائم، على طريقة العرب، يعبّرون بالوجه عن الشّخص، وعن الذّات، عند العرب معروفٌ: جئتك للسّلام على وجهك، لمقابلة وجهك لكذا.

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

والمقصود: الذّات، ومع ذلك هو يوصف سبحانه بالوجه ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ «إِلَّا مَا ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»[١]. المقصود: ابتغي هو تعالى، يبتغى رضاه ومحبّته وجزاؤه وثوابه؛ فهذا طريقة العرب في التّعبير بالوجه عن الذّات كلّها.

● **س: «ثمّ وجه الله»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: كذلك.

● **س: يعني: تثبت الوجه وتثبت...؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: والجهة نعم.

● **س: ما يكون فيه تأويل أحسن الله إليك؟**[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

قاله جماعةٌ من أهل العلم مع إيمانهم بالوجه، لا يلزم منه التأويل؛ لأنّهم أرادوا أنّه باقٍ تعالى، باقٍ ملكه وذاته فلا ينافي.

أمّا من تأوّل فقال: لا وجه له؛ وأراد هذا يكون تأويلًا، أمّا من أشار بالوجه إلى بقاء الوجه وبقاء الملك، وبقاء الذّات كلّها؛ فعبّر بالوجه؛ لأنّه أشرف الأعضاء الظّاهرة في بني آدم؛ فخاطب النّاس بما يعقلون ويفهمون، فالوجه أشرف الشّيء الظّاهر من ابن آدم، والله خاطب النّاس بما يفهمون ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرّحمن: ٢٧]؛ يعني: ذاته ووجهه تعالى، وهكذا ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾؛ يعني: إلّا ذاته وملكه، وما يراد به وجهه تعالى.

● **س: لكن قصده بالملك؟**

---

(١) «شعب الإيمان» (٦٤٩٠).

(٢) هذا السؤال وما بعده ورد في القراءة الأولى عام: ١٤٠٥هـ، والسؤال الذي قبله ورد في القراءة الثانية ولا تضارب بينهما.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما هو قصده التأويل بهذا، ليس قصده التأويل، ولكنها إشارةٌ؛ يعني: قصده أنّه أشار بالوجه إلى بقاء الملك مع بقاء الذّات والوجه، ما هو المقصود، يعني: أنّه الوجه فقط والباقي يذهب باقي الذّات يذهب.

- **س: تفسيره بالملك عفا الله عنك كأنّه يوهم التّأويل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما هو مراده، لا، ما هو مراده.

(**من الشّيخ**): ماذا قال عليه الشّارح؟

(**القارئ**): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨٠/ ٥٠٥)]: «قوله: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ إلّا ملكه: في رواية النّسفيّ وقال معمرٌ... فذكره. ومعمرٌ هذا هو أبو عبيدة بن المثنّى، وهذا كلامه في كتابه «مجاز القرآن»، لكن بلفظ: إلّا هو، وكذا نقله الطّبريّ عن بعض أهل العربيّة، وكذا ذكره الفراء.

وقال ابن التّين: قال أبو عبيدة: إلّا وجهه؛ أي: جلاله. وقيل: إلّا إيّاه، تقول: أكرم الله وجهك؛ أي: أكرمك الله.

قوله: ويقال: (إلّا ما أريد به وجهه): نقله الطّبريّ أيضًا عن بعض أهل العربيّة، ووصله ابن أبي حاتم من طريق خصيفٍ عن مجاهدٍ مثله، ومن طريق سفيان الثّوريّ قال: «إلّا ما ابتغي به وجه الله من الأعمال الصّالحة». انتهى.

ويتخرّج هذان القولان على الخلاف في جواز إطلاق شيءٍ على الله، فمن أجازه قال: الاستثناء متّصلٌ، والمراد بالوجه الذّات، والعرب تعبّر بالأشرف عن الجملة، ومن لم يجز إطلاق شيءٍ على الله، قال: هو منقطعٌ؛ أي: لكن هو تعالى لم يهلك أو متّصلٌ، والمراد بالوجه ما عمل لأجله». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود كلّه؛ يعني: إلّا ذاته سبحانه، وملكه وما أريد به وجهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فعبّر بالأشرف عن البقيّة كلّها، الله أكبر.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [القصص: ٤٤].

الحمدُ لله وحده، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وآله وصحبه، **أما بعد**(١):

فقد تكررت الأسئلة عمن يقول بأن الله سبحانه حالٌّ بين خلقه، ومختلط بهم، وأن ذلك هو معنى المعية العامة، وشبهوا أيضًا بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، ومعنى ذلك: أن الرسول ﷺ لم يكن عندهم، وإنما كان الله تعالى بذاته معهم؛ لأنه في كل مكان، على حد قولهم.

ولما كان القائل بهذا القول قد أساء الفهم، وارتكب خطأً فاحشًا، مخالفًا للعقيدة الصحيحة، التي جاء بها القرآن والسُّنَّة، واعتقدها سلف هذه الأمة، رأيت بيان الحق، وإيضاح ما خفي على هذا القائل في هذا الأمر العظيم، الذي يتعلق بأسماء الله وصفاته، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ على ما يليق بجلاله، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وإن مما

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، جمع: الدكتور محمد بن سعد الشويعر (١/ ١٣٩).

ثبت في القرآن والسُّنَّة، وأجمع عليه سلف الأمة: أن الله سبحانه فوق خلقه، بائن منهم، مستوٍ على عرشه، استواءً يليق بجلاله، لا يشابه خلقه في استوائهم، وهو سبحانه معهم بعلمه، لا تخفى عليه منهم خافية، وهذا هو ما يدل عليه القرآن، بأبلغ العبارات وأوضحها، وما تدل عليه السُّنَّة بالأحاديث الصحيحة الصريحة.

ومن الأدلة القرآنية على أن الله سبحانه في السماء فوق خلقه، مستو على عرشه قوله سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وقوله: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]، ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٧]، وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ﴿يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ الآيات [القصص: ٣٨].

وأما الأدلة من السُّنَّة فقد ورد في الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يُحصى إلا بالكلفة، مثل قصة معراج الرسول ﷺ إلى ربه، وفي حديث الرقية الذي رواه أبو داود وغيره.

«رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ» الحديث[1]، وقوله في حديث الأوعال: **«وَاللهُ ﷻ عَلَى الْعَرْشِ، وهو يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ»** رواه أحمد وأبو داود وغيرهما[2].

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث أبي الدرداء، في كتاب الطب، باب كيف الرقى؟ برقم (٣٨٩٢)، والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٨٧٦)، والحاكم في المستدرك في كتاب الجنائز برقم (١٢٧٢) (١/ ٣٤٤)، راجع: شرح العقيدة الواسطية لسماحة الشيخ رحمه الله (جمع المؤسسة ص٦١).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث العباس بن عبد المطلب، في كتاب السُّنَّة، باب في =

وقوله في الحديث الصحيح للجارية «**أَيْنَ اللهُ؟**». قالتْ: فِي السَّمَاءِ. قال: «**مَنْ أَنَا؟**». قالتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قال: «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**» أخرجه مسلم في «صحيحه»(١).

إلى أمثال ذلك من الأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ، والمفيدة علمًا يقينيًّا أن الرسول ﷺ بلَّغ أن الله سبحانه على عرشه، وأنه فوق السماء، كما فطر الله على ذلك جميع الأمم، عربها وعجمها، في الجاهلية والإسلام إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته، ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئين أو ألوفًا، ثم ليس في كتاب الله ولا في سُنَّة رسوله ﷺ ولا عن أحد من سلف الأمة، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك، لا نصًّا ولا ظاهرًا، ولم يقل أحد منهم قط إن الله ليس في السماء، ولا أنه ليس على العرش، ولا أنه بذاته في كل مكان، ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها، بل قد ثبت في «الصحيح» عن جابر بن عبد الله؛ أن النبي ﷺ لما خطب خطبته العظيمة في يوم عرفات، في أعظم مجمع حضره الرسول ﷺ جعل يقول: «**أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ**»؟ فيقولون: نعم، فيرفع أصبعه إلى السماء ثم ينكبها إليهم ويقول: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**»(٢) غير مرة، وأمثال ذلك كثير.

= الجهمية برقم (٤٧٢٣)، والإمام أحمد (٤/ ٣٢٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٨٨)، واللالكائي في شرح الاعتقاد (٣/ ٣٩٥).

(١) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه، في كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة برقم (٥٣٧).

(٢) متفق عليه من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى برقم (١٧٤١)، ومسلم في كتاب القسامة والمحاربين، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال برقم (١٦٧٩).

كما أوضح هذا شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم.

والمقصود: أن هذا المعتقد الفاسد الذي تعتقده الجهمية المعطلة ومن سار على سبيلهم من أهل البدع، من أفسد المعتقدات وأخبثها، وأعظمها بلاءً وتنقُّصًا للخالق ﷻ، نعوذ بالله من زيغ القلوب. والأدلة على بطلان هذا المذهب الضال كثيرة، فإن العقل الصحيح والفطرة السليمة ينكران ذلك، فضلًا عن الأدلة الشرعية الثابتة، أما استدلال بعضهم بالآيات المذكورة آنفًا، فإنه من أبطل الباطل، حيث زعموا أنه يؤخذ من الآيات أن الله موجود بذاته في الأرض بجانب الطور تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وقد خفي على هذا القائل أن المعية نوعان: عامة وخاصة؛ فالخاصة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقوله سبحانه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وقوله: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وأشباهها من الآيات. فهو سبحانه مع أنبيائه وعباده المؤمنين المتقين بالنصر والتأييد، والإعانة والتوفيق والتسديد والكفاية والرعاية والهداية. كما قال ﷻ فيما رواه عنه نبيه ﷺ؛ إذ يقول: «**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**»(١)، وليس معنى ذلك أن يكون الله سبحانه جوارح للعبد ـ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ـ إنما المراد تسديده وتوفيقه، في جوارح العبد كلها كما تفسر ذلك الرواية الأخرى، حيث قال سبحانه: «**فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي**»

(١) جزء من حديث أبو هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع برقم (٦٥٠٢).

فوضح بهذا سبحانه أن المراد من قوله: «**كُنْتُ سَمْعَهُ...**» إلخ: توفيقه وتسديده وحفظه له من الوقوع فيما يغضبه.

وأما المعية العامة فمعناها: الإحاطة التامة والعلم، وهذه المعية هي المذكورة في آيات كثيرة كقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧]، وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف: ٧]، وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١]، إلى غير ذلك من الآيات، فهو ﷻ مستوٍ على عرشه، على الكيفية اللائقة بكماله وجلاله وهو محيط بخلقه علمًا، وشهيد عليهم أينما كانوا، وحيث كانوا، من بر أو بحر، في ليل أو نهار، في البيوت والقفار، الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره وسمعه، فيسمع كلامهم، ويرى مكانهم، ويعلم سرهم ونجواهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود: ٥]، وقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]، وقال: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، فلا إله غيره ولا ربّ سواه.

وقد بدأ سبحانه آيات المعية العامة بالعلم، وختمها بالعلم، ليعلم عباده أن المراد بذلك: علمه سبحانه بأحوالهم، وسائر شؤونهم، لا أنه سبحانه مختلط بهم في بيوتهم، وحماماتهم وغير ذلك من أماكنهم، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، والقول بأن معنى المعية هو اختلاطه بالخلق بذاته، هو ما يقول به أهل الحلول، الذين يزعمون أن معبودهم في كل مكان بذاته، وينزهونه عن استوائه على عرشه، وعلوه على خلقه، ولم يصونوه عن أقبح الأماكن وأقذرها، قبَّحهم الله وأخزاهم، وقد

تصدَّى للرد عليهم أئمة السلف الصالح؛ كأحمد بن حنبل، وعبد الله بن المبارك، وإسحاق بن راهويه، وأبي حنيفة النعمان، وغيرهم ومن بعدهم من أئمة الهدى؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم والحافظ ابن كثير وغيرهم.

وإذا تبيَّن هذا فإنه لا يؤخذ من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] وما جاء في معناها من الآيات، أنه مختلط وممتزج بالمخلوقات، لا ظاهرًا ولا حقيقة، ولا يدل لفظ (مع) على هذا بوجه من الوجوه، وغاية ما تدل عليه المصاحبة والموافقة، والمقارنة في أمر من الأمور، وهذا الاقتران في كل موضع بحسبه، قال أبو عمر الطلمنكي ـ رحمه الله تعالى ـ: «أجمع المسلمون من أهل السُّنَّة على أن معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] ونحو ذلك من القرآن: أنه علمه، وأن الله تعالى فوق السماوات بذاته، مستوٍ على عرشه، كما نطق به كتابه وعلماء الأمة، وأعيان الأئمة من السلف لم يختلفوا أن الله على عرشه فوق سماواته»، وقال أبو نصر السجزي: «أئمتنا كسفيان الثوري، ومالك، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وسفيان بن عيينة، والفضيل، وابن المبارك، وأحمد، وإسحاق، متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش وعلمه بكل مكان». وقال أبو عمر ابن عبد البر: «أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل، قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الآية [المجادلة: ٧] وهو على العرش، وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ على قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الحديد: ٤]؛ أي: رقيب شهيد على أعمالكم، حيث كنتم وأين كنتم، من بر أو بحر في ليل أو نهار، في البيوت أو في القفار، الجميع في علمه على السواء وتحت بصره وسمعه، فيسمع كلامكم، ويرى مكانكم ويعلم سركم ونجواكم، كما قال

تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود: ٥]، وقال تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]، فلا إله غيره ولا رب سواه.

وقال في تفسير آية سورة المجادلة: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المجادلة: ٧]؛ أي: من سر ثلاثة ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ﴾ [المجادلة: ٧]؛ أي: مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم، ورسله أيضًا مع ذلك تكتب ما يتناجون به، مع علم الله به، وسمعه له، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٨]، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]، ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى، ولا شك في إرادة ذلك، ولكن سمعه أيضًا مع علمه محيط بهم، وبصره نافذ فيهم، فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء.

وكلام السلف في هذا المقام أكثر من أن يُحصر.

والمقصود: بيان أن هذا المعتقد وهو القول بأن الله بذاته في كل مكان، وأن معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] أنه معهم بذاته وأنه لا تجوز الإشارة إليه، قول في غاية السقوط والبطلان، كما هو جلي من الأدلة الكثيرة الصريحة، التي سبق ذكر بعضها، وواضح بطلانه من إجماع أهل العلم، الذي نقله عنهم من سبق ذكره من الأئمة.

وبهذا يتضح أن القائلين بالحلول، أعني: حلول الله سبحانه بين خلقه بذاته ومن قال بقولهم، قد جانبوا الصواب وأبعدوا النجعة، وقالوا على الله خلاف الحق، وتأولوا الآيات الواردة في المعية على غير

تأويلها الذي قاله أهل العلم. نعوذ بالله من الخذلان، ومن القول على الله بلا علم، ونسأله الثبات على الحق والهداية إلى سبيل الرشاد، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلّى الله وسلّم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦](١).

حدّثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيبٌ، عن الزّهريّ، قال: أخبرني سعيد بن المسيّب، عن أبيه، قال: «لمّا حضرت أبا طالبٍ الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهلٍ، وعبد الله بن أبي أميّة بن المغيرة، فقال: أَيْ عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا، عِنْدَ اللهِ، فقال أبو جهلٍ، وعبد الله بن أبي أميّة: أترغب عن ملّة عبد المطّلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيدانه بتلك المقالة، حتّى قال أبو طالبٍ آخر ما كلّمهم: على ملّة عبد المطّلب، وأبى أن يقول لا إله إلّا الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»، فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله في أبي طالبٍ، فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾(٢).

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ برقم (٤٧٧٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع وهو الغرغرة ونسخ جواز الاستغفار للمشركين برقم (٢٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

له الحكمة البالغة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفي هذا دلالةٌ على أنّ الرّسول ﷺ لا يملك إلّا ما ملّكه الله وأعطاه الله إيّاه، فهذا عمّه ناصره، ودافع دونه، واجتهد، ومع ذلك لم يستطع أن يهديه؛ فالأمر بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا بيد غيره جَلَّ وَعَلَا، وهذا يدلّ على أنّه ﷺ عبدٌ مأمورٌ لا يملك إلّا ما ملّكه الله إيّاه، ولا يستطيع إلّا ما أقدره الله عليه. الله أكبر.

قوله: **(لأستغفرنّ لك ما لم أنه عنك)**:

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في النّسخ عندكم (والله) زيادة (والله)؟

(من الطالب) في الشّرح موجودةٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا قال في الشّرح؟ تعرّض لها؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥٠٧)]: «قوله: (والله لأستغفرنّ لك ما لم أنه عنك).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا يدلّ أنّها ثابتةٌ في الأصل «والله»، قوله: «والله»، صلّح في الجوف مثل ما عندهم.

المقصود: أنّ الفائدة من هذا متعدّدةٌ: منها: أنّ أبا طالبٍ مع علمه بما جاء به الرّسول ﷺ، ومع نصره إيّاه مات على دين قومه ـ نسأل الله العافية ـ غلبت عليه الشّقاوة، وهو الّذي يقول:

ودعوتني وزعمت أنك ناجح ... ولقد صدقت، وكنت ثمّ أمينا

ويقول:

لقد علموا أنّ ابننا لا مكذّبٌ..... لديهم ولا يعنى بقول الأباطل

ولكن، والعياذ بالله غلب عليه تعظيم الآباء والأسلاف واتّباعهم ولو على الباطل.

ففي هذا الحذر من الآباء والأسلاف في الباطل، وأنّ هذه سنّة الجاهليّة، وطريق أهل الشّقاء؛ فليحذر المؤمن أن يقتدي بأبٍ أو جدٍّ أو معظّمٍ، أو قريبٍ أو غير ذلك في الباطل، فالحقّ هو أحقّ بالاتّباع، الحقّ أولى بأن يتّبع، ولو خالف أباك، وأخاك، وسلطانك، وعشيرتك؛ فالحقّ أحقّ بالاتّباع.

وفيه من الفوائد: مضرّة أصحاب السّوء، وأنّ الواجب الحذر منهم؛ فإنّ عبد الله بن أبي أميّة وأبا جهلٍ كانا عنده، وعبد الله قبل أن يسلم فذكّراه هذه الحجّة الخبيثة الملعونة: (أترغب عن ملّة عبد المطّلب؟).

يعلمون أنّه إذا قال: لا إله إلّا الله؛ فقد خالف ملّة عبد المطّلب؛ لأنّ ملّة عبد المطّلب عبادة الأوثان والأصنام، وإذا قال: لا إله إلّا الله؛ فقد أبطلها، إذا قالها صادقًا أبطلها، والعرب ليس عندهم النّفاق، إمّا أن يصدقوا، وإمّا أن يجحدوا. بخلاف النّفاق لما جاء في المدينة، النّفاق صدر في المدينة، أمّا هؤلاء في مكّة فما عندهم إلّا هذا أو هذا، إمّا كفرٌ صريحٌ، وإمّا إيمانٌ صريحٌ؛ ولهذا قالا له: (أترغب عن ملّة عبد المطّلب؟)، وهي الشّرك بالله، وما دعاه إليه هو الإخلاص والتّوحيد، فهذا يوجب الحذر من جلساء السّوء.

وفيه من الفوائد: أن الأعمال بالخواتيم، ناصر النّبيّ ﷺ سنين طويلةً قريبة من العشر، ثمّ ختم له بالخاتمة السّيئة؛ ففي هذا الحذر من سوء الخاتمة، وأنّ العبد يضرع إلى ربّه أن يحسن له الخاتمة، وأن يعيذه من خاتمة السّوء، ومن جلساء السّوء.

وفيه من الفوائد أيضًا: أنّ الإنسان يحرص على هداية أقاربه، ولا سيّما من أحسن إليه؛ فإنّ أبا طالبٍ قد أحسن إلى الرّسول ﷺ إحسانًا

كثيرًا، وحماه ونصره، وذبّ عنه ومكّنه من الدّعوة، لكن لم يرد الله هدايته، فلهذا حرص ﷺ على أن يهديه الله، وعلى أن تحسن خاتمته، فلم يقدّر ذلك، ففي هذا الحثّ على الحرص على الأقارب والجيران وغيرهم في أن يهديهم الله، من أعظم المعروف أن تجتهد في هداية من ضلّ منهم.

وفي هذا نصحه ﷺ وحرصه على مكافئة عمّه، وعلى هدايته؛ حتّى قال: (وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ) فيه شدّة حرصه على نفعه وعلى هدايته، وعلى أن يقيه الله عذاب النّار؛ فأنزل الله في ذلك: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾.

فمن مات على الكفر لا يستغفر له، وأنزل فيه في ذلك تعزيةً له: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾. ليس الأمر إليك كما في الآية الأخرى: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة: ٢٧٢] تسليةً وتعزيةً؛ فالأمر إلى الله، هو الحكيم العليم ﷻ.

ومن الفوائد: أنّ الإنسان وإن كان تقيًّا، وإن كان رسولًا، وإن كان نبيًّا لا يستطيع أن يهدي أحدًا الهداية الّتي هي قبول الحقّ، ولو كان رسولًا، ولو أفضل الرّسل ـ وهو محمّدٌ عليه الصّلاة والسّلام ـ فالهداية بيد الله، ليس في يد زيدٍ ولا عمرٍو هداية أحدٍ؛ يعني: هداية التّوفيق وقبول الحقّ، وإنّما ذلك بيد الله سبحانه وتعالى.

فلو أنّ أحدًا يستطيع الهداية لاستطاعها محمّدٌ وهو أفضل الخلق، وإنّما في يد الرّسل وفي يد الدّعاة إلى الله هداية البلاغ والبيان والدّعوة، كما قال الله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢]، هذه هداية البلاغ، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى

﴿ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]. هديناهم؛ يعني: دللناهم وبيّنا لهم وأرشدناهم إلى الخير، ولكن لم يقبلوا، نسأل الله العافية.

وهكذا جميع الأمم هُديت بإبلاغ الرّسل، دُلّت وأُرشدت، ولكن منهم من قبل وهم الأقلّون، ومنهم أبى وهم الأكثرون، نسأل الله العافية.

• **س: أحسن الله إليك: إذًا الهداية هدايتان: هداية...؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هداية التّوفيق وقبول الحقّ، هذه الّتي بيد الله، أمّا هداية الدّلالة والإرشاد هذه بيد الرّسل وأتباع الرّسل.

• **س: أحسن الله إليك، المشركون في هذا العصر: عبّاد القبور أشدّ من مشركي قريشٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

من دعي ووجّه وعصى وأبى قد يكون أشدّ، لكن أغلبهم في سكرة كفّار قريشٍ، عاندوا وكابروا الرّسول ﷺ، وآذوه، كفرهم أعظم من كفر غيرهم؛ لأنّهم باشروا العناد وقاتلوه؛ فكفرهم من أعظم أنواع الكفر، نسأل الله العافية.

• **س: هل يعذرون بالجهل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا يعذرون بالجهل وهم بين المسلمين، والقرآن ينزل بينهم ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، عندهم القرآن بلاغٌ، نسأل الله العافية.

قال ابن عبّاسٍ: ﴿أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦]: لا يرفعها العصبة من الرّجال، ﴿لَتَنُوٓأُ﴾ [القصص: ٧٦]: لتثقل، ﴿فَٰرِغًا﴾ [القصص: ١٠]: إلّا من ذكر موسى، ﴿ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]: المرحين، ﴿قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١]: اتّبعي أثره وقد يكون أن يقصّ الكلام ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ [يوسف:

٣]: ﴿عَن جُنُبٍ﴾ [القصص: ١١]: عن بعدٍ، وعن جنابةٍ واحدٌ، وعن اجتنابٍ أيضًا، ويبطش ويبطش، ﴿يَأْتَمِرُونَ﴾ [القصص: ٢٠]: يتشاورون العدوان، والعداء، والتّعدّي واحدٌ، ﴿ءَانَسَ﴾ [القصص: ٢٩]: أبصر، الجذوة: قطعةٌ غليظةٌ من الخشب، ليس فيها لهبٌ، والشّهاب فيه لهبٌ، والحيّات أجناسٌ: الجانّ، والأفاعي، والأساود، ﴿رِدْءًا﴾ [القصص: ٣٤]: معينًا، قال ابن عبّاسٍ: يصدّقني، وقال غيره: ﴿سَنَشُدُّ﴾ [القصص: ٣٥]: سنعينك، كلّما عزّزت شيئًا فقد جعلت له عضدًا، مقبوحين: مهلكين، ﴿وَصَّلْنَا﴾ [القصص: ٥١]: بيّنّاه، وأتممناه، ﴿يُجْبَىٰٓ﴾ [القصص: ٥٧]: يجلب، ﴿بَطِرَتْ﴾ [القصص: ٥٨]: أشرت، ﴿فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾ [القصص: ٥٩]: أمّ القرى، وما حولها، ﴿تُكِنُّ﴾ [القصص: ٦٩]: تخفي، أكنَنْتُ الشّيء: أخفيته، وكننته: أخفيته، وأظهرته، ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ [القصص: ٨٢]: مثل: ألم تر أنّ الله ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الزمر: ٥٢]: يوسّع عليه، ويضيّق عليه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: (**الفَرِحِينَ: المرِحِين**): ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]، المرحين؛ يعني: المتكبّرين، نسأل الله العافية؛ لأنّ الفرح فرحان: فرحٌ محمودٌ: وهو الفرح بفضل الله ورحمته كما قال سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

وهناك فرحٌ آخر، فرح الكبر والتّعاظم والمرح، فهذا هو المذموم، نسأل الله العافية.

قوله: (**أَكْنَنْتُ الشَّيْءَ أَخْفَيْتُهُ، وَكَنَنْتُهُ: أَخْفَيْتُهُ وَأَظْهَرْتُهُ**)؛ يعني: ضده، بحذف الألف للأمرين: الإخفاء والإظهار، وبإيجادها للإخفاء.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص: ٧٦][1].

هذه الآية في قصة قارون: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾. والمراد بذلك: الفرح الذي يصحبه الكبر والبغي على الناس والعدوان والبطر، هذا المنهي عنه، فرح البطر والكبر، أما الفرح بنصر الله وبرحمته ونعمه وإحسانه فهذا مشروع؛ كما قال الله ﷻ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

فالمؤمن يفرح أن الله هداه إلى الإسلام، وأن الله أعانه على صلاة الجماعة، وأن الله أعانه على بر والديه وصلة أرحامه، وأعانه على فعل الخير هذا مشروع، ينبغي له أن يفرح بذلك، ويسر بذلك، بل يجب عليه أن يفرح بذلك، ويغتبط بهذا، ويحمد الله على ذلك. أما الفرح المذموم فهو الفرح الذي يصحبه الكبر والتعاظم والبطر واحتقار الناس، هذا هو المذموم.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص: ٨٨][2].

على ظاهرها ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ كل الناس يموتون، كل الناس يموتون، إلا الرب ﷻ فإنه الحي الذي لا

(١) من برنامج نور على الدرب، رقم الحلقة (٢٣٢/ ١٢).
(٢) من برنامج نور على الدرب، رقم الحلقة (٧٧٢/ ١٠).

يموت، كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، فهو ـ سبحانه ـ الباقي الدائم الذي لا يموت ﷻ، أما بنو آدم، والملائكة فكلهم يموتون، ثم يحييهم الله ﷻ يوم القيامة ويجازيهم بأعمالهم ﷻ، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [العنكبوت: ٥٧]، ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، ويقول ﷻ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمٰن: ٢٧]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٦]، فهو ـ سبحانه ـ الحي الذي لا يموت.



تفسير آيات من سورة العنكبوت[(١)]

قال مجاهدٌ: ﴿مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨]: ضللةً، وقال غيره: الحيوان، والحي واحد، ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٣]: علم الله ذلك، إنّما هي بمنزلة: فليميز الله، كقوله: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ﴾ [الأنفال: ٣٧]: (أَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ) [العنكبوت: ١٣]: أوزارًا مع أوزارهم.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥][(٢)].

هذه الآية الكريمة تدلّ على فضل الصلوات الخمس، وأن الله ﷻ يمحو بهن الخطايا، ويكفر بهن السيئات لمن حافظ عليهن، وقد شبَّه النبي ﷺ قيام العبد بالصلوات الخمس بمثل نهر غمر يغتسل منه كل يوم خمس مرات، فإن ذلك لا يبقي من درنه من وسخه شيئًا، فهكذا الصلوات الخمس في حق من حافظ عليها يمحو الله بهن الخطايا والسيئات، والله يقول ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.
(٢) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (٣/ ٣٨٥).

خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٩ ـ ١١] ذكر صفات بدأها بالصلاة، وختمها بالصلاة.

فالصلوات الخمس هي عمود الإسلام، وهي أعظم الأركان بعد الشهادتين من حافظ عليها حفظ دينه، ومن أضاعها فقد أضاع دينه، ولا حول ولا قوة إلا بالله وهي عمود الإسلام، ومن رحمة الله أن جعل المحافظة عليها والعناية بها من أسباب تكفير السيئات وحط الخطايا لمن لم يُصرّ على كبيرة، ولهذا في الحديث الآخر يقول ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ**»(١).

وفي هذا أن رجلًا أتى من امرأة قُبلة حرامًا فجاء تائبًا نادمًا إلى النبي ﷺ فأنزل الله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ [هود: ١١٤]. **قال الرجل: (يا رسول الله، ألي هذا خاصة؟)** قال: «**لأُمتي عامة كل من تاب بعد الذنب تاب الله عليه، وجعل الصلوات كفارة له**»، والمهم أن يبادر بالتوبة والإقلاع من الذنب والله يتوب على التائبين كما قال سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨] أعظم الذنوب الشرك، فإذا تاب الإنسان وأسلم محا الله عنه الشرك، وهكذا المعاصي كل من تاب منها توبة صادقة محاها الله عنه، والتوبة الصادقة تشتمل على أمور ثلاثة: الندم على الماضي، والإقلاع من الذنب وتركه، والعزم ألا يعود فيه، هكذا التوبة ندم على الماضي، حُزن على ما مضى منه وإقلاع منه وترك له وحذر منه خوفًا من الله وتعظيمًا له وعزم صادق ألا يعود فيه.

وإذا كان يتعلق بحق المخلوق لا بد من الشرط الرابع وهو أن

(١) سبق تخريجه (٣/ ٥٧٨).

يعطي المخلوق حقه أو يتحلّله؛ كظلم في نفسه أو في ماله أو في عرضه لا تتم التوبة إلا بالتحلل أو إعطائه حقه إلا في العرض إذا لم يتيسر له تحلله يدعو له ويذكره في الخير الذي يعلمه منه في المجالس التي اغتابه فيها حتى تكون هذه بهذا.

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥][1].

هذه الآية الكريمة تدل على فضل الذكر، وأنه ينبغي للمؤمن أن يعمر أوقاته بذكر الله، في بيته، وفي الطريق، وفي سوقه، وفي مسجده وفي غير ذلك يكون معمور الوقت بالذكر طليق اللسان بالذكر؛ لأن الله ﷻ شرع ذلك وأمر به. ورسوله ﷺ كذلك أوصى بذلك، وحرَّض عليه، ولأنه ضد الغفلة، الغافلون هم أهل النار.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. المؤمن لا يكون مثلهم بل يشغل وقته بذكر الله ﷿، قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ ـ ٤٢]، قال ﷿: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ إلى أن قال سبحانه: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، والآيات في هذا المعنى كثيرة في الحث على الذكر والترغيب فيه.

---

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (٤/ ١٣٠).

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العظيمِ**»[١] ينبغي الإكثار منهما «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العظيم**»، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ**». هذه أَحَبُّ الكَلَامِ «**سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ**»[٢]، وقال أيضًا: «**البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ: سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**».

ويقول ﷺ: «**لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ؛ وَالحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**»[٣]، هذا فضل عظيم وخير كبير.

ويقول ﷺ: «**مَنْ قال: لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، في يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ**»؛ يعني: يعتقها «**وكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِك حَتَّى يُمْسِي، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ**»[٤] ينبغي الإتيان بهذا، وأن يحافظ على هذا مائة مرة كل يوم «**لا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ؛ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» إذا قال في الصباح يكون أحسن

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب فضل التسبيح برقم (٦٤٠٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح برقم (٢٦٩٤).

(٢) سبق تخريجه في (٢/ ١٦٤).

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء برقم (٢٦٩٥).

(٤) سبق تخريجه في (٢/ ١٦٥).

حتى يستوفي اليوم كله، يقولها في الصباح حتى يحصل السلام في هذا اليوم كله.

في اللفظ الآخر: «**مَنْ قال: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ. فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**»(١) هذا في فضل التسبيح أيضًا، «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيم**» مَنْ قال: سُبْحَانَ اللهِ العظيم وبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ فيها الوعد بتكفير الخطايا، وهذا عند أهل العلم مُقيد باجتناب الكبائر، النصوص المُطلقة تحمل على المقيدة، قال تَعَالَى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ**».

فينبغي للمؤمن الحذر من الكبائر؛ بل يجب عليه الحذر من كبائر الذنوب؛ لأنها تمنع المغفرة إلا لمن تاب منها، ويجتهد في أنواع الخير وأعمال الخير، لما فيها من الحسنات العظيمة، وإطلاق اللسان بالذكر والبعد عن مشابهة الغافلين.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ **[العنكبوت: ٦٩]**(٢).

هذه الآية الكريمة فيها الحث على مجاهدة النفس في طاعة الله

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب فضل التسبيح برقم (٦٤٠٥)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء برقم (٢٦٩١).

(٢) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لكتاب رياض الصالحين (١/ ٢٢٥).

والمسارعة إلى الخير وعدم احتقار العمل الصالح ولو قليلًا، فإن القليل عند الله عظيم يقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾؛ والمعنى: من جاهد نفسه لله، وجاهد شيطانه، وجاهد أعداء الله، وجاهد العُصاة، وجاهد كل من يعادي الخير ويدعو إلى الشر، والله ﷻ يهديه السبيل إذا صدق وأخلص في ذلك؛ ولهذا قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾؛ يعني: في الله لا للرياء والسمعة ولا لقصد آخر، بل يجاهد نفسه في طاعة الله وابتغاء مرضاته والتقرب إليه، رجاء رحمته وخوف عقابه ﷻ، ولهذا أطلق فقال: جاهدوا، هذا يعم جهاد النفس، ويعم جهاد الشيطان ويعم جهاد الهوى، ويعم جهاد الكفار، ويعم جهاد المنافقين، ويعم جهاد العصاة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير ذلك، فمن جاهد لله جاهد نفسه وشيطانه وهواه، وجاهد أعداء الله في سبيل الله، فالله ﷻ يهديه سبيله، ويجازيه جزاء المحسنين؛ لعمله الصالح واجتهاده ورغبته في الخير وصبره.

وهكذا يقول سبحانه: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] يخاطب نبيه محمدًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ المعنى: واستمر في العبادة واصبر عليها واثبت عليها، حتى يأتيك اليقين وهو الموت؛ يعني: استمر في العبادة واصدق فيها واصبر واثبت عليها حتى الموت، هكذا ينبغي لكل مؤمن، لا يتقلب تارة مع العصاة، وتارة مع الكفار، وتارة مع المنافقين، وتارة مع المؤمنين، لا، الواجب الثبات على الحق والصبر حتى يلقى ربه ﷻ لا يتقلب.

وهكذا قوله ﷻ: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨]؛ يعني: استمر في العبادة واصبر في العبادة، وهكذا يقول ﷻ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨]، في هذا الحث على عمل الخير ولو كان قليلًا، هكذا قوله ﷻ: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣]،

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠]. فالمؤمن لا يحقر الأعمال الصالحة ولو كانت قليلة؛ لا تحقر الصدقة بقليل، قليل مع قليل ينفع الفقير، وهكذا العمل الصالح من جميع الأنواع، من صلاة وصوم وغير ذلك، إذا صمت يومًا من الشهر أو يومين من الشهر أو صوم يوم من السُّنَّة كيوم عرفة؛ كيوم عاشورا، كيوم الاثنين ويوم الخميس، كل هذا ينفعك، لا تحقر شيئًا وهكذا الصلاة، صليت الضحى ركعتين، صليت أربع ركعات، صليت أكثر، تهجدت في الليل، صليت بعد الظهر صليت بين المغرب والعشاء ما يسَّر الله لك، كل هذا ينفعك في الدنيا والآخرة إذا أخلصت لله ﷻ، فلا تحقر شيئًا، هكذا الصدقة بدرهم بدرهمين، بتمرة بتمرتين، بصاع بصاعين، بما تيسر حتى قال ﷺ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»(١).

وثبت عن عائشة رضي الله عنها في الصحيح قالت: جاءتني امرأة ومعها ابنتان تسأل ـ تشحذ ـ فلم أجد في البيت إلا ثلاث تمرات. ما وجد في بيتها ـ عائشة ـ رضي الله عنها إلا ثلاث تمرات، أصابهم جهد في المدينة ومشقة وحاجة وهو نبي الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ، قالت: فأتيت بالثلاث وأعطيتها المرأة فأعطت اثنتين لبنتيها كل واحدة أعطتها واحدة، ورفعت الثالثة لفمها لتأكلها هي، فسبقها ابنتاها وأكلتا التمرتين، وطلباها الثالثة، فلما رأتهما يطلبانها شقتها نصفين ولم تأكل شيئًا، قالت عائشة: فأعجبني أمرها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته بذلك وما جرى للمرأة مع ابنتيها، قال: «**إن الله أوجب لها بها الجنة**» بهذه الرحمة وهذا العطف،

---

(١) متفق عليه من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب طيب الكلام برقم (٦٠٢٣)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة لأنها حجاب من النار برقم (١٠١٦).

بتمرة، لكن المقصود الرحمة والعطف والإحسان، فالمؤمن لا يحقر شيئًا، إذا أعطى فقيرًا ريالًا أو ريالين لا يقول: قليل، يعطيه لا يرده ولو قليل، ريال ريالين، تمرات إذا كان محتاجًا لشيء قليل من الطعام، شيء من اللباس، على حسب حاجة الفقير، فبعض الفقراء يحتاج ولو درهمًا واحدًا يعطى إياه، أو شيء من الطعام، أو تناول غداء أو عشاء، ويقول النبي ﷺ: يقول الله ﷻ «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**»؛ يعني: أعلنته بالحرب؛ يعني: أنها حرب لي.

والولي هو المؤمن المسلم، المؤمنون هم أولياء الله إذا أطاعوا الله واتبعوا شريعته، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣]، هؤلاء أولياء الله، قال النبي ﷺ: «**أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي** ـ يعني: فُلَانًا ـ **لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ إِنَّمَا وَلِيِّي اللهُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ**»(١). هؤلاء هم أولياء الله ورسوله، والمسلم إذا أطاع الله ورسوله فهو ولي الله، هو المؤمن وهو المتقي وهو البر والصالح، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ يقول الله: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا**»؛ يعني: مؤمنًا «**فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**»، فالذي يؤذي المؤمنين حرب لله ورسوله، يؤذيهم بالضرب أو بغير ذلك من أنواع الأذى، بالسب والشتم أو بغير ذلك من أنواع الظلم، هذا نوع محاربة لله ولرسوله، نسأل الله العافية.

ويقول الله سبحانه في كتابه العظيم في القرآن: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨] كثير من الناس لا يبالي، يؤذي الناس بسبِّه وحسده وغيبته ونميمته

---

(١) متفق عليه من حديث عمرو بن العاص ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب تُبَل الرحم ببلالها برقم (٥٩٩٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم برقم (٢١٥).

وشره بغير موجب، ولكنه الحسد والهوى والشر الذي طبع عليه، نسأل الله العافية، يقول الله: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**»، أحب شيء إلى الله أن تتقرب إليه بفرائضه التي فرضها عليك؛ من صلاة وصوم وزكاة وحج وبر الوالدين وصلة رحم وجهاد في سبيل الله وأمر بمعروف ونهي عن منكر وترك لما حرم الله؛ لأن ترك المحارم فرض، كون الإنسان يترك محارم الله من الزنى والسرقة والغيبة والنميمة وشرب المسكر والعقوق للوالدين وقطيعة الرحم وغير هذا من المعاصي، هذا فرض على المؤمن أن يترك ذلك، يُفرض عليه أن يدع المعاصي، كما أنه فرض عليه أن يؤدي ما أوجب الله، من صلاة وصوم وغير ذلك، فإذا أدى هذه الأمور فهذا أحب شيء إلى الله أنك تؤدي فرائضه.

بعض الناس يتقرب بالنوافل ويضيع الفرائض، يصوم نافلة أو يصلي نافلة، ويضيع الفريضة، هذا جهل وضلال، الواجب البداءة بالفريضة، والنافلة إن تيسرت وإلا ما تضر، المهم الفريضة، أن تؤدي فرائض الله من الصلاة وغيرها، وأن تدع محارم الله، فإذا يسَّر الله لك نافلة فهذا خير إلى خير، قال: «**مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**»؛ يعني: زيادة على الفرائض يتقرب بالنوافل من الصلوات الراتبة صلاة الضحى التهجد بالليل وأنواع الصيام النافلة، ما يزال العبد يتقرب إلى الله بأنواع الذكر، بأنواع الصدقات، بأنواع المعروف، حتى تكون محبة الله له أكمل وأعظم، «**فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ**»؛ يعني: المحبة الكاملة «**كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**»، المعنى: أن الله يوفِّقه في هذه الأمور، أما في الرواية الأُخرى «**فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي**»؛ يعني: أنه يوفَّق في سمعه وفي بصره وفي مشيه وفي أخذه وتناوله، يكون موفقًا في ذلك محفوظًا من المعاصي والشرور، معانًا من الله ﷻ بسبب اجتهاده للخيرات

وحرصه على أداء الفرائض وترك المحارم، واجتهاده في أنواع النوافل والطاعات، والله يسدده ويعينه بسبب حرصه على الخير واجتهاده في الخير، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، من اتقى الله أعانه الله، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، «**وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ**»، يقوله الرب ﷻ، إذا اتقى العبد ربه واجتهد في الخيرات، إن استعان الله أعانه، وإن سأله أعطاه، وإن استغفره غفر له، بسبب اجتهاده في الخير، وبسبب عنايته بطاعة الله وتوبته إلى الله من ذنوبه، وإقلاعه منها وتركه ما حرم الله عليه وصبره على ذلك، هذا من أسباب توفيق الله حتى يموت على الخير والهدى والصلاح.

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩][1].

يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾.

يحرِّض سبحانه عباده على الجهاد في سبيله، وهذا يشمل جهاد الكفار وجهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد الفساق؛ لأنه ﷻ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾، ولم يذكر المجاهدين، بل أطلق فدل ذلك على أن من جاهد في سبيله لأعدائه بالجهاد الشرعي، وهكذا من جاهد نفسه في طاعة الله حتى تستقيم، وجاهد شيطانه حتى يسلم من مكائده ونزغاته، وجاهد العصاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتوجيه

---

(١) حديث المساء، (ص١٣٧) ط٣ ـ ١٤٣٦هـ.

إلى الخير والدعوة إلى الحق فإنه قد سعى في خلاصه ونجاته، وأن الله سبحانه يهديه سبل الخير وطرق الخير، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾، المفعول محذوف ما قال أنفسهم ولا قال الكفار، بل أطلق المعنى جاهدوا الكفار، وجاهدوا الأنفس، وجاهدوا الشيطان، وجاهدوا الفساق بالطرق الشرعية: ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾.

وهذه الهداية من الله تشمل دلالتهم على الخير وإرشادهم إليه وتوفيقهم للأخذ به والثبات عليه، الهداية الكاملة تشمل دلالة العبد على الخير وتوفيقه للأخذ به والرضا به، والعمل به؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٦﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

فمن جاهد نفسه لله، وجاهد عدوه الشيطان، وجاهد عدوه الكافر حسب طاقته، وجاهد العصاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتوجيه إلى الخير، فهو على طريق نجاة وعلى سبيل سعادة والله وعده سبحانه بأن يهديه سبله؛ يعني: أن يهديه إلى طرق الخير وأعمال الخير حتى يوفق للثبات على الصراط المستقيم بأسباب أعماله الصالحة وجهاده الطيب لنفسه وشيطانه ولأعدائه ولإخوانه المسلمين الذين وقعوا في بعض المحارم.

ثم قال بعده: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

فدلَّ على أن المجاهد في سبيله والدعاة إليه الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر الصادقين في ذلك أنهم من المحسنين، والله مع المحسنين، فيقول سبحانه في الآية الأخرى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ويقول في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

فعليك يا عبد الله أن تجاهد هذه النفس في الله ﷻ حتى تستقيم حتى تلزم الحق، وعليك أن تجاهد شيطانك حتى تسلم من مكائده ونزغاته ودعوته الباطلة، وعليك أن تكون مع المجاهدين في سبيله بجهاد أعدائه إذا استطعت ذلك، وعليك أن تكون مع الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر المجاهدين في سبيله في إظهار الحق وإخفاء الباطل والردع عن الفساد في الأرض، عليك أن تكون معهم حسب طاقتك، كما قال ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ﴾ [التوبة: ٧١]، ويقول سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ويقول سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ويقول النبي ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**»(١).

وبهذا الجهاد من كل مؤمن تستقيم أحوال الناس فردًا وجماعة، وتأمن البلاد، ويصلح المجتمع، وتظهر الفضائل في الأرض، وتختفي الرذائل، وبالإهمال والإضاعة وعدم الجهاد يكثر الشر، ويقل الخير، ولا حول ولا قوة إلا بالله.



---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان برقم (٤٩).

تفسير آيات من سورة الروم(١)

﴿فَلَا يَرْبُواْ﴾ [الروم: ٣٩]: من أعطى يبتغي أفضل، فلا أجر له فيها، قال مجاهدٌ: ﴿يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥]: ينعّمون، ﴿يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤]: يسوّون المضاجع، ﴿ٱلْوَدْقَ﴾ [الروم: ٤٨]: المطر، قال ابن عبّاسٍ: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ [الروم: ٢٨]: في الآلهة، وفيه ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ [الروم: ٢٨]: أن يرثوكم، كما يرث بعضكم بعضًا، ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]: يتفرّقون، ﴿فَٱصْدَعْ﴾ [الحجر: ٩٤]: وقال غيره: ضعفٌ، وضعفٌ لغتان، وقال مجاهدٌ: ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الروم: ١٠]: الإساءة، جزاء المسيئين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما عليه شيءٌ ﴿فَٱصْدَعْ﴾؟

(مِنَ الطَّالِبِ): ما عليه شيءٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

عجيبٌ! ﴿فَٱصْدَعْ﴾ غير يتفرّق، ﴿فَٱصْدَعْ﴾؛ يعني: أظهر. ما تكلّم عليه الشّارح؟ على ﴿فَٱصْدَعْ﴾؟ كأنّها ساقطة.

[قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥١٢)]: «قوله: يصّدّعون: يتفرّقون؛ فاصدع. أمّا قوله: يتفرّقون فقال أبو عبيدة في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾؛ أي: يتفرّقون.

وأمّا قوله: **(فَاصْدَعْ)** فيشير إلى قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾، وقد قال أبو عبيدة أيضًا في قوله: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾؛ أي: افرق

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

وامضه، وأصل الصّدع الشّقّ في الشّيء. وخصّه الرّاغب بالشّيء الصّلب كالحديد تقول: صدعته فانصدع بالتّخفيف، وصدّعته فتصدّع بالتّثقيل، ومنه صداع الرّأس؛ لتوهّم الاشتقاق فيه». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كأنّه أراد رَحِمَهُ اللَّهُ من هذا أنّ بينهما اشتراكًا، ﴿فَٱصۡدَعۡ﴾ و﴿يَصَّدَّعُونَ ۝٤٣﴾ أنّه إذا صدع بالحقّ وأظهره تصدّع النّاس؛ يعني: تفرّق النّاس بين مجيبٍ وبين مخالفٍ، بين منتفعٍ وبين غير منتفعٍ، فالصّدع يعني: إظهار الحقّ الّذي يترتب عليه انقسام النّاس، من قابلٍ وموافقٍ، ومجيبٍ ومن آبٍ، ومختلفٍ، وهذا هو الواقع، فإنّه لمّا أظهر الدّعوة وبيّنها وصعد على الصّفا وقرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] منهم من قبل، ومنهم من تصدّع وفارق.

*

حدّثنا محمّد بن كثيرٍ، حدّثنا سفيان، حدّثنا منصورٌ، والأعمش، عن أبي الضّحى، عن مسروقٍ قال: بينما رجلٌ يحدّث في كندة فقال: يجيء دخانٌ يوم القيامة، فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، يأخذ المؤمن كهيئة الزّكام، ففزعنا، فأتيت ابن مسعودٍ وكان متّكئًا، فغضب فجلس فقال: «من علم فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإنّ من العلم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم، فإنّ الله قال لنبيّه ﷺ: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]: وإنّ قريشًا أبطؤوا عن الإسلام، فدعا عليهم النّبيّ ﷺ، فقال: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ**» فأخذتهم سنةٌ حتّى هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام، ويرى الرّجل ما بين السّماء والأرض كهيئة الدّخان، فجاءه أبو سفيان فقال: يا محمّد، جئت تأمرنا بصلة الرّحم، وإنّ قومك قد هلكوا، فادع الله، فقرأ: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠﴾ إلى قوله: ﴿عَآئِدُونَ﴾

[الدخان: ١٠ ـ ١٥]: أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء، ثمّ عادوا إلى كفرهم، فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [الدخان: ١٦]: يوم بدرٍ، و﴿لِزَامًا﴾ [طه: ١٢٩]: يوم بدرٍ، ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ إلى: ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ [١ ـ ٣]: والرّوم قد مضى[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تقدّم البحث في هذا، وأنّ أبا عبد الرّحمن رحمة الله عليه ـ ابن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ اعتقد أنّ الدّخان شيءٌ واحدٌ، وهو ما وقع لقريشٍ وقت الجدب.

والدّخان دخانان: دخانٌ وقع ومضى، وهو ما وقع لقريشٍ من الجدب والقحط الّذي حصل بسببه أنّه يخيّل لهم كالدّخان بينهم وبين السّماء والأرض.

أمّا الدّخان الّذي هو آيةٌ من آيات قيام السّاعة في آخر الزّمان فهذا يأتي كما رواه غيره، فلا منافاة، هو اطّلع على شيءٍ، واطّلع غيره على شيءٍ آخر، كما في رواية حذيفة بن أسيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وغيره.

* * *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤﴾ **[الروم: ١ ـ ٤]**[2].

الروم: هم النصارى المعروفون، وكانت الحالة بينهم وبين الفرس

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة الروم برقم (٤٧٧٤)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الدخان برقم (٢٧٩٨).

(٢) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري لكتاب التفسير.

سجالًا في الحرب يُدال هؤلاء على هؤلاء تارة، وهؤلاء على هؤلاء تارة، أخبر الله سبحانه وتعالى أنهم غُلبوا، يعني غلبتهم الفرس ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤﴾، فوقع ذلك فغلبت الرومُ الفرسَ، وكان ذلك في أول مبعث النبي ﷺ حين كان النبي - عليه الصلاة والسلام - في مكة، وكان ذلك من الآيات والدلائل على صدقه ﷺ، وأنه رسول الله حقًّا؛ فوقع الأمر، كما أخبر الله به في كتابه العظيم.

فالله ﷻ هو أعلم بالمغيبات، ويخبر نبيه بما يشاء منها سبحانه وتعالى، كما أخبره بكثير مما يقع في آخر الزمان، وكما أخبره عما مضى من الزمان؛ من أخبار عاد، وثمود، وقوم نوح، وفرعون وغيرهم، وكما أخبره أيضًا - عليه الصلاة والسلام - ربه عما يكون يوم القيامة، ومن حال أهل الجنة وأهل النار إلى غير ذلك، فهذا من جملة الأخبار الغيبية التي أخبر بها القرآن فوقعت كما أخبر، وكان ذلك من علامة صدق رسولنا محمد - عليه الصلاة والسلام -، وأنه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ۝١٩﴾ **[الروم: ١٩]**(١).

• **تفسير قوله تعالى:** ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ **مع مثال لذلك إن استطعتم(٢)؟**

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٣٢٧)، والمجموع (٢٤/ ٢٦٧).

(٢) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٣٣٠).

هذا من آيات الله، ومن دلائل قدرته ﷻ أنه يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، هذه من آياته ﷻ، ومن دلائل قدرته العظيمة، وأنه رب العالمين الخلاق العليم القادر على كل شيء، وأنه ﷻ يحيي ويميت ويتصرف في خلقه كيف يشاء، وأنه مستحق العبادة، وقد مثَّل أهل العلم لذلك بأشياء منها إخراج المسلم من الكافر، يكون كافرًا ويخرج الله من صلبه أحياء مسلمين، فإن المسلم حي والميت كافر في المعنى، فالله يخرج من المرأة الكافرة والرجل الكافر أولادًا مسلمين يهديهم الله ويصلحهم ﷻ وأبوهم وأمهم ليسوا كذلك. وكذلك يخرج الميت من الحي، يكون مسلم فيولد له أولاد فيكفرون ولا يبقون على دين آبائهم وأمهاتهم، وقد يكونون على خلاف ذلك، ويعتنقون غير الإسلام، فيكون هذا إخراج ميت من حي.

ومن ذلك مثَّلوا به أيضًا: إخراج الدجاجة من البيضة، الدجاجة حية، حيوان، والبيضة في حكم الميت؛ لأنها جماد، فالله ﷻ يخرج منها حيوانًا سميعًا بصيرًا حيًّا وهذا واضح. والعكس كذلك، يخرج الميت من الحي، الميت البيضة والدجاجة حية فيخرج الله منها بيضةً جمادًا في حكم الميت والدجاجة حية، وهذا له نظائر، ومن أراد المزيد عن ذلك فيراجع كتب التفسير على الآية الكريمة.

❋

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الروم: ٢٣][1].

هذه الآية الكريمة تتعلق بالرؤيا، والرؤيا أقسام، منها رؤية صالحة من الله، ومنها رؤية من الشيطان، منها أشياء يتحدث بها الإنسان قبل النوم فيراها في النوم في أمور دنياه.

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (٣/ ١٨٣).

وفي **الحديث** يقول ﷺ: «**لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبوَّةِ إِلَّا المُبَشِّرَاتِ**»[(١)]؛ لأن النبوة خُتِمت بمحمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ، هو خاتم الأنبياء لا نبي بعده ـ عليه الصلاة والسلام ـ، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وتواترت عنه الأحاديث ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ أنه قال: «**أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»[(٢)] عليه الصلاة والسلام. فالنبوة ذهبت لمحمد ﷺ خُتمت به؛ ولكن بقيت المُبَشِّرَاتُ وهي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرَى له، هذه المبشرات لما سُئل عنها ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: «**الرؤيا الصالحة**»، في الرواية الأخرى: «**يَرَاهَا المُسْلِم أَوْ تُرَى له**»[(٣)] فهي مبشرة، نوع من النبوة؛ ولهذا قال: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**»[(٤)]، قال: «**إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ**»[(٥)]؛ يعني: عند آخر الزمان وتغير الأحوال لا تكاد رؤيا المؤمن تكذب؛ يعني: إذا رآها تكون مثل فلق الصبح قال: «**أَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا، أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا**»[(٦)]، من كان أصدق في اليقظة في حديثه وأكمل في دينه كان أصدق في رؤياه وأقرب إلى صحة ما رأى.

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب التعبير، باب المبشِّرات برقم (٦٩٩٠).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث ثوبان رضي الله عنه في كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها برقم (٤٢٥٢).

(٣) أخرجه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود برقم (٤٧٩).

(٤) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في كتاب التعبير، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة برقم (٦٩٨٩).

(٥) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التعبير، باب القيد في المنام برقم (٧٠١٧)، ومسلم في كتاب الرؤيا برقم (٢٢٦٣).

(٦) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الرؤيا برقم (٢٢٦٣).

في الحديث يقول ﷺ: **«مَنْ رَآنِي فِي المَنَام»**، **«فَقَدْ رَآنِي رآني»**(١)، في اللفظ الآخر: **«فَسَيَرَانِي في اليَقَظَةِ أَوْ كَأَنَّما رَآنِي في اليَقَظَةِ لَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي»**(٢)، والمحفوظ: **«فقد رَآنِي من رآني في المنام»** فقد رآني؛ يعني: حقيقة فإن الشيطان لا يتمثَّل بصورتي في اللفظ الآخر: **«لَا يَتَمَثَّل بِي»**، ومن رآه ﷺ على الصورة التي هو عليها فقد رآه، وهي بشرى إذا رأى أو يراه يأمره بخير أو ينهاه عن الشر، هذه بشرى ينبغي له أن يتأدب وينتبه، ويفعل ما أرشد إليه، أما إن رآها على غير صورته كأن يراه شابًّا لا لحية له أو شيخًا كبيرًا قد شاب شيبًا واضحًا، أو يراه قصيرًا جدًّا أو طويلًا جدًّا لم يره؛ لأنه ربعة من الرجال ﷺ جميل اللون أبيض اللون، كسي بحمرة لحيته سوداء كثَّة، ليس فيها إلا شعرات قليلة عند موته من الشيب ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وإذا رآه يأمره بشرٍّ أو ينهاه عن الخير، من العلامة أنه من الشيطان، وأنه لم يرَ النبي ﷺ. إذا رآه يأمره بالفواحش(٣).

وفي الحديث: **«إِذَا رَأَى أَحَدُكُم رُؤْيَا يُحِبُّهَا فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللهِ، فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَيْهَا، وَلْيُحَدِّثْ بِهَا مَنْ يُحِبُّ»**(٤)، في اللفظ الآخر: **«فليحدث بها من شاء، فهي بشرى المسلم»**، إذا رأى أنه دخل الجنة، رأى أنه لاقى النبي ﷺ وهو راضٍ عنه، رأى أنه يصلي يقرأ القرآن، رأى أنه يجاهد في سبيل الله، رأى أنه يطلب العلم، رأى أنه مع الأخيار في

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الرؤيا، باب قول النبي ﷺ: **«من رآني في المنام فقد رآني»**برقم (٢٢٦٦).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ في المنام برقم (٦٩٩٣)، ومسلم في كتاب الرؤيا، باب قول النبي ﷺ: **«من رآني في المنام فقد «رآني»** برقم (٢٢٦٦).

(٣) فيه انقطاع. . .

(٤) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله برقم (١٩٨٥).

مجالس العلم وفي مجالس الخير، فهذه رؤيا صالحة يحدث بها من شاء، ويحمد الله عليها. أما إن رأى رؤية تسوؤه كأن يرى أنه يقتل، أو يضرب، أو أنه مع أصحاب الجرائم، أو أنه في محل خطر، فهذه من الشيطان، إذا استيقظ ينفث عن يساره ثلاث مرات، يتفل عن يساره ثلاث مرات، ويقول: أعوذ بالله من الشيطان ومن شر ما رأيت، ثلاث مرات ثم ينقلب على جنبه الآخر، فإنها لا تضره، ولا يخبر بها أحدًا، هكذا أمر به ﷺ، كثير من الناس تزعجه المرائي، يشوش عليهم حياتهم، ولو استعملوا ما قاله النبي ﷺ سلموا من هذا التشويش «**فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَبْصُقْ عَنْ شِمَالِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ**»(١)، فإذا رأى الإنسان ما يكره أي رؤيا فليتفل عن يساره ثلاث مرات ويقول: أعوذ بالله من الشيطان ومن شر ما رأيت ثلاث مرات، ثم ينقلب على جنبه الآخر فإنها لا تضره، ولا يخبر بها أحدًا يقول: رأيت رأيت يسكت، كأنه ما رأى شيئًا، هذا هو المشروع، وبذلك ينتهي المشكل؛ ولا يهمه ما رأى؛ لأن الشيطان حريص على إحزان بني آدم؛ ولا سيما المسلم حريص على إحزانه وإيذائه والتشويش عليه، فينبغي للمسلم أن يهين عدو الله إذا رأى ما يكره فلينفث عن يساره ثلاث مرات ويقول: أعوذ بالله من الشيطان ومن شر ما رأيت ثلاث مرات حتى يهينه بذلك، ويرد عليه كيده.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم].

• **س: قوله سبحانه: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ هل المثل؛ يعني: الشبيه؟**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه في كتاب الرؤيا برقم (٢٢٦٢).

○ **الجواب**: يعني المثل: الوصف الأعلى من كل الوجوه؛ فهو سبحانه الموصوف بالكمال المطلق من كل الوجوه، كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

لدين الله، ﴿خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٧]: دين الأوّلين، والفطرة الإسلام.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا هو الحقّ، الإنسان إن كان عنده علمٌ فليتكلم، وإلّا فليقل: الله أعلم، ولمّا قال بعض التّابعين لبعض أهل البيت: إنّه لا يليق بمثلك أن تسأل عن شيءٍ، فلا يكون عندك منه علمٌ. فقال: لكن لا يليق عند من عقل عن الله أن يتكلّم فيما لا يعلم. أو كما قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: ما أبرده على قلبي أن أقول إذا سئلت عما لا أعلم أن أقول: الله أعلم، أو لا أدري.

فالمؤمن هو الّذي يحاسب نفسه ويجاهدها؛ فإن كان عنده علمٌ صدع به، ودعا إلى الخير، وإن سئل عمّا لا يعلم يقول: الله أعلم، ولا يجوز أن يتكلّف وأن يقول على الله بغير علمٍ.

● **س: أحسن الله إليك، الجهميّة، والمعتزلة، والأشاعرة يعذرون بتأويلهم وبجهلهم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، ما يعذرون ـ نسأل الله العافية ـ. أوّلوا القرآن، وحوّلوه على

غير وجهه، فهم من أضلّ النّاس عند أهل السّنّة والجماعة، والجهميّة والمعتزلة من أكفر النّاس عند أهل الحقّ؛ لأنّهم كذّبوا الله ورسوله، وسلبوا صفات الله، والجهميّة سلبت الأسماء والصّفات جميعًا، نسأل الله العافية.

• س: الصّدع: اصدع؛ يعني؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

بيان الحقّ وإيضاحه للنّاس، ولو انقسم النّاس؛ لأنّ الصّدع بالحقّ يوضّح الحقّ للنّاس، يبيّنه للنّاس، يفرّق بين الحقّ والباطل، مثل ما يتصدّع النّاس يتفرّقون؛ فهكذا بيان الحقّ والدّعوة إلى الله، يوضّح للنّاس طريق الهدى وطريق الشّرّ.

• س: أحسن الله إليك، من اعتقد أنّ صاحب القبر سببًا لشفاء المرض وليس يشفي بنفسه هل يكون شركًا أكبر؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

شركٌ أكبر، هذا اعتقاد المشركين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]، ما هم يعتقدون أنّهم يتصرّفون هم، يعتقدون فيهم أن آلهتهم تشفع لهم، والله هو المتصرّف، فهم يدعونهم ويستغيثون بهم أن يشفعوا لهم عند الله.

(من السّائل): شفاء المرض، يعتقدون أنّه سببٌ لشفاء المرض؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هو هو، شفاء المرض مثل إعطاء الدّنيا، وزوال الفقر، دعاء الميّت والاستغاثة به مطلقًا كفرٌ بالله، شركٌ أكبر.

• س: يعني إذا استقلّ الأكبر يستقلّ، يكون شركًا في الرّبوبيّة، أمّا إذا اعتقدنا سببًا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم إذا اعتقد أنّه يتصرّف هذا شركٌ في الرّبوبيّة، وإذا كان بزعمه أنّه بجاهه عند الله، أنّه يمكّنه من ذلك، فهذا هو شرك المشركين.

• **س: إنكار ابن مسعودٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **للدّخان عفا الله عنك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: الدّخان الّذي في الآية ما هو الدّخان الّذي في آخر الزّمان، وكان غشي قريشًا وغيرهم في وقتهم، أمّا الدّخان الّذي في أشراط السّاعة فسوف يأتي.

• **س: عفا الله عنك: تأويل الوجه بالملك تفسير من البخاريّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ظاهره أنّه من البخاريّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

* *

حدّثنا عبدان، أخبرنا عبد الله، أخبرنا يونس، عن الزّهريّ، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرّحمن أنّ أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟**»، ثمّ يقول: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى أنّ الله فطر العباد على توحيده، والإسلام له، ولكنّ

---

(١) متفق عليه من حديث أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ برقم (٤٧٧٥)، ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة... إلخ برقم (٢٦٥٨).

النّاس تجتالهم الشّياطين بواسطة آبائهم، أو جلسائهم أو غير ذلك؛ حتّى يخرجوا عن الفطرة؛ ولهذا في حديث عياض بن حمارٍ المجاشعيّ رضي الله عنه - الّذي رواه مسلمٌ - يقول الله عز وجل: «**وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِم مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا**»[١].

وهنا قال جل جلاله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾؛ فهو سبحانه فطرهم على الملّة الّتي هي التّوحيد، ولكن بعد الكبر أبواه يهوّدانه، أو ينصّرانه، أو يمجّسانه، وهو تابعٌ لأبويه، وهكذا من يربّيه، وهكذا من يجالسه، إلّا أن يمنّ الله عليه بالتّوفيق والهداية.

وهذا دليلٌ ظاهرٌ على أنّ الطّفل إذا مات قبل البلوغ فدينه دين الإسلام؛ ولهذا الصّواب أنّ أولاد الكفّار من أهل الجنّة إذا ماتوا صغارًا، هذا هو الصّواب.

وقال بعض أهل العلم: إنّهم يمتحنون. والصّواب أنّهم من أهل الجنّة؛ لأنّهم ماتوا على الفطرة، لم يهوّدهم آباؤهم، ولم ينصّروهم ولم يمجّسوهم؛ ولأنّه ثبت في الصّحيح أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم رأى أولاد المشركين وأولاد المسلمين جميعًا مع إبراهيم عليه السلام في الجنّة، وهذا هو الصّواب، في ذلك أقوالٌ، لكن هذا هو الصّواب؛ لأنّ الفطرة هي الإسلام، كما في اللّفظ الآخر: (**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ**)[٢] إلّا على هذه الملّة ملة الإسلام، والله يقول: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي

(١) سبق تخريجه في (٦/ ٢٥٦).

(٢) سبق تخريجه في (ص٥٣٣).

فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾، وقد قال ﷺ: «**رُفِعَ القَلَمُ عن ثَلاثٍ ـ مِنْهُم ـ الصَّغيرُ**»[١].

فالحاصل: أنّ أولاد الكفّار ليسوا من الكفّار في حكم الآخرة، وإن كانوا في حكم الدّنيا أولادهم، منهم، لو قتلوا ما يضمنون، لو حاصر المسلمون الكفّار وقتلوا منهم أطفالًا أو نساءً ما يضمنون، ولكن في الآخرة لا، في الآخرة هم حكمهم على الإسلام؛ لهذا الحديث الصّحيح، وما جاء في معناه؛ ولأنّ الله ﷻ هو الحكيم العليم، وهو الحكم العدل؛ فكيف يعذّب أطفالًا لم يعملوا شيئًا قطّ؟!.

فالقول بأنّهم يعذّبون مع الكفّار هذا يخالف حكمته سبحانه، وتصريفاته العظيمة؛ فهو الحكم العدل، وهؤلاء لم يجنوا شيئًا، ليس لهم بصيرة ولا علم؛ لكونهم صغارًا.

وهكذا المعتوه الّذي مات، بلغ معتوهًا أو مجنونًا مثل الطّفل.

• **س: الجمع بين هذا وبين أنّ الأصل في الإنسان الكفر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الأصل فيه الإسلام، إلّا من كان مع الكفرة.

• **س: ...؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بمعنى يعني... الإنسان إمّا شاكرًا وإمّا كفورًا، لكن لا يكون حكم التّكليف حتّى يبلغ.

• **س: أحسن الله إليك: دين الأنبياء الإسلام؟**

---

(١) أخرجه النسائي من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في كتاب الطلاق، باب من لا يقع طلاق من الأزواج برقم (٣٤٣٢)، وابن ماجه في كتاب الطلاق، باب طلاق المعتوه والصغير والناسي برقم (٢٠٤١)، والإمام أحمد (٦/ ١٠٠).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم دين الأنبياء كلّهم هو الإسلام، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩].

• **س: إذا كان كافرًا ثمّ جنّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

على كفره، مثل الّذي مات على كفره، نسأل الله العافية.

(**من السّائل**): والعكس المسلم لو جنّ يبقى على إسلامه؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

على إسلامه، إذا جنّ المسلم فهو على إسلامه، جن الكافر فهو على كفره.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

تكلّم بشيءٍ في هذا الموضوع، الحافظ أم ما تعرّض؟

(**القارئ**): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٥١٣)]: «قوله: والفطرة الإسلام: هو قول عكرمة، وصله الطّبريّ من طريقه، وقد تقدّم نقل الخلاف في ذلك في أواخر كتاب الجنائز». [انتهى كلامه].

• **س: أحسن الله إليك: كما تنتج البهيمة بهيمةً جمعاء أو جمّاء؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

جمعاء، كاملة الخلق يعني؛ يعني: كاملة الخلق ما فيها جدعٌ ولا غيره، حتّى تكونوا أنتم تجدعونها.

• **س: عفا الله عنك: الفطرة يعني: يعرف التّوحيد والإسلام إجمالًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، الإيمان بالله يعني، وتوحيده والإخلاص له.

السّائل: يعني لو ترك ونفسه؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لعاش على ذلك، لعاش على الإيمان بالله، وأنّه ربّه، وأنّه إلٰهه.

• **س: لكن تفاصيل الشّريعة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

التّفاصيل تحتاج إلى الرّسل.

• **س: أحسن الله إليك: الّذين قالوا: إنّ الفطرة الاستعداد لقبول الإسلام؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فسّرها النّبيّ ﷺ؛ قال: «**إِلَّا عَلَى هَذِهِ المِلَّة، حتَّى يُبَيِّنَ عَنْهُ لِسَانُهُ**»، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١، ٣٢][١].

يبيِّن تعالى في الآية أن من صفات المشركين، تفريق الدين، وأن يكونوا شيعًا؛ كل شيعةٍ لها رأي، ولها كلام، ولها أنصار، هكذا يكون المشركون وهكذا الكفار، يتفرقون وكل طائفةٍ لها رئيس، ولها متبوع، تغضب لغضبه وترضى لرضاه، ليس همهم الدين، وليس تعلقهم بالدين.

أما المسلمون فهم يجتمعون على كتاب الله وسُنَّة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهدفهم هو اتباع الكتاب والسُّنَّة، فهم مجتمعون على

---

(١) مجموع تفسير آيات من القرآن، جمع: يزيد الدرعان (ص٢٠٠).

ذلك معتصمون بحبل الله، أما غيرهم من الكفار فهم أحزاب وشيع، والله ﷻ يحذِّرنا أن نكون مثلهم، ويأمرنا أن نقيم الصلاة، وأن نستقيم على دين الله، وأن نجتمع على الحق، وأن لا نتشبه بأعداء الله المشركين الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعًا، وهكذا أصحاب البدع شابهوا المشركين، فرَّقوا دينهم وكانوا شيعًا، هذا معتزلي، هذا جهمي، هذا مرجئ، هذا شيعي.. إلى غير ذلك، فهذا تفرُّق في الدين، ومخالفة لما أمر الله به من الاعتصام بحبل الله والاستقامة على دين الله وعدم التنازع والفشل.



تفسير آيات من سورة لقمان(١)

□ تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

حدّثنا قتيبة بن سعيدٍ، حدّثنا جريرٌ، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه قال: «لمّا نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أيّنا لم يلبس إيمانه بظلم؟ قال رسول الله ﷺ: **إِنَّهُ لَيسَ بِذَاكَ، أَلَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ:** ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمعنى: أنّ أهل التّوحيد الّذين استقاموا على التّوحيد لهم الأمن والهداية، الّذين آمنوا بالله ورسوله إيمانًا بريئًا من الشّرك، لهم الأمن والهداية، فهم آمنون من عذاب الله، ومهتدون إلى صراطه المستقيم.

فإن كانت لهم ذنوبٌ وسيّئاتٌ ماتوا عليها؛ صار الأمن ناقصًا،

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ برقم (٤٧٧٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه برقم (١٢٤).

والهداية ناقصةً، وإن كانت أحوالهم على السّداد ولم يلبسوا إيمانهم بشيءٍ من المعاصي والظّلم للنّاس؛ صار أمنهم كاملًا، وهدايتهم كاملةً؛ فالكلّ للكلّ والحصّة للحصّة.

ومن سلم من أنواع الظّلم الثلاثة: ظلم الشّرك، وظلم العباد، وظلم المعاصي؛ سلم إيمانه وهدايته، وصار له الأمن الكامل والهداية الكاملة في الدّنيا والآخرة، ومن سلم من الشّرك الأكبر، من الظّلم الأكبر؛ صار له أصل الأمن، وأصل الاهتداء، وأصل الهداية، ولكن يفوته كمال الأمن، ويفوته كمال الهداية، بحسب ما فاته من سلامته من ظلم العباد، وظلم المعاصي.

وهذا معروف من النّصوص الأخرى؛ فإنّ النّصوص يضمّ بعضها إلى بعضٍ، ويفسّر بعضها بعضًا.

وهذا من رحمة الله وإحسانه إلى عباده، أنّ من مات على غير الظّلم - الشّرك - فله الأمن، وله الهداية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم﴾؛ يعني: يخلطوا إيمانهم ﴿بِظُلْمٍ﴾؛ يعني: بشركٍ، ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾؛ فدلّ على أن المسلم له الأمن والهداية، وإن كان عاصيًا فله الأمن والهداية، لكن إن كان مستقيمًا فله الأمن الكامل والهداية الكاملة، وإن كان ناقص الإيمان؛ لمعاصيه فأمنه ناقصٌ، وهدايته ناقصةٌ، ولكنّه من أهل الجنّة؛ كما قال ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ سمّاهم مصطفين: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]، ظالمٌ لنفسه هو العاصي، فهم من المصطفين لإسلامه وإيمانه، والمقتصد من أدّى الفرائض وترك المحارم، ولكن ليس عنده توسّعٌ في المسابقة إلى الخيرات، والسّابق بالخيرات من زاد على أداء الواجبات، المسابقة إلى الأعمال الصّالحات، وهم المقرّبون.

فالعاصي مصطفى، ومسلمٌ وموعودٌ بالنّجاة؛ لكنّه على خطرٍ من ذنوبه، هو على خطرٍ؛ لظلمه لنفسه، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]. قولُه: ﴿لِمَن يَشَآءُۚ﴾ يفيد الخطر، وأنّه على خطرٍ، لكن قد يعفى عنه لأعمالٍ صالحةٍ، أو لشفاعة الشّفعاء، وقد يؤخذ بها، ويعذّب ما شاء الله، كما صحّت به الأخبار وتواترت عن النّبيّ ﷺ أنّ كثيرًا من العصاة يعذّبون، وأنّ الرّسول ﷺ يشفع شفاعاتٍ فيهم، فيحدّ له حدٌّ في كلّ شفاعةٍ؛ يخرجهم من النّار، ويبقى في النّار قسمٌ لم تعمّهم الشّفاعة؛ فيخرجهم الله من النّار بفضل رحمته، قد امتحشوا واحترقوا؛ فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبّة في حميل السّيل.

والخلاصة: أنّ أهل السّنّة والجماعة أجمعوا على أنّ العاصي لا يخلّد في النّار، إذا مات على الزّنا، أو شرب المسكر، أو ما أشبه ذلك، أو العقوق فهو تحت المشيئة، إذا كان لم يتب إن شاء الله عفا عنه، وإن شاء عذّبه على قدر هذه الجرائم، ولكنّه لا يخلّد؛ بل يخرج من النّار بعد التّطهير بإجماع أهل السّنّة والجماعة، خلافًا للخوارج، وخلافًا للمعتزلة.

الخوارج يقولون: العاصي مخلدٌ في النّار، والمعتزلة كذلك يقولون: مخلدٌ في النّار، وقد كذبوا وافتروا وضلّوا.

والصّواب أنّ العاصي لا يخلّد في النّار إذا دخلها، بل يعذّب فيها على قدر ما مات عليه من المعاصي، ثمّ يخرج من النّار بفضل رحمة الله ﷻ. ولا يخلّد في النّار إلّا الكافر كفرًا أكبر، والمنافق النّفاق الأكبر، هؤلاء هم المخلّدون في النّار، الّذين قال فيهم ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٧]، وقال فيهم سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقال فيهم ﷻ: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا

عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠]، ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، ويقولُ ﷻ: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾، يَقُوْل اللهُ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧] نَعُوذُ بِاللهِ، هَذِهِ حالُ الكُفَّارِ، نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

● **س: أحسن الله إليك يا شيخ: بالنّسبة لصاحب الكبائر هل يغفر له بسبب الأعمال الصّالحة وإن لم يتب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

نعم، قد يغفر له بسبب أعماله الصّالحة وقد يعذّب.

(من السّائل): وإن لم يتب؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وإن لم يتب، إذا تاب ما احتاج، إذا تاب زال الحكم، إذا تاب بإجماع المسلمين، إذا تاب صار من أهل الجنّة ومحا الله ذنوبه، إذا تاب توبةً صادقةً محا الله ذنوبه كلّها كما قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، من تاب أفلح، والنّبيّ ﷺ يقول: «**التَّوْبَة تَجُبُّ ما قَبْلَهَا**». اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

● **س: تستبقى له الأعمال الصّالحة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

تبقى له، أعماله له، إذا مات على توبةٍ كتب الله له أعماله الصّالحة كلّها، حتّى الكافر إذا مات على الإسلام أعطاه الله أعماله الصّالحة الّتي فعلها في الكفر، من حجٍّ، وصدقاتٍ، مثل ما قال ﷺ: «**أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ**»(١). اللّهمّ صلّ على محمّد وسلّم.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث حكيم بن حزام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتاب الإيمان من الباب السابق برقم (١٢٣).

• **س: لأنّ بعضهم يقول ـ سلّمك الله ـ: إذا لم يتب لم تغفر، ولو كان يعمل عملًا صالحًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، هذا جهلٌ، هذا جهلٌ، أقول: هذا من الجهل هذا قول الخوارج والمعتزلة، نسأل الله العافية.

• **س: بارك الله فيك يا شيخ، بالنّسبة للخوارج معصيتهم أنّهم يكفّرون بالمعصية فقط وليس بخروجهم على الولاة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا لا، معصيتهم بأنّهم يجعلون العاصي كافرًا ظالمًا، يقاتلونه، يرون الإيمان: قولًا وعملًا واعتقادًا، من ترك شيئًا منه ذهب كلّه، إذا زنى ذهب إيمانه كلّه، إذا سرق ذهب إيمانه كلّه، إذا عقّ والديه ذهب إيمانه كلّه.

قولهم من أبطل الباطل؛ يقول ﷺ: «**يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآن، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**»، «**يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ**»(١)، نسأل الله العافية.

والمعتزلة وافقوهم في أمر الآخرة، وأنّهم مخلّدون في النّار، وقالوا في الدّنيا: أنّ العاصي في منزلةٍ بين المنزلتين، لا مع الكفّار، ولا مع المسلمين. وهذا جهلٌ آخر، وضلالٌ بعيدٌ. ما فيه أحد بين منزلتين، إمّا مسلمٌ، وإلّا كافرٌ.

• **س: لكن بارك الله فيك، هل يقال: إنّ من خرج على الوالي يقال له: خارجيٌّ؟**

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٨٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا فيه التّفصيل، الخروج على الوالي معصيةٌ، هذه من المعاصي، إذا خرج بغير حقٍّ، أمّا إذا خرج بعد ما رأى كفرًا بواحًا، وعندهم قدرةً ينصّبون مكانه، لمّا رأوا كفرًا بواحًا عندهم فيه من الله برهانٌ، وعندهم قدرة على إقامة الحقّ، وعدم الفساد فهذا شيءٌ آخر.

• **س: أحسن الله إليك، قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] هذا من أدلّة الرّدّ على الخوارج والمعتزلة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي نعم، من أعظم الرّدّ، من أوضح الأدلّة، سمّاهم مصطفين، والخوارج يقولون: كفارٌ، والمعتزلة يقولون: مخلدون في النّار. أعوذ بالله، نسأل الله العافية.

• **س: أحسن الله إليك: بعض النّاس يستدلّ بحديث: «كلّ أمّتي معافًى إلّا المجاهرين»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا المجاهرة، هذه مسألة المعاصي، مجاهرةٌ يعني أنّهم ليسوا من أهل العافية؛ تعرضوا لغضب الله، ما هو بمعنى أنّهم كفّارٌ؛ يعني: قلّ حياؤهم، صاروا قليلي الحياء، ما رزقوا العافية، جاهروا بالمعاصي ولم يستحوا.

• **س: أحسن الله إليك، والمعتزلة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الخوارج، وكلّهم عصاةٌ عند أهل السّنّة، والقول بتكفيرهم قولٌ قويٌّ.

• **س: أحسن الله إليك، أصحاب الكبائر إذا تابوا منها تقلب لهم حسناتٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، ما قرأت الآية: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الفرقان: ٧٠]، إذَا تَابُوا وأَتْبعُوه بِالعَمَلِ الصَّالِحِ، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠]. بعد ما ذَكَرَ الشِّرْكَ، والقَتْلَ، والزِّنَا قال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠] إذَا حَصَلَ إيمانٌ وعملٌ صالحٌ.

• **س: أحسن الله إليك، المعتزلة أنكروا الصّفات، وقالوا بالقدر، حكم المعتزلة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأصل فيهم الكفر، حكم من أنكر صفات الله هو الكفر، قال بعض أهل العلم: إنّ مجتهدهم كافرٌ، ومقلّدهم فاسقٌ، ولكن ظاهر الأدلّة كفرهم بإنكار الصّفات.

كفر الجهميّة بإنكار الأسماء والصّفات، وهم مع الخوارج في مسألة المعاصي، هذا يخصّهم مع الخوارج في المعاصي. نسأل الله العافية.

• **س: من مات على الشّرك وله أعمالٌ صالحةٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] ما تنفعُه.

• **س: (ألا تسمع) يخاطب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخاطب الشّخص، جنس الشّخص، أو ليسمع من يتكلّم معه.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

حدّثني إسحاق عن جريرٍ، عن أبي حيّان، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ كان يومًا بارزًا للنّاس، إذ أتاه رجلٌ يمشي فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَرُسُلِهِ، وَلِقَائِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ**»، قال: ما الإسلام؟ قال: «**الإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ**»، قال: يا رسول الله، ما الإحسان؟ قال: «**الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قال: يا رسول الله، متى السّاعة؟ قال: «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الْمَرْأَةُ رَبَّتَهَا، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَ الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ رُؤُوسَ النَّاسِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، فِي خَمْسٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ [لقمان: ٣٤]»، ثمّ انصرف الرّجل، فقال: «**رُدُّوه عَلَيَّ**»، فأخذوا ليردّوا فلم يروا شيئًا، فقال: «**هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ**»[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الله أكبر، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم، هذا حديثٌ عظيمٌ، حديث جبرائيل عليه السلام، هذا حديثٌ عظيمٌ، بيّن فيه أركان الإسلام والإيمان، وجاء في حديث عمر رضي الله عنه كذلك، زاد في حديث عمر رضي الله عنه: «**وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» في حديث عمر رضي الله عنه زيادة: «**وَتَحُجَّ البَيْتَ**».

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ برقم (٤٧٧٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان... إلخ برقم (٩).

وهذه من نعم الله، فإرسال الرّسل، وإنزال الكتب كلّها للتّعليم، فجبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الرّسول بين الله وبين الرّسل من البشر؛ ليعلّم الرّسل ويعلّم الأمم دينهم، فهو تارةً يأتي بالوحي إلى النّبيّ، والنّبيّ يعلّم النّاس وتارةً يأتي لمثل هذا سائلًا، مستفسرًا، مستفيدًا؛ ليعلم النّاس، ويسمعوا جواب النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فيستفيدوا من ذلك.

وهذا الحديث له شأنٌ عظيمٌ، وقد جاء من رواية عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم، وخرجه مسلمٌ أيضًا من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكلاهما دالٌّ على أركان الإيمان، وأركان الإسلام.

وهنا ذكر الخمسة الأركان: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث الآخر؛ لأنّه سقط هنا «كتبه»، وجاء في الرّواية الأخرى من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وكتابه»، للمؤلّف.

وجاء في رواية مسلم من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زيادة «القدر»، وفي أركان الإسلام زيادة «الحجّ». وكلّ ذلك يصدّق بعضه بعضًا، ويفسّر بعضه بعضًا.

فهذه أركانٌ وفرائض عظيمةٌ، بها يستقيم أمر الإسلام، بعضها ظاهرٌ: كالصّلاة والصّيام، والحجّ، والشّهادتين، وبعضها يتعلّق بالقلوب: كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر.

وهذا الإيمان الّذي يتعلّق بالقلوب عند الصّدق تظهر آثاره في الأعمال والأقوال، فالصّادق في إيمانه تظهر عليه آثار الاستقامة في قوله وعمله وسلامة تصرّفاته، والكاذب تظهر عليه آثار كذبه من المنافقين وأشباههم.

ولا يستغرب هذا؛ لأنّ المجلس يكون فيه جماعةٌ فيحفظ هذا شيئًا، ويحفظ هذا شيئًا، فعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حفظ كلمة: «اليوم الآخر، والحجّ، والقدر»، وأبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يحفظ هذا في المجلس.

و«البعث الآخر» و«اليوم الآخر» من الرّواية بالمعنى.

في رواية عمر رضي الله عنه عند ابن خزيمة، وقد رواها بسندٍ جيّدٍ قال: **«وأن تحجّ»**، في حديث عمر رضي الله عنه: **«وَتَحُجَّ وَتَعْتَمِرَ، وَتَغْتَسِلَ مِنَ الْجَنَابَةِ وَتِتِمَّ الْوُضُوءَ»**[(١)].

● س: قوله ﷺ: «ردوه عليّ»؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ليبيّن لهم أنّه جبرائيل عليه السلام؛ فلمّا أرادوه لم يجدوه، اختفى عنهم.

● س: أحسن الله إليكم، حديثان أم حديث واحدٌ، واحدٌ بالمعنى، وواحدٌ صحيحٌ؛ يعني: هذه الواقعة حدثت مرتين أم واحدة بالمعنى..؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لا، مرةً واحدةً، لكن عمر رضي الله عنه حفظ زيادةً، وأبو هريرة حفظ، وكلاهما متّفقان، إلّا عدّة مخالفاتٍ يسيرة، ورواه غيرهما أيضًا.

● س: قال: كنّا جلوسًا عند رسول الله ﷺ، والحديث هذا يقول: كان بارزًا للنّاس؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هو بمعًنى. بارزٌ والنّاس جالسون حوله، ما هناك منافاةٌ.

● س: أحسن الله إليك، قوله: «إِذَا وَلَدَتِ الْمَرْأَةُ رَبَّتَهَا» ما معناه؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يعني الجارية تحمل سيّدها، سيدها هو ربّها يعني: **«وليَقُلْ: سَيِّدِي ومَولَاي»**، فإذا ولدت صارت بنتها سيّدةً لها، وولدها ربًّا لها، في اللّفظ

---

(١) رواه أبو نعيم في «مستخرجه» (٤)، والدارقطني في «سننه» (٢٧٠٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨٧٥٥).

الآخر: «ربّها»؛ المحلّ من حيث اللّغة يعني كالمالك؛ لأنّه ولد السّيّد؛ يعني: قد تكثر السّراري يعني، الإيماء تكثر بين النّاس، يستولدونهنّ، وهذا كثر بسبب الجهاد والسّبايا.

لكن هذه أشراط قديمةٌ مضت وكثيرة، وتوجد أيضًا مئات السّنين، لكن الأشراط الّتي قربها حتّى الآن لم تأت، الأشراط الّتي قرب السّاعة لم تأت، الدّجال، ونزول عيسى المسيح ابن مريم، ورفع القرآن، وهدم الكعبة، وخروج الدّابّة، وطلوع الشّمس من مغربها، كلّ هذه تأتي، نسأل الله السّلامة.

• **س: من يفصّل في المسائل هذه؛ فيقول: إنّ أشراط السّاعة تنقسم إلى ثلاثة أقسام صغرى وكبرى..؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا ذكره العلماء، ذكره العلماء: السّفاريني وغيره، أشراط السّاعة منها شيءٌ مضى، ومنها شيء مستمرٌّ، ومنها شيءٌ يأتي.

• **س: أحسن الله إليك، لم يذكر هنا الحجّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

جاء في حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**والحجّ**». رواه مسلمٌ في «الصّحيح».

• **س: أولاد المشركين يقبرون مع المسلمين؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا وجدوا يقبرون مع المسلمين.

• **س: ويصلّى عليهم أحسن الله إليك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا ما يصلّى عليهم.

• **س: أحسن الله إليك، إطلاق لفظ السّيد على بعض النّاس؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما يضرّ، لكن لا يقول سيدنا، فالتّرك أفضل، أمّا السّيد مثل ما قال النّبيّ ﷺ: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ**»[١] للحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ**»[٢] لسعد بن معاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: «**من سيِّدُ بني فلانٍ؟**». لكن يا سيّدي للمخاطب تركها أفضل؛ لأنّ النّبيّ ﷺ لمّا قال: «**أَنتَ سَيِّدُنَا**»، قال: «**السَّيدُ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى**»[٣]، من باب التّواضع، وسدّ ذرائع الشّرك.

أمّا قولك: سيّد؛ يعني: رئيسًا، مثل ما قال ﷺ: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ**»؛ يعني: الحسن بن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال في سعد بن معاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ**»؛ لمّا جاء يحكم في بني قريظة، قال فِي الغلام المملوك: «**وَلْيَقُلْ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ**»[٤] المَمْلوك.

● **س: أولاد المشركين، ما هم تبعٌ لآبائهم في الدّنيا، ما يكون دفنهم تابعًا لهم؛ لأنّ هذا من أحكام الدّنيا أحسن الله إليك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هم تبعهم في الدّنيا، لو قتل معهم ما يضمن، لكن لو وجد بين

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي إن ابني هذا سيد.... إلخ برقم (٢٧٠٤).

(٢) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب إذا نزل العدو على حكم رجل برقم (٣٠٤٣)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم برقم (١٧٦٨).

(٣) رواه أبو داود من حديث مطرف عن أبيه في كتاب الأدب، باب في كراهية التمادح برقم (٤٨٠٦).

(٤) رواه وأبو داود من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الأدب، باب لا يقول للملوك: ربي، وربتي برقم (٤٩٧٦)، وأحمد في المسند (٢/ ٣١٦).

المسلمين ولدٌ للمشركين يدفن مع المسلمين، لو مثلًا مات أهله، أو مات أبوه، أو ماتت أمّه؛ يعني: أري به المسلمون جاء عند المسلمين ما يدفن مع الكفار، أمّا إذا كان مات عندهم فهو معهم.

● **س: إذا حكم بإسلامه دفن مع المسلمين؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

نعم، إذا كانوا مع المسلمين أو مات أحدهما ـ مات أحد أبويه ـ أو ماتا جميعًا، أو نقل للمسلمين من الكفّار، أخذه أحدٌ من المسلمين، جاء بين المسلمين.

المقصود: إذا وجد بين المسلمين دفن مع المسلمين.

● **س: إذا كان له حكم المسلم فلم لا يصلّى عليه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ما ورد، لم يرد في مثل هذا شيءٌ، الأصل الوقوف مع السّنّة.

● **س: أولاد المشركين إذا ماتوا ما يكونون حجابًا لآبائهم عن النّار؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ما يكونون حجابًا عن النّار؛ لأنّهم ماتوا على الكفر، آباؤهم إلى النّار، نسأل الله العافية.

هذه أولاد المسلمين، حجاب النّار أطفال المسلمين، أمّا أطفال الكفّار فما ينفعون آباءهم، آباؤهم ماتوا على الكفر، ما فيهم حيلةٌ، ما ينفعهم شيءٌ، لا أعمالهم ولا أولادهم. نسأل الله العافية، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]. نسأل الله العافية.

● **س: أحسن الله إليك: من مات وهو يدعو الجنّ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كلّ أنواع الشّرك، أنواعه عامّةٌ، من مات على الشّرك الأكبر هو إلى النّار، نسأل الله العافية.

*

حدّثنا يحيى بن سليمان، قال: حدّثني ابن وهبٍ، قال: حدّثني عمر بن محمّد بن زيد بن عبد الله بن عمر أنّ أباه حدّثه أنّ عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النّبيّ ﷺ: «**مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ، ثُمَّ قَرَأَ:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾»[1].



(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ برقم (٤٧٧٨).

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الإسراء

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

سورة الكهف

سورة مريم

الموضوع	الصفحة